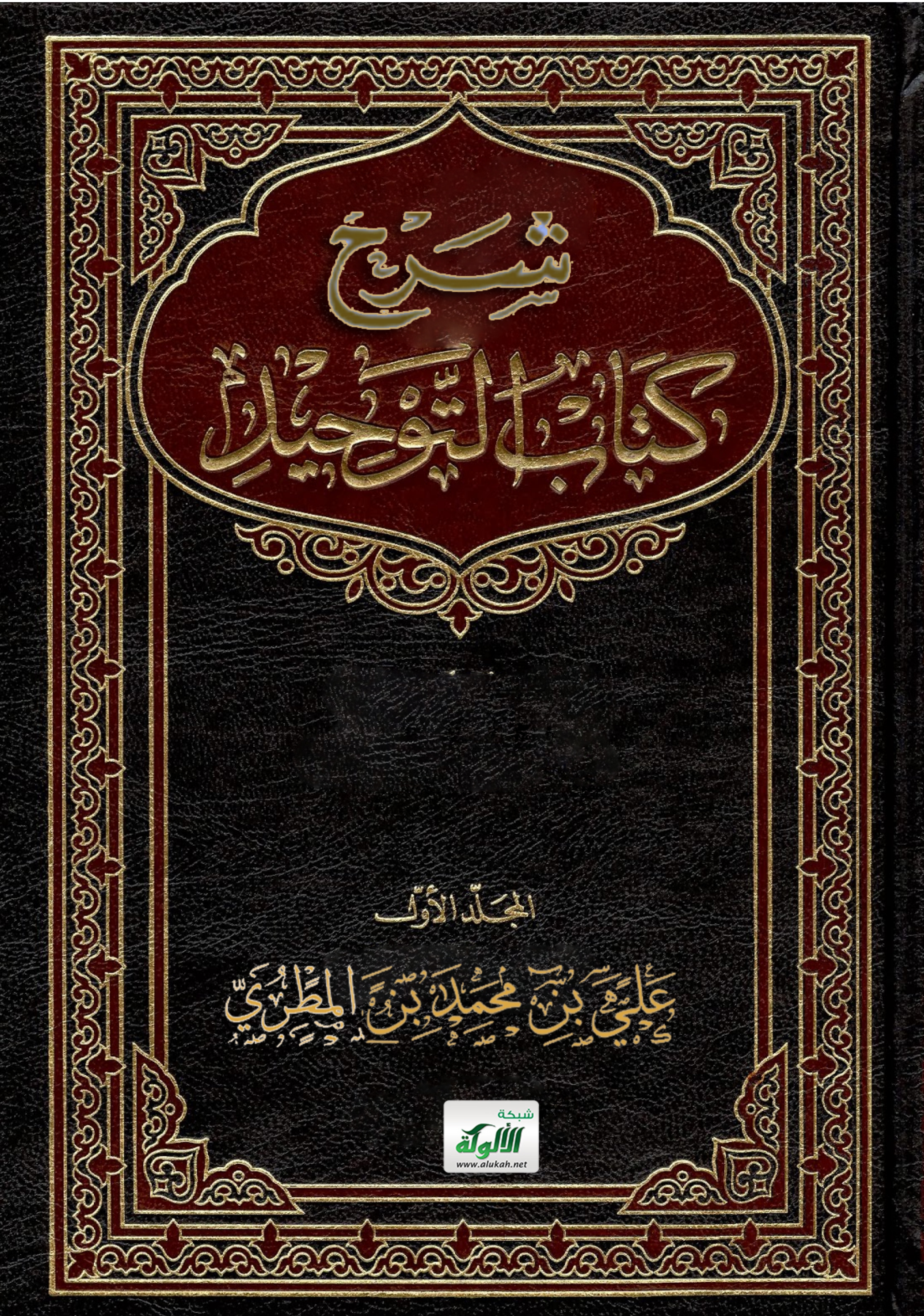

شرح
كتاب التوحيد
المجلد الأول
علي بن محمد بن المطري
شبكة
الألوكة
www.alukah.net



شــرح

كتاب التوحيد

شرحه الشيخ /

أبو الحسن علي بن محمد الأعروقي المطري حفظه الله تعالى.

اعتنى به وخرج أحاديثه /

أبو مالك محمد بن عبد الله الكباري

المجلد الأول

بسم الله الرحمن الرحيم



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيد الأولين والآخرين ورضى الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين

أما بعد:

فهذا يعتبر أول درس من كتاب التوحيد لشيخ الإسلام الإمام المجدد أبي عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي المشرفي النجدي المولود سنة ١١١٥ من هجرة المصطفى ﷺ فرحمه الله رحمة واسعة على ما قام به من الجهاد ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن الصدع بكلمة الحق ومن العلم والتعليم وإفادة المجتمع فلا زالت آثاره معلومة وواضحة معالمها إلى يومنا هذا، وهذا إن دلّ فإنما يدل على إخلاصه نحسبه والله حسيبه فنقول: رحمه الله رحمة واسعة ورحم علماء المسلمين أجمعين على ما قدموا من الخير لهذه الأمة،

فابتدأ المؤلف كتابه بـ: بسم الله الرحمن الرحيم، وعادة المؤلفين من علماء الإسلام يبتدئون تأليفاتهم بهذه العبارة العظيمة القليلة في ألفاظها العظيمة في معناها، ويبوبون أو يذكرون هذا لأمرين اثنين:

١- **الأمر الأول:** إقتداءً بكتاب الله ﷻ فإنه مبتدأ بـ: بسم الله الرحمن الرحيم.

٢- **ثانيًا:** إقتداءً بسنة محمد ﷺ، فقد جاء في صحيح البخاري وغيره أن النبي ﷺ راسل

هرقل عظيم الروم[١]، وكسرى ملك الفرس[٢] وراسل كثيرًا من عظماء العرب فكان يكتب إليهم: من محمد رسول الله إلى فلان بن فلان بسم الله الرحمن الرحيم فكان ﷺ يأمر كاتبه أن يكتب هذه العبارة (بسم الله الرحمن الرحيم) والمعنى في ذلك أن هذه العبارة تقتضي بركةً ويمنًا لمن ابتدأ بها فلقد قال العلماء في معنى(بسم الله) لابد أن يناسب حالًا من الأحوال التي أنت تقوم بها والأصل في كل شيء التسمية فإن أردت أن تأكل فيكون المعنى بسم الله حال كوني آكل متبركًا بهذا الاسم أو أشرب أو أتوضأ أو أدخل أو أخرج أو أنام أي شيء من ذلك فقد كان النبي ﷺ يأمر الآكل أن يقول: بسم الله وهكذا كان إذا أخذ مضجعه قال: «**باسمك اللهم أموت وأحيا**»[٣] ويقول: «**باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه**»[٤] والباء في قوله بسم الله قيل: للاستعانة باء تسمى باء الإستعانة والاسم قيل: مشتق من السمو وهو العلو وقيل: من السمة بمعنى العلامة ويكون إعراب بسم الله جار ومجرور لأن الباء حرف جر واسم مضاف ولفظ الجلالة مضاف إليه والجار والمجرور متعلق بفعل محذوف تقديره حسب الحال إن كان الذي نطق بالبسملة يقرأ فيكون الحال بسم الله أبتدأ قراءتي أو أبتدأ قراءتي ببسم الله متبركًا باسمه وهكذا يقدر فعلًا على حسب الحال قراءة أو دخولًا أو أكلًا أو شربًا وما شابه ذلك جاء حديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا خلع أحد ثوبه أو ملابسه أن يقول بسم الله**»[٥] وأما

---

(١) البخاري (٧) (٢٧٨٢) (٤٢٧٨) (٥٩٠٥) ومسلم (١٧٧٣) وأبو داود (٥١٣٦) وغيرهم.

(٢) البخاري (٢٧٨١) (٤١٦٢) (٤١٦٢) ومسلم (١٧٧٤) والترمذي (٢٧١٦) وغيرهم.

(٣) البخاري (٥٩٦٥) وأحمد (٢٣٣١٩) (٢٣٥٠٦) وغيرهما.

(٤) البخاري (٥٩٦١) وأبو داود (٥٠٥٠) والترمذي (٣٤٠١) وغيرهم.

(٥) الترمذي (٦٠٦) والمعجم الأوسط (٢٥٠٤) ومسند البزار (٤٨٤) وانظر مشكاة المصابيح للألباني =

لفظ الجلالة فهو الاسم العلم الدال على الذات الإلهية وهو من اختصاص الله ﷻ وهو لفظة الله ومعناه الإله العظيم الذي تألهه القلوب محبة وتعظيمًا **وهل هو مشتق أو ليس بمشتق؟** القول الصحيح من أقوال أهل العلم أنه مشتق وليس بجامد فهو متصرف من أله يأله ألوهية وهذا قول سيبويه وقول كثير من أصحابه وحققه كثير من العلماء وهذا من أشرف أسماء الله ﷻ قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الحشر آية: ٢٢- ٢٣] وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠] فهو من أشرف الأسماء ومن أعظمها بل قيل: هو الاسم الأعظم ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥/ وآل عمران: ٢].

وأما الرحمن: فهو صيغة مبالغة أي أنه ذو الرحمة الواسعة العظيمة فهو رحمان الدنيا وكذلك الآخرة وأيضًا هذا الاسم يختص به الله ﷻ فمن حيث الاسمية خصوصًا لله ﷻ ليس إلا ومن حيث الفعلية هو عام من حيث أنه رحمان الدنيا والآخرة.

وأما الرحيم: فهو عام الاسم خاص الفعل فهو ﷻ يرحم باسمه الرحيم المؤمنين يوم القيامة كما قال سبحانه: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣] ويجوز أن يتسمى بذلك أحد من خلقه فيقال: هذا رجل رحيم ولا يجوز أن يقال: هذا رجل رحمان وقد أنكرت العرب اسم الرحمان كبرًا وإلا فهو اسم معروف لكنهم قالوا: لا نعرف إلا رحمان اليمامة فقال الله ﷻ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] على أن العرب قبل الإسلام كانوا يعرفون كما قال شاعرهم في الجاهلية:

=

برقم (٣٥٨) وفي صحيح الجامع برقم (٣٦١٠).



فإن يشأ الرحمن يعفو ويطلق

هذا فيما يتعلق بهذه العبارة التي ينبغي على المسلم أن يحرص عليها وهو أن يكون الأصل في هذا الإنسان متبركًا ومتيمنًا بهذه الأسماء العظيمة: (بسم الله الرحمن الرحيم) والقول الصحيح من أقوال أهل العلم أنها نزلت للفصل بين السور كما صح ذلك عن ابن عباس فيما رواه أبو داود قال: «**كان النبي ﷺ لا يعلم الفصل بين السور حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم**»(١) وأجمع العلماء على أنها بضع آية بعض آية من سورة النمل كما قال ربنا سبحانه:

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] وهكذا ينبغي لمن ألف أو كتب أو أرسل برسالة أن يأخذ بهذه السنة العظيمة أن يبدأ بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم أما ما ورد من الآثار في ذلك فقد جاء في ذلك حديث وهو «**كل أمر ذي بالٍ**» أي ذي شأن «**لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع**»(٢) هذا حديث ضعيف لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولكن كما تقدم أن الأصل في كل شيء هو التسمية وهو أن تذكر اسم الله سبحانه وتعالى وأن تقوم بما قام به النبي ﷺ بهذه الألفاظ المباركة قبل أن تتوضأ وقبل أن تأكل وقبل أن تنام وحينما تخلع ثوبك وحينما تباشر عملًا من الأعمال الشرعية أوالمباحة فأنت تبتدئ بـ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

---

(١) الحاكم (٨٤٥) (٨٤٦) وسنن البيهقي الكبرى (٢٢٠٧).

(٢) موضوع وانظر السلسلة الضعيفة برقم (٩٠٢).



فائدة أخرى:

هل بسم الله الرحمن الرحيم من سورة الفاتحة؟

خلاف بين أهل العلم والصحيح أنها ليست بآية من سورة الفاتحة.

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

«يقول الله تعالى: **قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين فإذا قال العبد: الحمد لله قال الله حمدني عبدي**»(١) هذا موضع الشاهد من الحديث يقول الله: حمدني عبدي وسر اختلاف العلماء في الجهر والإسرار بها متفرع من هذه النكتة فمن رأى أنها ليست بآية من سورة الفاتحة قال: بالإسرار ومن قال: أنها آية من الفاتحة قال بالجهرية لكنك حينما تتأمل في كلام أهل العلم تجدهم يصفون صلاة النبي ﷺ دون أن يكون أحد منهم قد أفصح على أن أنس بن مالك يقول: «**صليت خلف رسول الله وأبي بكر وعمر فكانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين**»(٢) وشيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله يقول: الجهر بالبسملة في الصلاة بدعة، لكن علماءنا يتعاملون مع الجهر وعدمه مراعين في ذلك المصلحة والمفسدة فإن كانت ستحصل مفسدة وهرج ومرج وصياح في بيوت الله ينبغي للإمام أن يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم حتى يربي الناس ويعلمهم سنة النبي ﷺ وإن كان الناس لا يعنيهم ذلك أو إنهم قد ألفو فالأولى أن يسر ببسم الله الرحمن الرحيم وبعض الناس يقول ربما يقول: الصلاة باطلة وهذا

---

(١) مسلم (٣٩٥) وأبو داود (٨٢١) والترمذي (٢٩٥٣) والنسائي (٩٠٩) وابن ماجة (٣٧٨٤) وأحمد (٧٢٨٩) (٧٨٢٣) (٩٩٣٤) وغيرهم.

(٢) مسلم (٣٩٩) ورواه البخاري (٧١٠) لكن بلفظ: «أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين».



من الإفتئات ومن الجهل المطبق من التقول على الله بلا علم **من أين له أن الصلاة باطلة فيمن أسر ببسم الله الرحمن الرحيم**؟ بل بعضهم يقول إذا أردت أن تعرف السلفي من غيره انظر هل هو سيجهر أولم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وهؤلاء - بارك الله فيكم - ما أوتوا إلا من قلة علم بل من الجهل الذي هم عليه لكن على طلاب العلم وحملة الشريعة أن ينقلوا للناس مثل هذه الفوائد فإن الناس إذا عرفوا الآثار عن رسول الله ﷺ وعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم صار عندهم شيء من الفقه ومن العلم ما يؤهلهم أن يتقبلوا.






كتاب التوحيد

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كتاب التوحيد وكتاب يكون خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره هذا كتاب التوحيد ويصلح أن يكون مفعولًا به على تقدير فعل محذوف بمعنى أعقد كتاب التوحيد أو أكتب كتاب التوحيد أو أقرأ كتاب التوحيد تقدر فعلًا محذوفا في ذهنك ولك أن تقدره مجرورًا أيضًا فتقول: أقرأ في كتاب التوحيد، فلا بأس أن ترفع أو تنصب أو تخفض إن كنت تستطيع أن تعلل هذا التعليل، خبرًا لمبتدأ محذوف أو مفعولًا به أو مجرورًا بنزع الخافض كما يقال وكتاب: مصدر كتب يكتب كتابًا وكتابةً ومدار هذه الكلمة على الجمع ومن هذا تكتب بنو فلان أي تجمعوا والكتيبة لجماعة الخيل أو لأفراد من الجنود (كتيبة بني فلان)، وقد قال أحد أصحاب النبي ﷺ: إن امرأتي انطلقت إلى الحج وأنا اكتتبت في كتيبة كذا وكذا قال: «**انطلق فحج مع امرأتك**»[(١)] فمن ذلك يسمى الكتيبة، والكتابة سميت بهذا الاسم لاجتماع الكلمات والحروف، وسمي الكتاب كتابًا لأنه يحتوي على أبواب وفصول وتعرفون الباب لغة: لما يدخل ويخرج منه، واصطلاحًا: اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب.والفصل في اللغة:

---

(١) مسلم (١٣٤١) وصحيح ابن خزيمة (٢٥٢٩) وصحيح ابن حبان (٣٧٥٧) ومصنف ابن أبي شيبة (١٥١٧٥).

بمعنى الحاجز، واصطلاحًا: اسم لمسائل علمية يمتاز بعضها عن بعض، هذا فيما يتعلق بتعريف كلمة كتاب.

وأما معنى التوحيد: فقد ذكر صاحب المختار ومجمع المقاييس والتهذيب وصاحب لسان العرب: أن الواو - والحاء - والدال تدل على الانفراد كلمة وحد، و ح د تدل على الانفراد، هذا من حيث اللغة كلمة التوحيد بمعنى الانفراد لأن مادة الواو والحاء والدال تدل على ذلك، وأما في الإصطلاح فهو: إفراد الله ﷻ بما يختص به من توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات هذا فيما يتعلق بتعريف التوحيد لغة واصطلاحًا.

فلو قال قائل: ما الفرق بين علم العقيدة وعلم التوحيد؟

الجواب: الفرق من وجهين اثنين:

من حيث اللغة: فإن التوحيد كما تقدم أنه بمعنى الانفراد لأن مادته تدل على ذلك الواو والحاء والدال.

أما العقيدة: فهي مشتقة من العقد أو من العقد وهو الربط بقوة وإحكام مشتق كلمة عقيدة.

وأما في الاصطلاح: فهو الاعتقاد الجازم الذي لا يتطرق شك لدى معتقده.

ثم نجد أن باب العقيدة أشمل من باب التوحيد.

فالعقيدة أعم من التوحيد باعتبار أنها تأتي على توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات وسائر ما ثبت من أمور الغيب علمية أو عملية أو قطعية فيما شجر بين أصحاب النبي ﷺ واعتقاد أهل السنة في ولاة الأمر اعتقاد أهل السنة



والجماعة في نزع الروح اعتقاد أهل السنة والجماعة في عذاب القبر اعتقاد أهل السنة والجماعة في الصراط والميزان وحوض النبي ﷺ واعتقاد أهل السنة والجماعة في الحشر والنشر ولقاء الله ﷻ واعتقاد أهل السنة في أسماء الله وصفاته اعتقاد أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم واعتقاد أهل السنة والجماعة في ما يتعلق بأمر الجنة والنار وفي منكر ونكير بل أدخل أهل السنة بعض مسائل الخلاف فيما يتعلق مثلًا بالمسح على الخفين، أدخلوها في مسائل العقيدة لأن الرافضة شذت عن أهل الحق فجحدت سنة من سنن النبي ﷺ على أن أحاديث المسح على الخفين متواترة كما قال السيوطي:

ومما تواتر حديث من كذب ... ومن بنى لله بيتًا واعتمر
ورؤية شفاعة والحوض ... ومسح خفين وهذا بعض

فيكون هذا هو الفرق وإذا أخذت كتابًا في العقيدة وكتابًا في التوحيد بان لك الفرق، خذ كتاب العقيدة الطحاوية وكتاب التوحيد خذ كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب وخذ كتاب العقيدة للطحاوي فتجد أن كتاب التوحيد وإن كان قد ذكر شيئًا من توحيد الأسماء والصفات لكن جل المادة التي وضع لها الكتاب يهتم بأمر التوحيد بخلاف كتاب العقيدة الطحاوية فإنه كتاب عام شامل، هذا – بارك الله فيكم – فيما يتعلق بالفوارق بين العقيدة والتوحيد والله ﷻ أعلم.

فأمر التوحيد والعقيدة من أهم ما يكون من الدين لأنه أول ما يجب على المسلم معرفته وآخر ما يجب كذلك فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ قال: **ما الموجبتان؟** – ومعنى ما الموجبتان أي: **ما الذي يوجب الخلود في النار أو يوجب الخلود في الجنة؟** – قال: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن مات يشرك**

به شيئًا دخل النار»(١).

فحقيقة كما قيل: التوحيد أولًا لو كانوا يعلمون ونحن في هذا الزمان حينما تكالب أعداء الإسلام على المسلمين وتكالبت الفرق المنحرفة على منهج أهل السنة والجماعة بحاجة ماسة إلى معرفة التوحيد الصحيح الذي كان عليه الأنبياء ونبينا ﷺ وأصحابه الغر الكرام الميامين كانوا على التوحيد الصافي الصحيح الذي لا يخالجه شيء من الشرك وأنتم تعلمون أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- توحيد الربوبية: ومعناه إفراد الله سبحانه وتعالى بأفعاله بمعنى أن الله سبحانه وتعالى هو الذي تفرد بالخلق والملك والتدبير، فهو الذي أوجد الخلق من العدم إلى الوجود من غير شريك ولا معين والأدلة على ذلك كثيرة منها:

قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١- ٢٢] وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح:٧] وقال جل وعلا: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١] **فمن الذي تفرد بالخلق؟** الله كما قال الله:

﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف:٥٤] واسمع إلى قصة رجل يتحاور مع سيدنا إبراهيم خليل الرحمان قال جل وعلا: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ قال هذا الرجل كما ذكر الله عز وجل على

(١) مسلم (٩٣) وأحمد (١٥٢٣٧) (١٥٢٤٧) (١٨٩٢٠) (١٩٠٦١) ومسند أبي يعلى (٢٢٧٨) وغيرهم.

لسانه: ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾ قال سبحانه: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨] فهذا القسم من التوحيد هو توحيد الربوبية وما حصل في هذا خلاف لم يحصل في هذا خلاف إطلاقًا فهذا القسم من التوحيد لم يحصل فيه شيء من الاختلاف من قبل المشركين إذ أن المشركين أيضًا الذين بعث فيهم نبينا ﷺ كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق المعين الذي يجيب دعوة من دعاه والذي هو على كل شيء قدير لأدلة كثيرة منها: قوله سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٩] وكما قال ﷻ: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت:٦٥] في هذا دليل على أنهم يؤمنون بوجوده وهكذا أيضًا كانوا يقسمون به ولكنهم جعلوا الأنداد والأوثان واسطة أو وسيلة بينهم وبين الله والله لا يحتاج إلى ذلك قال ﷻ حاكيًا عنهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] فهذا النوع من التوحيد هو توحيد الربوبية أن يعتقد العبد أن الله تفرد بالخلق وبالملك وبالتدبير وحده لا شريك له.

٢- **وأما القسم الثاني فهو توحيد الألوهية** وتستطيع أن تقول أن هذا الكتاب وجل كتب التوحيد إنما يناقشون هذا القسم من التوحيد لأن هذا هو الذي حصل به الجدل من قبل المشركين إذ أن النبي ﷺ بعث إلى العرب وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا وما من قبيلة إلا لها صنم يعبد من دون الله كما قال ربنا سبحانه:

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ﴾ [النجم: ١٩ - ٢١] هذه أصنام تعبد مثل الأصنام التي كانت تعبد في زمان قوم نوح حينما قالوا لبعضهم البعض ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣

﴿وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗا﴾ [نوح: ٢٣- ٢٤] فهذه أصنام عبدت من دون الله فكان هؤلاء المشركون يقيسون بعقولهم القاصرة كيف نترك ما كان يعبده آباؤنا وأجدادنا من قبل يخافون من التعيير وكان بعضهم يدرك أن رسول الله على حق وأنه على صراط مستقيم ولكن أنفة وكبرياء وبعضهم يحتج بالآباء والأجداد كما قال ربنا سبحانه حاكيًا عنهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ أي على ملة وطريقة ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣].

وأبو طالب لما كان النبي ﷺ يقول له: «**يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاجج لك بها عند الله**» فيقول: تعيرني قريش وكان عنده أبو جهل الكافر وعبد الله بن أبي أمية كافر أيضًا يقولان له: **أترغب عن ملة عبد المطلب؟** فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب[(١)] عياذًا بالله هو على ملة عبد المطلب على أنه يدرك أن طريقة النبي ﷺ هي الطريقة الصحيحة حتى إنه يقول في قصيدة:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل[(٢)]
ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينًا
لولا الملامة وحذار مسبة ... لوجدتني سمحًا بذاك يقينًا
والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينًا

ولكنه ضلال، وقال قائلهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾ [ص:٥] هذه الآلهات التي نعبدها من دون الله نجعلها إلهًا واحدًا، **وماذا لو جعلوه إلهًا واحدًا؟** وهو الله ﷻ لكنه الضلال وإلا فقد قال لهم النبي ﷺ: «**قولوا كلمة تدين لكم بها الأمم العرب**

---

(١) البخاري (١٢٩٤) وابن حبان (٩٨٢) ومسند الشاميين (٣٠٣٣).

(٢) البخاري (٩٦٣) وابن ماجة (١٢٧٢) وأحمد (٥٦٧٣) وابن أبي شيبة (٢٦٠٦٧).

والعجم»[(١)] وكان يقول لهم:

«**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»[(٢)] بمجرد أن يقولوا لا إله إلا الله يحصل لهم الفلاح لكنهم هاجوا وماجوا وأبوا إلا أن يدعوا مع الله ﷻ إلهًا آخر فكان الواحد منهم يدعوا صنمًا ويذبح لصنم وربما كان هذا الصنم من حجارة أو من أتربة وربما كان من تمر فإذا حصل له الجوع أكل هذا التمر أكل هذا الإله الذي نصبه يدعوه من دون الله، وآخر كان له صنم وقد علق على هذا الصنم سيف من أجل أن يدافع هذا الصنم عن نفسه فإذا بثعبان يصعد على هذا الصنم حتى وصل إلى رأسه وبال الثعبان على رأس هذا الصنم فأدرك ذلكم الأعرابي أن هذا صنم لا يضر ولا ينفع فارتجز قائلا:

أرب يبــــول الثعلبـــــان برأســــــه لقـــد ذل مـــن بالـــت عليـــه الثعالـــب

فكان هذا القسم من التوحيد هو توحيد الله بأفعال العباد وذلك أن يصرف العباد عبادتهم لله وحده لا شريك له من صلاة وزكاة وحج وعمرة ودعاء ورغبة ورهبة وخشوع ونذر وخوف في السر والعلانية يصرفون هذه العبادة لله ﷻ وحده لا شريك له كما قال ربنا سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣] واجب على العباد أن يصرفوا جميع الطاعات لله ﷻ وحده لا شريك له وإذا صرف منها شيء لغير الله عد ذلك من

---

(١) الترمذي (٣٢٣٢) وأحمد (٢٠٠٨) (٣٤١٩) وابن حبان (٦٦٨٦) وغيرهم وقال الألباني: ضعيف الإسناد.

(٢) أحمد (١٦٠٦٦) (١٩٠٢٦) (٢٣٢٤٠) وابن حبان (٦٥٦٢) والحاكم (٣٩) (٤٢١٩) وسنن الدارقطني (١٨٦) وغيرهم وانظر صحيح السيرة النبوية للألباني صفحة (١٤٣).

الشرك، والشرك لا يغفره الله كما قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦] وفي آية أخرى: ﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨] وفي صحيح مسلم: «**أن الله ﷻ يقول للمشرك: أرأيت لو كان لك ملءُ الأرض ذهبًا أكنت مفتديًا به؟ فيقول: بلى فيقول الله: قد أخذت عليك العهد والميثاق وأنت في ظهر أبيك آدم ألا تشرك بي شيئًا فأبيت إلا أن تشرك**»(١) نسأل الله السلامة والعافية.

وقال سبحانه حاكيًا على لسان لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣] فما أحوج المسلمين اليوم إلى أن يفقهوا هذا القسم من التوحيد توحيد الألوهية: صرف العبادة لله ﷻ وعلى ذلك لا يجوز للعباد أن يدعوا ابن علوان أو أبا طير أو الخمسة أو حتى يدعى رسول الله من دون الله فيعتبر هذا من الشرك الذي لا يغفره سبحانه لأن الله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠] ومعنى داخرين أي حقيرين وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقال نبينا ﷺ:

«**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك وإن اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(٢) فلا بد أن تكون هذه عبادة راسخة وثابتة في القلوب أن ما شاء الله كان

(١) البخاري (٣١٥٦) (٦١٨٩) ومسلم (٢٨٠٥) ومسند أبي يعلى (٤١٨٦).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (٢٦٦٩) والمعجم الكبير (١١٤١٦) ومسند أبي يعلى (٢٥٥٦) =

وما لم يشأ لم يكن وما قضاه الله فلا بد أن يكون وأن العباد لن يغنوا عنك من الله شيئًا

دع المقادير تجري في أعنتها ... ولا تبيتن إلا خالي البال
ما بين ومضة عين وانتباهتها ... يغير الله من حال إلى حال

ومن التجأ إلى غير الله ﷻ فإنه يكون قد أوقع نفسه في الهلاك وفي الدمار وفي الضياع وفي الضلال يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف:٥] وصدق من قال:

من يتق الله يحمد في عواقبه ... ويكفه شر من عزوا ومن هانوا
من استجار بغير الله في فزع ... فإن ناصره عجز وخذلان
فالزم يديك بحبل الله معتصمًا ... فإنه الركن إن خانتك أركان

٣- أما القسم الثالث من أقسام التوحيد فهو توحيد الأسماء والصفات وهذا النوع من التوحيد معناه: أن لا نسمي ربنا ولا نصفه إلا بما سمى نفسه أو سماه رسوله ﷺ أو وصف نفسه أو رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل على حد قوله سبحانه:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] نفي مجمل وإثبات مفصل وهذا القسم من التوحيد ما حصل حوله نقاش من الكفار ولا في القرون الثلاثة المفضلة لكن حينما دخلت فلسفة اليونان أيام المأمون بن هارون الرشيد وتسرب علم المنطق والفلسفة إلى بلاد الإسلام أثر هذا على عقيدتهم وعلى مناهجهم فكان من ذلك طائفة تسمى بالجهمية زعيم هذه الطائفة الجهم بن صفوان وشيخه

=

وانظر مشكاة المصابيح (٥٣٠٢).

الجعد بن درهم ثم كانت السلسلة منتهاها إلى لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ وكان من ذلك المعتزلة الذي يترأسهم واصل بن عطاء أبو صفوان الغزال أحد تلامذة الحسن البصري اختلف معه في صاحب الكبيرة أهو في الجنة أو في النار فكان قول الحسن هو قول أهل السنة أن صاحب الكبيرة تحت مشيئة الله ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ [الإنسان:٣١] وكان هذا الرجل واصل بن عطاء يقول: لا، هو في منزلة بين المنزلتين، لا نستطيع أن نقول هو في الجنة ولا نقول هو في النار واعتزل هذا وطائفته عن حلقة الحسن والله المستعان فكان الشر يتبع بعضه بعضًا فكانت طائفته تثبت الأسماء مجردة عن أوصافها يقولون الله لا ندري معناه، السميع لا ندري معنى السميع، البصير لا نقول إنه يبصر، والعليم لا نقول إنه يعلم أثبت اسمًا دون صفة. والجهمية جحدوا الأسماء وكذلك الصفات وعطلوا الباري سبحانه وتعالى.

ثم القدرية ظهرت في البصرة وكان زعيمها معبد الجهني وأثر على هذا الرجل سوسن النصراني فأدخل عليه بعض الشبه في عقيدته فتوسع في باب القدر فنفى علم الله السابق. ثم الأشاعرة أثبتوا سبع صفات ونفوا ماعداها من الصفات ثم دخلوا فيما يسمى بعلم المنطق وعلم الفلسفة وعلم الكلام فهاجوا وماجوا وضاعوا حتى إن الإمام الشافعي رحمه الله يقول: كل ذنب عسى الله أن يغفر لصاحبه إلا الشرك أو رجل لقي الله بعلم الكلام.

وكان يقول: حكمي على أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال وأن يطاف بهم بالأسواق حتى يقال: انظروا هذا جزاء من ترك سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان من ضحايا هذا الرازي إلا أنه تاب في آخر عمره وهو القائل

نهايـــة إقـــدام العقـــول عقـــال وغايـــة ســـعي العـــالمين ضـــلال
وأرواحنـــا في وحشـــة مـــن جســـومنا وغـــــاية دنيانـــــا إذا ووبـــــال
ولــم نســتفد مــن بحثنــا طــول عمرنــا ســوى أن جمعنــا فيــه قيــل وقــال

ثم قال: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا ثم اتجهت إلى علم الكتاب والسنة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل فإنه الرئيس في هذا الباب إقرأ في باب الإثبات ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر:١٠] إقرأ في باب النفي ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] قال: وهاأنا أموت وبجانبي صحيح البخاري أو أموت على عقيد ة عجائز نيسابور أو عبارة نحوها.

وهكذا أيضًا الشهرستاني صاحب الملل والنحل الذي جمع من هذا العلم ثم بعد ذلك أفضى به إلى الحيرة فوجد نفسه في غاية من الحيرة **لماذا؟** لأنه ترك علم كتاب الله وعلم سنة رسول الله ﷺ وهو الذي يقول:

لعمــري لقــد طفــت المعاهــد كلهــا وســيرت طــرفي بــين تلــك المعــالم
فلـــم أر إلا واضـــعًا كـــف حـــائر علـــى ذقـــنٍ أو قـــارعِ ســـن نـــادم

فقال له بعض أهل السنة: يا أستاذ

لعلـــك أهملـــت الطـــواف بمعهـــد الرســـول ومـــن والاه مـــن كـــل عـــالم
فمـا خـاب مـن يهـدي بهـدي محمـدٍ ولســـت تـــراه قارعًـــا ســـن نـــادم

فحصل لهؤلاء الضياع وحصل لهم الشقاء والعياذ بالله في الدنيا وهم على شقاء في الآخرة إذا لم يتوبوا حينما تابعوا أُناسًا قاسوا صفات الله وما يتعلق بأمر الله ﷻ من توحيد الأسماء والصفات ومن صفات الكمال والجلال بعقولهم قالوا: **كيف نثبت؟**

لأننا لو أثبتنا لزم من ذلك التشابه والتماثل والله ﷻ هو الذي أثبت لنفسه مثلًا السمع قال الله ﷻ عن نفسه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء:١٣٤] فمن أعلم أأنت أعلم أم ربنا ﷻ؟ والنبي ﷺ؟

قال أبو موسى الأشعري: قام فينا النبي ﷺ بخمس كلمات فقال:

«**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام بيده القسط يخفضه ويرفع حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه أحد أو بصر أحد من خلقه**»(١)

هذا نبينا ﷺ يصف ربنا ﷻ بهذه الأوصاف ويقول النبي ﷺ كما في حديث عثمان في سنن ابن ماجة: «**ما من عبد يقول إذا أصبح وإذا أمسى بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم**»(٢) شوف «**وهو السميع العليم**» إثبات صفة السمع والعلم وإثبات العلمية أيضًا أنه سميع وأنه عليم. وهكذا من حديث ابن مسعود في مسند أحمد يقول نبينا ﷺ:

«**مامن عبد يصاب بهم أو غم أو وصب أو نصب ثم يقول: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»(٣) تأمل إلى هذه الأوصاف «**أسألك بكل اسم**

---

(١) مسلم (١٧٩) وابن ماجة (١٩٥) (١٩٦) وابن حبان (٢٦٦) ومسند أبي يعلى (٧٢٦٢).

(٢) صحيح: أبو داود (٥٠٨٨) والترمذي (٣٣٨٨) وابن ماجة (٣٨٦٩) وأحمد (٤٤٦) (٤٧٤) (٥٢٨) وابن حبان (٨٥٢) (٨٦٢) وغيرهم وانظر حديث رقم: ٥٧٤٥ في صحيح الجامع.

(٣) صحيح: أحمد (٣٧١٢) (٤٣١٨) وابن حبان (٩٧٢) والحاكم (١٨٧٧) والبزار (١٩٩٤) وابن أبي شيبة (٢٩٣١٨) وغيرهم وانظر السلسلة الصحيحة برقم (١٩٩).

هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك».

فماذا نقول في مثل هذا؟

فكان الله ﷻ أعلم بنفسه من غيره ونبينا ﷺ أعلم بربه من غيره فهو القائل ﷺ: «**إني لأخشاكم وأتقاكم وأعلمكم بالله أنا**»[(١)] هذا ما يسمى بتوحيد الأسماء والصفات وهو أن لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه ولا نسميه إلا بما سمى به نفسه أو رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ونأخذ طريقة السلف أنهم كانوا يجرون آيات وأحاديث الصفات على المعنى اللائق دون أن يعترضوا لها بشيء ما كانوا يتعرضون لهابشيء إنما يقولون ماقال الله أو قاله رسوله ﷺ.

في هذا الزمان مثلًا على سبيل المثال حديث أبي هريرة في صحيح مسلم: «**إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حينما يبقى الثلث الآخر فيقول هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه**»[(٢)] فبعضهم ربما استشكل قال: طيب عندنا هنا ليل وفي المغرب مثلًا نهار في المشرق ليل والعكس في المغرب نهار **فكيف يكون هذا؟**

لا ينبغي أن نستشكل إطلاقًا لأننا نقول: إنه لا تشبيه ولا تمثيل فليس المراد بالنزول الذي هو الدنو إلى أسفل، لا هذا نزول يليق بكمال الله وبجمال الله فإن الله جميل وهو ذو الجلال والإكرام فلا نعلم كنه الصفة ولا بد أن نقطع الأطماع التي

---

(١) البخاري (٢٠).

(٢) مسلم (٧٥٨) (٧٥٨) وأحمد (٣٦٧٣) (٣٨٢١) (٩٥٨٩) (١١٣١٣) (١١٤٠٤) وغيرهم.



تحاول معرفة كنه الصفة المعنى ربما كان واضحًا جليًا مثل مثلًا الغفور صفة المغفرة ومعنى المغفرة أي أنه يغفر فهو ﷻ يغفر الذنوب كما قال ربنا ﷻ في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا**»(١) ومعنى يغفر أي: أنه يمحو ويتجاوز **لكن كيف صفة المغفرة؟** هنا لا يجوز إطلاقًا وهذه هي عقيدة محمد ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وعلى هذه العقيدة درج أئمتنا في كل عصر ومصر ولم يخالف في ذلك إلا الأشاعرة والجهمية والمعتزلة ومن كان على شاكلة هؤلاء فهذا فيما يتعلق بهذه الأقسام الثلاثة من أقسام التوحيد والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



وقول الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]



قال الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ونفعنا بعلمه ورحم موتانا وموتى المسلمين أجمعين:

وقول الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]

ففي قوله: وقوله عطف على التبويب الأول وهو قوله كتاب التوحيد فيكون كتاب مضاف والتوحيد مضاف إليه وقول الله معطوف على التوحيد فابتدأ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه بهذه الآية المباركة من آخر سورة الذاريات والمراد بالخلق هو الإيجاد أوجد الله ﷻ الجن والإنس لا من أجل أن يطعموه أو أن يتكثر بهم من قلة أو يعتز بهم

(١) مسلم (٢٥٧٧) وابن حبان (٦١٩) ومصنف عبد الرزاق (٢٠٢٧٢) وغيرهم.

من ضعف أو جبن بدلالة الآية ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] فهذه هي الحكمة ثم بين ذلك ﷻ مؤكدًا ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٧ - ٥٨] والمراد بالجن: هم عالم غيبي خلقهم الله ﷻ من نار وأصلهم إبليس أبو الجن هو إبليس والجن فيهم الصالحون وفيهم الفاسقون كما قال ربنا سبحانه حاكيًا عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝١٤ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤ - ١٥] وقبلها يقول الله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن:١١] وقد جاء في كتاب الخلق من صحيح البخاري وهو الجزء السادس من كتاب الفتح من حديث أمنا عائشة رضي الله عنها قالت: قال نبينا ﷺ:

«**خلقت الملائكة من نور وخلقت الجن من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم**»(١) أي من تراب ومعنى الجن هو مشتق من الإجتنان وهو الخفاء لأن مادة الجيم والنون تدل على ذلك ومن ذلك سميت الجنة جنة لاستتارها بما فيها من الفناء والأسوار ومن ذلك سمي الجنين في بطن أمه لأنه غير مرئي. ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة الإيمان بهذا العالم الذي هو عالم الجن والشياطين نؤمن بذلك وهم خلق لهم عاداتهم وتقاليدهم ولا يجوز لمسلم أن ينكر هذا لكن بعض العقلانيين يفسر الجن أو عالم الجن والشياطين بأنه عبارة عن الحشرات وعن الميكروبات وهذا يعتبر مصادمًا لأمر الله ولأمر النبي ﷺ فلقد كان النبي ﷺ في صلاته فجاء الشيطان بلهب من نار يريد أن يدفعه في وجه النبي ﷺ فخنقه عليه الصلاة والسلام حتى وجد بردة لسانه على

---

(١) مسلم (٢٩٩٦) وأحمد (٢٥٢٣٥) (٢٥٣٩٣) ومصنف عبد الرزاق (٢٠٩٠٤) وشعب الإيمان (١٤٣) وغيرهم.

يده قال: «**لولا دعوة أخي سليمان «رب هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي»** لربطته إلى سارية من سواري المسجد»(١) والحديث في صحيح البخاري وهكذا أخبر بعض الصحابة النبي ﷺ بأن هناك جنيًا يلبس عليه صلاته قال: «**ذاك شيطان يقال له خنزب فإن حسست به فاتفل عن يسارك ثلاثًا**»(٢) فهو أمر لا شك فيه ولا امتراء عالم غيبي وهناك سورة تسمى بسورة الجن وهكذا أيضًا يقول سبحانه: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف:٢٩] وقد جاء الجن إلى النبي ﷺ فدعاهم إلى الله وتلا عليهم من القرآن فسألوه الطعام فقال: «**لكم كل عظم ذكر عليه اسم الله**» وسألوه علفًا لدوابهم فقال النبي ﷺ: «**رجيع دواب الإنس علف لدوابكم**»(٣) لذا نهى النبي ﷺ عن الاستنجاء أو الاستجمار بعظم أو روث لأن العظام طعام للجن والأرواث طعام لدوابهم أفصحت بهذا سنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأما الإنس فسمي بذلك قيل: لأنه يأنس بعضهم إلى بعض سمي الإنسان إنسانا لأنه يأنس بعضه إلى بعض **وما هو السر في تقديم الجن على الإنس؟ هل الجن أفضل من الإنس؟**

لا وإنما باعتبار الخلقة فكان وجود الجن قبل وجود الإنس لأن الله ﷻ أخر خلق آدم فكان آدم من آخر المخلوقات تواجدًا أوجده الله ﷻ بعد خلق إبليس والسماوات والأرض والملائكة والجنة والنار أمور كثيرة جدًا.

(١) البخاري (٤٤٩) (١١٥٢) (٣٢٤١) (٤٥٣٠) ومسلم (٥٤١) وأحمد (٧٩٥٦) وابن حبان (٦٤١٩) والدارقطني (١٦) وغيرهم.

(٢) مسلم (٢٢٠٣) وأحمد (١٧٩٢٨) والحاكم (٧٥١٤) والمعجم الكبير (٨٣٦٦) (٨٣٦٨) وغيرهم.

(٣) مسلم (٤٥٠) والترمذي (٣٢٥٨) وأحمد (٤١٤٩) وابن حبان (٦٥٢٧) وسنن البيهقي الكبرى (٣٠) (٥٢٨).

ثم قال ﷻ: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فهذه اللام تفيد التعليل المبين للحكمة وليس المبين أو الملازم للمعلوم التعليل الملازم للمعلوم مثل قولك: أتيت زيدًا ليكرمني فما جئت إلى زيد إلا من أجل الإكرام، أو صليت ليغفر الله لي فأنت ما صليت إلا من أجل مغفرة الله ﷻ أو صليت ليدخلني الله الجنة فهذه تعتبر لامًا تعليلية ملازمة للمعلوم.

وما الفرق بينهما؟

الفرق بينهما أن التعليل الملازم للمعلوم يكون واجب الوقوع بخلاف التعليل المبين للحكمة فقد يقع وقد لا يقع كما هو الحال فالله ﷻ خلق الجن والإنس من أجل العبادة لكن من الجن من لا يعبد الله وكذلك من الإنس من لا يعبد الله لكن الأصل والحكمة والغاية من خلق الجن والإنس هو أن يعبدوا الله ﷻ إذن هذه اللام تسمى تعليلية غائية وليس تعليل ملازم للمعلوم وقد تقدم لكم الفرق.

وأما العبادة فقد ذكر شيخ الإسلام ﵀: أن العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وهي خمسة أقسام:

١- إعتقادية: فيما يعتقده الشخص من الأيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر والعقيدة العامة الشاملة كما قيل:

إن العقيـــدة في قلـــوب رجالهـــا ... مـــن ذرة أقـــوى وألـــف مهنـــد

٢- وعبادة بدنية: كتأدية مناسك الحج والعمرة والصلاة هذه تسمى عبادة بدنية.

٣- وعبادة مالية: وهو إخراج الزكاة لأن الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة



وتعرفون أن أبا بكر الصديق قاتل مانعي الزكاة وسميت هذه الحرب بحرب المرتدين أو حرب الردة.

٤- **وعبادة قولية:** وهي التلفظ بلا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله والأذكار وقراءة القرآن يدخل في ذلك.

٥- **عبادة تركية:** ما أمرك الله بتركه من الحرام من المكروهات تركته ما تركه النبي ﷺ أيضًا تتركه هذه تعتبر عبادة تركية إذن أقسام العبادات خمسة عبادة اعتقادية وعبادة بدنية وعبادة مالية وعبادة قولية وعبادة تركية ومدار هذه أو منقسمة على أمور ثلاثة منقسمة على القلب وعلى اللسان وعلى الجوارح فالعبادة الإعتقادية محلها القلب والعبادة القولية اللفظية محلها اللسان ثم عبادة في الجوارح وهو ما يتعلق بالعبادة البدنية والمالية والتركية

والعلماء يقولون إن أمر العبادة تجري فيها الأحكام الخمسة والمراد بالأحكام الخمسة هو:

الواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح.

١- **فالواجب:** في اللغة: بمعنى اللازم أو الساقط.

واصطلاحا: ما أمر الله به أو رسوله ﷺ على وجه الإلزام كالصلوات الخمس.

وحكمه: يثاب فاعله امتثالًا ويستحق العقاب تاركه.

٢- **والمندوب: لغة:** بمعنى المدعو ويقال عنه مستحب ويقال عنه أيضًا مسنون.

وتعريفه: ما أرشد إليه الله أو رسوله ﷺ ليس على وجه الإلزام كالنوافل.



وحكمه: يثاب فاعله امتثالًا ولا يستحق العقاب تاركه لأنه مندوب إن أتيت به آجرك الله وإن لم تأت به فلا حرج ولكن الأفضل أن تأتي به لأنه هو أحد معاني قول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [فاطر:٣٢] فقد قيل في السابق بالخيرات هو الذي أتى بالفرائض وأتى بالنوافل وترك المحرمات والمكروهات فكان أرفع مقامًا من المقتصد والشخص لا بد أن يسعى إلى الكمالات ما استطاع إلى ذلك سبيلًا وتعرفون حديث أبي هريرة:

«يقول ربنا ﷻ في الحديث القدسي: وما زال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه»[1] فالنوافل بعد الفرائض تكسبك يا عبد الله ولاية الله ﷻ والمراد بالولاية: الحفظ والنصرة والتأييد والخير العميم **فمن الذي يأبى على نفسه ذلك؟**

٣- **وأما الحرام** فهو لغة: المحظور أوالممنوع.

واصطلاحًا: مانهى الله عنه أو رسوله ﷺ على وجه الإلزام بالترك كعقوق الوالدين.

وحكمه: يثاب تاركه امتثالًا ويستحق العقاب فاعله.

٤- **أما المكروه** لغة: المبغض.

واصطلاحًا: ما نهى الله ﷻ عنه أو رسوله ﷺ ليس على وجه الإلزام بالترك.

(١) البخاري (٦١٣٧) وسنن البيهقي الكبرى (٦١٨٨) (٢٠٧٦٩).

وأما حكمه: يثاب تاركه امتثالًا ولا يستحق العقاب فاعله لأنه مكروه ما وصل إلى درجة الحرام.

٥- **وأما المباح فهو** لغة: المعلن والمأذون به شرعًا.

واصطلاحًا: ما لم يتعلق به أمر ولا نهي لذاته.

وحكمه: على حسب نية فاعله هولا يتعلق به أمر ولا نهي لذاته لكن أيضًا كما قال السعدي في رسالة له بعنوان أصول الفقه: هو مستوي الطرفين إن أكلت طعامًا وقصدت بأكلك الطعام وأكل الطعام مباح كما قال الله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ [الأعراف:٣٢] الأصل في الطعام والشراب الإباحة، أكلت ونويت بهذا التقوي على طاعة الله فهنا تكون مأجورًا، إن أسرفت في الأكل وصل بك الأمر إلى حد الإسراف والتبذير وهو محرم قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ﴾ -الله- ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١/ والأعراف: ٣١] وقال سبحانه:

﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف:٣١] وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٦ - ٢٧] وفي الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ قال: «**كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**»[(١)] هذا ما يتعلق بأمر العبادة التي من أجلها خلق الله سبحانه وتعالى عالم الجن وعالم الإنس ولأجل هذه العبادة خلق الله السماوات والأرض من أجل إقامة أمره في أرضه.

(١) البخاري (١٤٠٧) (٢٢٧٧) (٥٦٣٠) (٦١٠٨) (٦٨٦٢) ومسلم (١٧١٥) (٥٩٣) وأحمد (٨٣١٦) (٨٧٠٣) (٨٧٨٥) وغيرهم.



فمن أراد أن يسعد في الدنيا وأن يسعد في الآخرة فليلزم عبادة الله ﷻ لأنه كما قيل: إرضاء الناس غاية لا تدرك وعبادة الله لازمة لا تترك فمن أراد الخير كله في الدنيا والآخرة فليلزم عتبة العبودية كما لزمها الأنبياء من قبلنا وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ حينما قال الله في حقه: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩] فلقد لزم عبادة الله ﷻ حتى خرج من هذه الدنيا بل وهو في مرض موته يأتي يهادى بين العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما حتى أوقف في الصف(١) وهو العبد المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر(٢) وهذه العبادة لا تكون مقبولة إلا بشروط خمسة أهم هذه الشروط الإخلاص والمتابعة ثم يلي ذلك المحبة والخوف والرجاء هذه خمسة شروط لا بد أن تتوفر.

أما دليل الإخلاص فيقول سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥] وأما من السنة فقول النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»(٣) وباب الإخلاص باب واسع والعلماء لهم عدة تعاريف فيما يتعلق بالإخلاص وخلاصة ذلك: أن تتعبد لله ﷻ لا ترجو ثوابًا إلا من الله ﷻ فتكون بهذا العمل قاصدًا وجه الله ﷻ لا تقصد أحدًا من الخلق من الذين ينظرون إليك أو لا ينظرون إليك فإنما تريد من وراء ذلك رحمة الله وإرضاء الله ﷻ.

---

(١) البخاري (٦٨١) ومسلم (٤١٨) والنسائي (٨٣٣) وابن ماجة (١٢٣٢) (١٢٣٥) وابن حبان (٢١٢٠) وغيرهم.

(٢) لقوله تعالى: {ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر} [الفتح (٢)].

(٣) البخاري (١) (٥٤) (٢٣٩٢) (٣٦٨٥) (٤٧٨٣) (٦٣١١) (٦٥٥٣) ومسلم (١٩٠٧) وأبو داود (٢٢٠١) والترمذي (١٦٤٧) والنسائي (٧٥) وغيرهم

وأما الإتباع فتتابع في ذلك سنة النبي ﷺ لأن العمل إذا كان فيه إخلاص وليس فيه اتباع فهو مردود وإن قال صاحبه: أنا قصدي طيب ونيتي حسنة لا يلتفت إلى هذا لأنه لا يكفي فلا بد من إخلاص ولا بد من إتباع قال نبينا ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»(١) وتقول عائشة: سمعت الرسول ﷺ يقول:

«**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(٢).

ويقول ﷻ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣].

ثم أمر المحبة هو أساس في كل شيء أساس في الأعمال كلها المحبة أساس في كل عمل ولا يمكن أن يكون الشخص منتجًا عملًا طيبًا ولو كان عملًا دنيويًا إلا إن كانت عنده الرغبة العامة الشاملة وهكذا أيضًا لن تكون من ورثة جنة النعيم إلا أن تكون قد أحببت الله وأحببت الجنة وأحببت الدار الآخرة وهذه المحبة محلها القلب ففيها تعظيم وتقديس وتنزيه للذات الإلهية فتحبه وتحب كتابه وتحب لقاءه وتحب أوامره.

وأما الخوف والرجاء فكما قال ابن القيم رحمه الله: هما كالجناحين للطائر إن انكسر أحدهما فلا يستطيع أن يطير وهكذا العبد فلا بد أن يكون بين الخوف والرجاء يرجو رحمة الله ويخاف أن تحبط أعماله أو أن تقل درجته في الآخرة فيكون في خوف مستمر كما قال ﷻ في أسرة آل زكريا: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا

(١) مسلم (١٧١٨) وأحمد (٢٥٥١١) (٢٦٢٣٤) والدارقطني (٨١) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) البخاري (٢٥٥٠) ومسلم (١٧١٨) وأبو داود (٤٦٠٦) وأحمد (٢٦٠٧٥) (٢٦٣٧٢) وابن حبان (٢٦) (٢٧) والدارقطني (٧٨) وغيرهم.

رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠] وهكذا كان عمر بن الخطاب إذا صلى بالناس صلاة الوتر كان يقول: «**اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك الجد بالكفار ملحق**»(١) وعلى هذا - بارك الله فيكم - كان نبينا ﷺ لكن علماؤنا يقولون: إن كثرت حسنات الشخص فلا بد أن يغلب جانب الرجاء وإن قلت حسناته وكثرت سيئاته يغلب جانب الخوف أما في آخر أمره وفي خروجه من هذه الدنيا فلا بد أن يغلب جانب الرجاء لأن النبي ﷺ يقول: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله**»(٢) ويقول النبي ﷺ: «**يقول الله ﷻ: أنا عند حسن ظن عبدي بي إن ظن خيرًا فله وإن ظن شرًا فله**»(٣) فلا بد أن تظن بالله ﷻ ظنًا حسنًا وهكذا - بارك الله فيكم - أساس ذلك كله تنقية القلوب من الشرك من الحقد من الحسد من الغش من البغضاء من كل مفاسد ورواسب الدنيا والأطماع والشهوات والملذات وأن يكون القلب نظيفًا نورانيًا لأن القلب محل نظر الرب ﷻ إليه كما في حديث أبي هريرة في صحيح مسلم: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»(٤) جاء في صحيح الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال: «**دخل رجل الجنة بعذق أو بغصن نحاه عن طريق الناس**»(٥) وليس

---

(١) عبد الرزاق (٤٩٦٩) وابن أبي شيبة (٧٠٢٧) (٧٠٣١) وشرح معاني الآثار (١٣٧٠) وانظر إرواء الغليل (٢ / ١٦٥، ١٧٠).

(٢) مسلم (٢٨٧٧) وأبو داود (٣١١٣) وابن ماجة (٤١٦٧) وأحمد (١٤٦٢٠) وابن حبان (٦٣٨) والطيالسي (١٧٧٩) وغيرهم.

(٣) صحيح: أحمد (٩٠٦٥) وابن حبان (٦٣٩) وانظر حديث رقم: ٤٣١٥ في صحيح الجامع.

(٤) مسلم (٢٥٦٤) وأحمد (٧٨١٤) (١٠٩٧٣) وابن حبان (٣٩٤) وغيرهم.

(٥) البخاري (٦٢٤) (٢٣٤٠) ومسلم (١٩١٤) والترمذي (١٩٥٨) وغيرهم بلفظ: «بينما رجل يمشي =

العبرة هاهنا بالعمل هذا عمل يسير جدًا لكنه عظيم عند الله ﷻ وليس النظر إلى العمل كما قال بعض الفقهاء: ليس النظر إلى العمل وإنما النظر إلى خيرية وجدت في قلب هذا الرجل فما جاءه هذا من فراغ وإنما جاءه من عمل صالح فما أحوجنا جميعًا إلى أن نصلح قلوبنا ونصلح ما أفسدنا بيننا وبين ربنا ﷻ فكما كان بعض الصالحين يوصي بعضهم إلى بعض يقول: «**من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن أصلح ما بينه وما بين الله أصلح الله ما بينه وما بين الناس ومن أصلح آخرته أصلح الله له أمر دنياه**» فما أحوجنا جميعًا إلى أن نلازم العبادة ملازمة صحيحة وأن ندعوا الناس إلى أمر العبادة كما دعا إليها الأنبياء والمرسلون من قبلنا ولاقوا ما لاقوا في سبيلها.

أما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] فلقد قال بعضهم: المراد بالعبادة هاهنا التوحيد فيكون معنى ليعبدون أي ليوحدون والمراد بالتوحيد هاهنا توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات لأن الآية عنت التوحيد على وجه العموم والشمول وهل يجوز أن تفسر بما فسرنا به من أمر العبادة أيضًا تشمله لأن القرآن الكريم يحمل هذه المعاني كلها وهي معاني طيبة والنبي ﷺ دعا إلى عبادة الله وإلى إزالة الشرك ودعا إلى الصلاة وإلى صلة الأرحام وإلى إفشاء السلام وإلى قيام الليل وإلى بر الوالدين ودعا إلى مكارم الأخلاق بل يقول ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[1] فكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: العبادة اسم

=

بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له» وأحمد (٩٢٣٥) بلفظ: «دخل عبد الجنة بغصن شوك على ظهر طريق المسلمين فأماطه عنه».

(١) أحمد (٨٩٣٩) والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) وابن أبي شيبة (٣١٧٧٣) وشعب الإيمان =

جامع لكل مايحبه الله ويرضاه، فالتوحيد والأخلاق والصلاة يحبه الله ﷻ ويرضاه، نسأل الله ﷻ أن يكرمنا وإياكم بملازمة العبادة وأن يجعلنا وإياكم من المقبولين، وبهذا القدر نكتفي ونتابع في الدرس اللاحق إن شاء الله وفق الله الجميع لما يحبه ويرضى وأخذ بنواصينا جميعًا للبر والتقوى وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



وقوله: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦]



قال الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي رحمه الله:

وقول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦] (١)،

لا زال المؤلف يدندن على الترجمة الأولى التي هي كتاب التوحيد وقول الله سبحانه:

﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] ثم ذكر بعدها مباشرة هذه الآية الكريمة وهي قول ربنا ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦].

=

(٧٩٧٨) بلفظ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» وسنن البيهقي الكبرى (٢٠٥٧١) ومسند الشهاب (١١٦٥) بلفظ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

ففي قوله: لقد: تسمى هذه اللام موطئة للقسم ويستفاد منها أيضًا التأكيد وأعقب الله ﷻ هذا التأكيد بمؤكد آخر وهي قد التي تدخل على الفعل المضارع فتفيد التحقيق أو التقريب فهنا أفادت التحقيق أي أنه تحقق بعثة الأنبياء والرسل من أجل عبادة الله واجتناب الطاغوت.

وقوله سبحانه: ﴿بَعَثۡنَا﴾ المراد بالبعث هو الإثارة والتحريك فالله ﷻ بعث أي أنه: أرسل ثم عمم الله ﷻ هذا الإرسال قائلًا:

﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ والمراد بالأمة هاهنا الطائفة وتأتي كلمة أمة في القرآن ويراد بها الطائفة كهذه الآية ويراد بها المدة الزمنية كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف:٤٥] وتأتي ويراد بها الطريقة أو الملة كما قال سبحانه حاكيًا عن أهل الشرك: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣] وتأتي كلمة أمة ويراد بها الإمامة في الدين قال ﷻ في محكم كتابه: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [النحل: ١٢٠ - ١٢١].

وفي قوله: رسولًا الرسول هو إنسان من بني آدم بعثه الله ﷻ برسالة وكلفه بتبليغها هذا هو تعريف الرسول وقد وقع الإجماع على أنه لا يمكن أن يكون من الرسل امرأة بل جميع الأنبياء ذكور رجال.

والفرق بين النبي والرسول قولان مشهوران للعلماء:

١- **القول الأول:** أنه لا فرق بينهما.

٢- **والثاني وهو الصواب:** أنه يوجد فرق بدلالة قول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج:٥٢] فحصل التفريق بين النبي وبين الرسول فيكون



الرسول من بعثه الله بشرع جديد وأمره الله بتبليغه والنبي من جاء مقررًا لشريعة من قبله كما أفاد ذلك الإمام الألوسي في تفسيره وخاتم الأنبياء والرسل هو محمد ﷺ كما قال ربنا سبحانه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠] فإن زعم زاعم وقال: محمد خاتم النبيين وليس بخاتم المرسلين كما هو حال كثير من الأفاكين والدجالين، نقول إن كانت النبوة قد انتفت فمن باب أولى انتفاء الرسالة هذا أمر.

أمر آخر يقول نبينا ﷺ: «**إن النبوة والرسالة قد انقطعت فلا نبي بعدي ولا رسول**»(١) على أن الرسول ﷺ قد أثبت أنه يكون بين يدي الساعة ثلاثون دجالًا كلهم يزعم أنه نبي وليس بنبي قال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالًا كل يزعم أنه نبي ولا نبي بعدي**»(٢) وقد كان بعض هؤلاء الأفاكين الدجالين عنده شيء من الذكاء مجردًا من الزكاء فقال: هو لا لأن الرسول ﷺ يقول:

«ولا نبي» فهذا كان يقول: لا يعني هو اسمه لا فيكون نبي أو رسول باسم لا وما أشبه هذا بقول الأفاك الدجال الضليل بيان بن سمعان الذي كان يقول للناس: إنه النبي المختار بدلالة آية من سورة آل عمران: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ

(١) صحيح: الترمذي (٢٢٧٢) وأحمد (١٣٨٥١) والحاكم (٨١٧٨) وغيرهم وانظر حديث رقم: ١٦٣١ في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: أبو داود (٤٣٣٤) وأحمد (٥٩٨٥) ومسند أبي يعلى (٥٩٤٥) ومسند البزار (٢٢٢٦) بدون لفظة: «كل يزعم أنه نبي ولا نبي بعدي» بل بلفظ : «كلهم يكذب على الله وعلى رسوله» والمعجم الأوسط (٨٣٩٧) ومسند الشاميين (٢٦٩٠) بلفظ: «وإن بين يدي الساعة دجالين كذابين قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه نبي ولا نبي بعدي» وانظر السلسلة الصحيحة (١٦٨٣) وانظر حديث رقم: ٢٠٤٨ في صحيح الجامع .

لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٨] كان يقول اسمي وارد في القرآن الكريم وقد كان من هؤلاء كثر زمن الخليفة المأمون فقد كثر من هؤلاء الدجالين حتى إن واحدًا منهم خرج يقول للناس إنه نبي ورسول فأمر المأمون بسجنه فسجن ثم قال لهم الخليفة: أعطوه من الدجاج وأعطوه من البيض أكلوه وأكرموه فبعد ثلاث أيام استدعاه قال له: **ما أنت؟** قال: هو نبي قال هل أوحي إليك بشيء في هذه الثلاثة الأيام قال: أوحي الله إلي أن الزم هذا المكان الذي حبستموني فيه، **لماذا؟** لأنه يأكل الدجاج ويأكل البيض، فعرف الخليفة أنه رجل مجنون فقال: فكوا له وأطلقوا سراحه، وآخر سجن فور خروجه فقال الخليفة: **هل عندك شيء وأوحي إليك به أو إلى من أرسلت؟** قال له: **يا أمير المؤمنين وهل تركتموني حتى أرسل وأبعث؟** أنا بمجرد أن ظهرت سجنتموني مباشرة وهكذا - بارك الله فيكم - لا زلنا نسمع إلى يومنا هذا، ولكنا نعتقد عقيدة راسخة في أعماق قلوبنا أن خاتم الأنبياء والمرسلين هو محمد سيد الأولين والآخرين وخليل رب العالمين.

وفي قوله: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أن هذه تسمى تفسيرية وضابط أن التفسيرية: هي التي تسبق بجملة فيها معنى القول دون حروفه كما ذكر ذلك ابن هشام في قطر الندى وغيره.

وقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ هذا أمر والمراد به عبادة الله وحده لا شريك له وهو التوحيد بأقسامه الثلاثة ربوبية وألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ولفظ الجلالة «الله» علم على الذات الإلهية وهو مشتق من أله يأله ألوهية ومعنى اسم الله أنه الإله المعبود الذي تألهه القلوب محبة وتعظيمًا.

وقوله: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ﴾ من الإجتناب وهو الإبتعاد لفظة اجتنبوا في القرآن أبلغ من

لفظة حرام أو اتركوا أو ابتعدوا لذلك يقول الله حاكيًا على لسان إبراهيم:

﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥] ويقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة:٩٠] فلفظة اجتنبوا فيها من الزجر والتنفير والإبعاد ما ليس عند العبارات الأخرى التي تفيد هذا المعنى فالله ﷻ يقول: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ وهذا فعل أمر، والطاغوت: فسره الكثير من أهل العلم بما يسمى بالتفسير المثالي فبعضهم يقول: هو الشيطان وآخر يقول: هم الكهان وآخر يقول: هو من ادعى علم الغيب وبعضهم يقول: علماء السوء وبعضهم يقول: الأصنام، والتعريف الجامع المانع الشامل لكلمة الطاغوت من حيث اللغة: الطاغوت: مأخوذ من الطغيان وهو مجاوزة الحد كما قال ربنا ﷻ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾ [الحاقة:١١] أي ارتفع الماء على قمم الجبال فلما ارتفع حمل الله ﷻ نوحًا والمؤمنين وكانوا قرابة ثمانين رجلًا وامرأتان في هذه السفينة التي صنعها نوح وكانت معجزة له ثم ما قاله ابن القيم: هو كل ما جاوز به العبد الحد من معبود أو متبوع أو مطاع، فكلمة معبود تشمل الأوثان والأصنام وما شابه ذلك، ومتبوع يدخل في ذلك العلماء الذين يتابعون لغير دليل ولا برهان، أو مطاع الأمراء الذين يتابعون على غير حجة ولا برهان لكن هكذا كما قال ربنا ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٦٧ - ٦٨] فمن أفضى بشيء من العبادة لقبر أو صنم أو وثن يكون قد عبد الطاغوت، ومن قلد عالمًا لغير حجة ولا برهان وإنما هو تقليد أعمى أفضى به ذلك إلى الطاغوت وهكذا من تابع أميرًا أو حاكمًا لغير دليل ولا حجة ولا برهان يكون والعياذ بالله قد تابع الطاغوت فالله ﷻ حرم علينا متابعة الطواغيت وكان

رؤوسهم خمسة: فأول الطواغيت ورئيسهم هو الشيطان الرجيم، ثم من عبد وهو راض، ثم من ادعى علم الغيب، ومن دعا إلى عبادة نفسه فيكون هؤلاء هم طواغيت **لماذا؟** لأنهم والعياذ بالله قد صرف العباد هذه العبادة لهؤلاء إما للشيطان وإما للكاهن وإما لمن دعا إلى عبادة نفسه أو من عبد وهو راض أو من رضي بأن يتابع على جهل فيكون والعياذ بالله من الطاغوت الذي حذرنا الله ﷻ منه كما قال ربنا ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ وأما من حصر ذلك بالشيطان أو بالساحر فنقول كما هو حال كثير من الآيات والأحاديث تجد أن كل عالم يفسر هذه الآية أو هذه اللفظة بشيء من التفسير أو بجزء من التفسير فهذا يسميه العلماء بالتفسير المثالي فلا نطعن ولا نقدح إذ أنه كل واحد على حسب علمه وما أعطاه الله ﷻ والأئمة المتقدمون ما كانوا يعتنون بهذه التعاريف الجامعة المانعة الشاملة هذا ما عرف إلا عند المتأخرين إذ أن علم المتقدمين كان علمًا سهلًا وميسرًا وما كان مثل الآن يحتاج الشخص إلى أن يضع إحترازات ويضع عدة إحتمالات وأيضًا يحاول أن يعالج عدة أبواب يخشى أن يدخل عليه الخصم منها بخلاف المتقدمين فكان كلامهم قليل وعملهم كثير فاعتكس الحال عند المتأخرين ولا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين.

وقوله سبحانه: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣] قضى بمعنى أمر أو بمعنى حكم أو وصى.

والقضاء على قسمين:

١ – **قضاء كوني:** وهذا ما قضاه الله ﷻ وقدره في الأزل كما قال ربنا في هذه الآية: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أي حكم ﷻ بهذا هذا القسم الأول وهو القضاء الكوني الذي جرى به

قلم التكليف كما في حديث ابن عباس الثابت في جامع الأمام الترمذي: «**رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(١) وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص في صحيح مسلم قال نبينا ﷺ: «**إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام وكان عرشه على الماء**»(٢) وحديث عبادة بن الصامت عند الترمذي وغيره أن النبي ﷺ قال:

«**إن أول ما خلق الله القلم قال: اكتب قال: ما أكتب؟ قال: ما كان وما يكون إلى قيام الساعة**»(٣) فهذا ما يسمى بالقضاء الكوني.

٢- **وأما القسم الثاني فهو القضاء الشرعي**: والمراد بالقضاء الشرعي هي الآيات والأحاديث أوامر الله وأوامر رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد يقول قائل:

ما الفرق بين القضائين؟ ما الفرق بين القضاء الكوني والقضاء الشرعي؟

الفرق بينهما أن القضاء الكوني واجب الوقوع بخلاف القضاء الشرعي فقد يجب وقوعه وقد لا يجب وقوعه أعطيكم زيادة في الإيضاح: قضى الله في الأزل أن يعبد وحده لا شريك له كما في الحديث القدسي: «**أن الله ﷻ يقول للكافر يوم القيامة أو للمشرك: أرأيت لو كان لك ملئ الأرض ذهبًا أكنت مفتديًا به؟ فيقول: بلى يا رب فيقول الله: قد أخذت عليك الميثاق وأنت في ظهر أبيك آدم ألا تشرك**

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (٢٦٦٩) والمعجم الكبير (١١٤١٦) ومسند أبي يعلى (٢٥٥٦) وانظر مشكاة المصابيح (٥٣٠٢).

(٢) مسلم (٢٦٥٣) والترمذي (٢١٥٦) وأحمد (٦٥٧٩).

(٣) الترمذي (٢١٥٥) (٣٣١٩) والحاكم (٣٨٤٠) والطيالسي (٥٧٧) والمعجم الكبير (١٢٥٠٠) وغيرهم.



بي شيئًا فأبيت إلا أن تشرك»(١)

فالقضاء الكوني واجب الوقوع بمعنى أن ما قضاه الله من الأرزاق والأنفاس والآجال تقع لكن القضاء الشرعي مثل الشرك مثلًا قد أخذ الله ﷻ العهد والميثاق على العباد أن لا يشركوا به شيئًا لكنهم أشركوا مثل قوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقلت لكم إن هذه اللام التعليل المفيد للغاية المبين للحكمة وليس للملازم للمعلوم وهكذا قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢] هذا أيضًا أخذ عهد وميثاق من بني آدم كلهم أن يعبدوا الله ﷻ وحده لا شريك له لكنهم عبدوا غيره ﷻ فاستحقوا العذاب عياذًا بالله فيكون القضاء الكوني واجب الوقوع مثل الخلق الرزق الأجل المصائب كما قال سبحانه:

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢] ومن هذا ما قالته أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان حديث ثابت في صحيح مسلم قالت:

«**اللهم متعني بزوجي رسول الله وبأخي معاوية وبأبي أبي سفيان**» فأنكر النبي ﷺ عليها هذا، من جهة أولًا أنها اختارت ألفاظًا دنيوية بحتة ولا بد أن ترتفع الهمم في باب الدعاء،الأمر الثاني: أنها سألت أمورًا مفروغًا منها قال النبي ﷺ: «**يا أم حبيبة لقد سألت الله آجالًا مضروبة وأيامًا معلومة فلو أنك سألته أن يدخلك الجنة وأن يباعدك من النار لكان خيرًا وأفضل**»(٢) وهكذا حديث أبي أمامه أن النبي ﷺ قال:

(١) البخاري (٣١٥٦) (٦١٨٩) ومسلم (٢٨٠٥) ومسند أبي يعلى (٤١٨٦).

(٢) مسلم (٢٦٦٣) وأحمد (٣٧٠٠) (٣٩٢٥) (٤١١٩) (٤٢٥٤) (٤٤٤١) والحاكم (٣٤٤٠) وابن أبي

«إن روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها وتستوفي أجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء رزق أن يطلبه في معصية الله فإنه لا ينال ما عند الله إلا بطاعته»(١) وحديث أبي الدرداء في مسند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال:

«إن الله فرغ إلى كل عبد من خمس من رزقه وأجله وعمله وأثره وشقي أو سعيد»(٢) وهكذا حديث ابن مسعود الثابت في صحيح البخاري ومسلم قال حدثنا الصادق المصدوق ﷺ: **«أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك وينفخ فيه الروح ويؤمر بكتابة أربع كلمات كتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد فو الله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ثم ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»**(٣) فهذا كله يدل على أن القضاء الكوني واجب الوقوع بخلاف القضاء الشرعي فقد يقع وقد لا يقع على أن الله ﷻ يريد

=

شيبة (١٢٠٢٩) (٢٩١٣٩) وغيرهم.

(١) مصنف عبد الرزاق (٢٠١٠٠) ومسند الشهاب (١١٥١) وحلية الاولياء (١٠ / ٢٧) انظر حديث رقم: ٢٠٨٥ في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: أحمد (٢١٧٧٠) والمعجم الأوسط (٣١٢٠) بلفظ: «إن الله ﷻ فرغ إلى كل عبد من خلقه من خمس من أجله وعمله ومضجعه وأثره ورزقه» وانظر ظلال الجنة للألباني (٣٠٣) (٣٠٥) (٣٠٨).

(٣) البخاري (٣٠٣٦) (٣١٥٤) (٧٠١٦) ومسلم (٢٦٤٣) وأبو داود (٤٧٠٨) والترمذي (٢١٣٧) وابن ماجة (٧٦) وغيرهم.



وقوعه ويحب وقوعه كما قال ﷻ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر:٧].

- **هاهنا مسألة: ما الفرق بين القضاء والقدر؟**

هذه من الألفاظ التي إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت مثل الفقير والمسكين والذنب والمعصية والبر والتقوى والإسلام والإيمان فإذا قلنا هذا قضاء فهو قدر وإذا قلنا هذا قدر فهو قضاء لكن لو قلنا هذا قضاء وقدر دل القدر على علم الله السابق ودل القضاء على تنفيذ القدر لاحقًا عن طريق القضاء هذا فيما يتعلق بالفرق بين القضاء والقدر.



وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٤]



﴿ * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ أي ألا توحدوا وقد تفيد الآية العبادة بالمعنى العام وهو: هي: الاسم الجامع الذي يحبه الله ﷻ ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ثم قال: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ أي هو وحده ﷻ لا شريك له ثم قال: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ والمراد بالوالدين الآباء والأمهات وهذا إن دل إنما يدل على عظم حق الأبوين كما قال ربنا سبحانه في كتابه الكريم:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ﴾ [الأحقاف:١٥] وهكذا في آية أخرى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان:١٤].

ثم قال: ﴿إِحْسَـٰنًا﴾ والإحسان على مراتب ثلاث أو على مرتبتين:

أولًا: كما في الحديث: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[(١)] فالإحسان بمعنى مراقبة الله ﷻ في السر والعلانية ثم من حيث الإحسان بمعناه الشامل ما قاله ابن المبارك قال: هو بذل الندى وكف الأذى وطلاقة الوجه عند اللقاء ويكون إحسانًا مع الخالق بأن تعبده كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ثم إحسان مع المخلوق ويكون مع الوالدين أولا ثم مع أقربائك ومع جيرانك ومع ضيفك ومع الناس كلهم كما قال ﷻ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣] والنبي ﷺ يقول:

«**خمس كلمات من يتعلمهن ويعلم من يتعلمهن؟ قال أبو هريرة: أنا فأخذ النبي ﷺ بيدي وعد خمسًا فقال: اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا وأحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك تكن مسلمًا ولا تكثر من الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**»[(٢)] وهكذا أيضًا يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الحديث: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[(٣)] وهكذا في حديث مشهور: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم**

---

(١) البخاري (٥٠) (٤٤٩٩) ومسلم (٨) (٩) وأبو داود (٤٦٩٥) والترمذي (٢٦١٠) والنسائي (٤٩٩٠) (٤٩٩١) وابن ماجة (٦٣) (٦٤) وغيرهم.

(٢) صحيح: الترمذي (٢٣٠٥) وأحمد (٨٠٨١) والمعجم الأوسط (٧٠٥٤) ومسند أبي يعلى (٦٢٤٠) وشعب الإيمان (٦٢٤٠) (١١١٢٨) وانظر السلسلة الصحيحة (٩٣٠).

(٣) البخاري (١٣) ومسلم (١٥٩٩) والترمذي (٢٥١٥) والنسائي (٥٠١٦) (٥٠١٧) (٥٠٣٩) وأحمد (١٣٩٩٥) والدارمي (٢٧٤٠) والمعجم الأوسط (٨٢٩٢) وغيرهم.

شفرته وليرح ذبيحته»(١) فالإحسان يكون حتى مع الحيوان حتى مع الكلب ومع الدجاج ومع الحيوانات كلها فلا بد من إحسان لأنك ستؤجر على هذا الإحسان الذي أنت تقدمه في هذه الدنيا فإن الله ﷻ يجازيك به في الآخرة والجزاء من جنس العمل ثم قال ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤] ومعنى لا تنهرهما أي لا يصدر منك قول أو فعل قبيح ولا حتى أدنى مراتب القول السيئ وهي كلمة (أف) إن أزعجك أبوك ببعض ألفاظه أو أمك لا يجوز لك أن تقول كلمة أف التي هي أصغر كلمة كما قال ذلك العلماء وقد جاء أن النبي ﷺ صعد منبره فقال:

«آمين يكررها ﷺ ثلاث مرات ثم قالوا له: على ما أمنت يا رسول الله قال أتاني جبريل فقال لي: رغم أنف امرأٍ أدرك والديه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخلاه الجنة قل: آمين فقلت: آمين ورغم أنف امرأٍ ذكرت عنده فلم يصل عليك قل: آمين فقلت: آمين ورغم أنف امرأٍ دخل عليه رمضان ثم أنسلخ ولم يغفر له ذنبه قل: آمين فقلت: آمين»(٢) ومعنى رغم أي التصق أنفه بالرغام وهو التراب والحديث يفيد أي:

---

(١) مسلم (١٩٥٥) وأبو داود (٢٨١٥) والترمذي (١٤٠٩) والنسائي (٤٤٠٥) (٤٤١١) (٤٤١٢) (٤٤١٣) (٤٤١٤) وابن ماجة (٣١٧٠) وغيرهم.

(٢) البزار (١٤٠٥) وصحح الألباني في فضل الصلاة على النبي ﷺ (١٥) بلفظ: «ارتقى النبي ﷺ على المنبر درجة فقال آمين ثم ارتقى الثانية فقال آمين ثم ارتقى الثالثة فقال آمين ثم استوى فجلس فقال أصحابه على ما أمنت قال: أتاني جبريل فقال رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمين فقال رغم أنف امرئ أدرك أبويه فلم يدخل الجنة فقلت آمين فقال رغم أنف امرئ أدرك رمضان فلم يغفر له فقلت آمين».

الخسارة والويل والهلاك لمن لم يبر أباه أو أمه وخرج من هذه الدنيا صفر اليدين ويقول نبينا ﷺ «**رضى الرب في رضى الوالدين وسخط الرب في سخطهما**»(١) والحديث رواه الترمذي وهو حديث صحيح وكان النبي ﷺ جالسًا مع أصحابه فقال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ فقالوا: بلى قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكأً فجلس ثم قال ألا وقول الزور ألا وقول الزور ألا وقول الزور**»(٢) وعبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه سأل النبي ﷺ أي الذنب أعظم فقال:

«**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**»(٣) ثم سأله عن أحب الأعمال إلى الله قال: الصلاة لأول وقتها قلت: **ثم ماذا يا رسول الله؟** قال: وبر الوالدين»(٤) فمن أعظم الطاعات بعد طاعة الله ﷻ أن يكون العبد بارًا بوالديه وأن يفرحهما ويذعن لهما إلا أن يأمراه الأبوان بمعصية الله أو بالإشراك بالله فهنا يقول الله: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ [لقمان:١٥] ويقول النبي ﷺ: «**إنما الطاعة بالمعروف**»(٥) وعلى العبد أن يكثر من الدعاء لوالديه ما استطاع إلى ذلك سبيلًا فإن النبي ﷺ كان يدرك أن أمه ماتت على الشرك فكان قد

(١) شعب الإيمان (٧٨٣٠) وانظر حديث رقم: ٣٥٠٧ في صحيح الجامع.

(٢) البخاري (٢٥١١) (٥٦٣١) ومسلم (٨٧) وأحمد (٢٠٤٠١) وشعب الإيمان (٧٨٦٦).

(٣) البخاري (٤٢٠٧) (٤٤٨٣) (٥٦٥٥) (٦٤٢٦) (٦٤٦٨) (٧٠٨٢) (٧٠٩٤) ومسلم (٨٦) وأبو داود (٢٣١٠) والترمذي (٣١٨٢) (٣١٨٣) وغيرهم.

(٤) البخاري (٥٠٤) (٢٦٣٠) (٥٦٢٥) (٧٠٩٦) ومسلم (٨٥) والترمذي (١٧٣) (١٨٩٨) والنسائي (٦١٠) (٦١١) وغيرهم.

(٥) البخاري (٦٧٢٦) (٦٨٣٠) ومسلم (١٨٤٠) وأبو داود (٢٦٢٥) والنسائي (٤٢٠٥) وأحمد (٦٢٢) (٧٢٤) (١٠١٨) وغيرهم.



سأل ربه ﷻ أن يستغفر لها فأبى الله ﷻ عليه ثم استأذنه أن يزور قبرها فأذن الله ﷻ له بزيارة قبرها(١) وهكذا بارك الله فيكم حال المسلم مع أبيه ومع أمه لأنه يلتمس من وراء ذلك جنة عرضها السماوات والأرض من خلال بره بأبيه وأمه،

وبهذا القدر نكتفي وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



وقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء:٣٦] **وقوله:** ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ **الآيات**(٢)



يقول المؤلف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقول الله ﷻ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء:٣٦]

فلا زال رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدلل على وجوب التوحيد وأهميته ففي قوله سبحانه:

﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أي وحدوا الله ويكون التوحيد هاهنا بأقسامه الثلاثة ربوبية وألوهية وأسماء وصفات، وفي قوله:

---

(١) مسلم (٩٧٦) وأبو داود (٣٢٣٤) والنسائي (٢٠٣٤) وابن ماجة (١٥٧٢) وغيرهم بلفظ: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي...».

(٢) الأنعام (١٥١).



﴿وَلَا تُشْرِكُوا﴾ نهي، ينهى الله ﷻ عن الإشراك به وقد جعل الله ﷻ الشرك محرمًا وإن كان شيئًا يسيرًا وهذا يكون واضحًا جليًا من قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ فإن شيئًا نكرة في سياق النهي تفيد العموم كما يقول ذلك علماء الأصول أن النكرة إن كانت في سياق النفي أو النهي أو الاستفهام فإنها تفيد العموم والشرك محرم كله الصغير منه والكبير كبائره وصغائره فكله حرام وكله صاحبه على خطر قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] فلو كان الشرك أصغر فهو عظيم وإن كان أكبر فهو عظيم وغير مغفور لصاحبه لأن أن وما دخلت عليها في تأويل مصدر نكرة في سياق النفي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ أي لا يغفر شركًا به وهذا إن مات صاحبه وهو مصر على الشرك، وقد جاء في حديث أنس: «**أن الله تبارك وتعالى يقول: يا ابن آدم لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا إلا أتيتك بقرابها مغفرة**»(١).

ويقول سبحانه: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ﴾ [الأنعام:١٥١] في هذه الآية يأمر الله ﷻ نبيه عليه السلام أن يقول للناس: تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم فالرسول ﷺ مبلغ عن ربه ﷻ فيقول ﷻ آمرًا نبيه:

﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ﴾

وقد تقدم لكم معنى قوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ ومعنى قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ والإحسان إلى الوالدين يكون بالمحبة والتودد والرضى التماس رضاهما وأيضًا يكون بإعطائهما ما يحتاجان إليه من أمور الدنيا فالله ﷻ قرن طاعته بطاعتهما

(١) صحيح: الترمذي (٣٥٤٠) وأحمد (٢١٣٥٣) (٢١٤٠٦) (٢١٥١٠) (٢١٥٤٤) والدارمي (٢٧٨٨) وشعب الإيمان (١٠٤١) وغيرهم وانظر حديث رقم: ٤٣٣٨ في صحيح الجامع.

لما لهما من الأجر ومن الفضل لهذا الابن كما قال ربنا سبحانه في كتابه الكريم: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ﴾ [الأحقاف:١٥] فكان للوالدين حظ عظيم في وجود هذا الإبن فكان واجبًا على الابن أن يعطف على أبويه والجزاء من جنس العمل فمن أطاع والديه وخضع لهما بجناحه جاءت ذريته وجاء أولاده مثل ذلك تمامًا ومن حاول والعياذ بالله العصيان أو التأفف من الوالدين كان ولا حول ولاقوة إلا بالله الجزاء أيضًا من جنس العمل كما ذكروا في كتب التأريخ والسير أن رجلًا مرض عليه أبوه مرضًا شديدًا فأعيا ابنه هذا المرض فقرر وصمم هذا الإبن العاق أن يتخلص من والده فخرج به إلى الصحراء خرج به إلى الصحراء فقال له: لقد أتعبتني وأسهرتني وخسرتني أموالي ولقد قررت أن أذبحك وأن أتخلص منك فقال له: **هل فكرت فيما تقول؟** قال: نعم وكان قد أخذ سكينًا فأرى والده العاجز الشيخ الهرم أراه السكين قال أذبحك بهذه السكين فقال: يا بني إن كنت لا بد فاعلًا فاذبحني هناك عند تلك الشجرة قال: **ما الفرق بين هنا وهناك؟** قال: لقد ذبحت أبي في ذلك المكان ولك يابني مثلها والجزاء من جنس العمل والله المستعان.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ [الأنعام:١٥١] يعني من فقر المراد بالإملاق هنا: الفقر وقوله: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ﴾ [الأنعام:١٥١] بدأ برزق الآباء قبل الأبناء لأن الفقر محقق بخلاف الآية الأخرى ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ﴾ [الإسراء:٣١] فإن هناك فقط مجرد تخوف ولا يجوز قتل الأولاد على ما كان عليه أهل الجاهلية يئدون البنات خشية العار كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير:٨] وكانوا يقتلون الأولاد خشية الفقر فالله ﷻ ضمن للآباء الرزق وهكذا

أيضًا للأبناء فلا ينبغي للشخص أن يحمل هذا الهم وقد كفانا الله ﷻ قال عز من قائل: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام:١٥١] وقال ﷻ في كتابه الكريم:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨] فإن كان الله ﷻ قد قدر نسمة في رحم المرأة فاعلم أن لهذه النسمة رزقًا ورب جنين خرج من بطن أمه فكان سببًا في رزق أبويه وعلى ذلك يجب على الشخص أن يرضى وأن يسلم وإن كثر أولاده وهكذا أيضًا لا ينبغي لما يعلن به الآن من مسألة تحديد النسل هذا الأمر الطاغوتي الذي نادى به كثير من أبناء المسلمين تقليدًا للغربيين فإنهم ينادون بتقنين وبتحديد النسل لا بد أن يكون للشخص فقط ولد وبنت كما هو حال الشعب الصيني أو كثير من الشعوب التي قد كثرت سكانها لكن العالم الغربي بالعكس من ذلك فعندهم المرأة إذا حملت وولدت يعطونها مكافآت لكنهم يشجعون المسلمين على تحديد النسل وهكذا أيضًا على محاربة التعدد تعدد النساء بالزواج لكنهم يوافقون ويشجعون من شأن الفضيحة واتخاذ الخدينات والصديقات هذا أمر عندهم مشجع وله مؤسسات كبرى تدعمه إما عن طريق الفندقة أو السياحة أو القنوات الفضائية أشياء كثيرة جدًا فالقانون يحمي مثل هذا السراب عياذًا بالله لكنهم يحاربون التعدد الذي عناه الله ﷻ بقوله: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء:٣] وربما بعضهم يقول: من أين للشخص إذا كان عنده زوجتان أو ثلاث أو أربع وهذا ما قاله جمال عبد الناصر كان يقول: **أنا من أين لي مليون رغيف للشعب المصري؟** كان يخشى أن يصل الشعب المصري إلى مليون، الآن الشعب المصري قرابة مائة مليون أو خل ثمانين مليون، لأن التعداد السكاني عندهم قبل ثمان سنوات إلى سبعين مليون والآن لهم

أكثر من عشر سنوات فربما ازدادت أعدادهم **فمن يرزق هؤلاء؟** إنه الله ﷻ،

توكل على الرحمن في الأمر كله فما خاب حقًا من عليه توكلا

وكن واثقًا بالله واصبر لحكمه تفز بالذي ترجوه منه تفضلا

فعندنا الآن الكثير من المسلمين ومن أبناء المسلمين يتخوفون من كثرة الأولاد من كثرة البنات فما أشبه هذا بما كان عليه الجاهليون قبل الإسلام يئدون البنات أحياء فالآن أيضًا من المسلمين من يئد البنات والأولاد عن طريق الإجهاض عن طريق الحبوب العقاقير الإبر عن طريق الربط أشياء كثيرة جدًا والله المستعان.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام:١٥١] هذا عام لكل فاحشة ظاهرة أو خفية وجب على المسلم أن ينأى بنفسه عنها.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]

النفس التي حرمها الله ﷻ هي أربعة أنفس:

نفس المؤمن - ونفس الذمي - ونفس المعاهد - ونفس المستأمن بكسر الميم.

فنفس المؤمن حرم الله ﷻ قتله قال ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ...﴾ [النساء:٩٣] وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء:٩٢] وجاء في حديث ابن مسعود في الصحيحين أن النبي ﷺ قال:

«لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة»(١)

(١) البخاري (٦٤٨٤) ومسلم (١٦٧٦) وأبو داود (٤٣٥٢) والترمذي (١٤٠٢) (١٤٤٤) وغيرهم.



فالثيب الزاني: المحصن إن زنا رجلًا أو امرأة هنا لولي الأمر الحق أن يرجمه حتى الموت كما في الآية المنسوخة لفظًا وتلاوةً وباقية حكمًا وشرعًا إلى يوم القيامة «**والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالًا من الله والله عزيز حكيم**» وقد كان بعض الصحابة يقول: إن طال العمر ربما لا يجدون الرجم في كتاب الله(١) وإنها لآية كانت تتلى لكن رفع لفظها أو تلاوتها وبقي حكمها.

وهكذا أيضًا من قتل نفسًا وإن كان من أهل الإيمان وجب على الحاكم أن يقاصص به لأن النبي ﷺ يقول:

«**الحدود كفارة**»(٢) فمن قتل مسلمًا فوجب على ولي الأمر وقد رفعت القضية إليه ولم يتنازل أولياء الدم وجب عليه أن يقتل هذا لأنه كما قال الله ﷻ:

﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء:٣٣].

المفارق لدينه أي: من كان مسلمًا فارتد عن دين الإسلام إلى دين يهودي أو نصراني أو مسيحي أو شيوعي أو بوذي أو أي شيء على غير دين الإسلام فهنا يكون

---

(١) ابن ماجة (٢٥٥٣) وأحمد (٢١٢٤٥) (٢١٦٣٦) والدارمي (٢٣٢٣) وابن حبان (٤٤٢٨) (٤٤٢٩) ورواه البخاري (٦٤٤٢) ومسلم (١٦٩١) بلفظ: «فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف»

(٢) البخاري (٦٤٠٢) والترمذي (١٤٣٩)بلفظ: «ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارته» والحاكم (٣٦٨٢) بلفظ: «و ما أدري الحدود كفارة لأهلها أم لا» وسنن البيهقي الكبرى (١٧٣٧٣) بلفظ: «الحدود كفارة».



دمه حلالًا يقول ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[(١)].

وأما نفس المعاهد: فهو الذي دخل بلاد المسلمين بعهد وأمارة ذلك أن يعطى فيزه دخول إما عبر المنفذ الجوي أو المنفذ البحري أو المنفذ البري فهذا عنده العهد فلا يجوز لمسلم أن يقتله لأن النبي ﷺ يقول كما في الترمذي من حديث ابن مسعود: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم أي تتساوى دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم ويغير أدناهم على أقصاهم**»[(٢)] وأم هانئ لما جاءت إلى النبي ﷺ في عام الفتح وهو ﷺ يغتسل ضحىً وفاطمة تستره بثوب فقالت: السلام عليك يا رسول الله فقال النبي ﷺ:

«**وعليك السلام ورحمة الله مرحبًا بأم هانئ فقالت: يا رسول الله إن فلانًا يزعم أنه سيغدر بمن استجار بي فقال لها النبي ﷺ: قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**»[(٣)] فهذا صاحب ذمة إما أن يكون في بلاد المسلمين وإما في غير بلاد المسلمين يكون بينهم ذمة.

أما المعاهد: فهو أن يكون بين المسلمين وبين هؤلاء الذميين يهود أو نصارى

---

(١) البخاري (٦٥٢٤) وأبو داود (٤٣٥١) والترمذي (١٤٥٨) والنسائي (٤٠٥٩) (٤٠٦٠) (٤٠٦١) (٤٠٦٢) (٤٠٦٣) (٤٠٦٤) (٤٠٦٥) وابن ماجة (٢٥٣٥) وغيرهم.

(٢) أبو داود (٢٧٥١) وابن ماجة (٢٦٨٣) وابن أبي شيبة (٢٧٩٦٨) (٢٧٩٦٩) وشعب الإيمان (١٤٤١) وسنن البيهقي الكبرى (١٥٦٨٨) وغيرهم وانظر حديث رقم: ٦٧١٢ في صحيح الجامع فقد حسنه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٣) البخاري (٣٥٠) (٣٠٠٠) (٥٨٠٦) ومسلم (٣٣٦) وأبو داود (٢٧٦٣) وأحمد (٢٦٩٣٦) (٢٦٩٥١) (٢٦٩٥٢) (٢٧٤١٩) (٢٧٤٢٨) وغيرهم.

يكون بينهم عهد فهؤلاء لا يجوز أيضًا خرق هذا العهد إلا أن يخاف المسلمون من هذا العهد يخافون من هؤلاء أن يغدروا فلهم في ذلك أن يردوا إليهم عهدهم كما قال ﷻ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال:٥٨] قل هذا عهدكم انتهى بيني وبينكم هذا الأمر وتريهم العداوة والبغضاء من نفسك أما ما زالت بينك وبين هذه الدولة عهد وإن كانوا كفارًا فهنا - بارك الله فيكم - لا يجوز الغدر إطلاقًا.

وهكذا المستأمن: رجل دخل بلاد المسلمين من أجل أن يسمع عن الإسلام أو من أجل أن يتعرف على بلاد المسلمين فهذا مستأمن فالله ﷻ يقول:

﴿وَإِنۡ أَحَدٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ﴾ [التوبة:٦] أي لا تغدر به لا بد أن تسفره حتى يصل إلى بلاده ولقد كان فيما مضى من الزمان قرابة مائة عام أو أقل كان التجار من بلاد حضرموت من بلاد اليمن يرحلون إلى تركيا وإلى أندنوسيا وإلى كثير من بلاد العالم فأدخلوا أولئك الناس في دين الله ما ذهبوا لقصد الدعوة إلى الله وإنما ذهبوا لقصد التجارة والبحث عن العيش الطيب وهذا عناه الله ﷻ بقوله: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل:٢٠] فلا بأس أن تضرب في الأرض ولو إلى مشارق الدنيا ومغاربها تبحث عن فضل الله ﷻ فتأثر أولئك الناس بهؤلاء المسلمين بأخلاقهم بعبادتهم بسلوكهم فدخلوا في دين الله رب العالمين فنحن بحاجة ماسة أن نري الأمم عدل الإسلام وسماحة الإسلام ونور الإسلام حتى يرغبوا فيه فالله ﷻ يقول:

﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١/ والإسراء: ٣٣] وعليه فما يفعله الجهاديون من التفجيرات والتفخيخات سواء في بلاد اليمن أوفي بلاد الحرمين أو في غيرهما من الدول من دول الجوار الدول الآمنة التي أدخلت هؤلاء الناس

بحصانة وهي فيزة الدخول فهذا عمل لا يقره مسلم عاقل فضلًا عن مسلم عالم وهذه فتوى هيئة كبار العلماء في بلاد الحرمين فهذا منكر عظيم وأمر شنيع وعلى المسلم أن يتقي الله ﷻ وهكذا ما يفعله بعض المتحمسين ينزل واحد من هؤلاء المعاهدين من على سيارته فيأتي يركب سيارته وينطلق بها هذا أيضًا لا يجوز لأن هذا المال يعتبر معصوم وليس بمباح أن تأخذه وقد يتعلل متعلل إن هؤلاء دخلوا بقصد الإفساد في بلاد المسلمين نقول قد يكون الأمر صحيحًا ما جاء هؤلاء إلا بقصد الإفساد والتبرج ويجعلون نساءهم تتبرج وتسفر وتفتن المسلمين نقول: نعم ولكن هذا منكر يجب إزالته على ولاة الأمور فيجب عليك أن ترفع هذا إلى ولي الأمر وولاة الأمر يكون هذا أمرًا في أعناقهم سوف يسألون عنه بين يدي الله ﷻ يقول نبينا ﷺ:

«**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»(١) فولاة الأمر مسئولون عن شباب المسلمين وعن بنات المسلمين وعن فتيات المسلمين من فتنة هؤلاء الكفار لكن أن نغير نحن المنكرات بأيدينا فهذا من الفوضى

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة لهم إذا جهالهم سادوا

ثم يقول سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١] ثم قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام: ١٥٢/ والإسراء: ٣٤] هذه - بارك الله فيكم - وصية للقائمين على أموال اليتامى وأنه لا يجوز لهم أن يأكلوا منها إلا بالمعروف ومن أكل بغير ذلك فقد حرم الله ﷻ فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ

---

(١) البخاري (٨٥٣) (٢٢٧٨) (٢٤١٦) (٢٤١٩) (٤٨٩٢) (٤٩٠٤) (٦٧١٩) ومسلم (١٨٢٩) وأبو داود (٢٩٢٨) والترمذي (١٧٠٥) وأحمد (٤٤٩٥) (٥١٦٧) (٥٩٠١) (٦٠٢٦) وغيرهم.

وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠] قد يقول قائل: أنا لا آكلها وإنما أشتري بها سيارة أو أو... نقول هو محرم كله وعبر الله سبحانه بالأكل لأنه أكثر ما تستخدم هذه الأموال في شراء المأكولات والمشروبات.

﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [الأنعام:١٥٢] الكيل كل ما يكال والوزن كل ما يوزن وما يكال أيضًا وسواء كان هذا الكيل والميزان سواء كان أمورًا معنوية أو حسية فوجب على الشخص أن يكون عنده العدل والإنصاف في ذلك وقد قال ﷻ في كتابه الكريم:

﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١- ٦] فنحن مطالبون بالعدل والقسط والإنصاف في أمور دنيوية أو في أمور شرعية معنوية فوجب على الشخص أن يكون عنده العدل والإنصاف ورحم الله امرءًا أنصف من نفسه قال سبحانه: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢/ والأعراف: ٤٢] وهذا دليل العدل والرحمة الإلهية أن الله ﷻ لا يطالبك بأكثر من طاقتك قال: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ﴾ [الأنعام:١٥٢] لا بد أن يكون عندك أيضًا عدل في قولك وإياك أن تتجاوز على أخيك أو على غير أخيك المسلم فلا بد أن يكون عندك أيضًا عدل الكلمة مع الموافق ومع المخالف مع الصاحب ومع العدو بل ومع الكفار يجب أن يكون عندك عدل في القول، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: يحفظ الله الدولة الكافرة العادلة ويزلزل الله الدولة المسلمة الظالمة فالعدل محمود ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾ [النحل:٩٠] فأنت مطالب بالعدل حتى مع نفسك لا بد أن يكون عندك عدل وإنصاف لا تجهدها ولا تكلفها فوق

طاقتها ومع أولادك وهكذا إن كان عندك أكثر من زوجة وجب عليك أيضًا أن تعدل يقول النبي ﷺ:

«**من كان له زوجتان فمال إلى أحدهما جاء يوم القيامة وشقه مائل**»(١) أو كما قال عليه السلام وهذا في الأشياء الحقيرة والكبيرة وإن كان أمرًا هينًا فإنك مطالب به قال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام:١٥٢] أي صاحب قرابة.

﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ [الأنعام:١٥٢] والمراد بعهد الله يعني أمر الله سبحانه وتعالى ما عهده الله سبحانه وتعالى إلينا من الشريعة ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢ - ١٥٣] وأجمع الأقوال في تعريف الصراط المستقيم: هو كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإن فيهما الكفاية والهداية والسداد قال نبينا ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا كتاب الله وسنتي**»(٢) والنبي ﷺ قالوا له: أوصنا قال: «**أوصيكم بتقوى الله وإن تأمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور**»(٣) وقبل ذلك يقول سبحانه وتعالى:

﴿طه ۝ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾ [طه: ١ - ٢] أي لا يمكن أن يكون شقاء

(١) صحيح: أبو داود (٢١٣٣) والدارمي (٢٢٠٦) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (١٩٤٩).

(٢) الدارقطني (١٤٩) وسنن البيهقي الكبرى (٢٠١٢٤) وقال الألباني في: (منزلة السنة في الإسلام [١ / ١٨]): رواه مالك بلاغا والحاكم موصلا بإسناد حسن

(٣) صحيح: أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجة (٤٢) (٤٣) وأحمد (١٧١٨٢) (١٧١٨٤) (١٧١٨٥) والدارمي (٩٥) وغيرهم وانظر حديث رقم: ٢٥٤٩ في صحيح الجامع.

لمن تمسك بالقرآن لمن حفظ القرآن لمن سلك طريق القرآن الكريم ويقول ﷻ:

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [طه:١٢٣] ويقول سبحانه: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨] فهذا هو المراد بالصراط المستقيم قال: ﴿فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام:١٥٣] فلما كان الحق واحدًا كان محصورًا في صراط الله المستقيم ولما كانت مسالك الشيطان كثيرة جعلها الله ﷻ كثيرة قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام:١٥٣] وسبل الشيطان كثيرة جدًا يقول النبي ﷺ:

«**وستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**»[(١)] وعند هذا الحديث جاء من حديث ابن مسعود عند أحمد والنسائي والترمذي وغيره ذلك أن النبي ﷺ خط بيده خطًا مستقيمًا هكذا ثم جعل خطوطًا عن جانب ذلك الخط هكذا وهكذا فقال النبي ﷺ: «**هذا صراط الله المستقيم ثم قال عن هذه الخطوط وهذه سبل الشيطان ما من سبيل إلا وعليها شيطان يدعو إليه**»[(٢)] فيكون الطريق الآمن صمام الأمان هو الطريق الموصل إلى الجنة وهو طريق الكتاب والسنة ليس إلا،

فهـــذا الحـــق لـــيس بـــه خفـــاء فـــدعني مـــن بنيـــات الطريـــق

وإذا الإنسان حاول أن ينحرف عن الصراط المستقيم فإنه يتعب كثيرًا ويحتار كما احتار غيره من اليهود والنصارى ومن الفرق الإسلامية المبتدعة التي تعبت

---

(١) صحيح: ابن ماجة (٣٩٩٣) وأحمد (١٦٩٧٩) والحاكم (٤٤٣) (٤٤٤) والمعجم الكبير (٨٨٥) والمعجم الأوسط (٧٨٤٠) وغيرهم وانظر حديث رقم: ٢٠٤٢ في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: أحمد (٤١٤٢) (٤٤٣٧) والدارمي (٢٠٢) وابن حبان (٦) والحاكم (٢٩٣٨) (٣٢٤١) والطيالسي (٢٤٤) وغيرهم وانظر مشكاة المصابيح (١٦٦) وتحقيق الألباني لشرح العقيدة الطحاوية صفحة(٥٨٧).

وهكذا أهل الفسق والفجور والعربدة فإنهم يعيشون في عيشة نكدة وذلك حينما انحرفوا عن منهج الله وعن دين الله ﷻ وعن متابعة الرسول ﷺ والله تعالى أعلى وأعلم وأعز وأكرم وبهذا القدر نكتفي وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إتمامًا لفائدة الأنفس التي لا يجوز انتهاك حرمتها وهي نفس المعاهد والمستأمن والذمي جاء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وعن أبيه في صحيح البخاري أن نبينا ﷺ قال: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا**»[(١)] وجاء في السنن أن النبي ﷺ قال: «**من قتل معاهدا في غير كنهه حرم الله عليه الجنة**»[(٢)].



قال ابن مسعود رضي الله عنه:

«من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام:١٥٣]»[(٣)].



---

(١) البخاري (٢٩٩٥) وابن ماجة (٢٦٨٦) والبزار (٢٣٨٣) وسنن البيهقي الكبرى (١٦٢٥٩) (١٨٥١٢) وانظر حديث رقم: ٦٤٥٧ في صحيح الجامع.

(٢) أبو داود (٢٧٦٠) والنسائي (٤٧٤٧) وأحمد (٢٠٣٩٣) (٢٠٤١٩) والدارمي (٢٥٠٤) والحاكم (٢٦٣١) وغيرهم وانظر حديث رقم: ٦٤٥٦ في صحيح الجامع.

(٣) الترمذي (٣٠٧٠) والمعجم الأوسط (١١٨٦) وشعب الإيمان (٧٩١٨).

ثم قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن مسعود،

وابن مسعود هو عبد الله بن مسعود بن حبيب الهذلي يكنى بأبي عبد الرحمن هو من السابقين الأولين حضر بدرًا وأحد والخندق وبيعة الرضوان وهو من كبار أصحاب النبي ﷺ وأمره عمر بن الخطاب على أهل الكوفة فكان أميراً وعالمًا فاضلًا وتعرفون ما لابن مسعود من الفضائل يكفي أن النبي ﷺ زكاه بأن يؤخذ عنه القرآن فقد جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال:

«**من أراد أن يأخذ القرآن غضًا طريًا كما نزل فليأخذه من ابن أم عبد**»[(١)] وهو لقب لابن مسعود، وعبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه وأرضاه صعد مرةً على شجرة فكانت الشجرة تتراقص أغصانها فتحرك ابن مسعود لخفته ولخفة ما يحمله من اللحم كان نحيفًا فضحك الصحابة رضي الله تعالى عنه لدقة ساقيه فقال ﷺ:

«**أتضحكون من دقة ساقيه إنهما ليزنان يوم القيامة مثل جبل أحد أو كجبل أحد**»[(٢)] أو كما قال ﷺ، وهو القائل: «**أيها الناس من أراد أن يستن فليستن بمن قد مات فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة**» ثم قال:

«**عليكم بأصحاب النبي ﷺ فإنهم أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها**

---

(١) ابن ماجة (١٣٨) وابن خزيمة (١١٥٦) وابن حبان (٧٠٦٦) (٧٠٦٧) والحاكم (٢٨٩٣) (٢٨٩٤) وغيرهم وانظر السلسلة الصحيحة (٢٣٠١) فقد حسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

(٢) أحمد (٩٢٠) (٣٩٩١) وابن حبان (٧٠٦٩) والحاكم (٥٣٨٥) والبخاري في الأدب المفرد (٢٣٧) وغيرهم وانظر السلسلة الصحيحة (٢٧٥٠).

تكلفًا وإنما يطلب علمهم للعمل»(١) وهو الذي قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: «**اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم عليكم بالأمر العتيق**»(٢) وكان يعتبر مرجعًا لأنه من العلماء الفضلاء تعرفون قصته مع أبي موسى الأشعري في رجل توفى وترك بنتًا وأختًا وبنت ابن فجاءوا إلى أبي موسى فقال:

«**للبنت النصف وللأخت النصف وأتوا ابن مسعود فسيتابعني فلما جاءوا ابن مسعود أخبروه بقضاء أبي موسى قال:**

«**لقد ضللت إذًا وما أنا من المهتدين أقضي فيها بقضاء الله ورسوله ﷺ للبنت النصف ولبنت الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللأخت**» فجعل الأخت عصبة وهذا ما يعبر عنه بالعصبة بالغير كما قال صاحب الرحبية:

والأخـــوات إن تكـــن بنـــات ... فهـــن معهـــن معصـــبات

فلما أخبر بذلك أبو موسى من تواضعه قال: «**لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم**» وهذا في صحيح البخاري(٣) وتعرفون قصته أيضًا مع أبي موسى لأنه كان في الكوفة فرأى قبل الفجر وكان أولئك الناس يحضرون لصلاة الفجر مثل ما نحضر الآن لصلاة الجمعة كان الناس يكتضون لصلاة الفجر الآن لا حول ولا قوة إلا بالله التساهل حاصل إلا ما رحم الله وقليل ما هم وكما قيل:

وقـــد كـــانوا إذا عـــدوا قلـــيلًا ... فصـــاروا اليـــوم أقـــل مـــن القليـــل

---

(١) قال الألباني في مشكاة المصابيح (١ / ٤٢) (١٩٣): ضعيف.

(٢) صحيح: الدارمي (٢٠٥) والمعجم الكبير (٨٧٧٠) وصححه الألباني رحمه الله عند حديث رقم (٥٣٣) في السلسلة الضعيفة.

(٣) البخاري (٦٣٥٥) والطيالسي (٣٧٥) وسنن البيهقي الكبرى (١٢٠٩٠) وأحمد (٣٦٩١).

الحاصل أن أبا موسى دخل المسجد فرأى أناسًا حلقًا حلقًا وفي كل حلقة رجل يقول: سبحوا مائة ومعهم حصى فيسبحون مائة كبروا مائة فيكبرون مائة إحمدوا الله مائة فيحمدون الله مائة قولوا لا إله إلا الله مائة وهكذا وهذا ظاهره خير فنظر إليهم أبو موسى وما كان يجرأ أن يصدر شيئًا دون ابن مسعود فخرج من المسجد وذهب إلى بيت عبد الله بن مسعود فوجد عند داره رجلين فقال: **أثم أبو عبد الرحمن؟** يعني داخل لأن ثم هنا ظرف أي هناك كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ﴾ [الإنسان:٢٠] ليس ثُم ثُم من حروف العطف تفيد الترتيب مع التراخي لكن ثم بمعنى هناك أو هنالك أو هنا فقال: **أثم أبوعبد الرحمن؟** أي لا زال في الداخل قالوا: نعم فخرج قال: فاكتنفناه إلى المسجد فقلت له: «**يا أبا عبد الرحمن إن أناسًا في المسجد من حالهم كذا وكذا**» قال: «**هل قلت لهم شيئًا**» قال: «**لا وأنا أنتظر رأيك**» فقال له: «**أما قلت لهم: يعدون سيئاتهم وتضمن لهم ألا يذهب من حسناتهم شيء**» فلما وصل ابن مسعود إلى المسجد وقف على رؤوس هؤلاء وقال: «**يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم هذه ثياب رسول الله ﷺ لم تبل وآنيته لم تكسر وأصحابه متوافدون فإما أن تكونوا أهدى طريقًا من أصحاب النبي ﷺ وإما أن تكونوا قد ضللتم**» قالوا: يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير قال: «**كم من مريد للخير لم يوفق له**»(١) فابن مسعود كان مرجعًا لأصحاب النبي ﷺ وقد رآه عمر يومًا فقال: «**كنيف ملئ علمًا**»(٢) وكيف لا يكون كذلك وهو القائل:

---

(١) قال الألباني في السلسلة الصحيحة في كلامه على حديث رقم (٢٠٠٥) أخرجه الدارمي (١ / ٦٨ - ٦٩) وبحشل في تاريخ واسط صفحة ١٩٨ .... راجع كلامه على هذا الحديث فقد صححها هناك.

(٢) الحاكم (٥٣٩١) والمعجم الكبير (٩٧٣٥) وقال الألباني في إرواء الغليل (٧ / ٢٨٠): وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

«لقد أخذت من فِيِّ رسول الله ﷺ إثنتين وسبعين سورة من القرآن ولو أعلم أن رجلًا تصل إليه مطى الإبل أعلم مني بكتاب الله لرحلت إليه»[(١)] فكان عنده من التواضع الشيء الكثير هذا الإمام العظيم روى عنه الترمذي بالسند المتصل إليه أنه قال: «من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...﴾ [الأنعام:١٥١] الآية التي في سورة الأنعام إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ...﴾ [الأنعام:١٥٣][(٢)] ولكن هذا الأثر ضعيف في سنده داود بن يزيد الأودي وهو ضعيف ضعفه البخاري وابن المديني وغيرهما فهو أثر ضعيف وحكم بضعفه أيضًا العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ومن حيث المعنى صحيح فالآيات التي ذكرت فيها من مقام العبادة والنهي عن الإشراك وهكذا أيضًا ما يتعلق بأمر التوحيد والسلوك أمور كثيرة جدًا فرسول الله ﷺ لم يوص بشيء معين وإنما هذا اجتهاد من ابن مسعود وقد قال رجل لبعض أصحاب النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: هل خصكم أنتم بيت رسول الله ﷺ بشيء من العلم؟ قال علي بن أبي طالب: «لا إلا بما في غماد سيفي هذا» فأخرج صحيفة فيها بعض أمر الديات وفيها حديث أيضًا:

«لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من غير منار الأرض ولعن الله من لعن والديه ولعن الله من آوى محدثًا» قال:

---

(١) البخاري (٤٧١٤) وأحمد (٣٩٠٦) والطيالسي (٤٠٥) والمعجم الكبير (٨٤٢٨) ومسند البزار (١٨٧٢) والآحاد والمثاني (٢٠٤٨).

(٢) الترمذي (٣٠٧٠) والمعجم الأوسط (١١٨٦) وشعب الإيمان (٧٩١٨).

«**لا إلا هذا أورجل يؤتيه الله ﷻ فهمًا لكتابه**»[١] أو كما قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه ولما نزل برسول الله ﷺ الأجل قال: «**هاتوا لي كتابًا أكتب لكم لاتضلوا بعدي أبدًا**» فاختلفوا فقال بعضهم: لعل رسول الله لا يدري ما يقول قال بعضهم أعطوه كتابًا فلما رآهم النبي ﷺ اختلفوا قال:

«**اخرجوا عني فالذي أنا فيه أشغل مما أنتم فيه**»[٢] أو كما قال ﷺ **وهل كان سيكتب لهم شيئًا ينقصهم من الدين؟**

لا دين الله ﷻ شامل وكامل هذه عقيدتنا وهذا منهجنا نلقى به ربنا ﷻ في الآخرة لأن الله ﷻ يقول:

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣] وإنما كان سيوجه بعض الأشياء كأمر الخلافة والإمارة وما إلى ذلك ثم اختار الله ﷻ ألا يكتب شيئًا فحسم الأمر بعد موته ﷺ بالصديق والفاروق ومن إلى هذين الصحابيين المهديين.



(١) مسلم (١٩٧٨) وأحمد (٩٥٤) (١٣٠٦) وابن حبان (٦٦٠٤) والحاكم (٧٢٥٤) والبخاري في الأدب المفرد (١٧) وشعب الإيمان (٧٨٦٨) وغيرهم.

(٢) البخاري (١١٤) (٢٩٩٧) (٥٣٤٥) ومسلم (١٦٣٧) وأحمد (١٩٣٥) (٣١١١) وابن حبان (٦٥٩٧) ومصنف عبد الرزاق (٩٧٥٧) (٩٩٩٢) وغيرهم.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى العِبَادِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى الله؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حَقُّ الله عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشركوا بِهِ شيئًا، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى الله أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشرِكُ بِهِ شيئًا» قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: «لَا تُبَشرهُمْ فَيَتَّكِلُوا» أخرجاه في الصحيحين(١).

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق الجن والإنس.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد، لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله ففيه معنى قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾.

الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل.

الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ففيه معنى قوله: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦].

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله.

التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف، وفيها عشر مسائل، أولاها: النهي عن الشرك.

---

(١) البخاري (٢٧٠١) ومسلم (٣٠) والحاكم (١٩٠١).



العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشر مسألة: بدأها الله بقوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء:٢٢] وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:٣٩] ونبهنا الله إلى عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾.

الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمى: آية الحقوق العشرة بدأها الله تعالى بقوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾.

الثانية عشرة: التنبيه على وصية الرسول ﷺ عند موته.

الثالثة عشرة: معرفة حق الله علينا.

الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه.

الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يسره.

الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة: قول المسؤول عما لا يعلم: الله ورسوله أعلم.

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادية والعشرون: تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه.

الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدابة.

الثالثة والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل.



الرابعة والعشرون: عظم شأن هذه المسألة.



ثم روى عن معاذ بن جبل،

ومعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه هو أنصاري خزرجي ويكنى أيضًا بأبي عبد الرحمن وهو من الصحابة المشهورين قد قال فيه النبي ﷺ:

«**أعلم الناس بالحلال والحرام معاذ بن جبل**»(١) وقد بعثه النبي ﷺ إلى اليمن معلمًا هو وأبو موسى فقال لهما:

«**تطاوعا ولا تختلفا ويسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا**»(٢) وتعرفون قصة هذين الصحابيين لما جاءا إلى اليمن زار معاذ أبا موسى فوجد رجلًا مكتوف الأيدي قال: ما هذا يا عبد الله بن قيس؟ قال: هذا رجل ارتدَّ عن الإسلام قال فإني لا أنزل حتى يقتل قال ما أتينا به إلا لذلك فقتل الرجل ثم نزل معاذ ضيفًا عند أبي موسى فقال له: كيف أنت مع القرآن؟ فقال له أبو موسى: أقرؤه قائمًا وقاعدًا وعلى جنب وعلى راحلتي أتفوقه تفوقًا والتفوق معناه تارة بعد تارة والمراد بالتفوق المدة الزمنية بين الحلبتين كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [سورة ص: ١٥] قال: وأنت؟ قال: أما أنا فأقوم أول الليل وأقوم آخره فأحتسب نومتي كما أحتسب

---

(١) الترمذي (٣٧٩٠) (٣٧٩١) وابن ماجة (١٥٤) وأحمد (١٢٩٢٧) (١٤٠٢٢) وابن حبان (٧١٣٧) (٧٢٥٢) والطيالسي (٢٠٩٦) والمعجم الصغير (٥٥٦) ومسند أبي يعلى (٥٧٦٣) وغيرهم وانظر السلسلة الصحيحة برقم (١٢٢٤).

(٢) البخاري (٢٨٧٣) ومسلم (١٧٣٣) وأحمد (١٩٧١٤) وسنن البيهقي الكبرى (١٩٩٣٧).

قومتي على الله ﷻ(١) وهذا الأثر ثابت في صحيح البخاري وهذا الصحابي الجليل انتقل بعد ذلك من اليمن فكان في المدينة فترة ثم رحل إلى بلاد الشام وقيل: إنه توفي هناك رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

يروي معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: كنت رديف النبي ﷺ، والرديف أي أنه راكب خلف النبي ﷺ على حمار والمراد بالحمار هاهنا الحمار الأهلي المعروف، هذه الحمر الإنسية ليس الحمار الوحشي الذي يعيش في الغابات والصحراء فإنه لا يركب أصلًا وهذا دليل على تواضع النبي ﷺ وإلا فقد ركب البراق وكان ﷺ يستطيع ويحق له ذلك وليس عليه من حرج أن يركب البغل أو الخيل أو الفرس أو أشياء غير ذلك لو سأل من ربه ﷻ ولكنه تواضع ﷺ فركب على حمار ثم أردف معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه وأرضاه ففيه تواضع النبي ﷺ وهو المعني بقوله سبحانه:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] فمن الأخلاق العظيمة التواضع وخفض الجناح للآخرين.

فقال لي: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟»

ومعنى أتدري أي **أتعلم يا معاذ ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟** ما حق الله على العباد أمر معلوم ولا غبار عليه يعني ما هو الحق الذي يطالبنا به ﷻ لأنه خلقنا ورزقنا وأعطانا ومنحنا، خلق لنا الأرض والسماء وأنزل الغيث وأمدنا بجميع النعم

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤].

---

(١) البخاري (٤٠٨٦) (٤٠٨٨) وشعب الإيمان (٢٢٠١).

ثم قال: ماحق العباد على الله؟ هنا استشكال هل للعباد حق على الله ﷻ؟ هذا من باب الامتنان يمتن الله ﷻ أن يكون لنا حق عنده ﷻ وهذا خلاف ما تقوله المعتزلة في بعض أصولهم الخمسة التي هي:

١- إنفاذ الوعد بمعنى إذا وعد الله مؤمنًا بالجنة فلا بد أن يوفي وإن وعد الله العاصي بالنار فلا بد أن يوفي تحكم على الله ﷻ، وإلا فالله ﷻ له الأمر من قبل ومن بعد ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن كما قال الشاعر:

مـا للعبـاد عليـه حـق واجـب كـلا	و لا ســـعي لديـــه ضائـــع
إن عـــذبوا فبعدلـــه أو نعمـــوا	فبفضـــله وهـــو الكـــريم الواســـع

فإن عذبهم فذلك هو العدل ﴿وَمَارَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦] وإن نعمهم فهو فضل منه ﷻ وليس للعباد حق على الله ﷻ ولكن هذا من باب الامتنان وفيه أيضًا فائدة للمعلمين وهو إن أراد المعلم أن يجعل للإجابة وللعلم وقعًا في نفس الطالب أن يسأله وأن يقدم بين يدي فائدته سؤالًا حتى تشرئب النفوس إلى معرفة هذا السؤال فالنبي ﷺ قال: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ **فقال معاذ بن جبل: قلت: الله ورسوله أعلم**» وهذا فيه حسن الجواب من معاذ بن جبل إذ أنه لم يعلم فرد العلم إلى عالمه وهو الله ورسوله ﷺ.

وهنا فائدة:

إذا سئلت بمسألة هل يجوز أن تقول: الله ورسوله أعلم؟

في ذلك تفصيل أن كانت المسألة مسألة كونية مثلًا قال لك قائل: متى يأتي فلان؟ أو متى تقوم الساعة؟ أو متى ينزل عيسى بن مريم؟ أو متى يخرج المهدي؟ أو متى يخرج الدجال؟ متى يحصل كذا وكذا من الأمور الكونية التي مرتبطة بعلم

الغيب؟ فهنا لا تقل: الله ورسوله أعلم وإنما تقول: الله أعلم فإن كان الأمر مرتبطًا بأمر شرعي فقل: الله ورسوله أعلم لأن رسول الله ﷺ أيضًا يعلم عن ربه ﷻ من أمور الشرع لأن الشرع إنما جاءنا عن طريق نبينا محمد ﷺ إن كان الأمر يتعلق بعلم الكون يعني أمر غيبي سئلت عنه **متى يأتي فلان؟ متى تقوم الساعة؟** فهنا تقول: الله أعلم وإن كان الأمر يتعلق بالشرع مثلًا: **ما حكم الإستئذان؟ ما حكم السلام؟ وما حكم الرد على من سلم؟ وكم شروط الصلاة؟ وكم أركان الوضوء؟** أسئلة شرعية **هل يجوز للرجل أن يجمع بين المرأة وعمتها؟ هل يجوز للرجل أن يخزن القات مثلًا؟** فأنت تقول: الله ورسوله أعلم لأنه أمر شرعي بعض أهل العلم يقول: بعد موت النبي ﷺ لا تقول: إلا الله أعلم وبعضهم يقول بهذا التفصيل إن كان كونيًا فقل: الله أعلم وإن كان شرعيًا قل: الله ورسوله أعلم.

فقال نبينا ﷺ: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**» ويعبدوه أي يوحدوه ويلزموا عبادته والعبادة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ولا تكون العبادة صحيحة إلا بخمسة شروط:

الإخلاص - والإتباع - والمحبة - والخوف - والرجاء

قال: «**ولا يشركوا به شيئًا**» والشرك من أعظم الذنوب قال سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣] وسأل ابن مسعود النبي ﷺ عن أعظم الذنب قال له: «**الإشراك بالله**» قال: **ثم أي؟** قال: «**أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**» قال:



ثم أي؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك**» رواه البخاري ومسلم(١) فمن أعظم الذنوب الإشراك بالله وفي قوله شيئًا نكرة في سياق النهي تفيد العموم أي سواء كان شرك أصغر كيسير الرياء أو أكبر كدعاء غير الله والإستغاثة بغير الله وما إلى ذلك.

قال: «وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا»

يعني من أهل التوحيد إن جاء العبد بالتوحيد الخالص من الشرك فإن الله ﷻ لا يعذبه لكن لو جاء العبد بالتوحيد الخالص وعنده بعض الكبائر كالخمر والغيبة والنميمة والزنا وفحش القول وما إلى ذلك من المعاصي الظاهرة والباطنة والصغيرة والكبيرة **هل يعذب؟** معتقد أهل السنة في ذلك أنه تحت المشيئة كما قال ﷻ في كتابه الكريم:

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي المشركين ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ [الإنسان:٣١] فالمشركون إلى النار مباشرة أما أهل التوحيد فإن عذبهم الله ﷻ بعدله فمصيرهم إلى الجنة لأن الموحد صاحب لا إله إلا الله الذي سلم إيمانه من الشرك ومن البدعة ومن الرياء فمآله إلى الجنة وإن عذب.

قال معاذ: قلت: يا رسول أبشر الناس؟

فيه استحباب البشارة وأن يكون الشخص مبشرًا لإخوانه قال: «**لا تبشرهم فيتكلوا**» فيه جواز كتمان العلم للمصلحة والنبي ﷺ قد جاء في صحيح البخاري أنه قال لعائشة رضي الله تعالى عنها:

---

(١) البخاري (٤٢٠٧) (٥٦٥٥) (٦٤٢٦) (٧٠٩٤) ومسلم (٨٦) وأبو داود (٢٣١٠) وابن حبان (٤٤١٥) وغيرهم.

«**يا عائشة لولا أن قومك حديثوا عهد بشرك أو بجاهلية لنقضت الكعبة وجعلتها على قواعد إبراهيم وجعلت لها بابًا شرقيًا أو غربيًا يدخل الناس منه**»(١) فهنا حصل شيء من كتم العلم للمصلحة وهكذا يقول أبو هريرة: «**لقد حصلت من الرسول ﷺ وعائين من العلم أما وعاء فقد بثثته وأما وعاء لو بثثته لقطع هذا البلعوم وأشار إلى أحبال في عنقه**» وهذه اللفظة في صحيح البخاري(٢).

فما كل ما تعلمه تقوله بل حاول أن ترغب الناس وأن تدخلهم في دين الإسلام وأن تترفق بهم لأن الله ﷻ طالبنا بأن نكون رفقاء ورحماء بالناس قال الله ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران:١٥٩] ويقول النبي ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**»(٣) ويقول: «**إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على ما سواه**»(٤) فلا بد أن يكون الداعية عنده من الرفق بالناس لا بد أن يكون عنده في قلبه رقة ورحمة بالناس والله ﷻ ذكر عبده الخضر عليه السلام قال:

﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥] فلا بد أن يكون الداعية رحيمًا بالناس.

(١) البخاري (١٥٠٩) ومسلم (١٣٣٣) والنسائي (٢٩٠٣) وأحمد (٢٥٥٠٢) (٢٦٠٧١) وابن حبان (٣٨١٦) (٣٨١٨) وغيرهم.

(٢) البخاري (١٢٠).

(٣) البخاري (٥٦٧٨) (٥٩٠١) (٦٠٣٢) (٦٥٢٨) ومسلم (٢١٦٥) والترمذي (٢٧٠١) وابن ماجة (٣٦٨٩) وأحمد (٢٤١٣٦) وغيرهم.

(٤) مسلم (٢٥٩٣) وابن حبان (٥٥٢) وسنن البيهقي الكبرى (٢٠٥٨٦).

فعلى أية حال يجوز كتم العلم للمصلحة فإذا رأى أن المصلحة التي كان يرجوها قد أزيلت فهنا يجب عليه أن يبثه لأن الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩] فإذا دعت الضرورة لأن تأتي بدليلك وبرهانك بالآية أو بالحديث أو بالعلم وجب عليك أن تسارع إلى ذلك.

وفي قوله: «فيتكلوا»،

أي أنه ربما يتكل الناس على أعمالهم بل قد قال بعض الصحابة: **يا رسول الله إن كان أهل السعادة للجنة وأهل الشقاوة في النار فلم العمل؟** والقصة في صحيح مسلم قال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له فأما من كان من أهل السعادة فسيوفق لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ قول الله ﷻ**: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل: ٥- ١٠]»(١).

قوله اخرجاه أي أنه متفق عليه أو رواه البخاري ومسلم والبخاري أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن المغيرة من بلاد بخارى وهي في بلاد سمرقند هذه البلاد التي في جهة روسيا كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ بل أطبقت الأمة على فضل كتابه وعلى أنه أصح الكتب بعد كتاب الله وصحيح البخاري أصح من صحيح مسلم على أن صحيح مسلم يعتبر في المرتبة الثانية بعد صحيح البخاري وكان مسلم تلميذًا نجيبًا للإمام البخاري رحمه الله وكان سيكثر من الرواية عنه لكن

(١) البخاري (١٢٩٦) (٤٦٦١) (٤٦٦٣) (٤٦٦٤) (٤٦٦٥) (٤٦٦٦) (٥٨٦٣) (٦٢٣١) (٧١١٣) ومسلم (٢٦٤٧) وأبو داود (٤٦٩٤) وغيرهم.

حصلت فتنة بين البخاري وشيخه محمد بن يحي الذهلي في مسألة خلق القرآن وقال محمد بن يحي الذهلي: من كان يحضر حلقة محمد بن إسماعيل فليعتزل حلقتنا فقام مسلم على رؤوس الطلاب وعليه رديف يحمله وخرج من المسجد ثم أرسل بكتب محمد بن يحي الذهلي وكتب الإمام البخاري ولم يرو عن هذين الرجلين على أنه قد جاء أنه كان يسأل البخاري ويقول له: **ياأستاذ الأستاذين ويا طبيب الحديث بعلله ما حكم حديث كذا وكذا؟** وقال الإمام الدارقطني أبو الحسن علي بن عمر بن مهدي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: لولا البخاري لما جاء مسلم ولا ذهب ومما يدل على تفضيل صحيح البخاري أن صحيح البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عليه جاد فيه من حيث قوة رجاله وأما مسلم فقوة كتابه من حيث إخراج الطرق الكثيرة في الباب الواحد كما قال بعضهم:

تشاجر قوم في البخاري ومسلم لدي وقالوا أي ذين تقدموا
فقلت لقد حاز البخاري صحة كما حاز في حسن الصياغة مسلم

والفتن لا يخلو منها زمان ولا مكان ولا غرابة في وجودها ولكن الغرابة فيمن يثبت أمامها لأنها تتحدى وتعلن التحدي على المسلمين فقد جاء في سنن أبي داود من حديث المقداد بن الأسود أن النبي ﷺ قال:

«إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلي فصبر فواها»(١)

أسأل الله ﷻ أن يجنبنا وإياكم الفتن ما ظهر منها وما بطن وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) أبو داود (٤٢٦٣) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٤٣).

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي رحمه الله:

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

أما كلمة باب فنحن نكررها من أجل أن تحفظ وما أظن واحدًا من الطلاب ما قد فهم ما معنى كلمة باب لغة واصطلاحًا وإعرابًا أما في اللغة: فسمي الباب بهذا الاسم لما يدخل ويخرج منه واصطلاحًا: اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب،

وإعراب كلمة باب لها ثلاثة إعرابات:

أما الإعراب الأول: فيكون خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره هذا باب.

الإعراب الثاني: مفعول به لفعل محذوف تقديره أقرأ باب فضل التوحيد أو أعقد باب أو انظر باب المهم تقدر لهذه الكلمة فعلًا محذوفًا وهذا جائز في اللغة العربية.

الإعراب الثالث: تقدر لها حرف جر محذوفًا أقرأ في باب فضل التوحيد وهذا هو الباب الثاني من كتاب التوحيد فالباب الأول ما يتعلق بوجوب التوحيد سرد في



ذلك أدلة من القرآن منها قوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] ومنها قوله: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣] ومنها قوله: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام:١٥١] وحديث معاذ في الصحيحين لما كان خلف النبي ﷺ على حمار أهلي فقال له: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قال: الله ورسوله أعلم قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا فقال معاذ للنبي ﷺ: أفلا أخبر الناس بذلك يا رسول الله؟ قال: لا تخبرهم فيتكلوا فأخبر بها معاذ قبل موته تأثمًا**»(١) بمعنى يخشى أن يكون كاتمًا للعلم وإنما كتم هذا العلم للمصلحة وقد بينت لكم أنه ما كل ما تعلمه تقوله فلا بد من مراعاة المصالح والمفاسد إستنادًا إلى حديث عائشة في الصحيحين قال نبينا ﷺ وهو أعلم الناس بربه وأعلم الناس بالشرع: «**يا عائشة لولا أن قومك حديثوا عهد بشرك لنقضت الكعبة ولجعلتها على قواعد إبراهيم**»(٢) وهكذا أيضًا: درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة وعلي بن أبي طالب يقول كما في البخاري:

«**حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله**»(٣) وهكذا في صحيح مسلم في المقدمة من قول أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة**»(٤) وفي هذا الباب يريد أن

(١) البخاري (٢٧٠١) ومسلم (٣٠) والحاكم (١٩٠١).

(٢) البخاري (١٥٠٩) ومسلم (١٣٣٣) والنسائي (٢٩٠٣) وأحمد (٢٥٥٠٢) (٢٦٠٧١) وابن حبان (٣٨١٦) (٣٨١٨) وغيرهم.

(٣) البخاري معلقًا (١٢٧).

(٤) مسلم (١ / ١٠).

يذكر فضل التوحيد وإذا ذكر المؤلف أو المحاضر فضلًا لعمل من الأعمال لا يدل ذلك على أن هذا ليس بواجب لا يدل ذلك على أن هذا العمل ليس بواجب هو واجب من جهة لكن له فضل وثمرة تترتب على هذا الواجب الذي أنت تقوم به فصلاة الجماعة مثلًا فريضة وواجبة على القول الصحيح من أقوال أهل العلم كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣] وهكذا يقول سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [النور: ٣٦] فهؤلاء الناس ما حافظوا على الصلاة ولم تلههم تجارتهم ولا بيعهم إلا لأنهم يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار فحافظوا على الصلاة لعلمهم بوجوبها وهكذا أيضًا لما جاء عبد الله بن أم مكتوم إلى النبي ﷺ وقال: **يا رسول الله إني شاسع الدار وليس لي قائد يقودني فهل تجد لي رخصة أن أصلي في بيتي؟** وهو رجل أعمى فأذن له النبي ﷺ فلما ولى قال: «**أعيدوه قال**: **هل تسمع النداء؟ قال**: **نعم قال: فحيهلا وفي رواية لا صلاة لك إلا من عذر وفي رواية: فأجب**»(١) وهكذا حديث: «**لقد هممت أن آمر مؤذنا فيؤذن ثم آمره فيقيم ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار**»(٢) جاءت أحاديث في فضل صلاة الجماعة منها:

«**من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة**»(٣) ومنها:

---

(١) مسلم (٦٥٣) والنسائي (٨٥٠) وسنن البيهقي الكبرى (٤٧٢٥) (٤٧٧١) وغيرهم.

(٢) البخاري (٦١٨) (٦٢٦) (٢٢٨٨) (٦٧٩٧) ومسلم (٦٥١) وأبو داود (٥٤٨) والترمذي (٢١٧) وغيرهم.

(٣) صحيح: أحمد (٦٥٧٦) والدارمي (٢٧٢١) وابن حبان (١٤٦٧) وشعب الإيمان (٢٨٢٣) ومسند =

«**صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفذ - يعني الفرد - بسبعة وفي رواية خمسة وعشرين درجة**»(١) فكونه ﷻ ونبينا ﷺ رتب أجرًا لحضور الجماعة لا يدل ذلك على أنها ليست واجبة بل هي واجبة وهكذا التوحيد واجب على المسلم أن يتعلمه وأن يعلم الناس وأن يدعو إليه كما قال الشاعر:

نـدعو إلـى التوحيـد طـول زماننـا ... ونحارب الشرك الخبيث في الحضور

وجب على المسلمين جميعًا أن يتعلموا هذا وهذا يعتبر من أوجب الواجبات ومن أعظم المهمات وتعرفون - بارك الله فيكم - أن دعوة الأنبياء كانت لتقرير هذا الأمر كما قال ربنا:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]

وكما قال ابن الأمير الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد قال: ما من نبي بعثه الله إلى قومه إلا كان أول ما يقرع آذانهم بهذا الأمر

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٣٢] ولقد بعث النبي ﷺ إلى الأمة كلها فكان يقول للمشركين: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»(٢) فما طالبهم النبي ﷺ قبل التوحيد بشيء فكان هذا أول واجب يجب على المسلمين معرفته وتعرفون لما أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى بلادنا اليمن قال له:

=

عبد بن حميد (٣٥٣) وانظر مشكاة المصابيح (٥٧٨).

(١) مسلم (٦٥٠) وأحمد (٤٦٧٠) و النسائي (٨٣٩) وابن حبان (٢٠٥٣) ومسند أبي يعلى (٦١٥٦) وغيرهم.

(٢) صحيح: أحمد (١٦٠٦٦) (١٩٠٢٦) (٢٣٢٤٠) وابن حبان (٦٥٦٢) والحاكم (٣٩) (٤٢١٩) وسنن الدارقطني (١٨٦) وغيرهم وانظر صحيح السيرة النبوية للألباني صفحة (١٤٣).

«إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه لا إله إلا الله»(١)

وفي رواية: **«إلى أن يوحدوا الله»**(٢).

وإن قلنا هو واجب فيترتب من جراء هذا الواجب ومن خلاله أثر وفضل عظيم كونك من أهل التوحيد ما شاء الله لك الفضل ومن فضائل التوحيد فضائله كثيرة لكن أعظم ما يكون ما يكفر الله ﷻ به من الذنوب على العباد ولقد استدل المؤلف بقول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] وهذه الآية ذكرها الله ﷻ بعد مناظرة إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر وقومه من سورة الأنعام وهكذا حصل من هذه المناظرة والمجادلة في آيات من سورة مريم فدلل على ذلك بهذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] هذا من فضل التوحيد أن يكون لصاحبه الأمن في الدنيا والآخرة وهكذا أيضا الهداية التامة في الدنيا والآخرة ولقد جاء في صحيح البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه لما نزلت هذه الآية جاء الصحابة إلى النبي ﷺ وقالوا: **يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه؟** فقال: **«ليس كما تفهمون أو كما تقولون ألم تسمعوا قول العبد الصالح: ﴿يَـٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]»**(٣).

ففهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم من الآية مطلق الظلم وهو ظلم النفس يظلم واحد نفسه بأن يكثر عليها من الطاعات أو يلطخها ببعض المعاصي والسيئات

---

(١) البخاري (١٤٢٥) (٤٠٩٠) ومسلم (١٩) وأبو داود (١٥٨٤) والترمذي (٦٢٥) وغيرهم.

(٢) البخاري (٦٩٣٧).

(٣) البخاري (٣٢) (٣١٨١) (٣٢٤٥) (٣٢٤٦) (٤٣٥٣) (٤٤٩٨) (٦٥٢٠) (٦٥٣٨) ومسلم (١٢٤) والترمذي (٣٠٦٧) وغيرهم.

أو يشد عليها ببعض الأعمال الدنيوية المباحة هذا يعتبر من الظلم والظلم وضع الشيء في غير موضعه كما أن العدل عكسه وضع الشيء في موضعه فلذلك نفى الله ﷻ عن نفسه الظلم فقال سبحانه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦] وقال ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾ [النساء:١٢٤] ووصف الله ﷻ نفسه بأنه عليم حكيم فهو صاحب الحكمة أي أنه يجعل الأمور في محلها المناسب لها فهذا من حيث المعنى وأعظم الظلم هو الإشراك بالله ﷻ وهذا إذا تعلق القلب بغير الله ﷻ دعاء ورجاء وخوفا وتوكلا وتملقا يتعلق القلب بغير الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

مـــن يتـــق الله يحمـــد في عواقبـــه	ويكفـه شـر مـن عـزوا ومـن هـانوا
مـــن اســـتجار بغيـــر الله في فـــزع	فـــإن ناصـــره عجـــز وخـــذلان
فـــالزم يـــديك بحبـــل الله معتصـــمًا	فإنـــه الـــركن إن خانتـــك أركـــان

القسم الثاني: الظلم الذي فهمه أصحاب النبي ﷺ ظلم العبد نفسه بالمعاصي والسيئات وبتحميلها من العمل ما لا يطاق هذا لا يجوز إطلاقًا هذا يعتبر من الظلم وهذا يكون أيضًا بين العبد وبين ربه ﷻ

١- **فالنوع الأول ظلم لا يغفر** إن مات صاحبه وهو متلطخ به كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦] هذا النوع الأول.

٢- **النوع الثاني: الظلم الذي يغفره الله** وهو ما يكون بين الناس وبين ربهم ﷻ فهنا يقول عز من قائل في كتابه الكريم: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى:٢٥] ويقول: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر:٥٣] ويقول: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ

ٱهۡتَدَىٰ ﴾ [طه:٨٢] فما كان بينك وبين ربك ﷻ من أمر فإن الله ﷻ إن تبت إليه قبل توبتك وكانت توبتك نصوحة بأن تحظى بشروطها ومن شروطها: الإخلاص والصدق والإقلاع والعزم الأكيد الذي يحملك على أن لا تعود إلى الذنب والندم وقد جاء في حديث صحيح: «**الندم توبة**»(١).

٣- **وأما القسم الثالث من الظلم فهو ظلم لا يتركه الله** وهذا ظلم العبد للناس يأخذ أموالهم يقدح في أعراضهم كما في الحديث أن النبي ﷺ قال:

«**ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال وليس بخارج منها حتى ينزع مما قال**»(٢) ويقول نبينا ﷺ: «**درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية**»(٣) ويقول ﷺ: «**الربا اثنان وسبعون بابا أدناها مثل إتيان الرجل أمه وأربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه**»(٤) وجاء من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ صعد المنبر فنادى بصوت رفيع فقال: «**يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فمن تتبع عورة**

---

(١) صحيح: ابن ماجة (٤٢٥٢) وأحمد (٣٥٦٨) (٤٠١٢) (٤٠١٤) (٤٠١٦) (٤١٢٤) وابن حبان (٦١٢) (٦١٣) (٦١٤) والحاكم (٧٦١٢) (٧٦١٣) (٧٦١٤) وغيرهم وانظر حديث رقم: ٦٨٠٢ في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: أبو داود (٣٥٩٧) والحاكم (٢٢٢٢) والمعجم الكبير (١٣٤٣٥) ومصنف عبد الرزاق (٢٠٩٠٥) وغيرهم وانظر حديث رقم: ٦١٩٦ في صحيح الجامع.

(٣) أحمد (٢٢٠٠٧) والدارقطني (٤٨) (٥٠) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٢٠٠٤) وشعب الإيمان (٥٥١٨) والآحاد والمثاني (٢٧٥٩) وانظر حديث رقم: ٣٣٧٥ في صحيح الجامع.

(٤) المعجم الأوسط (٧١٥١) ومصنف عبد الرزاق (١٥٣٤٥) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٢٠٠٥) وانظر حديث رقم: ٣٥٣٧ في صحيح الجامع.

أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله»[(١)].

ويقول ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»[(٢)] ويقول: «**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه كل المسلم على المسلم حرام»**[(٣)] فهذا ظلم لا يتركه الله ﷻ وفي حديث آخر في صحيح مسلم قال النبي ﷺ: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»**[(٤)] ويقول نبينا ﷺ: «**من كان له مظلمة لأخيه فليتحللها اليوم قبل أن لا يكون الدينار والدرهم وإنما هي الحسنات والسيئات»**[(٥)] وذكر النبي ﷺ قصة رجل خرج مجاهدا في سبيل الله فأخلف جاره على أهله فزنا الجار بحليلة جاره قال: «**فما زال يؤخذ من حسناته ويعطى لصاحبه أي هذا المجاهد هذا يوم القيامة حتى إذا فنيت حسناته أخذ من سيئات صاحبه ووضعت على سيئاته فطرح في النار ثم التفت النبي ﷺ إلى أصحابه قائلا: ما ظنكم إن حصل هذا؟»**[(٦)] ومن حديث ابن مسعود في

---

(١) أبو داود (٤٨٨٠) وأحمد (١٩٧٩١) (١٩٨١٦) ومسند أبي يعلى (١٦٧٥) (٧٤٢٣) وشعب الإيمان (٦٧٠٤) (٩٦٦٠) وغيرهم وانظر حديث رقم: ٧٩٨٤ في صحيح الجامع.

(٢) البخاري (٦٧) (١٠٥) (١٦٥٢) (١٦٥٤) (٤١٤٤) (٥٢٣٠) (٦٦٦٧) (٧٠٠٩) ومسلم (١٦٧٩) والترمذي (٢١٥٩) (٣٠٨٧) وابن ماجة (٣٠٧٤) (٣٩٣١) وغيرهم.

(٣) مسلم (٢٥٦٤) والترمذي (١٩٢٧) والمعجم الكبير (١٨٣) وشعب الإيمان (٦٦٦٠) وسنن البيهقي الكبرى (١١٢٧٦) (١٦٩٠٦).

(٤) مسلم (٢٥٨٢) والترمذي (٢٤٢٠) وأحمد (٧٩٨٣) (٨٨٣٤) (٩٣٢٢) ومسند أبي يعلى (٦٥١٣) وسنن البيهقي الكبرى (١١٢٨٥).

(٥) البخاري (٢٣١٧) وسنن البيهقي الكبرى (٦٣٠٥).

(٦) مسلم (١٨٩٧) وأبو داود (٢٤٩٦) والنسائي (٣١٨٩) وأحمد (٢٣٠٢٧) وابن حبان (٤٦٣٤) =

صحيح مسلم قال نبينا ﷺ وقد سئل: أي الذنب أعظم؟ قال: «**الإشراك بالله**» قال: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**» قال: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك**»(١) وتزاني أبلغ من كلمة تزني فالزنى ربما كان عن اغتصاب أما تزاني فيحمل معه إفساد الزوجة على زوجها وقد قال النبي ﷺ: «**ليس منا من خبب امرأة على زوجها**»(٢) وذلك أنه يغريها إما بجماله وإما بديناره وإما بشيء من الكلام المعسول فيبغضها لزوجها فيزني بها عن رضى واقتناع وهذا من الحقوق وهذا من الظلم الذي لا يتركه الله ﷻ فهذه هي أقسام الظلم الثلاثة: (ظلم لا يغفره الله وهو الشرك - ظلم يغفره الله وهو ما كان بين العبد وربه إذا تاب العبد وحسنت توبته - وظلم لا يتركه الله وهو ما كان بين الناس) وفي حديث يقول النبي ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»(٣) حقوق.

فمن فضائل التوحيد أنه يسبب لصاحبه الأمن وكذلك الهداية وهذا الأمن يكون في الدنيا ويكون أيضًا في الآخرة أمن مطلق وهداية مطلقة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ﴾ أي

=

وغيرهم بلفظ: «حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم وما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة فيأخذ من عمله ما شاء فما ظنكم؟».

(١) البخاري (٤٢٠٧) (٥٦٥٥) (٦٤٢٦) (٧٠٩٤) ومسلم (٨٦) وأبو داود (٢٣١٠) وابن حبان (٤٤١٥) وغيرهم.

(٢) صحيح: أبو داود (٢١٧٥) والمعجم الأوسط (١٨٠٣) ومصنف عبد الرزاق (٢٠٩٩٤) وشعب الإيمان (٥٤٣٣) وانظر حديث رقم: ٥٤٣٧ في صحيح الجامع.

(٣) البخاري (٦٤٧١) ومسلم (١٦٧٨) والترمذي (١٣٩٧) والنسائي (٣٩٩١) (٣٩٩٣) (٣٩٩٤) (٣٩٩٥) (٣٩٩٦) وابن ماجة (٢٦١٥) (٢٦١٧) وغيرهم.

لم يخلطوا إيمانهم بشيء من الظلم قال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ مطلق الأمن ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ هداية عامة شاملة في الدنيا والآخرة وإن حصل شيء من الظلم الذي يغفره أو الذي لا يتركه فحوسبوا بذلك وأوخذوا به لكن مآلهم إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

وفي هذا الباب وهذه الترجمة فائدة مهمة جدا وهو أن فيها رد على الخوارج وعلى المعتزلة على الخوارج الذين يقولون بتخليد صاحب الكبيرة في جهنم وكذلك أيضًا المعتزلة في الذين يقولون: أن صاحب الكبيرة منزل بين منزلتين وهذا ضلال يعني لا هو في الجنة ولا هو في النار فين؟ يعني على آراء المعتزلة وكأنهم حرس على الجنة أو على النار عياذًا بالله عقول زائغة والخوارج الذين أخذوا بآيات الوعيد فسموا أيضًا بالوعيدية ويسمون بالحرورية ويسمون بالأزرقية عدة أسماء والنبي ﷺ يقول: «**الخوارج كلاب أهل النار**»(١) هؤلاء يقولون: إن صاحب المعصية في النار خالدًا مخلدًا فيها أبدًا ومعتقد أهل السنة هو المعتقد الصحيح وهو أنهم يجعلون أهل التوحيد ما حكم لهم به الله ﷻ أو النبي ﷺ بأن مآلهم إلى جنة عرضها السماوات والأرض وإن حصل لهم شيء من التعذيب كما أفصح بذلك الآيات والأحاديث الكثيرة في ذلك بل الأحاديث التي تثبت خروجهم إن لم تصل إلى حد التواتر فهي إلى حد الشهرة أو الإشتهار وذلك أنهم يمحصون بقدر ما اقترفوا من الجرائم والسيئات إن لم يتداركوا بعفو من الله ورحمة منه نسأل الله ﷻ أن يعفو عنا وأن يغفر لنا جميعًا لكن مآلهم إن شاء الله إلى جنة عرضها السماوات والأرض ولما حصل

---

(١) ابن ماجة (١٧٣) والمعجم الكبير (٨٠٤٢) والمعجم الأوسط (٩٠٨٥) والمعجم الصغير (١٠٩٦) وغيرهم وانظر حديث رقم: ٣٣٤٧ في صحيح الجامع.

لبعض القدرية شيء من هذه الأوهام أرسل عمر بن عبد العزيز بورقة فيها سورة الإنسان إلى هذا الرجل من أجل أن يقرأها لأن في آخرها:

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ [الإنسان:٣١] أسأل الله ﷻ بمنه وكرمه وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا وإياكم من أهل الأمن والهداية في الدنيا والآخرة، وهنا كلام لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] قال الصحابة: **أينا يا رسول الله لم يلبس إيمانه بظلم؟** قال: «**ذلك الشرك ألم تسمعوا قول العبد الصالح:** ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]»[١] لما أشكل عليهم المراد بالظلم فظنوا أن ظلم النفس داخل فيه وأن من ظلم نفسه أي ظلم كان لم يكن آمنًا ولا مهتديًا أجابهم صلوات الله وسلامه عليه بأن الظلم الرافع للأمن والهداية على الإطلاق هو الشرك وهذا والله الجواب الذي يشفي العليل ويروي الغليل فإن الظلم المطلق التام هو الشرك الذي هو وضع العبادة في غير موضعها والأمن والهداية المطلق هما الأمن في الدنيا والآخرة والهدى إلى الصراط المستقيم فالظلم المطلق التام رافع للأمن والإهتداء المطلق التام ولا يمنع أن يكون الظلم مانعا من مطلق الأمن ومطلق الهداية فتأمله فالمطلق للمطلق والحصة للحصة انتهى ملخصًا.



(١) البخاري (٣٢) (٣١٨١) (٣٢٤٥) (٣٢٤٦) (٤٣٥٣) (٤٤٩٨) (٦٥٢٠) (٦٥٣٨) ومسلم (١٢٤) والترمذي (٣٠٦٧) وغيرهم.



وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شريكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ» أخرجاه[1].



فهذا هو الفصل الثاني أو الباب الثاني من كتاب التوحيد لشيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وهو: **ما يتعلق بفضل التوحيد.**

لأن الباب الأول يتحدث عن وجوب التوحيد والباب الثاني عن فضل التوحيد وقد تقدم لكم في الدرس السابق أنه وإن ذكر المؤلف أو الخطيب أو الواعظ فضلا لعمل لا يدل ذلك على أن العمل ليس بواجب فالوجوب شيء وفضل هذا العمل شيء آخر وبعد أن عقد الباب وترجمه بفضل التوحيد وما يكفر من السيئات إستدل بقول ربنا جل وعلا من سورة الأنعام: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] ثم أتبع ذلك بما يوافق المعنى بحديث عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه وأرضاه وهو عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي يكنى بأبي الوليد وهو أحد النقباء حضر بدرا وهو صحابي مشهور من السابقين الأول رضي الله تعالى عنه وأرضاه هذا الصحابي الجليل يروي لنا عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وشهد أن محمدا عبده**

(١) البخاري (٣٢٥٢) ومسلم (٢٨) وأحمد (٢٢٧٢٧) وابن حبان (٢٠٧) وسنن النسائي الكبرى (١٠٩٧٠) (١١١٣٢).

ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»(١)،

ففي قول نبينا ﷺ: من: هذه تسمى شرطية وهي من أسماء الشرط المتفق عليها من ومهما وإذما تسعة أسماء للشرط متفق على إسميتها ولا بد أن تجزم فعلين الأول فعل الشرط والثاني يكون جوابا له وجزاء.

وقوله: شهد: الشهادة هي الإخبار بالشيء عن علم به ويقين مع اعتقاد صحته وثبوته وإلا كانت هذه الشهادة مرفوضة باطلة لذا كذب الله ﷻ المنافقين الذين يخالف بواطنهم ظواهرهم قال الله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون:١] قال الله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١] فلم تكن شهادتهم مبنية على اعتقاد وإنما هي شهادة من الألسن،

قد قيل ما قيل إن صدقًا وإن كذبًا فما اعتذارك من قول إذا قيل

فلا بد أن تكون الشهادة بحق عن علم ويقين واعتقاد صحة حتى تكون هذه الشهادة مقبولة هذا على وجه العموم سواء كانت شهادة كلمة التوحيد أو شهادة لرسول الله ﷺ بصدق الرسالة والنبوة أو ببراءة عيسى من أن يكون ولد زنا أو أن تشهد على حقوق الناس وما إلى ذلك فقد جاء في الجزء الثامن من إرواء الغليل بتحقيق العلامة الألباني رحمه الله أن عمر بن الخطاب قال: «**من يعرف فلانا قال رجل أنا قال: هل سافرت معه؟ هل عرفته بليله ونهاره؟ هل عاملته بالدينار والدرهم؟ قال: لا قال: إذن أنت لا تعرفه**» والله ﷻ يقول:

---

(١) تقدم تخريجه.



﴿سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:١٩] ويقول سبحانه: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦] إذا فلا بد من التحري وقد تقدم لكم في الدورة السابقة من تدريس هذا الكتاب قولا لبعض السلف أن بعض السلف قال: كانوا يضربوننا على الشهادة، وما ذلك إلا لأهميتها وقديمًا قالوا:

أنـــت يـــا أســـتاذ موفـــور الأدب ... لا تزكـــي كـــل مـــن هـــب ودب

فلا بد من التحري ولا بد من الإنتباه ولا بد من العلم واليقين والإعتقاد ولا تحابي في ذلك أحدًا فقد ذكر ابن مفلح في الآداب الشرعية أنه قال: إرضاء الناس بخلاف ما تعتقده وبال في الآخرة.

و في قوله: «**من شهد أن لا**» هنا أن تسمى مخففة من الثقيلة واسمها يكون ضمير الشأن محذوف وغلط أن تثقل أو أن تشدد كما يقول بعض المؤذنين أشهد أنّ لا إله هذا غلط بل لا بد أن تطبق في أحكام التجويد أنّ أن هاهنا عليها سكون وبعدها لام من حروف الإدغام الكامل بغير غنة فلا بد أن تدغم أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ المشددة لا يجوز حذف اسمها أما هذه أن التي هي مخففة من الثقيلة وتعمل عمل إن يجوز حذف اسمها كما قال الشاعر:

كـأن ثـدياه وصـدر مشـرق اللـون ... كـــأن ثـــــديار حقـــــان

أي كأن هو وآخر أيضًا قال:

بأنـــك ربيـــع وغيـــث مريـــع ... وأنـــت هنـــاك تكـــون الثمـــالا

على حد قوله كما ذكر هذا ابن هشام في قطر الندى ومنه قوله ﷻ: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم﴾ [المزمل:٢٠] في آخر سورة المزمل فأن هاهنا مخففة من الثقيلة وأن لا إله أي أن لا مألوه ثم قال: إلا الله هذا استثناء ففي هذا نفي وإثبات - أن لا إله إلا الله - لا إله

نفي لجميع الآلهات، لا إله ثم إلا الله فالكلام فيه نفي وفيه إثبات للألوهية الحقة للذات الإلهية وهو ربنا ﷻ فلو كان نفيا محضا لاقتضى التعطيل لا إله يقتضي التعطيل كما هو حال الصوفية في مساجدهم الصف الأول يقول: لا إله لا إله لا إله - الصف الثاني يقول: إلا الله إلا الله إلا الله هذا ذكر غير مشروع بل لا بد من عبارتين وكلمتين ملتصقتين لا تنفك إحداهما عن الأخرى لا إله إلا الله ولو كان إثباتا من غير نفي لم تمتنع المشاركة لو كان نفيا محضًا لوجب عدم الآلهة ولو كان إثباتًا محضًا ما كان في ذلك نفي للمشاركة فلما كان هناك نفي مطلق وإثبات ألوهية الله ﷻ تبين أن ألوهية ربنا ﷻ هي الألوهية الحقة كما قال ربنا ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢] فلا بد من هذين الركنين وأن هذه الكلمة مبنية على هذين الأساسين نفي وإثبات لا إله إلا الله ومعنى هذه الكلمة أي: لا معبود بحق إلا الله ﷻ وإن عبد غيره فبباطل هذا هو التعريف الصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة ومذهب السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وهذه الكلمة تعرفون وهذه من بدائيات علوم الطلاب أن لها سبعة شروط كما قال الناظم:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع ... محبة وانقياد والقبول لها

وما زاده حافظ أحمد حكمي في معارج القبول قائلًا:

وزيد ثامنها الكفران منك بما ... سوى الإله من الأشياء قد ألها

فلا بد من هذه الشروط السبعة:

١- العلم المنافي للجهل لأن الله ﷻ يقول: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

٢- ولا بد من اليقين المنافي للشك كما قال الله ﷻ:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات:١٥].

٣- الإخلاص المنافي للشرك أو الرياء قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥].

٤- ولا بد من الصدق المنافي للكذب كما قال سبحانه: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣].

٥- ولا بد من المحبة المنافية للبغض كما قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة:١٦٥].

٦- الإنقياد المنافي لعدمه كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦].

٧- سابعها القبول المنافي للرد أو للترك أو لعدمه كما قال ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

والعلم بهذه الكلمة قد يكون أمرا غريزيا فطريا كما قال ربنا سبحانه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الروم:٣٠] وكما قال نبينا ﷺ:

«**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»(١) وإما أن يكون

(١) البخاري (١٣١٩) ومسلم (٢٦٥٨) وأبو داود (٤٧١٤) والترمذي (٢١٣٨) وأحمد (٧١٨١) وغيرهم.

أمرا مكتسبا من خلال النظر في الآيات البصرية والآيات السمعية كما قال الناظم:

وفي كــل شــيء لــه آيــة تــدل علــى أنــه واحــد
فيــا عجبــا كيــف يعصــى الإلــه؟ أم كيــف يجحــده الجاحــد؟

ولا إله إلا الله كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وغيره من أهل العلم: لأجلها خلقت السماوات والأرض والكون كله ومن أجله حقت الحاقة وتقوم القيامة وانصرف الناس فريق في الجنة وفريق في السعير ومن أجلها نصبت الموازين للخلق في عرصات القيامة فهذه الكلمة العظيمة لها شأن رفيع حتى قال رجل لوهب بن منبه وهذا الأثر في صحيح البخاري قال له: **أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟**

قال: «بلى مفتاح الجنة لا إله إلا الله ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان»[(١)] فلا بد من معرفة شروطها فإنها لا تنفع فقد قالها أناس ومع ذلك ما نفعتهم ما تنفع هذه الكلمة إلا بأن نعرف شروطها وأركانها ونعمل بمقتضاها وذلك أنها تنفي الشريك عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتثبت الألوهية الحقة له وحده لا شريك له فإذا كان الأمر كذلك فإن العبد يحظى بها في ذلك اليوم كما جاء في حديث البطاقة وهو ثابت في جامع الإمام الترمذي أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«ينشر للعبد يوم القيامة تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم توضع هذه السجلات في كفة وإذا ظن العبد أنه هالك يقال له: بقي لك بطاقة عندنا فيؤتى ببطاقة مكتوب عليها لا إله إلا الله فتوضع في كفة فتطيش بتلك الصحائف كلها»[(٢)].

---

(١) البخاري باب في الجنائز ومن كان آخر كلامة لا إله إلا الله (١ / ٤١٥).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجة (٤٣٠٠) والحاكم (١٩٣٧) والمعجم الأوسط (٤٧٢٥) وانظر حديث رقم: ٨٠٩٥ في صحيح الجامع.



ومن فضائل هذه الكلمة أن النبي ﷺ قال لعمه أبي طالب: «**يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاجّ لك بها عند الله**»(١) وتسمى بالكلمة الطيبة وبالعروة الوثقى وتسمى أيضًا بكلمة التقوى وكلمة التوحيد والنبي ﷺ كان يخرج إلى الناس لا سيما أيام الموسم فيقول: «**أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**» فقد روى ابن حبان من حديث طارق بن عبد الله المحاربي وهو صحابي صغير قال: رأيت النبي ﷺ في عكاظ ومجنة وذي المجاز وهو يقول: «**أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**» ورجل يتبعه يرميه بالحجارة قد أدمى كعبيه وعرقوبيه فقلت: **من هذا؟** قالوا: هذا عبد العزى أبو لهب فقلت: **ومن هذا الذي قد أدمى رجليه وعرقوبيه؟** قالوا: هذا غليم عبد المطلب قال وسمعته يقول للناس: «**أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»(٢) إذن لابد من معرفة هذه الكلمة لا بد من معرفتها ولا بد من تكرارها فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:

«**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب**»(٣) ولا بد عند الضيق والكرب أن نلجأ إليها كما جاء من حديث ابن عباس في البخاري أن النبي ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش الكريم لا إله إلا الله**

---

(١) البخاري (١٢٩٤) ومسلم (٢٤) وابن حبان (٩٨٢) بلفظ: «يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله» والمعجم الكبير (٨٢٠) بلفظ: «كلمة أحاج لك بها عند الله».

(٢) أحمد (١٦٠٦٦) (١٩٠٢٦) (٢٣٢٤٠) وابن حبان (٦٥٦٢) والحاكم (٣٩) (٤٢١٩) وسنن الدارقطني (١٨٦) وغيرهم وانظر صحيح السيرة النبوية للألباني صفحة (١٤٣).

(٣) البخاري (٦٠٤٠) ومسلم (٢٦٩١) وابن حبان (٨٤٩) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٩٤٧٦).

رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم»[(١)] ومرة يخرج النبي ﷺ مع أصحابه والقصة في صحيح البخاري ومسلم فينزل تحت شجرة ويتفرق أصحابه ويعلق النبي ﷺ سيفه على شجرة فيأتي أعرابي فيخترط السيف ثم يقول للنبي ﷺ: **من يمنعك مني؟** فاحتمى نبينا ﷺ بالله ﷻ وباسمه قال: الله الله فشلت يد الأعرابي فسقط السيف من يده ثم أخذه النبي ﷺ وهزه في وجه الأعرابي قال: «**من يمنعك مني يا أعرابي؟**» قال: كن خير آخذ فدعا النبي ﷺ أصحابه ثم قال لهم لقد حصل كذا وكذا[(٢)].

والشاهد أن النبي ﷺ التجأ إلى الله وهذا من مدلول لا إله إلا الله ما قال: يمنعني أصحابي وهكذا ما جاء في مسند الإمام أحمد «**أن رجلا انتمى إلى الإسلام ورجل انتمى إلى تسعة أنفس فقال الأول الذي انتمى إلى العصبية والطائفية قال: أنا فلان بن فلان بن فلان بن فلان عد تسعة أنفس قال للآخر: من أنت لا أم لك؟ فقال الثاني: أنا فلان بن فلان بن الإسلام فأوحى الله إلى ذلك النبي أن يخبر هذين المتسببين أن يقول للأول: انتسبت إلى تسعة فأنت عاشرهم إلى النار وقال للآخر: انتسبت إلى ثلاثة أو إلى اثنين أنت ثالثهم أو رابعهم في الجنة»**[(٣)] وهكذا أيضا كان النبي ﷺ إذا تقلب في الليل يقول: «**لا إله إلا الله الواحد القهار رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز**

---

(١) البخاري (٥٩٨٥) (٥٩٨٦) (٦٩٩٤) ومسلم (٢٧٣٠) والمعجم الكبير (١٢٧٥٠) والمعجم الأوسط (١٠١٠) وسنن النسائي الكبرى (٧٦٧٤) (٧٦٧٥) (١٠٤٩٠).

(٢) البخاري (٢٧٥٣) (٣٩٠٥) (٣٩٠٦) (٣٩٠٨) ومسلم (٨٤٣) وأحمد (١٤٣٧٤) (١٤٩٧٠) (١٤٩٧١) (١٥٢٢٧) وابن حبان (٢٨٨٢) (٢٨٨٣) وابن حبان (٤٥٣٧) وغيرهم.

(٣) أحمد (٢١٢١٦) ومسند عبد بن حميد (١٧٩) وانظر حديث رقم: ١٤٩٢ في صحيح الجامع.

الغفار»[١] جاء من حديث عبادة في البخاري أن النبي ﷺ قال: «**من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» وفي خارج الصحيحين «**يحي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير**»[٢] الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر أستجيب دعاؤه فإن صلى قبلت صلاته»[٣] فهذه الكلمة لا بد أن نكثر منها ومن فضائلها أنها إذا ختم لك الله ﷻ بها كنت من أهل الجنة كما في الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «**من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة**»[٤] وهو تفسير لقوله ﷻ:

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:٢٧]

فأكثر من لا إله إلا الله أكثر منها وعود لسانك على أن تمرنها عليها وهكذا أيضًا جاء حديث حسنه الشيخ الألباني كما في مقدمة الترغيب والترهيب وهو المعروف بحديث السوق:

«**أن من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد**

(١) صحيح: ابن حبان (٥٥٣٠) والحاكم (١٩٨٠) وسنن النسائي الكبرى (٧٦٨٨) (١٠٧٠٠) وانظر حديث رقم: ٤٦٩٣ في صحيح الجامع.

(٢) هذه الزيادة صحيحة وانظر حديث رقم: ٦١٥٦ في صحيح الجامع.

(٣) البخاري (١١٠٣) وأبو داود (٥٠٦٠) والترمذي (٣٤١٤) وابن ماجة (٣٨٧٨) وأحمد (٢٢٧٢٥) وسنن الدارمي (٢٦٨٧) وابن حبان (٢٥٩٦) وسنن البيهقي الكبرى (٤٤٤٣) وسنن النسائي الكبرى (١٠٦٩٧).

(٤) صحيح: أبو داود (٣١١٦) والحاكم (١٢٩٩) (١٨٤٢) والمعجم الكبير (٢٢١) وشعب الإيمان (٩٤) (٩٢٣٧) وانظر حديث رقم: ٦٤٧٩ في صحيح الجامع.

يحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخيروهو على كل شيء قدير كتب الله ﷻ له ألف ألف حسنة ورفعه ألف ألف درجة وحط عنه ألف ألف خطيئة»[١] **فمن الذي يرغب عن مثل هذا الخير الكثير؟** وشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ له كلام طويل جدًا حول هذه الكلمة وما فيها من الخير للعبد في الدنيا والآخرة وتأملوا إلى العرب لما جاءهم النبي ﷺ وطلب منهم أن يقولوا هذه الكلمة عرفوا معناها لأنهم كانوا عربا سليقة يفهمون معاني ووقع أو ألفاظ اللغة العربية فأبى بعضهم أن يقولها وهو محروم كما قيل:

ولكن اللئيم عن المكارم يشغل

لا حول ولا قوة إلا بالله والذين نطقوا بها ولفظوا بها فازوا بخيري الدنيا والآخرة وهكذا - بارك الله فيكم - يجب على الشخص أن يفتق لسان أولاده بلا إله إلا الله وأن يكثر من النطق بها هو لا سيما أدبار الصلوات فقد جاء من حديث ثوبان أن النبي ﷺ كان إذا انتهى من صلاته يقول: «**أستغفر الله**»[٢] فقيل: كان يستغفر الله ثم يقول «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»[٣] قيل

---

(١) حسن: الترمذي (٣٤٢٨) (٣٤٢٩) وابن ماجة (٢٢٣٥) والدارمي (٢٦٩٢) والحاكم (١٩٧٤) (١٩٧٤) وغيرهم وانظر حديث رقم: ٦٢٣١ في صحيح الجامع.

(٢) مسلم (٥٩١) والنسائي (١٣٣٧) وابن خزيمة (٧٣٨) وسنن النسائي الكبرى (١٢٦٠) (٩٩٦٧) ومسند الشاميين (١٠٨٨).

(٣) البخاري (٨٠٨) (٥٩٧١) (٦٢٤١) (٦٨٦٢) ومسلم (٥٩٣) وأبو داود (١٥٠٥) والنسائي (١٣٤١) (١٣٤٢) وغيرهم.

للزهري: كيف يستغفر؟ قال: يقول: أستغفر الله أستغفر الله وهكذا أيضًا: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون**»(١) هذه أدبار الصلوات، وهكذا فيما يتعلق بأذكار الصباح والمساء وما يتعلق بأذكار النوم وليس كما قال ابن القيم: ليس الأذكار عبارة عن كلام يردد صباحا ومساء وإنما هو عبارة عن توحيد يهتف به لله ﷻ صباحًا ومساءً بهذا القدر إن شاء الله ﷻ نكتفي.

قوله ﷺ: «وأن محمدا عبده ورسوله»:

أي من شهد أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر يتصل نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم من شهد أن هذا الرجل ذا النسب الزاكي الطاهر الشريف من شهد أنه عبد الله ورسوله وقد جمع هاتين اللفظتين في جملة واحدة دفعا للإفراط والتفريط وقد كان الناس في هذا النبي محمد ﷺ ثلاث طوائف:

١- **فطائفة غلت في رسول الله ﷺ** والغلو هو المبالغة في الشيء ومجاوزة الحد ويعبر عنه بالتشدد والتنطع والنبي ﷺ يقول:

«**هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون**»(٢) فطائفة غلت في رسول الله وهذه الطائفة تسمى بالصوفية فرفعوا نبينا ﷺ إلى مقام الألوهية والربوبية بل ربما

---

(١) مسلم (٥٩٤) والنسائي (١٣٤٠) وأحمد (١٦١٥٠) ومسند أبي يعلى (٦٨١١) وغيرهم.

(٢) مسلم (٢٦٧٠) وأحمد (٣٦٥٥) ومسند أبي يعلى (٥٠٠٤) (٥٠٠٧) (٥٢٤٢) ومسند البزار (١٨٧٨) وغيرهم.

جعلوه أرفع من الذات الإلهية وهذا لا يجوز ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تطروني - أي لا ترفعوني فوق منزلتي - كما طرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**»(١) فهؤلاء بالغوا في رسول الله وأخرجوه عن مقام العبودية إلى مقام الألوهية بل أرفع من ذلك كما قال البوصيري في أبيات يمدح فيها النبي ﷺ في قصيدة تسمى بالبردة قال:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

إن لم تكن آخذا يوم المعاد يدي ... فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

فإن من جودك الدنيا وضرتها - وضرة الدنيا الآخرة -

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

قال ابن رجب رحمه الله: هذا ما ترك لله شيئا جعل علوم اللوح والقلم لرسول الله وباتفاق بل بنص القرآن والسنة وبإجماع المؤمنين أن رسول الله لا يعلم الغيب أما من القرآن فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨] وأما من السنة فقد دخل النبي ﷺ على امرأة تنشد شعرًا بمناسبة فرح من الأفراح وهي تقول:

أعد لها كبشا في المربد ... وفينا رسول الله يعلم ما في غد

قال رسول الله ﷺ: «**لا يعلم ما في غد إلا الله**»(٢) ولما سأل جبريل النبي ﷺ عن

---

(١) البخاري (٣٢٦١) (٦٤٤٢) وأحمد (١٥٤) (١٦٤) (٣٣١) (٣٩١) والدارمي (٢٧٨٤) وابن حبان (٤١٣) (٤١٤) (٦٢٣٩) وغيرهم.

(٢) المعجم الأوسط (٣٤٠١) والمعجم الصغير (٣٤٣) وسنن البيهقي الكبرى (١٤٤٦٦) (١٤٤٦٧) وانظر آداب الزفاف للألباني (١٠٩ - ١١٠).

الساعة قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»(١) ويقول سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف:١٨٨] فرسول الله ﷺ بشر مربوب وفيه جميع الصفات البشرية التي في عباد الله ما عدا شيئًا واحدًا فهو يكون ممتنع في حق النبي ﷺ وذلك سفاسف الأخلاق ورذالتها فرسول الله ﷺ أرفع من ذلك وقد كان يدعو الله ﷻ يسأله أن يعطيه مكارم الأخلاق وأن يزيح عنه أسافلها أو سفاسفها وإلا فهو بشر من البشر الفارق بيننا وبينه أنه يوحى إليه ولا شك أن الله قد أوجب علينا طاعته قال سبحانه:

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ﴾ [فصلت:٦]

أي اتجهوا إليه بالدعاء والخوف والرجاء وإلا فأنا بشر مثلكم فهو عبد ولما ذكرت هذه العبارة لينفى عنه أن يكون شريكا مع الله وهو رسول الله ليس كاذبًا على الله ﷻ قال سبحانه:

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ [الإسراء:١] وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ [الجن:١٩] وقال سبحانه:

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [الكهف:١] فهناك طائفة كما أسلفت وهي الصوفية شذت في هذا الباب وألهت الرسول ورفعته فوق منزلته وهو ﷺ يقول: «**أفلا أكون عبدا شكورا**»(٢) فلا يجوز المغالاة فيه وليس بصحيح أنه نور

---

(١) البخاري (٥٠) (٤٤٩٩) ومسلم (٨) (٩) والترمذي (٢٦١٠) وابن حبان (١٥٩) (١٧٣) وشعب الإيمان (١٩) وغيرهم.

(٢) البخاري (١٠٧٨) (٤٥٥٦) (٦١٠٦) ومسلم (٢٨١٩) (٢٨٢٠) والترمذي (٤١٢) والنسائي (١٦٤٤) وابن ماجة (١٤٢٠) وغيرهم.

كما تقول الصوفية في قصائدها أنه نور في الصحيحين من حديث عائشة أنها كانت مستندة أي معترضة بين يدي رسول الله ﷺ قالت: «**فإذا قام بسطت رجلي فإذا سجد غمزني فقبضتهما وليس في البيوت آنذاك مصابيح**»(١) وما أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أخبر أن رسول الله نور وليس بصحيح أنه قال لجابر: «**يا جابر إن الله نور عرشه من نور نبيك يا جابر**»(٢) هذا كذب على رسول الله فرسول الله ﷺ بشر جعله الله عبدا ورسولا بل هو خاتم الأنبياء والمرسلين كما قال ﷻ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠] ويقول النبي ﷺ:

«**إن النبوة والرسالة قد انقطعت فلا نبي بعدي ولا رسول**»(٣) فلا يجوز في حقه التنطع وإطراؤه ورفعه فوق منزلته

فلا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

فهذا هو القسم الأول من الناس وهو الإفراط.

٢- **القسم الثاني: التفريط** والمراد بالتفريط الترك فكم من الناس اليوم من نأى وأبى أن يتابع رسول الله ﷺ وهو القائل: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا:**

---

(١) البخاري (٣٧٥) (٤٩١) ومسلم (٥١٢) والنسائي (١٦٨) وأحمد (٢٥١٩١) (٢٥٩٢٦) وابن حبان (٢٣٤٢).

(٢) وانظر كلام الشيخ الألباني في تضعيف الأحاديث التي تدل على أن النبي ﷺ نور في السلسلة الصحيحة عند حديث رقم (٤٥٨).

(٣) صحيح: الترمذي (٢٢٧٢) وأحمد (١٣٨٥١) والحاكم (٨١٧٨) وغيرهم وانظر حديث رقم: ١٦٣١ في صحيح الجامع.

ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»[١] ويقول سبحانه في كتابه الكريم: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] فالواجب أن تأخذ ما جاء به النبي ﷺ.

٣- والقسم الثالث من الناس هم المتبعون له المتمسكون بسنته وهم أهل السنة والجماعة من المؤمنين من عهد النبي ﷺ إلى قيام الساعة إذن عندنا ثلاثة أقسام: مفرِط - ومفرِّط - ومتبع.

القسم الأول بالغ والقسم الثاني ميع وترك والقسم الثالث اتبع، اتبع النبي ﷺ فهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويعتقد في رسول الله أنه عبد الله ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة وتحمل الأذى في ذات الله حتى قال ﷺ:

«**لقد أوذيت وما يؤذي أحد**»[٢] وكان ﷺ يخرج من داره فيرى الأذى والأشواك والأزبال بجانب بيته فيقول: «**يا بني عبد مناف أي جوار هذا؟**» لا يزيد على هذه العبارة لأنه من أحلم الناس ومن أحسن الناس أخلاقا يقول: «**أي جوار هذا يا بني عبد مناف؟**»[٣] وكان ساجدا في مكة وينظر إليه ابن مسعود وهو ضعيف وفقير ومضطهد فقال عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وأبو جهل: من ينطلق إلى جزور بني فلان فيأتي بسلاها فيضعه على ظهر محمد إذا سجد فذهب أشقاهم وجاء بالسلا سلا الإبل وهو قطعة كبيرة من السلا فيضعه على ظهر

(١) البخاري (٦٨٥١) والحاكم (٧٦٢٦).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٤٧٢) وابن ماجة (١٥١) وأحمد (١٢٢٣٣) (١٤٠٨٧) وابن حبان (٦٥٦٠) ومسند أبي يعلى (٣٤٢٣) وغيرهم وانظر حديث رقم: ٥١٢٥ في صحيح الجامع.

(٣) السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ١٢٣، ١٤٨).

النبي ﷺ فما زال ساجدًا حتى جاءت ابنته فأزالته ثم أقبلت على المشركين تسبهم فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «**اللهم عليك بعقبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وأبي جهل بن هشام**»

قال ابن مسعود: «**والله لقد رأيت أولئك النفر صرعى يوم بدر**»(١) دعا عليهم النبي ﷺ فالطائفة الثالثة والقسم الثالث من الناس حضي بمتابعة النبي ﷺ فكان متلمسا لخطاه جعل النبي ﷺ قدوة وقيادة له في هذه الدنيا من أجل أن يحظى بالخير الكثير يوم القيامة وقد روى البخاري في كتاب البيوع من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن عبد الله بن عمرو بن العاص وجد زاملة يوم اليرموك فيها «**إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزًا للأميين أنت عبدي ورسولي سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويتجاوز ولن أقبضه حتى يقيم الملة المتعوجة بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله يفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا**»(٢) هذا ثابت في صحيح البخاري وفيه أوصاف النبي ﷺ وأما أسماؤه: فهو محمد بنص القرآن كما سبحانه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب:٤٠] وكما قال سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران:١٤٤] وتسمية أخرى ببشارة عيسى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦] وجاء في رواية أنه ﷺ قال: «**أنا العاقب والحاشر والماحي - الحاشر يحشر الناس على عقبيه والماحي يمحو الله به الكفر - ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي**

---

(١) البخاري (٤٩٨) ومسلم (١٧٩٤) وسنن النسائي (٣٠٧) وسنن البيهقي الكبرى (١٧٥٠٧) وسنن النسائي الكبرى (٢٩٦).

(٢) البخاري (٢٠١٨) (٤٥٥٨) وأحمد (٦٦٢٢) وغيرهم.

الملحمة»[(١)] هذه أسماؤه وأوصافه ﷺ ونقول: لا خيرية ولا فلاح ولا سعادة ولا خير في الدنيا ولا في الآخرة لأي عبد من الناس إلا بمتابعة سيد الأولين والآخرين وخليل رب العالمين محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي بعثه الله رحمة للعالمين وحجة على الناس أجمعين والذي جعله الله ﷻ حريصًا على الأمة كما قال ﷻ في كتابه الكريم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] فهو حريص على المؤمنين في الدنيا كما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال ﷺ: «**مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الجراد والهوام يقعن فيها وهو يذبهن عنها قال: وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تفلتون من يدي**»[(٢)] ومن حرصه يوم القيامة أنه إذا جمع الله الأولين والآخرين كما جاء من حديث أنس أنه ﷺ كان على طعام فنهس نهسة من الذراع وكانت تعجبه فقال: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر أتدرون من ما ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين فيقول بعضهم لبعض أنظروا من يشفع لكم إلى الله فيأتون آدم يقولون: أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه إشفع لنا إلى ربك فيقول آدم: إن الله قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد نهاني عن أكل الشجرة نفسي نفسي نفسي إذهبوا إلى أول رسول إلى أهل الأرض إذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيعتذر ثم إبراهيم فيعتذر ثم موسى فيعتذر عيسى فيعتذر فيقول لهم عيسى: ءأتوا محمدا ﷺ عبدا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فإذا**

---

(١) البخاري (٣٣٣٩) (٤٦١٤) ومسلم (٢٣٥٤) (٢٣٥٥) والترمذي (٢٨٤٠) وأحمد (١٦٧٨٠) (١٦٧٩٤) (١٦٨١٦) (١٦٨١٧) وغيرهم.

(٢) مسلم (٢٢٨٥) وأحمد (١٤٩٣٠) (١٥٢٥٠) ومسند الطيالسي (١٧٨٤).

جاءت الخلائق وسألته الشفاعة العظمى وهو إراحة الناس من موقف عظيم ومشهد مخيف يوم القيامة يقول ﷺ: أنا لها قال: فأخر تحت العرش ساجدا فأحمد ربي بمحامد لم أكن أعلمها من قبل فيقول الله: محمد أي يا محمد إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيقول: ربي أمتي»[(١)] حريص عليهم في الدنيا وهو الحريص عليهم أيضًا يوم القيامة سبحان الله حريص علينا والواحد منا ربما لا يحرص على متابعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإن الكثير من الناس ربما يتسببون في نقض هذه الشهادة شهادة أن محمدا رسول الله يعني بعض الناس تقول له:

تشهد أن محمدا رسول الله؟ نعم يشهد أن محمدا رسول الله وربما يعرف المعنى أيضا أنه لا متبوع بحق إلا رسول الله وغير رسول الله إن اتبع فيما لا دليل عليه فاتباعه بباطل ويعرف أنه يجب طاعته فيما أمر والإنتهاء عما نهى عنه وزجر لكنه يأتي بنواقض ينقض بها هذه الشهادة وأعظم النواقض ناقضان اثنان:

١- **أما الناقض الأول**: فمطلق الذنوب والمعاصي مخالفة لرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

٢- **وأما الناقض الثاني**: فهو الإبتداع في دينه وفي سنته لأنه ﷺ يقول:

«تركتكم على مثل البيضاء»[(٢)] ويوم القيامة حينما يزدحم الناس يريدون أن يشربوا من حوضه قال: **«فتأتي ملائكة فتذودهم عن الحوض فأقول: ربي أمتي فينقطع ما بيني وبينهم فأقول: ربي أمتي أمتي فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**

(١) البخاري (٤٤٣٥) ومسلم (١٩٣) (١٩٤) والترمذي (٢٤٣٤) وأحمد (٩٦٢١) وغيرهم.

(٢) صحيح: ابن ماجة (٤٣) وأحمد (١٧١٨٢) والحاكم (٣٣١) والمعجم الكبير (٦١٩) (٦٤٢) ومسند الشاميين (٢٠١٧) وانظر حديث رقم: ٤٣٦٩ في صحيح الجامع.

فأقول: سحقا لمن غير وبدل»(١) نسأل الله السلامة والعافية.

مشكلة كبرى يا إخوان البدعة في الدين أمرها خطير وعظيم فما بعد البدعة إلا الكفر.

والمراد بالبدعة: الاختراع الإبتداع بمعنى الإختراع، وفي الاصطلاح: هو التعبد بما لم يشرعه الله أو رسول الله ﷺ فيكون من أخطر ما يكون أن يكون النبي ﷺ قد سن لنا أمورا وبين لنا سننا وترك لنا سنة وخيرا فنأتي نحن ونقدم عقولنا أو أقوالنا أو بعض المبررات وبعض الناس ربما قال: هذه من السنن الحسنة ورسول الله لا يحتاج إلى سنة سيئة ولا إلى سنة حسنة لأن دينه شامل وكامل قال ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣] والنبي ﷺ قال للصحابة يوم الحج يوم عرفة وهو يخطب بهم وكانوا زهاء مائة ألف قال:

«**هل بلغت؟**» قال الصحابة: نعم قال: «**اللهم فاشهد**» ويشير بأصبعه السبابة إلى السماء إعترافا واعتقادا أن الله ﷻ في السماء فيقول: «**اللهم فاشهد**»(٢) فهو بلغ وأدى وما حصل شيء من التقصير بل قال بعض الصالحين: من ابتدع في الدين بدعة يزعم أنها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة، وجاء رجل إلى مالك بن أنس قال له: تناظرني قال مالك: إن غلبتك قال: اتبعتك قال: فإن غلبتني قال: اتبعتني قال مالك: إني على يقين من ديني أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل نترك ما جاء به جبريل على

---

(١) البخاري (٦٢١٢) ومسلم (٢٢٩٥) وأحمد (١١٢٣٦) (٢٢٩٢٤) والمعجم الكبير (٦٦١).

(٢) صحيح: ابن ماجة (٣٠٧٤) وسنن الدارمي (١٨٥٠) وصحيح ابن خزيمة (٢٨٠٩) وابن حبان (٣٩٤٤) وسنن البيهقي الكبرى (٨٦٠٩) وسنن النسائي الكبرى (٤٠٠١) وغيرهم وانظر صحيح سنن ابن ماجة للألباني رحمه الله برقم (٢٤٩٤).

قلب محمد ﷺ لقول أحد من الناس وأبى أن يناظره وقال: أنا على ثبات من ديني، وأعظم شيء في هذا الزمان أن تكون متابعا لسنة النبي ﷺ ويتمثل هذا بعلماء أهل السنة والجماعة لا سيما في هذا الزمان اللجنة الدائمة هيئة كبار العلماء العلماء الكبار الذين لم يتركوا شيئًا من الدين إلا بينوه فيعض على مثل هؤلاء بالنواجذ ولا ينبغي متابعة المبتدعة من صوفية أو شيعية أو من القوم الذين يتحزبون لحزبياتهم ولطرقهم فينبغي أن ينأى المسلم على وجه العموم وطالب العلم على وجه الخصوص حتى يكون قد أرضى الله سبحانه وتعالى وحضي بمتابعة النبي ﷺ لأن متابعته صمام أمان كما قيل:

ظنوا النجاة بغير دين محمد ... تبا لهم من ذلك الظن الردي
العز بالإسلام يا دنيا اسمعي ... والنصر معقود بمبدأ أحمد
من حاد عن نهج الكتاب وما به ... لا خير فيه وبالمذلة مقتدي

قول نبينا عليه الصلاة والسلام: «**وأن عيسى عبد الله ورسوله**» أي من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وكذلك شهد أيضًا أن عيسى عبد الله ورسوله وعيسى عليه الصلاة والسلام نبي من الأنبياء جعله الله عز وجل آية يبتلي بها من شاء من خلقه فقد خلقه الله عز وجل من أم من غير أب وكان لله عز وجل الحكمة البالغة والقدرة العظيمة فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المائدة: ٤٢ - ٤٥] فكان الله عز وجل آمرا هذه الكلمة أن يخلق منها هذا النبي الكريم بقوله كن فيكون فحملت به

مريم بنت عمران البتول العذراء الطاهرة الزكية النقية فضربها المخاض وكان من أمر الله ما قصه علينا في كثير من سور القرآن: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٧ - ٢٨] إنها مواقف عظيمة ولكن الله ﷻ ثبتها وجعل لها من المعجزة ما يؤيد طهرها ونزاهتها أشارت إلى هذا المولود الغلام الصغير قال ربنا:

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٢٩ - ٣٣] ثم قال سبحانه:

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [مريم: ٣٤ - ٣٦] فكان نبيا رسولا مكلما بعثه رب العالمين إلى بني إسرائيل متمما لشريعة موسى عليه السلام وكان الله ﷻ قد أيده من المعجزات ما تعجز ما كان في ذلك الزمان من الطب والدواء فكان يبرئ الأكمه والأبرص بإذن من الله وهكذا يحي الميت بإذن من الله ﷻ ابتلاء واختبارا ولما أراد الله ﷻ رفعه كان بنو إسرائيل قد انقسموا فيه ثلاثة أقسام فكان من بني إسرائيل من يقول: إنه ولد زنا وهم اليهود وكان من بني إسرائيل من يقول: هو ابن الله وثالث ثلاثة، ومن بني إسرائيل من يقول: هو عبد الله ورسوله.

فطائفة إسرائيلية تسمى باليعقوبية قالت: هو ولد زنا، وطائفة ثانية من بني إسرائيل تسمى بالنسطورية تقول: إنه ابن الله، وطائفة ثالثة هم المسلمون يقولون: هو عبد الله ورسوله وهذه هي عقيدتنا في عيسى بن مريم النبي الذي بشر بنبوة محمد ﷺ

كما قال ﷻ حاكيا عن عيسى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] ولما ذهب جعفر بن أبي طالب إلى النجاشي ملك الحبشة فارين هو وأصحابه بدينهم وكانت هذه الهجرة الأولى من مكة إلى أرض الحبشة أرسلت قريش عمرو بن العاص وآخر فاجتمعوا بالنجاشي وحاولوا أن يشوهوا سمعة الصحابة فلما عجز ما عندهم من الحيل والدلائل قالوا: أيها الملك إنهم يخالفونك في أمر عيسى فقال ملك الحبشة: **ما تقولون في عيسى؟** فإذا بجعفر بن أبي طالب يتلو آيات من سورة مريم فيبكي ملك الحبشة وقال: والله لا نعرف إلا هذا[(١)]، وهكذا حال اليهود والنصارى اليوم، والنصارى في أيامنا هذه لا يقولون إنهم نصارى باعتبار أن كفر النصارى يفصح به صريح القرآن لكنهم يقولون مسيحيون ولو قالوا مسيحيون ما يقبل منهم هذا، فعيسى بن مريم يدعو إلى توحيد الله فوجب على من كان يتسمى بالنصراني أو بالمسيحي أن يخضع لدين الحق وأن يخضع لدين محمد ﷺ فإنه بالبعثة النبوية الشريفة نسخ جميع الأديان السابقة قال الله ﷻ:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥] وقال نبينا ﷺ:

«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة

---

(١) القصة بطولها في مسند الإمام أحمد (١٧٤٠) (٢٢٥٥١) وشعب الإيمان (٨٢) وسنن البيهقي الكبرى (١٨٢٠٧) ومسند إسحاق بن راهويه (٢١) وقد صححها الإمام الألباني في تحقيقه على كتاب فقه السيرة صفحة: (١١٥).

وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»[١] فبين النبي ﷺ أن هناك أمم أمة اليهود وقد انقرضت وأمة النصارى وقد انقرضت وستكون أمته آخر الأمم وجاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**ما يسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمة ثم يموت يوم يموت ولم يؤمن بي إلا كبه الله على وجهه في نار جهنم**»[٢] فمن كان يدعي المسيحية نقول: أنت كاذب في دعواك لأن عيسى مصدق بنبوة محمد ويدعو إلى دين محمد وفي آخر الزمان ينزل عيسى بن مريم كما في الحديث الذي رواه البخاري أن نبينا ﷺ يقول: «**يوشك أن ينزل عيسى بن مريم - ينزل من السماء - حكما مقسطا فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويأمر بعبادة الله وحده لا شريك له**»[٣] ثم يكون عيسى بن مريم يحكم الناس بشريعة محمد ﷺ يقولون له: «**صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة**»[٤] أو كما يقول، فالشاهد أنه يقود الناس إلى الله ﷻ على كتاب الله وعلى سنة محمد ﷺ ولما أراد بنو إسرائيل أن يقتلوا عيسى جعل الله ﷻ له شبها في واحد من بني إسرائيل ورفعه الله إليه فيكون مكتوبا عند الله في الحكم الشرعي أن بني إسرائيل قاتلون لعيسى أما في الحكم

---

(١) ابن ماجة (٣٩٩٣) وأحمد (١٢٢٢٩) (١٦٩٧٩) والحاكم (٤٤٣) (٤٤٤) والمعجم الكبير (٣) (٨٨٤) (٨٨٥) والمعجم الأوسط (٧٨٤٠) ومسند أبي يعلى (٤١٢٧) وغيرهم وانظر حديث رقم: ٢٠٤٢ في صحيح الجامع.

(٢) مسلم (١٥٣) وأحمد (٨١٨٨) (٨٥٩٤) (١٩٥٨٠) والحاكم (٣٣٠٩) ومسند الطيالسي (٥٠٩) وغيرهم.

(٣) البخاري (٢١٠٩) (٢٣٤٤) ومسلم (١٥٥) والترمذي (٢٢٣٣) وسنن ابن ماجة (٤٠٧٨) وأحمد (٧٢٦٧) (١٠٩٥٧) وغيرهم.

(٤) مسلم (١٥٦) وأحمد (١٥١٦٧) وابن حبان (٦٨١٩) وسنن البيهقي الكبرى (١٨٣٩٦).

القدري فهم ما قتلوه لكنهم يستحقون عقوبة القتل لأنهم قتلة الأنبياء فالله ألقى شبهه على واحد منهم كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧] فوجب على المؤمن المسلم المحمدي أن يعلم أنه قد اعتنق دينا من خير الأديان وأكملها وأفضلها وأتمها وآخرها وهو دين الإسلام كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩] فهذا الإسلام هو دين نبينا ﷺ وهو دين الأنبياء وهذا الدين أعني الدين المحمدي والرسالة المحمدية أخذ الله سبحانه وتعالى العهد والميثاق من جميع الأنبياء وأتباع الأنبياء أن يؤمنوا بها وأن يصدقوا بها قال جل وعلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١] فشهد الأنبياء وأقر الأنبياء ووافقوا على الإيمان وعلى النصرة فقال الله ﷻ:

﴿ءَأَقْرَرْتُمْ... قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟﴾ ثم قال سبحانه: ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ فكان هذا الدين هو الدين العظيم ونحمد الله ﷻ أن كنا مستجيبين ومغبوطين بهذا الأمر العظيم أعني بالعقيدة الصحيحة في حق محمد ﷺ وفي حق عيسى بن مريم عسى الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل الجنة.

فما عقيدتك في عيسى بن مريم؟

عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، **هل تدخل في تخيلات وخزعبلات النصارى؟**، النصارى مختلفون فيما بينهم بعيسى بن مريم النصارى اختلفوا في عيسى فمنهم من يقول: ابن الله ومنهم من يقول: هو الله ومنهم من يقول: الله والإبن والأم يعني أشياء يستحي الشخص ويحتار العقل أن يتكلم بها لا حول ولا

قوة إلا بالله فكانت هذه العقيدة هي العقيدة التي ترضي الله ﷻ فيقال للنصارى اليوم: **هل تعتقدون هذا في عيسى بن مريم؟** لا، ففي كنائسهم يرسمون صورة العذراء ويرسمون صورة عيسى **ومن أين لهم أن يرسموا؟** عندهم خرافات يقولون: إن عيسى مشى مسافة طويلة في وقت حر فأصيب بالعرق فمسح بالمنديل فالتصقت صورته على المنديل **من أين لهم هذا الكلام أن يثبتوه؟** مختلفون فيما بينهم وهكذا أيضًا ما وجدنا أبلد منهم إذ أنهم يفتخرون بالآلة التي يزعمون أنه صلب عليها عيسى بن مريم هو لم يقتل رفعه الله ﷻ لكنهم يعظمون من شأن الصليب وتجدهم يستخدمون الصليب في كثير من أمورهم في معابدهم في كنائسهم **كيف تفتخر بآلة قتل عليها أبوك أو أخوك أو صديقك فما بالك إذا كان هذا هو دينك ودين آبائك وأجدادك؟** ولكن هكذا الشر يتبع بعضه بعضًا ويعمي صاحبه ويصم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وللشيخ العثيمين كلام طيب جدا في شرحه لهذه اللفظة فأحببت أن أسرده ولا أزيد عليه شيئًا لأنه كلام نفيس للغاية فيقول الشيخ محمد الصالح العثيمين:

قوله: «**وأن عيسى عبد الله ورسوله**» قال: الكلام فيه كالكلام في شهادة أن محمدا رسول الله بمعنى أن تعتقد إنه رسول من عند الله ﷻ قال: إلا أننا نؤمن برسالة عيسى ولا يلزمنا اتباعه إذا خالفت شريعته شريعتنا - إذا خالفت شريعته شريعتنا لسنا ملزمين - وقد بوب الإمام البخاري: باب شرع من قبلنا شرع لنا بمعنى ما كان في الأمم السابقة **هل يكون هذا تشريع لهذه الأمة؟** إسمع إلى هذا التفصيل قال: فشريعة من قبلنا لها ثلاث حالات:

١ - **الأولى**: أن تكون مخالفة لشريعتنا فالعمل على شرعنا إن حصل خلاف كان فيما مضى من الشرائع كذا ثم جاء النبي ﷺ بنسخها فنحن نعمل بشرعنا.

٢- **الحالة الثانية:** إن تكون موافقة لشريعتنا فنحن متبعون لشريعتنا إن حصلت الموافقة فنحن متبعون لشريعتنا.

٣- **الثالث:** أن يكون مسكوتا عنها في شريعتنا وفي هذا الحال اختلف علماء الأصول **هل نعمل بها أو ندعها؟** والصحيح أنها شرع لنا وهذا هو ما قاله كثير من الفقهاء: أن ما كان قبلنا شرع لنا ما لم ينسخه شرعنا أو يصادم ما في شريعتنا فيكون شرعا مثل أمور التوحيد ومكارم الأخلاق من الصدق والعفاف والطهر والنزاهة والعفة مكارم الأخلاق كلها فهي صالحة لكل الأزمان قال الشيخ: والصحيح أنها شرع لنا ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام:٩٠] وقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ﴾ [يوسف:١١١]،

قال: وقد تطرف في عيسى طائفتان:

١- **الأولى:** اليهود كذبوه فقالوا: إنه ولد زنا وأن أمه من البغايا وأنه ليس بنبي وقتلوه شرعا أي محكوما عليهم عند الله أنهم قتلوه في حكم الله الشرعي لقوله سبحانه: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ وأما بالنسبة لحكم الله القدري فقد كذبوا ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨] ولكن شبه لهم فقتلوا المشبه لهم وصلبوه.

٢- **الثانية:** النصارى قالوا: إنه ابن الله وإنه ثالث ثلاثة وجعلوه إلها مع الله وكذبوا فيما قالوا قال: أما عقيدتنا نحن فيه فنشهد أنه عبد الله ورسوله وأن أمه صديقة كما أخبر تعالى بذلك وأنها أحصنت فرجها وأنها عذراء ولكن مثله عند الله ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [٥٩] الآية في سورة آل عمران:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩] فالله خلق آدم من تراب وخلق عيسى من أم من غير أب ولله ما يشاء في خلقه وفي قوله: عبد الله رد على النصارى لأن النصارى غلوا في عيسى وجعلوه ابن الله وفي قوله: ورسوله رد على اليهود الذين أبطلوا رسالة عيسى وقالوا: هو ولد زنا.

قوله: «وكلمته ألقاها إلى مريم» أطلق الله عليه كلمة لأنه خلق بالكلمة عليه السلام فالحديث ليس على ظاهره إذ عيسى عليه السلام ليس كلمة لأنه يأكل ويشرب ويبول ويتغوط وتجري عليه جميع الأحوال البشرية قال سبحانه:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩] وعيسى عليه السلام كلمة الله إذ أن كلام الله وصف قائم به لا بائن منه أما عيسى فهو ذات بائنة من الله أو عن الله يذهب ويجيء ويأكل الطعام ويشرب قوله: «**ألقاها إلى مريم**» أي وجهها إليها بقوله كن فيكون كما قال سبحانه:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩] ، ومريم بنت عمران ليست أخت موسى وهارون عليهما السلام كما يظنه البعض ولكن كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «**كانوا يتسمون بأسماء أنبيائهم**»(١) فهارون أخو مريم ليس هارون أخ موسى بل هو آخر يسمى باسمه وكذلك عمران سمي باسم أبي موسى.

قوله: «وروح منه»: أي صار جسده عليه السلام بالكلمة فنفخت فيه هذه الروح التي

(١) مسلم (٢١٣٥) والترمذي (٣١٥٥) وأحمد (١٨٢٢٦) وابن حبان (٦٢٥٠) والمعجم الكبير (٩٨٦) وغيرهم.

هي من الله أي خلق من مخلوقاته أضيف إليه تعالى للتشريف والتكريم وعيسى ﷺ ليس روحا بل جسد ذا روح قال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ [المائدة: ٧٥] فبالنفخ صار جسدا وبالروح صار جسدا وروحا.

قوله: «منه»: قال العثيمين: هذه هي التي أضلت النصارى فظنوا أنه جزء من الله فضلوا وأضلوا كثيرا ولكنا نقول: إن الله قد أعمى بصائرهم ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦] فمن المعلوم أن عيسى كان يأكل الطعام وهذا شيء معروف ومن المعلوم أيضا أن اليهود يقولون: إن إنهم صلبوه **وهل يمكن لمن كان جزءًا من الرب أن ينفصل عن الرب ويأكل ويشرب ويدعى أنه قتل وصلب؟** وعلى هذا تكون من للإبتداء وليست للتبعيض فيقال: عيسى روح من الله وليس روح الله لا تقل: هو روح الله أو يا روح الله، لا هو روح من الله «**وروح منه**» فالله ﷻ أضافه إليه إضافة تشريف وتكريم مثل ما تقول: بيت الله وناقة الله ومسجد الله وأمر الله فقط إضافة تشريف وإلا فعيسى منفصل تماما عن الذات الإلهية قال: وعلى هذا تكون من للإبتداء وليست للتبعيض فهي كقوله:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ [الجاثية:١٣] فلا يمكن أن نقول: إن الشمس والقمر والأنهار جزء من الله وهذا لم يقل به أحد فقوله: «**منه**» أي روح صادرة من الله ﷻ وليست جزءا من الله كما تزعم النصارى ثم ذكر الشيخ العثيمين فائدة فيما يتعلق بالمضاف إلى الله ﷻ قال العثيمين: واعلم أن ما أضافه الله إلى نفسه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- **الأول:** العين القائمة بنفسها وإضافتها إليه من باب إضافة المخلوق



كقوله تعالى:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ [الجاثية:١٣] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾ [العنكبوت:٥٦] وقد تكون على سبيل الخصوص لشرفه قال: كقوله سبحانه:

﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج:٢٦] وكقوله: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾ [الشمس:١٣] وهذا القسم مخلوق، العين القائمة بنفسها مخلوق ولا يكون جزء من الله ﷻ.

٢- **الثاني**: أن تكون شيئا مضافا إلى عين مخلوقة يقوم بها مثل قوله:

«**وروح منه**» فإضافة هذه الروح إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه تشريفا فهي روح من الأرواح التي خلقها الله وليست جزءا أو روحا من الله إذ أن هذه الروح حلت في عيسى وهو عين منفصلة عن الله وهذا القسم مخلوق أيضا.

٣- **الثالث**: أن يكون وصفا غير مضاف إلى عين مخلوقة مثل ذلك قوله تعالى:

﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف:١٤٤] وهذا في حق موسى عليه السلام فالرسالة والكلام أضيف إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف فإذا أضاف الله إلى نفسه صفة فهذه صفة غير مخلوقة بهذا يتبين أن هذه الأقسام الثلاثة قسمان منها مخلوقان وقسم غير مخلوق فالأعيان القائمة بنفسها والمتصلة بهذه الأعيان مخلوقة والوصف الذي لم يذكر له عين يقوم بها غير مخلوق لأنه يكون من صفات الله وصفات الله غير مخلوقة مثل صفة الكلام كلامه غير مخلوق وقد اجتمع القسمان في قوله: «**كلمته وروح منه**» فكلمته هذه وصف مضاف له وعلى هذا فتكون كلمته صفة من صفات الله، وروح منه: هذه أضيفت إلى عين إلى عيسى لأن الروح حلت في عيسى فهي مخلوقة هذا فيما يتعلق بهذه اللفظة التي تعتبر آخر هذا الحديث وتتمة

لحديث عبادة بن الصامت:

قوله ﷺ: «أدخله الله الجنة»

إدخاله الجنة ينقسم إلى قسمين:

١- الأول: إدخال كامل لم يسبق بعذاب لمن أتم العمل.

٢- الثاني: إدخال ناقص مسبوق بعذاب لمن أنقص العمل فالمؤمن إذا غلبت سيئاته حسناته إن شاء الله عذبه بقدر عمله وإن شاء لم يعذبه قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] وهذا هو ما عليه أهل السنة والجماعة من عهد النبي ﷺ إلى آخر قيام الساعة أن من حقق التوحيد وإن كان عنده شيء من الذنوب والمعاصي لكن مآله إلى الجنة إن شاء الله وقد يتجاوز الله سبحانه وتعالى عن هذه الذنوب والمعاصي فبالتوحيد يغفرها الله عز وجل كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا إلا غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا إلا أتيتك بقرابها مغفرة**»(١) فمن حقق التوحيد فمآله إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

ففي قوله: «أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» إما أن يكون دخولا تاما لا يعترضه شيء من العذاب ونرجو أن نكون من هذا القسم وإما أن يعترضه شيء من

---

(١) صحيح: الترمذي (٣٥٤٠) وأحمد (٢١٣٥٣) (٢١٤٠٦) (٢١٥١٠) (٢١٥٤٤) والدارمي (٢٧٨٨) وشعب الإيمان (١٠٤١) وغيرهم وانظر حديث رقم: ٤٣٣٨ في صحيح الجامع.

العذاب أجارنا الله وإياكم والمسلمين من ذلك لكن مآله إلى الجنة لأنه حقق التوحيد أما من جاء وقد هدم هذا الأصل العظيم والركن القويم وهو توحيد الله ﷻ فهذا لا حول ولا قوة إلا بالله لا يغفر الله له ذنبا لأنه ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣] ويقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] وقد جاء في الحديث القدسي: «**أن الله يقول للمشرك يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت مفتديا به؟ فيقول: نعم فيقول الله: قد أخذت عليك العهد وأنت في ظهر أبيك آدم ألا تشرك فأبيت إلا أن تشرك**»(١) وجاء في صحيح مسلم إن الله ﷻ يقول للمرائين: «**إذهبوا إلى من كنتم تراءونهم في الدنيا فهل تجدون عندهم من جزاء**»(٢) فألله ألله أيها المسلمون ويا طلاب العلم بالإخلاص لله ﷻ في القول والعمل فيما نأتي وما نذر لا بد أن نبتغي بذلك كله وجه الله ﷻ أسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم من أهل التوحيد والإخلاص والصدق وأن لا يرينا والمسلمين مكروها حتى نلقاه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين ورحم الله شيخ الإسلام محمد الصالح العثيمين على هذا التفصيل الذي مر بنا ونسأل الله ﷻ أن يختم لنا وله بالحسنى وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



(١) البخاري (٣١٥٦) (٦١٨٩) ومسلم (٢٨٠٥) وأحمد (١٢٣٣٤) ومسند أبي يعلى (٤١٨٦).

(٢) أحمد (٢٣٦٨٠) (٢٣٦٨٦) وشعب الإيمان (٦٨٣١) وانظر حديث رقم: ١٥٥٥ في صحيح الجامع.

ولهما في حديث عتبان: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»(١).



ولهما أي للبخاري ومسلم قال: في حديث عتبان بكسر المهملة ومعنى المهملة هو الحرف الذي ليس بمنقوط فإن كان منقوطا يقال عنه: معجم فعندنا الجيم والحاء الجيم معجمة والحاء مهملة عتبان هو ابن مالك عدناني خزرجي صحابي جليل من صحابة نبينا ﷺ ضعف بصره فذهب إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أريدك أن تأتي إلى بيتي فتصلي فيه فأتخذ ذلك الموضع مصلى، ففيه استحباب إتخاذ موضع من البيت خاص بالصلاة فأتى النبي ﷺ ومعه بعض أصحابه فلما دخل قال النبي ﷺ: «أي مكان أو موضع تحب أن أصلي فيه؟» وفي هذا - بارك الله فيكم - استحباب أن يبدأ الشخص بالعمل الذي هو مقصوده فلا يجعل الأعمال تتشعب به يمنة ويسرة لأن النبي ﷺ لما دخل بيت عتبان رضي الله عنه كان قد أعد طعاما وشرابا للنبي ﷺ فما رضي النبي عليه الصلاة والسلام يطعم أو يشرب حتى يخبره بالموضع الذي يريده أن يتخذه مصلى وهكذا إذا أردت أن تبحث مسألة علمية فأنت ستمر بك كثير من المسائل إبدأ بالمسألة التي بحثت من أجلها وهكذا إن كان عندك عمل معين فاجعله هو الأصل ولا بأس أن تكون هناك أعمال أخرى تبعا له فلما صلى النبي ﷺ أكل من الطعام وشرب من الشراب وفي هذا دليل على تواضع نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ثم بعد ذلك ذكر بعض أصحاب النبي ﷺ قصة رجل يقال له: مالك بن الدخشم فقال بعض الصحابة:

---

(١) البخاري (٤١٥) (١١٣٠) (٥٠٨٦) ومسلم (٣٣) وابن خزيمة (١٦٥٣) والمعجم الكبير (٤٨) (٥٠) (٥٣) وسنن البيهقي الكبرى (٢٠١٧٩).

إنه منافق فإذا بالنبي ﷺ يأتي بحكم عام غير مبرئ هذا الرجل من النفاق ولكنه قال: «**فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»(١) إثبات أيضا صفة الوجه لله ﷻ وفي القرآن كثير ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧] ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨] وفي حديث آخر يقول النبي ﷺ: «**أعوذ بوجهك**»[١].

فالنبي عليه السلام رد تلك القالة من بعض أصحابه وكونه يرد ما برأ الرجل وفي هذا - بارك الله فيكم - يؤخذ أنه لا يجوز التسرع في إطلاق الكفر أو النفاق أو الفسوق أو أي شيء من السوء فلا يجوز لك أن تظن بالمسلم الذي يقول: لا إله إلا الله وظاهره العدالة إلا خيرًا ليس من باب الإستحباب بل من باب الوجوب وجب عليك أن تظن به ظنًا حسنا **لماذا؟** لأنه مسلم ظاهره العدالة ومن أظهر لنا الإسلام فلنحكم له بالظاهر ويقول النبي ﷺ:

«**إني لم أومر بأن أفتش أو أنقب على قلوب الناس**»[٢] فيستفاد من هذا فضل التوحيد وأن من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله حرمه الله على النار هذا فيه فضل من حقق التوحيد لله ﷻ ربوبية وألوهية وأسماء وصفات وهكذا في حديث آخر يقول المصطفى ﷺ لأبي هريرة: «**إذهب إلى من وجدته خلف هذا الحائط يقول: لا إله إلا الله صادقا من قلبه أو مخلصا من قلبه أو مستيقنا به قلبه فبشره بالجنة**»[٣] في

---

(١) البخاري (٤٣٥٢) (٦٨٨٣) (٦٩٧١) والترمذي (٣٠٦٥) وأحمد (١٤٣٥٥) وابن حبان (٧٢٢٠) ومسند أبي يعلى (١٨٢٩) (١٩٦٧) (١٩٨٢) (١٩٨٣) وغيرهم.

(٢) البخاري (٤٠٩٤) ومسلم (١٠٦٤) وابن حبان (٢٥) ومسند أبي يعلى (١١٦٣).

(٣) مسلم (٣١) وابن حبان (٤٥٤٣).



هذا دليل على فضل التوحيد ومن مات عليه وفيه أيضا فضيلة لا إله إلا الله وأنها كلمة عظيمة تنفع صاحبها يوما من الدهر هو أحوج ما يكون إلى هذه الكلمة في ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه المال ولا الولد.

ومن فضائل التوحيد:

ما جاء في حديث معاذ بن جبل الثابت في الصحيحين أنه كان رديف النبي ﷺ على حمار فقال: «**يا معاذ فقال معاذ: لبيك وسعديك يا رسول الله**» ومعنى لبيك: أي أجبتك إجابة بعد إجابة ومعنى سعديك: أي مساعدة بعد مساعدة أو السعادة فيما تأمرني به يا رسول الله ثم قال مرة أخرى: «**يا معاذ قال: لبيك وسعديك يا رسول الله ثم قال: يا معاذ قال: لبيك وسعديك يا رسول الله**» وفي هذا - بارك الله فيكم - أن السؤال سؤال الطالب باب من أبواب العلم والعلماء يقولون: السؤال مفتاح العلم، ومجاهد بن جبر رحمه الله يقول: اثنان لا يتعلمان مستحي ومستكبر يستحي أن يسأل أو يستكبر من أن يسأل وربما كان في نفسه شيء على المسئول أو يرى أنه أرفع قدرا منه وهذه كما يقال: ثالثة الأثافي.

قال: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار**»(١) هذا أيضا فيه فضيلة التوحيد وفضيلة كلمة لا إله إلا الله.



(١) البخاري (١٢٨) ومسلم (٣٢).



وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «قَالَ مُوسى: يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شيئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: قُلْ يَا مُوسى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا، قَالَ: يَا مُوسى لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» رواه ابن حبان والحاكم وصححه(١).



ثم ذكر المؤلف حديث أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «**قال موسى: يا رب علمني شيئا أذكرك به فقال: يا موسى قل: لا إله إلا الله قال: يا رب كل عبادك يقولون: لا إله إلا الله قال: يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع وعامرهن غيري مالت بهن لا إله إلا الله**» وهذا الحديث رواه ابن حبان والحاكم وهو ضعيف لعلتين اثنتين:

العلة الأولى: فيه القاضي عبد الله بن لهيعة وتعرفون أنه ضعيف في الحديث احترقت كتبه فاختلط.

وفيه رواية دراج أبي السمح عن أبي الهيثم وهي رواية منقطعة وقد حكم بضعف الحديث الشيخ الألباني وكذلك أيضا شعيب الأرناؤوط فالحديث ضعيف وإن كان ضعيفا فمعناه صحيح فإن لا إله إلا الله لو كانت في كفة والسماوات والأرض في كفة مالت لا إله إلا الله بكفة الميزان التي فيها السماوات والأرض.

---

(١) ضعيف : الحاكم (١٩٣٦) وابن حبان (٦٢١٨) ومسند أبي يعلى (١٣٩٣) وسنن النسائي الكبرى (١٠٦٧٠) وغيرهم وانظر ضعيف الترغيب والترهيب (٩٢٣).

وهنا حديث عند الترمذي وابن ماجة والحاكم وهو في السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني أن نبينا ﷺ قال:

«**يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلًا كل سجل منها مد البصر**» هذا ما اقترفه من السيئات «**ثم يقال له: أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب فيقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ**» وهذا الحديث عند الترمذي مشهور بحديث البطاقة «**فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال: إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة**»(١).

هذا فيه دليل أيضا على هذه الكلمة العظيمة وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ

«**أن نوحًا عليه الصلاة والسلام قال لابنه عند موته آمرك بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ولا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله ولو أن السماوات السبعة والأرضين السبعة كن حلقة مبهمة لقصمتهن لا إله إلا الله**»(٢) والحديث ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة.



(١) صحيح: الترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجة (٤٣٠٠) والحاكم (١٩٣٧) والمعجم الأوسط (٤٧٢٥) وانظر حديث رقم: ٨٠٩٥ في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: أحمد (٦٥٨٣) وانظر السلسلة الصحيحة (١٣٤).



وللترمذي وحسنه عن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشركُ بِي شيئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»(١).

فيه مسائل:

الأولى: سعة فضل الله.

الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله.

الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب.

الرابعة: تفسير الآية التي في سورة الأنعام.

الخامسة: تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة رضي الله عنه.

السادسة: أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان رضي الله عنه وما بعده تبين لك معنى قول: لا إله إلا الله وتبين لك خطأ المغرورين.

السابعة: التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان.

الثامنة: كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله.

التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أن كثيرًا ممن يقولها يخف ميزانه.

العاشرة: النص على أن الأرضين سبع كالسماوات.

---

(١) صحيح: الترمذي (٣٥٤٠) وأحمد (٢١٣٥٣) (٢١٤٠٦) (٢١٥١٠) (٢١٥٤٤) والدارمي (٢٧٨٨) وشعب الإيمان (١٠٤١) وغيرهم وانظر حديث رقم: ٤٣٣٨ في صحيح الجامع.

الحادية عشرة: أن لهن عمارًا.

الثانية عشرة: إثبات الصفات خلافًا للمعطلة.

الثالثة عشرة: أنك إذا عرفت حديث أنس رضي الله عنه عرفت أن قوله ﷺ في حديث عتبان: «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» أنه ترك الشرك ليس قولها باللسان.

الرابعة عشرة: تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه.

الخامسة عشرة: معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله.

السادسة عشرة: معرفة كونه روحًا منه.

السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.

الثامنة عشرة: معرفة قوله: «على ما كان من العمل».

التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كفتان.

العشرون: معرفة ذكر الوجه.



قال: وللترمذي وحسنه عن أنس قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«قال الله تعالى: **يا بن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة**» قد تكرر هذا الحديث.

قال الشيخ: فيه مسائل:



١- **الأولى:** سعة فضل الله وهذا من هذه الأدلة ومن عموم الأدلة أن الله ﷻ فضله عظيم واسع المغفرة واسع العفو

٢- **الثانية:** كثرة ثواب التوحيد عند الله فالموحدون لهم ثواب.

٣- **الثالثة:** تكفيره مع ذلك للذنوب وهذا مأخوذ من هذا الحديث وغيره «**يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا أتيتك بقرابها مغفرة**».

٤- **الرابعة:** تفسير الآية التي في سورة الأنعام وهي: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]

٥- **الخامسة:** تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**».

قال:

٦- **السادسة:** أنك إذا جمعت بينه يعني بين حديث عبادة وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول: لا إله إلا الله وتبين لك خطأ المغرورين وهم الذين يقولون: لا إله إلا الله ولكن عبارة عن قول مجرد قول ولا يأتون بمقتضاها يقولون: لا إله إلا الله ولكن تجده مع تلفظه بهذه الكلمة يدعو غير الله ويستغيث بغير الله لا تنفعه كما أنها لا تنفع المنافقين لأنهم يقولونها غير معتقدين ما تثبت وما تنفي فكانت غير نافعة للمنافقين قال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

٧- **السابعة:** التنبيه للشرط في حديث عتبان «**يبتغي بها وجه الله**» ما قالها نفاق



ولا يقولها غير معتقد معناها.

٨- الثامنة: كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله هذا في حديث موسى ولكنه ضعيف.

٩- التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أن كثير ما يقولونها يخف ميزانه حديث البطاقة وهكذا حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي عند أحمد في قصة نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام.

١٠- العاشرة: النص على أن الأرضين سبع كالسماوات بنص السنة وقد لمح القرآن إلى ذلك: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢] وحديث: «**من اقتطع قيد شبر من الأرض طوقه يوم القيامة إلى سبع أرضين أو حمل من سبع أرضين**»(١) روايتان صحيحتان في البخاري ومسلم.

١١- الحادي عشر: أن لهن عمارا في ذلك حديث لكنه ضعيف.

١٢- الثاني عشر: إثبات الصفات خلافا للأشعرية إثبات صفات كفة للميزان وإثبات مغفرة لله سبحانه وتعالى وإثبات وجه لله سبحانه وتعالى وهذا خلاف الجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

١٣- الثالث عشر: أنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله في حديث عتبان:

«**فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**» أنه ترك الشرك ليس قولها باللسان وقد تقدم ذلك.

١٤- الرابعة عشر: تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه رد

---

(١) البخاري (٢٣٢٠) (٢٣٢١) (٣٠٢٣) ومسلم (١٦١٢).



على أهل الإفراط والتفريط رد على الصوفية الذين غلوا في محمد ﷺ ورفعوه فوق منزلته فقال قائلهم:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن آخذا يوم المعاد يدي ... فضلا وإلا فقل يا زلة القدم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

وفي قضية عيسى رد على النصارى الذين يقولون هو ابن الله أو روح القدس أو ثالث ثلاثة وهكذا أيضا على الذين تفلتوا من طاعة محمد ﷺ فتركوه أو كاليهود الذين قالوا: عيسى ابن زنا ولم يعترفوا بنبوته ولا برسالته بل ولا بصحة سلالته.

١٥- الخامسة عشر: معرفة إختصاص عيسى بكونه كلمة الله وقد تقدم ذلك، وقد جاء في كلام لأحمد بن حنبل حينما رد على الجهمية قال: خلقه الله بكلمة كن فكان وليس عيسى هو كلمة كن وإنما خلقه الله ﷻ بإرادته وقدرته ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩].

١٦- السادسة عشرة: معرفة كونه روحا منه ليس عيسى روح الله ولكنه من روح الله كما قال موسى لآدم:

«**ونفخ فيك من روحه**»(١) والخلائق يوم القيامة أيضا تذكر هذه المنة لآدم عليه الصلاة والسلام يقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه فلا تصح أن تقول: يا روح الله وإنما تقول كما قال النبي ﷺ: هو «**روح منه**» وهذه «**مِن**» قد تقدم أنها إبتدائية وليست تبعيضية كما قال الله:

---

(١) مسلم (٢٦٥٢) وأحمد (٩١٦٥) وابن حبان (٦١٧٩) ومسند أبي يعلى (١٢٠٤) وغيرهم.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣].

١٧- السابعة عشر: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار تؤمن من صميم قلبك أن الله خلق الجنة عرضها السماوات والأرض وكذلك أيضا خلق نارًا وهما موجودتان وفي هذا رد على الجهمية والمعتزلة الذين يقولون: هذا من العبث فما هناك شيء مخلوق إلى الآن ورد أيضا على الملاحدة الضلال من شيوعيين ودهريين وما إلى ذلك الذين يقولون: أرحام تدفع وأرض تبلع فلا جنة ولا نار أولئك قوم ضالون كافرون مارقون من دين الإسلام.

١٩- التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كفتان وهذا حديث البطاقة المعروف.

٢٠- العشرون: معرفة ذكر الوجه وأهل السنة يثبتون لله ﷻ هذه الصفة من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل على حد قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] قد جاء في سبب نزول الآية من سورة الأنعام: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] فكان النبي ﷺ يقول: «**أعوذ بوجهك، أعوذ بوجهك وفي الثالثة قال: هذا أيسر**»(١) أسأل الله ﷻ أن يميتنا وإياكم على التوحيد وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ونكون قد انتهينا من باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.



(١) البخاري (٤٣٥٢) (٦٨٨٣) (٦٩٧١) والترمذي (٣٠٦٥) وأحمد (١٤٣٥٥) وابن حبان (٧٢٢٠) ومسند أبي يعلى (١٨٢٩) (١٩٦٧) (١٩٨٢) (١٩٨٣) وغيرهم.



باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠] **وقال:** ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون:٥٩].

قال المؤلف أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

أما قوله باب فيكون إعرابه خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره هذا باب ويجوز أن تعرب هذه العبارة مفعولً به بفعل محذوف تقديره أعقد بابًا أو أكتب ويصلح أيضا أن تعرب مجرور بحرف جر محذوف أنظر في باب كذا فلها ثلاثة اعرابات وكلمة باب لغةً: سمي لما يدخل ويخرج منه إلى الشيء

واصطلاحًا: اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب هذا معنى الباب لغة واصطلاحا.

قوله: من حقق من هاهنا شرطية اسم شرط جازم بجزم فعلين الأول: فعل الشرط والثاني: جوابه وجزاؤه باتفاق النحويين.

قوله: حقق هو فعل الشرط وتحقيق التوحيد لا يكون إلا بالعلم ثم بالإخلاص

ثم بالانقياد التام لله ﷻ فهذا تحقيقه والمراد بالتوحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الأسماء والصفات بل وما يضم إلى ذلك من تعظيم الله وإجلاله وتعظيم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن دخول الجنة بغير حساب يستلزم أن يكون هذا العبد قد ترك الشرك والبدعة والمعصية فإن المعاصي أيضًا ربما كانت بابًا من أبواب الشرك بل المعاصي تسبب تخليدا لصاحبها في النار من غير تأبيد والمراد بالتخليد المكث الطويل وما ذلك إلا لخطورة المعصية.

لا تحقرن من الذنوب صغيرةً إن الصغير غدًا يعود كبيرا
إن الصغير وإن تقادم عهده عند الإله مسطرًا تسطيرا

وقال آخر:

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

ونبينا ﷺ يقول: «**إياكم ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبا**»(١) ويقول ﷺ: «**إياكم ومحقرات الذنوب وإن مثل محقرات الذنوب كمثل قومٍ نزلوا بطن وادٍ فجاء ذا بعود وذا بعود حتى أججوا نارًا فأشعلوا بها خبزتهم وإن مثل محقرات الذنوب كذلك يجتمعن على صاحبها حتى تهلكه**»(٢) أو كما قال صلى الله عليه وآله وسلم إذًا هذه فائدة مهمة جدًا لهذا الباب لأن قوله دخول الجنة بغير حساب لا يكون هذا

---

(١) صحيح: ابن ماجة (٤٢٤٣) وأحمد (٢٤٤٦٠) (٢٥٢١٨) وسنن الدارمي (٢٧٢٦) والمعجم الأوسط (٢٣٧٧) (٣٧٧٦) وشعب الإيمان (٧٢٦١) وانظر السلسلة الصحيحة (٢٧٣١).

(٢) صحيح: أحمد (٣٨١٨) (٢٢٨٦٠) والمعجم الكبير (٥٨٧٢) (١٠٥٠٠) والمعجم الأوسط (٧٣٢٣) والعجم الصغير (٩٠٤) وشعب الإيمان (٧٢٦٧) وغيرهم وانظر السلسلة الصحيحة (٣٨٩).

إلا في من سلمه الله ﷻ من الشرك ومن البدع ومن المعاصي صغيرها وكبيرها.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠] المراد بإبراهيم هو إبراهيم إمام أهل التوحيد ذلكم النبي العظيم الذي بعثه الله ﷻ إلى قومٍ كانوا يعبدون الأصنام ويستغيثون بها من دون الله وقد ذكرت قصته في القرآن الكريم وبلغ من قصته أن جمع له قومه الحطب وأشعلوا النار ورموه إلى هذه النار من أجل إحراقه والخلاص منه ولكن كانت كلمة الله العليا قال سبحانه: ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ [الصافات:٩٨] فالله رفعه وجعل تلك النار بردًا وسلاما عليه كما قال ربنا: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩] وكان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ داعية إلى توحيد الخالق وإن هذه الأمة اقتدت به وبدعوته وكان نبينا ﷺ هو الولد البار بأبيه فلذلك قرن معه في التشهد حينما تقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ولما عرج بالنبي ﷺ إلى السماوات العلى التقى بأبينا إبراهيم فقال إبراهيم لمحمد عليهما الصلاة والسلام: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فالله يمتدحه إنه كان أمة والمراد بالأمة أي: إمامًا وقد تقدمت هذه اللفظة وأنه يراد بها الملة والمدة ويراد بها القدوة ويراد بها أيضا الإمام لذلك يقول سبحانه:

﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤]

فلذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين فالمراد بالأمة أي إماما ومعنى وقانتًا أي مداوما على الطاعة والقنوت يأتي على عدة أوجه



فهذا وجه من تلك الأوجه وقوله: حنيفًا المراد بالحنيف هو المائل من الأديان كلها إلى دين الإسلام وهو الدين الصحيح كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البينة:٥] ثم زاد الله توكيدًا وتأكيدًا لمقام هذا النبي الكريم قال: ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠] ثم قال سبحانه في آية أخرى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾ [المؤمنون:٥٩] ذكر هاتين الآيتين لهذا الباب أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ومعنى ذلك أنهم حققوه بتركهم للشرك والمعصية والبدعة وبمحافظتهم على العمل حتى لقوا الله سبحانه وتعالى بذلك.



عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت، قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: «لا رقية إلا من عين أو حمة» قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسى وَقَوْمُهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ. وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بَغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ».

ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال: «هُمُ الَّذِينَ لَا

يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فقام عكاشة بن محصن فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم قال: «أَنْتَ مِنْهُمْ» ثم قام رجل آخر فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم فقال: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[(١)].



ثم روى عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير، سعيد بن جبير تابعي جليل من تلامذة الإمام عبد الله بن عباس وكان يسمى بابن أم الدهماء كان ابن عباس يجله وأصله من الكوفة لكن حينما خرج مع ابن الأشعث في فتنتة فتنة ابن الأشعث أيام إمارة الحجاج بن يوسف الثقفي الإمام الظالم وما كان الحجاج إماما أعظم وإنما كان واليًا من ولاة عبد الملك بن مروان فخرج سعيد بن جبير والشعبي ومن إلى هذين علماء كثر ضد إمارة الحجاج وما كان من الظلم والغشم والقتل لأهل الإسلام فحنق عليه الحجاج بن يوسف الثقفي فقتله ظلمًا وعدوانًا ويقال سعيد بن جبير قتيل الحجاج وقاتله فأن سعيد كان مستجاب الدعوة فقد قال: اللهم لا تسلطه على أحدٍ بعدي فقيل: أن الحجاج استمر بعد قتله لسعيد أربعين يومًا ثم مات ولم يسلط على أحدٍ بعد سعيد وكان رَحِمَهُ اللَّهُ كما قال بعض السلف: قتل وكان الناس بحاجة ماسة إلى علمه على أنه رَحِمَهُ اللَّهُ اجتهد في هذا الأمر ولكن كما يقول أكابر العلماء في هذا الزمان: أن الفتن والثورات والانقلابات لا تحقق للإسلام إلا الشر وتأملوا في الفتن من بداية هذا القرن القرن الرابع عشر من يوم الاثنين ألف وأربعمائة هجرية حينما قامت فتنة جهيمان والمتمهدي بالحرم المكي وما كان من شأن هذه

(١) البخاري (٥٣٧٨) (٥٤٢٠) (٦١٧٥) ومسلم (٢٢٠) وأحمد (٢٤٤٨) وابن حبان (٦٤٣٠) وغيرهم.

الفتنة حينما خرجت وحملوا السلاح على المسلمين في مكة في أرضٍ طهرها الله ﷻ على أن هؤلاء طلبة علم لكن هم بغاة على دولة مسلمة ثم لا زال في هذا القرن الفتن يجر بعضها بعضا فكم أحرموا المسلمين من خير وهكذا في أيامنا هذه حينما قام بعض دعاة الفساد أوالجهاد على أنهم يسمون بأهل الفساد لا بأهل الجهاد فماذا جنوا على المسلمين من ويلات فصار صاحب الدين واللحية والخير متهم ويقال بأنه عميل وبأنه إرهابي إلى غير ذلك فكان الواجب على المسلمين وعلى الدعاة إلى الله أن يلزموا غرز العلماء الكبار الذين لم يدعوا شيئًا من أمور الدين إلا قالوه وأن لا يكونوا مهرولين بعد شباب أحداث أغرار لا يعرفون من الأمور إلا ظواهرها سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كان عنده هذا حصين بن عبد الرحمن فقال سعيد: **أيكم رأى الكوكب الذي أنقض البارحة؟** والمراد بالبارحة الليلة التي مضت قبل ليلتك قال: فقال حصين: أنا ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة وهذا - بارك الله فيكم - دفع إيهام حتى لا يظن أنه صاحب عبادة وأنه صاحب طاعة ولقد كان فيما مضى من القوم يكتمون الحسنة كما نحب نحن أن تكتم عنا السيئة فقال: أما أني لم أكن في صلاة ولكني لدغت قال: **فما صنعت؟** قال: ارتقيت والمراد بالارتقاء هنا: أنه استعمل الرقية والرقية جائزة شرعًا وأثرها واضح وفائدتها معلومة واقعا فإن الشخص إذا ارتقى بعقيدة صحيحة نفعه ذلك وقد رقى جبريل النبي ﷺ فقال:

«**بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن شر حاسد إذا حسد**»(١) وكان النبي ﷺ يرقي بعض الصحابة فيقول: «**بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن**

(١) مسلم (٢١٨٦) والترمذي (٩٧٢) وابن ماجة (٣٥٢٣) (٣٥٢٤) (٣٥٢٧) وأحمد (٩٧٥٦) (١١٢٤١) (١١٥٥١) (١١٥٧٤) وغيرهم.

ربنا»[(١)] وشكا عليه بعض الصحابة الداء فقال: «**ضع أصبعك على ما تألم من جسدك ثم قل: بسم الله بسم الله بسم الله ثم قل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات فبرأ**»[(٢)] وهكذا الحديث الثابت في الصحيحين عن أبي سعيد الذي قال فيه النبي ﷺ كلمة مشهورة: «**إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله**» وذلك أن أبا سعيد خرج في سرية مع الصحابة فنزلوا واديًا من الوديان فطلبوا الضيافة من أهل ذلك الوادي فأبو ثم لدغ سيدهم فقال بعضهم لبعض: انظروا إلى هؤلاء الرهط هل تجدون عندهم من راق فجاءوا إلى الصحابة قالوا: إن سيدنا سليم وهذه العبارة يطلقونها تفاؤلا بالشفاء كانوا يسمون اللديغ والمريض سليما فقالوا: لا نرقيه حتى تجعلوا لنا جعلا فجعلوا لهم ثلاثين شاة فقام أبو سعيد فقرأ عليه الفاتحة فكما في الحديث فكأنما نشط من عقال فأقره النبي ﷺ على ذلك[(٣)] فالرقية جائزة.

قلت يعني يقول حصين بن عبد الرحمن: حديث حدثناه الشعبي والشعبي هو عامر بن شراحيل من العلماء المشهود لهم بالخير والصلاح وكان رحمه الله صاحب دعابة وفكاهة وهكذا من كان عنده شيء من الدعابة لإخوانه فإنه يقرب من إخوانه بخلاف من كان عبوسًا باستمرار فإن هذا قد لا يستريح إليه الجلساء قال: **وما حدثكم؟** قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصين أنه قال: «**لا رقية إلا من عين أو حمة**»

---

(١) البخاري (٥٤١٣) (٥٤١٤) ومسلم (٢١٩٤) وأبو داود (٣٨٩٥) وأحمد (٢٤٦٦١) وابن حبان (٢٩٧٣) ومسند أبي يعلى (٤٥٢٧) (٤٥٥٠) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٩٤٩٢).

(٢) مسلم (٢٢٠٢) وابن حبان (٢٩٦٤) (٢٩٦٧) والمعجم الكبير (٨٣٤٢) وسنن النسائي الكبرى (١٠٨٣٩).

(٣) البخاري (٥٤٠٥) وابن حبان (٥١٤٦) وسنن الدارقطني (٢٤٧) (٢٤٨) وسنن البيهقي الكبرى (١٨٦٦) (١١٤٥٦) (١٤١٨٢).

والمراد بالعين ما قاله ﷺ:

«**العين حق ولو شيء سابق القدر سبقته العين**»(١) وحديث النبي ﷺ في العين قال: «**تدخل الرجل القبر والجمل القدر**»(٢) وهذا مدلول قوله ﷻ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٥] وقوله سبحانه: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم:٥١] والمراد بالحمى شيء من ذوات السموم كالعقرب وما شابهها تطلق سمها على العبد فلا بأس أن يرتقي لها قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع وفي هذا تعليل من سعيد بن جبير على الأخذ بالدليل إذ أنه قال له: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع أي من الحديث أو من الدليل عن الله أو عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ولكن حدثنا ابن عباس أنه قال: عن النبي ﷺ أنه قال: «**عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد**» وفي هذا الرد - بارك الله فيكم - على من احتج بالكثرة الآن بعض الناس يقول: فلان ما بقي معه أحد طيب هؤلاء أنبياء هم أفضل من علماء الأرض أجمعين نبي واحد أفضل من أهل الأرض أجمعين ويأتي يوم القيامة ومعه رجل وأخر معه رجلان وآخر ليس معه أحد فالكثرة ليس دليل.

تعيرنا أنا قليل عديدنا ... فقلت لها إن الكرام قليل

والله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ

---

(١) مسلم (٢١٨٨) وصحيح ابن حبان (٦١٠٧) وسنن البيهقي الكبرى (١٩٣٩٨) وسنن النسائي الكبرى (٧٦٢٠).

(٢) صحيح: حلية الأولياء (٧/ ٩٠) ومسند الشهاب (١٠٥٧) (١٠٥٩) وانظر حديث رقم: ٤١٤٤ في صحيح الجامع.

ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة:٢٤٩] ويقول سبحانه: ﴿وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ﴾ [ص:٢٤]﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣] وسمع عمر رجلا حول الكعبة يقول «**اللهم اجعلني من القليل اللهم اجعلني من القليل فقال له عمر: ويحك ماذا؟ قال: يا أمير المؤمنين سمعت الله يقول:** ﴿وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ﴾ [ص:٢٤] ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣] **قال عمر: الله أكبر كل رجل أفقه من عمر وهذا من تواضعه وإلا فهو ذكي ذكاء خارق عملاق ولكن تواضع ومن تواضع لله رفعه الله** ﷻ.

قال رسول الله: «**إذ رفع لي سواد عظيم**» هذا في الرؤيا المنامية ورؤيا الأنبياء حق «**فظننت أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه**» دليل على كثرة أصحاب موسى لكن ليسوا بأكثر من أمة نبينا ﷺ فقد كان في ليلة الإسراء والمعراج أن جاوز النبي ﷺ موسى بن عمران فبكى موسى فقيل له: **ما يبكيك؟** قال: هذا الغلام أمته أكثر من أمتي ويدخل من أمته الجنة أكثر من أمتي(١) قال: «**فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**» وقد جاء - بارك الله فيكم - في رواية عند الإمام أحمد وذكرها الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة أن النبي ﷺ قال: «**فاستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين ألفًا**»(٢) قال الحافظ ابن حجر: وسنده جيد وهذا فيه دليل على فضيلة هذه الأمة كيفية وكمية فمن حيث الكيفية توحيد ومن حيث الكمية كثرة «**ثم نهض أي نبينا** ﷺ **فدخل منزله فخاض الناس في أولئك فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله** ﷺ **وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا وهذا مقترح آخر**

---

(١) البخاري (٣٦٧٤) ومسلم (١٦٤) والنسائي (٤٤٨) ومسند أحمد (١٧٨٦٩).

(٢) صحيح: أحمد (٢٢) ومسند أبي يعلى (١١٢) وانظر حديث رقم: ١٠٥٧ في صحيح الجامع.

وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه فقال: هم الذين لا يسترقون ومعنى لا يسترقون أي لا يطلبون الرقيا من الغير والأولى أن لا تطلب الرقيا من الغير ولكن ينبغي على الغير أن يبادر إلى رقيتك عملا بحديث جابر في صحيح مسلم قال ﷺ: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»(١)

فهذا من النفع فهؤلاء السبعون الذين مع كل ألف سبعون ألفا خصائصهم:

١- **لا يسترقون** أي بلغوا مبلغًا من الكمال والفضل والتوحيد بحيث أنهم لا يسألون الإسترقاء من أحد من الناس اعتمادًا على الله ﷻ.

٢- **ولا يكتوون** والإكتواء هو أخذ جريدة محماة ووضعها على مكان الألم وهذا جائز لكنه مكروه بما جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال:

«إن كان الشفاء في شيء ففي ثلاث شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وأنهى أمتي عن الكي»(٢) وهكذا أيضًا جاء **«أن النبي ﷺ بعث إلى أبي بن كعب طبيبًا فقطع له عرق وكواه»**(٣) وجاء أيضا في صحيح البخاري **«قال أنس كويت من ذات الجنب ورسول الله ﷺ حي»**(٤) والمراد بذات الجنب كما قال في النهاية: الدمل الكبيرة التي تظهر في باطن الجنب وتنفجر إلى داخل وقلما يسلم صاحبها منها وربما كان لها الآن

---

(١) مسلم (٢١٩٩) وأحمد (١٤٢٦٩) (١٤٤٢٢) (١٤٦٢٤) (١٥١٤٢) (١٥٢٧١) وابن حبان (٥٣٢) (٦٠٩١) (٦٠٩٧) وغيرهم.

(٢) البخاري (٥٣٥٦) (٥٣٥٧) وابن ماجة (٣٤٩١) وأحمد (٢٢٠٨) والمعجم الكبير (١٢٢٤١).

(٣) مسلم (٢٢٠٧) وابن ماجة (٣٤٩٣) وأحمد (١٤٤١٩) (١٥٠٣١) والحاكم (٧٤٩٤) (٨٢٨٥) ومسند أبي يعلى (٢٢٨٧).

(٤) البخاري (٥٣٨٩)

تسمية أخرى وجاء في صحيح مسلم أن عمران بن حصين أبو نجيد رضي الله عنه كانت الملائكة تسلم عليه إذا مر تقول له الملائكة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا عمران فلما اكتوى تركت الملائكة التسليم عليه فلما ترك الاكتواء عادت الملائكة تسلم عليه مرة أخرى[١] ولكن لكمال التوحيد والعقيدة والاكتفاء بالله سبحانه وتعالى أنك لا تكتوي اعتمادًا على الله.

٣- **ولا يتطيرون** والمراد بالتطير هو زجر الطير إن أيمن تفاءل وإن أشأم تشاءم هذا لا يجوز وكانت هذه عقيدة راسخة في قلوب الجاهليين فجاء الإسلام فأبطلها.

٤- **قال:** «**وعلى ربهم يتوكلون**» وقد جاءت لفظة في صحيح البخاري: «**هم الذين لا يرقون ولا يسترقون**» فلفظة: لا يرقون لفظة شاذة حكم العلماء بشذوذها[٢] كشيخ الإسلام ابن تيميه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وما شابهه من العلماء المحققين وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رقى وكذلك الصحابة رضي الله عنهم والأحاديث الكثيرة الشاهدة بذلك وعلى أية حال فمن كمال التوحيد أن لا تطلب من ذلك شيئًا وعلى الإنسان أن يعلم أنه لا بأس بالإستدواء والإستطباب فالنبي صلى الله عليه وسلم قد قال: «**تداووا عباد الله**»[٣] «**فإن الله ما أنزل داء إلا أنزل له دواء علمه من علم وجهله من جهله**»[٤] ويقول صلى الله عليه وسلم:

---

(١) مسلم (١٢٢٦) وأبو داود (٣٨٦٥).

(٢) انظر السلسلة الضعيفة برقم (٣٦٩٠) قال الألباني رحمه الله: منكر بذكر: «ولا يرقون».

(٣) صحيح: ابن ماجة (٣٤٣٦) وابن حبان (٦٠٦١) والحاكم (٧٤٣٠) (٨٢٠٦) والمعجم الكبير (٤٦٤) (٤٦٩) وانظر حديث رقم: ٢٩٣٠ في صحيح الجامع.

(٤) صحيح: أحمد (٣٥٧٨) (٣٩٢٢) (٤٢٣٦) (٤٣٣٤) (١٨٤٧٩) وابن حبان (٦٠٦٢) والحاكم (٧٤٢٤) وانظر حديث رقم: ١٨٠٩ في صحيح الجامع.

«**كل شيء بقضاء وقدرٍ حتى العجز والكيس**»[(١)] ولكن الشخص إذا وصل إلى حدٍ من الكبر والهرم فهنا عليه أن يسلم فإنه لا يمكن للطبيب أن يعيد الرجل الكهل شابا ولا المرأة العجوزة فتية فإنه خلاص كما قيل:

عجوز تمنت أن تكون فتية وقد نحل الجنبان واحدودب الظهر
فسارت إلى العطار تبغي شبابها وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

انتهى الإستشكال فعلى من كان هذا حاله أن يسلم وأن يعلم أنه الآن لا بد أن يبادر الموت وأن يسبق الموت قبل أن يهجم عليه لأنه ما بقي من عمره إلا قاب قوسين أو أدنى فتتمة لحديث رسول الله حديث سبعين الألف قام أحد الصحابة يسمى عكاشة بن محصن فقال: ادعوا الله أن يجعلني منهم قال: أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال: ادعوا الله أن يجعلني منهم فقال: سبقك بها عكاشة» وظل هذا مثلًا مضروبًا: سبقك بها عكاشة قيل: إن النبي ﷺ قطع الطلب والسؤال حتى لا يتتابع الناس سائلين: ادعوا الله أن يجعلني منهم ادعوا الله أن يجعلني منهم وقيل: هذا الرجل كان مغموسا بشيء من النفاق فالله ﷻ أعلم وأصحاب النبي ﷺ كلهم عدول لا ينبغي لنا أن نجرح واحدا منهم إلا من بين لنا حاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.



(١) مسلم (٢٦٥٥) وأحمد (٥٨٩٣) وابن حبان (٦١٤٩) وسنن البيهقي الكبرى (٢٠٦٧١) ومسند الشهاب (٢٠٤).

فيه مسائل:

الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد.

الثانية: ما معنى تحقيقه.

الثالثة: ثناؤه - سبحانه - على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين.

الرابعة: ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك.

الخامسة: كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد.

السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل.

السابعة: عمق علم الصحابة، لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بالعمل.

الثامنة: حرصهم على الخير.

التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية.

العاشرة: فضيلة أصحاب موسى.

الحادية عشرة: عرض الأمم عليه ﷺ.

الثانية عشرة: أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها.

الثالثة عشرة: قلة من استجاب للأنبياء.

الرابعة عشرة: أن من لم يجبه أحدٌ يأتي وحده.

الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم، وهو عدم الإغترار بالكثرة وعدم الزهد في القلة.



السادسة عشرة: الرخصة في الرقية من العين والحمة.

السابعة عشرة: عمق علم السلف لقوله: «قد أحسن من انتهى إلى ما سمع» ولكن كذا وكذا فعلم أن حديث الأول لا يخالف الثاني.

الثامنة عشرة: بعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه.

التاسعة عشرة: قوله: «أنت منهم» علَم من أعلام النبوة.

العشرون: فضيلة عكاشة.

الحادية والعشرون: استعمال المعاريض.

الثانية والعشرون: حسن خلقه ﷺ.



وبقيت مسائل لكن أظن أنها واضحة في حد ذاتها والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.





باب الخوف من الشرك

وقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥].

قال الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب الخوف من الشرك

ثمانين رجلا من أصحاب النبي ﷺ ما منهم من أحد إلا يخاف على نفسه من النفاق وحالنا لا حول ولا قوة إلا بالله كما قال الله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [البقرة:٢٠٦] والله ﷻ يقول لسيد المتقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:١] وعمر أبو حفص عمر الفاروق رضي الله عنه ذلكم الصحابي العملاق المبشر بالجنة هو من العشرة المبشرين بالجنة باتفاق أهل السنة وهو صاحب النبي ﷺ يكون فضله في المرتبة الثانية بعد أبي بكر مباشرة وما خالف في ذلك إلا الشيعة وليس خلافهم بمعتبر فإن الشيعة والرافضة قد ابتلوا ببغض أصحاب النبي ﷺ وسبهم والوقيعة فيهم هذا الرجل العظيم الذي امتدحه النبي ﷺ قائلا: «**ما سلكت فجا إلا سلك الشيطان فجا آخر**»(١) ويمتدحه النبي ﷺ بقوله:

---

(١) البخاري (٣١٢٠) (٥٧٣٥) ومسلم (٢٣٩٦) وأحمد (١٤٧٢) (١٥٨١) وابن حبان (٦٨٩٣).

«**إنه كان فيما مضى من الناس محدثون - أي ملهمون - فإن يكون في هذه الأمة فعمر**»[(١)] ويقول له النبي ﷺ مرة:

«**دخلت الجنة فرأيت فيها قصرا فسألت لمن هذا القصر؟ فقيل لي: لرجل من قريش فأردت أن أدخله فتذكرت غيرتك فقيل لي: لعمر بن الخطاب فتذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال: أمنك أغار يا رسول الله؟**»[(٢)] رجل عظيم له مقام صدق وله فتوحات ولي أمر المسلمين فسار بالعدل والسوية والإنصاف كما قيل:

يا من يرى عمرا تكسوه بردته ... والزيت أدم له والكوخ مأواه
يهتز كسرى على كرسيه طربا ... من خوفه وملوك الروم تخشاه

هذا الرجل يأخذ بيد حذيفة بن اليمان ويقول له: «**يا حذيفة هل سماني أو عدني رسول الله ﷺ من المنافقين**» لأن أسماء المنافقين كانت بيد حذيفة بن اليمان أخبر النبي حذيفة بأسماء المنافقين وأن منهم أربعة عشر رجلا حرمت عليهم الجنة وحرم عليهم أن يشموا رائحتها فبكى حذيفة وقال:

«**لا والله يا أبا حفص ولن أزكي أحدا بعدك**» يخاف على نفسه فالواجب على المسلم أن يخاف على نفسه من الشرك ومن البدعة ومن الرياء وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: أنا ما في شيء ولا بي شيء ولا مني شيء أنا لا زلت أجدد إسلامي كل يوم أنا المكدي وابن المكدي وهكذا كان أبي وجدي، وسوف يأتي

---

(١) البخاري (٣٤٨٦) والترمذي (٣٦٩٣) وأحمد (٢٤٣٣٠) والحاكم (٤٤٩٩) وسنن النسائي الكبرى (٨١١٩) ومسند إسحاق بن راهويه (١٠٥٨).

(٢) البخاري (٣٤٧٦) ومسلم (٢٣٩٤) وأحمد (٨٤٥١) (١٤٣٦٠) (١٥٠٤٤) (١٥٢٢٦) ومسند الطيالسي (١٧١٥) ومسند أبي يعلى (١٩٧٦).

استدلال المؤلف لهذا الباب بقول الله ﷻ حكاية عن إبراهيم خليل الرحمن: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥] فبعد هذه الترجمة مباشرة ذكر المؤلف قول ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

والشرك على قسمين:

١- **شرك أكبر** مخرج من الملة

٢- **وشرك أصغر** وهو الرياء.

والفرق بين الشرك الأكبر والأصغر هو الآتي:

١- الأكبر مخرج من الملة بخلاف الشرك الأصغر.

٢- الشرك الأكبر صاحبه حلال الدم والنفس والعرض بخلاف الشرك الأصغر.

٣- الشرك الأكبر يحبط الأعمال كلها كما قال سبحانه:

﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥] بخلاف الشرك الأصغر على تفاصيل ستأتي في مواضعها من هذا الدرس إن شاء الله ويتفق الشرك الأصغر والأكبر أنهما لا يغفران لصاحبهما لأن الله ﷻ يقول:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ فأن وما دخلت عليها في تأويل مصدر إشراكًا وإشراكًا نكرة في سياق النفي تفيد العموم فتعم النوعين الأصغر والأكبر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ أي لا يغفر إشراكًا به وإشراكا نكرة في سياق النفي تفيد العموم يخل في ذلك الشرك الأصغر والأكبر وبعض أهل العلم يقول: الشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في جهنم بخلاف الأكبر فهو دون الشرك الأكبر وفوق الكبيرة وعلى أية حال

يجب على العبد أن يخاف من النوعين الشرك الأصغر والأكبر فقد كان النبي ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا أعلمه وأستغفرك لما لا أعلمه**» فالواجب على المسلم أن ينأى بذلك وأن يسأل ربه ﷻ أن يجنبه وقال الله ﷻ حاكيًا عن إبراهيم: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥] قيل: إن المراد بأبنائه هم إسماعيل وإسحاق فليس لإبراهيم أولاد غيرهما وقيل: المراد بذلك أبناؤه أي من نسله فيعم أمة محمد ﷺ كما قال الله في القرآن: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾ [الحج:٧٨] والمراد بالصنم: هو ما كان على هيئة على صورة بخلاف الوثن فقد يكون أعم من الصنم بهذا الإعتبار.



وفي الحديث: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشركُ الأَصْغَرُ» فسئل عنه فقال: «الرِّيَاءُ»(١).



ثم قال المؤلف: وفي الحديث،

قوله وفي الحديث الحديث لغة: بمعنى الجديد ضد القديم وتجمع كلمة حديث على خلاف القياس فهي تجمع على أحاديث على وزن مفاعيل وإلا فالأصل فيها حواديث أو حداويث ولكن جمعت على لفظ أحاديث لأنها لفظة قرآنية

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [يوسف:٦] واصطلاحًا: هي أقوال النبي ﷺ

---

(١) صحيح: أحمد (٢٣٦٨٠) (٢٣٦٨٦) والمعجم الكبير (٤٣٠١) وشعب الإيمان (٦٨٣١) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٣٢).

وأفعاله وتقريراته هذا تعريف الحديث لغة واصطلاحا والفرق بين الحديث والخبر والأثر أن الحديث خاص بالنبي ﷺ إذا قلت: وفي الحديث يتبادر إلى الذهن أنه حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأما الخبر فيشمل قول الرسول وقول الصحابي وقول التابعي وأما الأثر فهو يكون لما دون رسول الله ﷺ من الصحابة والتابعين وإذا استخدم في حق النبي ﷺ فلا بأس أن يستخدم مقيدًا وفي الأثر عن رسول الله ﷺ وقد استدل بعض أهل العلم بقول الله ﷻ: ﴿أَوۡ أَثَـٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ [الأحقاف:٤] على علم الحديث والمراد بذلك حديث رسول الله وبقول ابن الوزير:

العلم ميراث النبي كذا أتى ... بالنص والعلماء هم وراثه
ما خلف المختار غير حديثه ... فينا كذاك متاعه وأثاثه

وهذا الحديث إخواني هو في مسند أحمد والطبراني وهو حديث صحيح يقول النبي ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسئل عنه فقال: الرياء**» والرياء مشتق من الرؤية لأنه مصدر راءى يرائي والمصدر رياء وهو أن يعبد الله ﷻ لقصد أن يراه الناس يتعبد ليراه الناس كما قيل:

وقصيدة تأتي الملوك غريبة ... قد قلتها ليقال: من ذا قالها؟

ويقول النبي ﷺ: «**من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به**»(١) فالرياء خطره عظيم على العبد في الدنيا وكذلك أيضا في الآخرة وإن كان قليلا وهو على قسمين: فإن كان الرياء في أصل العبادة دخلت في الصلاة أو في الصيام صليت الظهر والعصر أو كذا أو قمت تتنفل الحامل لك هو الرياء فهنا العبادة باطلة يقول الله ﷻ:

---

(١) البخاري (٦١٣٤) ومسلم (٢٩٨٦) وأحمد (٢٠٤٧٤) والمعجم الكبير (١٦٩٩) (١٧٠٠) (٨٧٥١) (١٢٣٧١) والمعجم الأوسط (٤٦٨٠).

«أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»(١)

ويقول الله ﷻ في الحديث القدسي: **«يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»**(٢) ويقول النبي ﷺ: **«كل الناس يغدوا فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»**(٣) بمعنى إن عمل الإخلاص قبل وإن عمل برياء رفض هذا العمل ويقول سبحانه:

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥]

ويقول الله ﷻ: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢]

ويقول الله ﷻ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر:٣] فالله ﷻ يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا صوابًا كما قال ﷻ ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [الملك:٢] قال الفضيل بن عياض: أحسن العمل أخلصه وأصوبه وهذان شرطان من شروط قبول العمل الإخلاص ثم المتابعة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم

أما إن كان الرياء في أثناء العمل مثلًا دخلت تصلي الظهر فلما كنت في الركعة الثالثة وجدت أن هناك من يلاحظ صلاتك هذه فحاولت أن تصلحها وأن تتعمق فيها فإن دفعته فعملك صحيح وإن بقي فهو يحبط عليك تلك الركعة الأخيرة من الصلاة وعلى أية حال فليدافع الشخص الرياء ومداخل الشيطان فإن مداخل الشيطان كثيرة

---

(١) مسلم (٢٩٨٥) وابن ماجة (٤٢٠٢) وابن خزيمة (٩٣٨) ومسند أبي يعلى (٦٥٥٢) وشعب الإيمان (٦٨١٥).

(٢) مسلم (٢٥٧٧) والحاكم (٧٦٠٦).

(٣) مسلم (٢٢٣) والترمذي (٣٥١٧) وابن ماجة (٢٨٠) وأحمد (٢٢٩٥٣) (٢٢٩٥٩) والدارمي (٦٥٣) وابن حبان (٨٤٤) وشعب الإيمان (٢٨٠٥).

جاء من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

«**أول من تسعر بهم النار ثلاثة ومنهم العالم يؤتى به فيعرفه الله نعمته فيقال له: ماذا فعلت؟ يقول: قرأت فيك القرآن وأقرأته يقول: لا إنما قرأت من أجل يقال قارئ فقد قيل**»[(١)] أنت كنت حريصا على أن يقول الناس عنك بأنك شيخ وبأنك كذا وكذا أشياء كثيرة جدا الشخص يحاول أن يلفت أنظار الناس لا سيما ما يكون بين الأقران وهكذا يريد الشخص أن يقال عنه كذا فهذا الشيء قد حصل في هذه الدنيا ونلته ثم يقول الله ﷻ لملائكته: خذوه إلى النار عياذا بالله وهذا كان قارئ أو عالم وآخر كان يجاهد لكن ما هو من أجل الله من أجل شجاعة أو حمية وآخر متصدق لكن فسدت نيته نسأل الله ﷻ السلامة والعافية.



وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ» رواه البخاري[(٢)].

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ لَقِيَ اللّهَ لَا يُشركُ بِهِ شيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشركُ بِهِ شيئًا دَخَلَ النَّارَ»[(٣)].

---

(١) مسلم (١٩٠٥) والترمذي (٢٣٨٢) والنسائي (٣١٣٧) وأحمد (٨٢٦٠).

(٢) البخاري (٤٢٢٧).

(٣) مسلم (٩٣) وأحمد (١٤٥٢٨) والمعجم الأوسط (٧٨٧٩) ومصنف عبد الرزاق (١٩٧٠٨) (٢٠٢٧٧).

فيه مسائل:

الأولى: الخوف من الشرك.

الثانية: أن الرياء من الشرك.

الثالثة: أنه من الشرك الأصغر.

الرابعة: أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين.

الخامسة: قرب الجنة والنار.

السادسة: الجمع بين قربهما في حديث واحد.

السابعة: أنه من لقيه لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار ولو كان من أعبد الناس.

الثامنة: المسألة العظيمة: سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام.

التاسعة: اعتباره بحال الأكثر لقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٦].

العاشرة: فيه تفسير «لا إله إلا الله» كما ذكره البخاري.

الحادية عشرة: فضيلة من سلم من الشرك.



ثم ذكر المؤلف حديث ابن مسعود وهو عبد الله بن مسعود ويكنى بأبي عبد الرحمن وهو من الصحابة الأول رضي الله عنه وأرضاه أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار**» رواه البخاري والمراد بالند هو الشبيه والمثيل.



وفي قوله: «**من مات وهو يدعو**» يشمل القسمين من الدعاء: دعاء العبادة ودعاء المسألة.

فدعاء العبادة مثل الصوم والصلاة والزكاة والحج وبر الوالدين والإعتمار والأذكار هذه كلها يقوم بها العبد من أجل أن يغفر الله له من أجل أن يدخله الجنة فهي بمثابة الدعاء فهذا إن صرف منه شيء لغير الله يكون من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ﷻ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] إن صرف شيء من دعاء العبادة، أما دعاء المسألة ففيه تفصيل إن سألت غير الله فيما يستطيع أن يقول الفقير مثلا للغني: إعطني أو ارزقني من هذا المال ارزقني بمعنى إعطني كما قال الله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [النساء: ٨] فهنا لا بأس به فيما يقدر عليه.

أما إذا كان فيما لا يقدر فيكون هذا من الشرك الأكبر لأن الله ﷻ يقول:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة:١٨٦] ويقول الله سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر:٦٠] ويقول النبي ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله**»(١) فالواجب أن يسأل الله ﷻ

الله يغضب إن تركت سؤاله	**وبني آدم حين يسأل يغضب**
لا تشكون إلى ابن آدم حاجة	**وسل الذي أبوابه لا تحجب**

ثم قال: ولمسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «**من لقي الله لا يشرك به شيئًا**

(١) صحيح: الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (٢٦٦٩) والمعجم الكبير (١١٤١٦) ومسند أبي يعلى (٢٥٥٦) وانظر مشكاة المصابيح (٥٣٠٢).



دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار»[١] وهذا يعم النوعين من الشرك الشرك الأكبر والأصغر الذي هو كيسير الرياء وكقول الرجل: ما شاء الله وشاء محمد أو ما شاء الله وشئت فهذا فيه أيضا من الإشراك أو كأن يستغيث بغير الله ﷻ فهذا يعتبر أيضا من الشرك الأكبر ونمشي على القاعدة التي ذكرناها أن النكرة في سياق النفي تفيد العموم وهنا قد تقدم النفي على هذه النكرة

«**من لقي الله**» أي يوم القيامة «**لا يشرك به شيئا دخل الجنة**» ففي هذا فضيلة التوحيد «**ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار**» عياذا بالله نسأل الله ﷻ أن يعصمنا وإياكم من الشرك الأكبر والأصغر وأن يجنبنا الذنوب والمعاصي وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.



(١) مسلم (٩٣) وأحمد (١٤٥٢٨) والمعجم الأوسط (٧٨٧٩) ومصنف عبد الرزاق (١٩٧٠٨) (٢٠٢٧٧).



باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف:١٠٨].

قال المؤلف شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

أما ما يتعلق بتعريف الباب فقد تقدم لكم في عدة مجالس ولا أريد واحدا أن يكون جاهلا بتعريف الباب لغة واصطلاحا فالذي لا يدري فليسأل من كان يدري وإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وهذه الترجمة مناسبة جدا في هذا الباب باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله **لماذا قلنا أنه مناسب جدًا بعد الأبواب التي قبله؟** لأن من حقق التوحيد كما في الباب الثاني من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب وفي الباب الثالث الخوف من الشرك فمن حقق التوحيد وعرف خطر الشرك وما يؤول إليه هذا الشرك أمر صاحبه حينها إذا كان محققا للتوحيد وخائفا من الشرك وجب عليه أن يدعو الناس إلى التوحيد وأن يحذر من الشرك ليكون ذلك دليلا على صدق توحيده.

فقوله: الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله المراد بذلك الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى كلمة التوحيد وتأمل الأنبياء حينما عرفوا مقام التوحيد وخطر الشرك دعوا أقوامهم إلى هذا فما من نبي بعثه الله إلى قوم من الأمم إلا كان أول ما يدعو ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم

مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ﴾ [المؤمنون:٣٢] ونبينا ﷺ يأتي إلى قوم يعبدون الأصنام ويدعونها من دون الله كما قال ربنا سبحانه في كتابه الكريم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] وكما قال سبحانه حينما قال النبي للمشركين قولوا: لا إله إلا الله: قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص: ٥] أمر عجيب نحن لدينا أصنام عامة وخاصة ندعوها ونتقرب بأعمالنا إليها **فكيف ندع هذه الأصنام كلها وندعوا واحدا لا شريك له؟** فكان هذا أمر فوق عقولهم وفوق مستواهم ما استوعبوه وأصر بعضهم على عدم تركه والموفق من وفقه الله فكان النبي ﷺ يكرر دائمًا قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا وتحمل في ذلك الأذى لأنه دعا إلى الله دعا إلى توحيد الله وهذا من أصعب ما يكون إذا دعوت الناس إلى أن يتركوا الخمر والزنا والغيبة والنميمة تجد لك أنصار وأعوان لكن تدعوهم إلى التوحيد لا بد أن تجد الأذى وأن تجد المخالفة لأن الكثير من الناس قد استروحوا الشرك لاسيما شرك القبور دعاء المقبورين من دون الله فقد روى الإمام ابن حبان في صحيحه من حديث طارق بن عبد الله المحاربي وهو صحابي صغير قال:

«**رأيت النبي ﷺ بأسواق مكة مجنة وعكاظ وذي المجاز في المواسم**» يعني في مواسم الحج «**يعرض نفسه يقول: أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ورجل بعده يرميه بالحجارة يقول: كذاب لا تصدقوه قد أدمى كعبيه وعرقوبيه فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا عبد العزى أبو لهب قلت: فمن هذا الذي يقول مقالته؟ قالوا: إنه غليم ابن عبد المطلب تحقيرا لشأنه**»[(١)] فكان ﷺ حريصا أن يدعو الناس إلى التوحيد لأنه

---

(١) أحمد (١٦٠٦٦) (١٩٠٢٦) (٢٣٢٤٠) وابن حبان (٦٥٦٢) والحاكم (٣٩) (٤٢١٩) وسنن الدارقطني (١٨٦) وغيرهم وانظر صحيح السيرة النبوية للألباني صفحة (١٤٣).

يعلم عظمة التوحيد ومخاطر الإشراك به ﷻ.

وتأمل وهو راكب على حمار ويقول لابن عباس «**يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**»(١) توحيد ويقول لمعاذ بن جبل وهو راكب على حمار: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قال: الله ورسوله أعلم قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا**»(٢) هذا أمر عظيم أن تكون داعية إلى توحيد الله ﷻ وهكذا وجب على المؤمن أن يجعل نبيه ﷺ قدوة وقائدًا وقيادة في هذا الباب فيدعو كما دعا لأن الله ﷻ يقول: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨] وتعرفون في قصة معاذ بن جبل لما أرسله النبي ﷺ إلى اليمن قال:

«**إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى شهادة أن لا إله إلا الله**»(٣) وهو سيأتينا في هذا الباب فكان إنما يبدأ بشهادة أن لا إله إلا الله فهي الكلمة العظيمة التي بها الفلاح والنور والخير والسعادة في الدارين.

وفي قوله سبحانه: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ﴾ هذا أمر من الله للنبي ﷺ أن يقول لأتباعه: هذه سبيلي أي هذا هو طريقي وهذا هو دربي ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بمعنى أحث الناس وأدلهم

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (٢٦٦٩) والمعجم الكبير (١١٤١٦) ومسند أبي يعلى (٢٥٥٦) وانظر مشكاة المصابيح (٥٣٠٢).

(٢) البخاري (٢٧٠١) ومسلم (٣٠) والحاكم (١٩٠١).

(٣) البخاري (١٣٣١) (١٤٢٥) (٤٠٩٠) ومسلم (١٩) وأبو داود (١٥٨٤) والترمذي (٦٢٥) والنسائي (٢٤٣٥) (٢٥٢٢) وابن ماجة (١٧٨٣) وأحمد (٢٠٧١).

على عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ والمراد بالبصيرة هنا أمران:

الأمر الأول: بصيرة بحكم الشرع إذ أن الجاهل **كيف يدعو وهو جاهل؟** وفي هذا رد على من يدعو وهو يجهل قال عمر بن عبد العزيز كما ذكر هذا الأثر ابن عبد البر في كتابه العظيم جامع بيان العلم وفضله قال: «**إن من عمل من غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح**» **فكيف تدعو الناس وأنت على جهل؟** فلا بد للداعية من زاد والمراد بالزاد العلم لا بد أن يكون لديك سلاح من العلم والمراد بالعلم الوحي المنزل كتاب الله وسنة النبي ﷺ لأنه لا يزيل الجهل إلا هذا ولله در ابن القيم حيث يقول:

والجهـــل داء قاتـــل وشـــفاؤه	**أمـــران في التركيـــب متفقـــان**
نـــص مـــن القـــرآن أو مـــن سـنة	**وطبيـــب ذاك العـــالم الربـــاني**

إذن لابد من بصيرة بحكم الشرع ولا بد من بصيرة بحال المدعو بصيرة بحكم الشرع وبصيرة بحال المدعو أنت تدعو مسلما إذن لا بد أن تكون عالما بحاله، تدعو كافرا أي نوع من الكفر **أهو يهودي؟ أهو نصراني؟ أهو شيوعي وثني؟ أهو من عبدة النار من عبدة الأوثان من عبدة الأبقار من عبدة الأحجار؟** هو على أي ديانة من الديانات من أجل أن تأتيه من باب ديانته التي هو عليها لذا كان النبي ﷺ مطبقا لهذين الأمرين بصيرة بحكم الشرع وبصيرة بحال المدعو فقال لمعاذ بن جبل: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب**» بين له حكم حال المدعو بين له حال المدعو على أي شيء هو هو أهل كتاب إما أن يكونوا يهود وإما أن يكونوا نصارى ثم أعطاه البصيرة قال له: ادعوهم إلى لا إله إلا الله فإن هم أجابوك فقل لهم كذا وكذا وكذا إلى آخر ما ذكر عدد له التوحيد والصلاة والزكاة وذكر له اتقاء دعوة المظلوم وبين له شيئا من أحكام

الأنصباء وهذه هي طريقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف:١٠٨] وأتباعه ﷺ هم المؤمنون به إلى يوم القيامة.

قال: ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ وهنا سبحان مفعول مطلق بفعل محذوف تقديره أسبح سبحان.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ في هذا نفي أن يكون النبي ﷺ قد أشرك بربه ﷻ ولو شيئا يسيرا فإنه إنما يدعو إلى التوحيد ويحث الناس إلى توحيد الله ﷻ.

وفي قوله: ﴿أَدۡعُوٓاْ﴾ الدعاة إلى الله ﷻ على أقسام فمن الناس من يدعو إلى الله ﷻ يدعو إلى الله وهو مصيب في دعوته دعا بإخلاص واتباع عنده الإخلاص وعنده الإتباع في هذه الدعوة بمعنى أنه يدعو كما دعا رسول الله ﷺ يحلم ويرفق بالناس ويأخذ طريقة الأولوية والمرحلية في الدعوة إلى الله ﷻ لا ينفر كما قال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وهذا من أفضل وأرفع ما يكون أن تكون داعية إلى الله مصيبا ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣] عنده دعوة وعنده عمل صالح آخر يدعو إلى الله لكن عنده أخطاء ربما كانت هذه الأخطاء في الإتباع ما عنده تلكم السياسة الدعوية التي كان عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فليس كالأول الأول كان عنده صواب عنده إخلاص وعنده اتباع هذا عنده إخلاص لكن ليس عنده صواب في كثير من الأمور ربما كان يجهل وربما يدعو إلى أشياء هو ما أتقنها ولا هضمها.

الثالث عنده إصابة ولكن ما عنده إخلاص وهذا من أخطر ما يكون فهو نقيض الثاني تماما الثاني عنده إخلاص لكن ما عنده اتباع الثالث عنده اتباع لكن ما عنده إخلاص.

الرابع من يدعو إلى نفسه لا يدعو إلى الله وإنما يدعو إلى نفسه أو إلى مذهبه أو إلى رئيسه أو إلى مديره إلى أن يؤسس جماعة أو يؤسس حزب هو وإن دعا الناس قال: قال الله قال رسوله لكن هو ليس المقصود هذا وإنما الغاية من هذه الدعوة أن يشكل حزب أن يشكل جماعة أن يشكل جمعية أن يكون له تواجد في الساحة وهذا - بارك الله فيكم - وجوده كالعدم فتأمل الآن مثلا إلى العلماء الربانيين شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعني إمام ويقال عن الإمام إمام لأن له أقوال يأخذ بها أصحابه من بعده ورتبة شيخ الإسلام أرفع من رتبة إمام فله أقوال وله ردود أيضا على الطوائف فهو أجمع من كلمة إمام أنظر إلى النووي أنظر إلى ابن عبد السلام أنظر إلى الذهبي أنظر إلى بن باز إلى الألباني إلى ابن عثيمين لكن تأمل إلى بعض الحركيين قد يكون عندهم إخلاص لكن المتابعة قليلة عندهم جهل وتفريط في مقام التوحيد ربما كان الإخلاص موجود كدعوة مثلا سعيد حوى أو سيد قطب رحمة الله عليهما الإخلاص قد يكون حاصل وهذا أمر غيبي بين العبد وبين ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لكن الإتباع غير موجود وتأمل إلى الميراث **ما الذي ورثه الألباني وابن عثيمين وابن باز والوادعي؟ وما الذي ورثه الحركيون؟** ورثوا كتبا حماسية يعني ليس إلا وهؤلاء ورثوا علوم أبحاث ومراجع ضخمة للمسلمين فمن هذا - بارك الله فيكم - يجب على طالب العلم أن يكون داعية إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وليصلح نفسه قبل أن يدعو الناس إلى ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أما أن يكون يدعو إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو إما أن ينقصه الإخلاص وإما أن ينقصه العلم وإما أن ينقصه

السلوك العملي أن يكون صالحا في نفسه مصلحا لغيره فهذا ستذهب أوقاته سدى فعليه أن يصلح نفسه قبل أن يدعو غيره كما قال أبو الأسود الدؤلي:

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلاّ لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضناء	كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهنالك يسمع ما تقول ويشتفى	بالقول منك وينفع التعليم

ويقول أبو العتاهية:

لا تصلح الناس وأنت فاسد	هيهات هيهات ما تكابد

يعني وإن كابدت ليل نهار فإنك لن تستطيع أن تصلح طفلا واحدا ما دام الفساد في جسدك وفي معتقدك أو في نيتك أوفي متابعتك أو في اقتدائك برسول الله ﷺ فلا بد أن تكون نظيفا صافيًا عقيدة ومنهجا وطريقةً وسلوكًا وتعبدا حتى تستطيع أن تدعو الناس إلى الله ﷻ فينتفع الناس بدعوتك نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من الدعاة الصادقين وأن يرفع درجاتنا في المهديين وأن يرينا الحق حقا فيرزقنا اتباعه والباطل باطلا فيرزقنا اجتنابه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.



عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ، (وَفِي رِوَايَةٍ: إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللّٰهَ)، - فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللّٰهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللّٰهَ



افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ» أخرجاه(١).



يقول شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بعث معاذا إلى اليمن،

لما هنا بمعنى حين وابن عباس هو عبد الله بن عباس الهاشمي يكني بأبي العباس دعا له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله:

«**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»(٢) وقد كان من أمره أن صار إماما قدوة، كان عمر يدخله مع أشياخ المهاجرين والأنصار، وقد نفع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به، ولما مات في الطائف قال مورق العجلي: مات في هذا اليوم رباني هذه الأمة، يعني ابن عباس وقد عمي في آخر عمره ولكن كما قيل:

يقولون الضرير فقلت كلا ... بلى والله أبصر من بصير
سواد العين زار بياض قلبي ... ليجتمعا على فهم الأمور

فكان مدرسا ومعلما وموجها ومفتيا إلى آخر عمره وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يتمثل كثيرا بقوله:

إن يأخذ الله من عيني نورهما ... ففي فؤادي وقلبي منهما نور

---

(١) البخاري (١٣٣١) (١٤٢٥) (٤٠٩٠) ومسلم (١٩) وأبو داود (١٥٨٤) والترمذي (٦٢٥) والنسائي (٢٤٣٥) (٢٥٢٢) وابن ماجة (١٧٨٣) وأحمد (٢٠٧١).

(٢) البخاري (١٤٣) وأحمد (٢٣٩٧) (٢٨٨١) (٣١٠٢) وابن حبان (٧٠٥٥) والحاكم (٦٢٨٠).

قلبـي ذكـي وعقلـي غيـر ذي دخـن وفي فمـي صـارم كالسـيف مشـهور

وكم من إنسان تجده أعمى لكنه أبصر من بصير وكم من رجل بصير ولكنه أعمى عن الحق والله ﷻ يقول: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء:٧٢] وهناك في عرصات القيامة مشهد مروع إنه يشاهد في ذلك اليوم قطيعا من الناس بينما كانوا مبصرين في الدنيا إلا أنهم هناك قد أصيبوا بالعمى فيندهش الرائي والمبصر قال الله ﷻ: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦] نسأل الله السلامة والعافية.

فهنا ابن عباس يثبت بعثة معاذ إلى اليمن وكانت بعثته في ربيع الأولى سنة عشرة من الهجرة النبوية، بعث النبي ﷺ معاذا إلى المخلاف الأسفل من اليمن عدن وما جاورها من تعز والحديدة وكان مسجده إلى الآن في وادي في منطقة كانت تسمى بالسكاسك والسكون والآن تسمى بأرض الجند كما ترجم ذلك الإمام الجعدي في كتابه: طبقات فقهاء اليمن وأما أبو موسى فكان في المخلاف الأعلى من اليمن في صنعاء وما جاورها وقال لهما النبي ﷺ: «**بشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا ويسرا ولا تعسرا**»(١) فامتثلا أمر النبي ﷺ فيقول النبي ﷺ لمعاذ: «**إنك تأتي قوما من أهل الكتاب**» وهذا كان غالب أهل اليمن وإلا كان هناك وثنيون لكن غالبهم إما يهود وإما مجوس وإما نصارى ففي هذا دليل على الشق الثاني من تفسير الآية: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أن يكون الداعي مزودا بالعلم الشرعي وبصيرا بحال المدعو الذي يريد هدايته وأن يدعوه إلى الله ﷻ وقد كان هذين الصحابيين معلمين وموجهين يرين حاكمين يعني

(١) البخاري (٢٨٧٣) ومسلم (١٧٣٣) وأحمد (١٩٧١٤) وسنن البيهقي الكبرى (١٩٩٣٧).

مفتي أو قاضي ومنفذ أيضا فالنبي ﷺ بعثهم بهذه الغاية العظيمة فيقول النبي ﷺ لرسوله: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**» وقد جاء في رواية: «**إلى أن يوحدوا الله**» وهي في الصحيحين وكلا الروايتين في الصحيح قال: «**فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة**» في هذا - بارك الله فيكم - لا بد من التدرج في أمر الدعوة تحاول أن تمشي رويدا حتى تصل إلى الأكمل والنبي ﷺ يقول: «**القصد القصد تبلغوا**»(١) قال: «**فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم**» والمراد بالصدقة هنا الزكاة الشرعية ومن هذه اللفظة استدل أهل العلم على وجوب زكاة العروض التجارية وإن كان دليلا على وجه العموم قال: «**فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم**» وإياك هنا بمعنى التحذير أي أحذرك فإن جاء بعد إياك الواو كان المراد بها التحذير: إياك وزيدا أي إحذره إياكم حديث ابن مسعود في صحيح مسلم: «**إياكم وهيشات الأسواق**»(٢) أي إحذروا هيشات الأسواق فإذا لم يؤت بعدها بالواو تكون إيا مفعول مقدم مفعول به مقدم منصوب مثل قوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] وإياك لا بد أن تكون بالتشديد إياك أما إذا قرئت بالتخفيف إياك فهي بمعنى الشمس فإذا قرأ القارئ إياك نعبد بمعنى إياك أي أنت يا ألله نعبدك ونستعين بك لكن إذا قرأ إياك فيكون يعني إياك نعبد أي نعبد هذه الشمس وتعرفون - بارك الله فيكم - أن العلماء متفقون إن كان اللحن في آية أو في

---

(١) البخاري (٦٠٩٨) وأحمد (١٠٦٨٨) (١٠٩٥٢) والبخاري في الأدب المفرد (٤٦١) ومسندالطيالسي (٢٣٢٢) وسنن البيهقي الكبرى (٤٥١٧).

(٢) مسلم (٤٣٢) وأبو داود (٦٧٥) والترمذي (٢٢٨) وابن خزيمة (١٥٧٢) وابن حبان (٢١٨٠) والحاكم (٢١٥٠).

كلمة من سورة الفاتحة يحيل المعنى فالصلاة باطلة هذه فائدة ذكرها الإمام النووي في مجموع شرح المهذب إن كان اللحن يغير المعنى فالصلاة باطلة فإن كان اللحن لا يغير المعنى فتكون الصلاة صحيحة لقول النبي ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»[(١)] أجر القراءة وأجر التعتعة فلو قال مثلا: الحمد لله أو لو قرأ الحمد لله بالكسر أو الحمد بالفتح صلاته صحيحة لأنه يفهم المراد به إثبات الحمد أو الإعتر ف بأن الحمد كله لله ﷻ وكما تقدم لكم أن في الآية وجه بلاغي وهو أن اللفظة لفظها خبري ومعناها إنشائي أي إحمدوا الله أو واجب عليكم أن تحمدوا الله ﷻ.

قال: «**فإياك وكرائم أموالهم**» والمراد بكرائم الأموال أنفسها وأفضلها.

ثم قال: «**واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**» ولو كان هذا المظلوم كافرا يهوديا نصرانيا مجوسيا فإنه ليس بينه وبين الدعوة التي يرفعها إلى الله حجاب فإن الله يرفعها دون الغمام يقول:

«**لأنصرنك ولو بعد حين**»[(٢)] ودليل آخر من القرآن يقول الله ﷻ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل:٦٢] والمضطر عموما فلا يجوز الظلم لكافر ولا لمسلم من باب أولى ولا لمن كان على الخط السلفي فإنه من أشد ما يكون كما قيل:

---

(١) البخاري (٤٦٥٣) ومسلم (٧٩٨) وابن ماجة (٣٧٧٩) وأحمد (٢٤٧١١) (٢٦٠٧٠) (٢٦٣٣٩) ومصنف عبد الرزاق (٤١٩٤) (٦٠١٦).

(٢) الترمذي (٢٥٢٦) (٣٥٩٨) وابن ماجة (١٧٥٢) وأحمد (٨٠٣٠) (٩٧٤١) وابن حبان (٨٧٤) (٧٣٨٧) والطيالسي (٢٥٨٤).

وظلــم ذوي القربــى أشــد مضاضــة   على النفس من وقع الحسام المهند

ثم أراد المؤلف من هذا أن يستفيد أن من عرف التوحيد وحققه وجب أن يدعو الناس إلى هذا فدليله أو شاهده من الحديث: «**أول ما تدعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله**» ولم يذكر له شهادة أن محمدا رسول الله لكنه يشملها فهذان أصلان عظيمان ذكر شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في الجزء الأول صفحة ٣٣٣من مجموع الفتاوى قال:

إن الدين يقوم على أصلين إن الدين الإسلامي يقوم على أصلين أن لا نعبد إلا الله ولا نعبده إلا بما شرع لا نعبده بعبادة مبتدعة وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.



ولهما عن سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوم خيبر: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، يَفتحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ» فبات الناس يدوكون ليلتهم، أيهم يعطاها؟ فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: : «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه فأتي به فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية وقال: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوالله لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[١] يدوكون أي: يخوضون.

---

(١) البخاري (٣٤٩٨) (٣٩٧٣) ومسلم (٢٤٠٦) وأحمد (٢٢٨٧٢).

فيه مسائل:

الأولى: أن الدعوة إلى الله طريق من اتبعه ﷺ.

الثانية: التنبيه على الإخلاص، لأن كثيرًا من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه.

الثالثة: أن البصيرة من الفرائض.

الرابعة: من دلائل حسن التوحيد: أنه تنزيه لله تعالى عن المسبّة.

الخامسة: أن من قبح الشرك كونه مسبّة لله.

السادسة: وهي من أهمها: إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك.

السابعة: كون التوحيد أول واجب.

الثامنة: أنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة.

التاسعة: أن معنى «أن يوحدوا الله»: معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

العاشرة: أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها.

الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدريج.

الثانية عشرة: البداءة بالأهم فالأهم.

الثالثة عشرة: مصرف الزكاة.

الرابعة عشرة: كشف العالم الشبهة عن المتعلم.

الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال.

السادسة عشرة: اتقاء دعوة المظلوم.

السابعة عشرة: الإخبار بأنها لا تحجب.

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء.

التاسعة عشرة: قوله: «لأعطين الراية..» إلخ علم من أعلام النبوة.

العشرون: تفله في عينيه علم من أعلامها أيضًا.

الحادية والعشرون: فضيلة علي رضي الله عنه.

الثانية والعشرون: فضل الصحابة في دوكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح.

الثالثة والعشرون: الإيمان بالقدر، لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى.

الرابعة والعشرون: الأدب في قوله: «على رسلك».

الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال.

السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا.

السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة لقوله: «أخبرهم بما يجب».

الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله في الإسلام.



التاسعة والعشرون: ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد.

الثلاثون: الحلف على الفتيا.



ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ حديث علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خيبر: «**لأعطين الراية غدا رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**» عندي أنا في كتابي تقديم وتأخير سقط في هذا الحديث ولكنه هكذا فهذا هو حديث سهل بن سعد في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر، ومنطقة خيبر هي تبعد من المدينة قرابة ثمانين ميلا والميل يقدر بثلاثة آلاف خطوة والآن من الجغرافيين من يقدره بثلاثة كيلو متر ويقال: إن المنطقة هذه خيبر فيها وباء إلى يومنا هذا فهي جهة من جهات المدينة شمالا كان فيها فصول ومزارع لليهود فبعد صلح الحديبية لأن صلح الحديبية كان في العام السادس بعد صلح الحديبية أو الحديبية لغتان مشهورتان بالتخفيف والتثقيل، رجع النبي ﷺ بعد أن أمن من كفار مضر كان رسول الله ﷺ يعلم أن اليهود الذين هم حول المدينة يشكلون خطرا عظيما بل هم الذين ألبوا الأحزاب وهم الذين بذلوا الأموالهم الذين أيدوا وحرضوا بني قريضة وبني قينقاع وبني النضير على الغدر فكان بقي يهود خيبر فذهب إليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو وأصحابه رضوان الله عليهم ولم يخرج مع النبي ﷺ في هذه الغزوة إلا راغب وأما أهل النفاق الذين يترأسهم عبد الله بن أبي فإنهم لم يخرجوا لأن اليهود كان بينه وبينهم رسائل ولقاءات سرية وكما قيل:

مهما تكن عند امرئ من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فجعل النبي ﷺ رجل أو اثنين على المدينة ثم خرج بنفسه وبمن معه من أصحابه الكرام مباغتين يهود خيبر فأمسى النبي ﷺ في القرب من خيبر ثم أصبح وكان اليهود قد خرجوا بمكاتلهم ومعهم مماسحهم التي هي المجارف يحرثون بها الأرض فلما رأوا النبي ﷺ قالوا: محمد والله والخميس محمد والخميس، والمراد بالخميس الجيش وسمي الجيش بالخميس لأنه يخمس مقدمة ومؤخرة ويمين وشمال وقلب فيسمى الجيش خميسا لأنه يخمس وقيل غير هذا قيل أي أن الغنيمة التي يتحصل عليها الجيش تخمس خمسة أخماس كما ذكر الله ﷻ ذلك في القرآن الكريم فرجع اليهود إلى بيوتهم وتحصنوا بحصونهم وظنوا أنهم يغلبون ويتغلبون ولكن كان من أمر الله ﷻ ما كان فقد فتح الله ﷻ على المسلمين خيبر وكانت ملك النبي ﷺ كثير من أصحابه أراضي خيبر أورث الله ﷻ هذه الأرض لرسول الله ولأصحاب رسول الله ﷺ ثم أعطى النبي ﷺ أرض خيبر ليهود خيبر لا لأنهم يمتلكونها ولكن لأنهم أهل حراثة وزراعة ويعلمون بمصلحة أرضهم وصالحهم على شيء يخرج منها النصف أو الثلث ومن هذا استفاد العلماء جواز كراء الأرض وقد جاءت أحاديث خلاصتها أنها تحرم ذلك ولكن الصحيح هو الجواز عملا بما سمعتم وقبل هذه الغزوة كان الصحابة رضوان الله عليهم يرتجزون:

والله لـــــولا الله مـــــا اهتـــــدينا ... ولا تصـــــــــدقنا ولا صـــــــــلينا

إن الألاة قــــــد بغــــــوا علينـــــا ... فـــــإن أرادوا فتنـــــة أبينـــــا

فيخرج رجل من الكفار يقال له مرحب وكان يهوديا قال:

قـــد علمـــت خيبـــر أني مرحـــب ... شـــاكي الســـلاح بطـــل مجـــرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال النبي ﷺ: «**من له؟**» فخرج علي بن أبي طالب مرتجزا:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريه المنظرة

أوفهم بالصاع كيل السندرة

فقتله رضي الله تعالى عنه وأرضاه[1] ثم أصيب الإمام علي رضي الله تعالى عنه بعينيه أصيب برمد فقال النبي ﷺ في اليوم الثاني: «**لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله**» فهذه منقبة لعلي رضي الله تعالى عنه وأرضاه وفي هذه اللفظة رد على الأشاعرة والمعتزلة الذين يقولون: المحبة بمعنى الإرادة أو إعطاء الثواب وأهل السنة والجماعة يثبتون لله محبة من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تشبيه على حد قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] ومن هذا استفاد العلماء أنه ليس العجب أن تحب الله فإن المحسن محبوب فالإنسان عبد الإحسان ولكن العجب كل العجب يوم أن يحبك الله فإن أحبك الله ﷻ فأنت من الأولياء والنبي ﷺ يؤكد هذه اللفظة بقوله:

«**لأعطين**» اللام موطئة للقسم ثم نون التوكيد مؤكدان ومعنى ذلك: والله لأعطين ومن هذا استفاد أهل العلم أنه يجوز الحلف دون أن تستحلف إن رأيت أهمية للأمر قال ﷺ: «**لأعطين الراية غدا**» والمراد بالغد هو اليوم الثاني والصحيح في إعراب غد أنه يعرب كالأسماء الطبيعية تنون كقولك زيد وخالد وما شابهها فيقول ﷺ:

«**لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**» فبات الناس

---

(١) مسلم (١٨٠٧) وأحمد (١٦٥٨٦) وابن حبان (٦٩٣٥) والحاكم (٤٣٤٣) وسنن البيهقي الكبرى (١٨١٢٦).

يدوكون ليلتهم حتى قال عمر رضي الله تعالى عنه: «**ما أحببت الإمارة إلا يومئذ**»(١) وهذه لفظة ثابتة في صحيح مسلم ذلك أن فيها منقبة عظمى «**يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**» ﷺ فبات الناس يدوكون ليلتهم يعني: **من الذي يعطاها؟** فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم ومعنى غدوا أي راحوا كلهم يرجوا أن يعطاها فقال:

«**أين علي بن أبي طالب؟**» فقيل هو يشتكي عينيه أصيب برمد قال: «**فأرسلوا إليه**» فأتي به فبصق في عينه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع في هذا دليل على صدق نبوة محمد ﷺ وأيضا منقبة للإمام علي رضي الله تعالى عنه وأرضاه فأعطاه الراية والمراد بالراية العلم وسمي راية لأنه يرى من مكان بعيد فيكون علامة على الجيش أنهم في المكان الفلاني وإلى الآن لا يزال يسمى راية وهكذا أيضا يوم القيامة يسمى أيضا لواء كما قال النبي ﷺ في صحيح مسلم من حديث ابن عمر قال نبينا ﷺ: «**يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة من عند إسته - أي من قبل دبره - يقال: هذه غدرة فلان بن فلان**»(٢) أجارنا الله وإياكم من ذلك فقال النبي ﷺ: «**أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام**» هذا هو موطن الشاهد من الحديث ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه «**والله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا**» والمراد بالهداية هاهنا هداية الدلالة والإرشاد لا هداية التوفيق والإلهام فإن هداية التوفيق والإلهام من إختصاص الله ﷻ «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**» وحمر تقرأ بضم الحاء المهملة وسكون الميم حمر

---

(١) مسلم (٢٤٠٥) وابن حبان (٦٩٣٤) وشعب الإيمان (٧٨).

(٢) مسلم (١٧٣٥) ومسند عبد بن حميد (٧٥٤) ومسند ابن الجعد (١٥٦٥) والمنتقى لابن جارود (١٠٥٣).

والمراد بالنعم الإبل وخصت بهذا لأنها من أنفس أموال العرب آنذاك ولا يجوز أن تقرأ حمر النعم فإن الحمر مفردها حمار كما قال الله ﷻ: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝٤٩ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٩ – ٥١] فهذا أيضا فيه شرف للإمام علي رضي الله تعالى عنه والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب القاعدة الأصولية التفسيرية المعروفة فيكون هذا أيضا شرف للدعاة إلى الله الذين يهمهم الدعوة إلى التوحيد الدعوة إلى نبذ الشرك والخرافة والكهانة والبدع والمعاصي فالله سبحانه وتعالى إن هدى على يديك رجلا واحدا فهو خير لك من حمر النعم خير لك من الذهب والفضة والدينار والدولار خير لك من الدنيا بأسرها لأنك تدعو إلى الله سبحانه وتعالى فإذا هديت رجلا كان لك مثل أجره لا ينقص ذلك من أجره يوم القيامة أسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضى وأن يأخذ بنواصينا للبر والتقوى والله أعلم.



باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء:٥٧].

فيقول الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمه الله:

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

أما قوله باب فالباب يستخدم لما يدخل ويخرج منه من الشيء وإلى الشيء، وأما في اصطلاح المؤلفين: فهو عبارة عن جملة علمية مختصة من الكتاب، قوله: تفسير، التفسير في اللغة بمعنى الكشف والإيضاح التفسير في لغة العرب بمعنى الكشف والإيضاح مأخوذ من قولهم: فسرت الثمرة قشرها إذا أخرجته وقوله: التوحيد فهو مضاف إلى كلمة تفسير يريد أن يفسره وأن يبينه فالتوحيد مادة وحّد الواو والحاء والدال تدل على الإنفراد والتوحيد معناه إفراد الله بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، والتوحيد قد ذكره نبينا ﷺ في أكثر من حديث من ذلك حديث معاذ بن جبل لما أرسله النبي ﷺ إلى اليمن قال: «**فادعوهم إلى أن يوحدوا الله**»[1] وفي حديث طارق بن أشيم: «**من وحد الله وكفر بما يعبد من**

(١) البخاري (٦٩٣٧).



دونه حرم ماله ودمه وحسابه على الله»[(١)] والحديث في صحيح الإمام مسلم والتوحيد أعظم ما أمر الله به ونقيضه الشرك أعظم ما نهى الله عنه قال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦] والناس في التوحيد ثلاثة أقسام:

قسم موحد لله وهم المؤمنون الخلص، والقسم الثاني: قوم مشركون بالله هم كفار يجحدون الله ويجحدون كلامه ويجحدون دينه فهؤلاء يقال عنهم الشيوعيون أو الملاحدة، والقسم الثالث: قوم يعبدون الله ويشركون معه في العبادة يشركون غيره في العبادة وهؤلاء يكون مآلهم إلى القسم الثاني لأن الله ﷻ طالب منا أن لا نشرك به شيئًا قال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقال ﷻ حاكيًا على لسان العبد الصالح: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣]، والتوحيد هو صمام أمان، صمام أمان للناس في هذه الدنيا والآخرة.

قوله: تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله الشهادة بمعنى الإخبار شهدت أي أخبرت بالشيء عن علم ويقين وهذا يقولون العلماء: إنه من عطف الدال على المدلول وفي كلام طيب نقلته حاولت أن أقرأه بنصه فيما يتعلق بهاتين اللفظتين وما كان لهما من المجاورة يقول الدكتور الفوزان كما في كتابه صفحة ١٢٣ قال:

هذا من عطف الدال على المدلول، المدلول هو التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله هو الدال لأن شهادة أن لا إله إلا الله تدل على التوحيد فهو من عطف الدال على المدلول قال: والشيخ رحمه الله جمع بينهما في الترجمة ليبين أن معناهما واحد فمعنى

(١) مسلم (٢٣) وأحمد (٢٧٢٥٥) (٢٧٢٥٦) وابن حبان (١٧١) والمعجم الكبير (٨١٩٢) (٨١٩٤) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٨٩٣٥).

التوحيد هو لا إله إلا الله ومعنى لا إله إلا الله هو التوحيد من أجل أن لا يخفى هذا على أحد فيظن أن التوحيد غير لا إله إلا الله بل هما شيء واحد فهذا معنى جمع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بين اللفظتين في الترجمة إلى آخر ما ذكر حفظه الله.

ولا إله إلا الله معناها: لا معبود بحق إلا الله وإن عبد غيره فبباطل قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢] وهي تتضمن ركنين أساسيين هما النفي والإثبات لا إله نفي محض إلا الله إثبات الألوهية الحقة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولها سبعة شروط كما قد تقدم لكم في دروس ماضية على حد قول الناظم:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع   محبة وانقياد والقبول لها

ولها فضل عظيم كما قد ذكره المؤلف في باب بعد هذا فيما يتعلق باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب سوف ترونه في الكتاب إن شاء الله.

قال: باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله وقول الله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧] قبل هذه الآية: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء:٥٦] ثم قال: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ﴾ [الإسراء:٥٧] وفي قوله: ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ يعود على الملائكة والأنبياء والصالحين الذين يدعون من دون الله فتأمل إلى لفظ القرآن وكيف أنكر الرحمن على هؤلاء المشركين وبين سفاهة عقولهم وركاكتها وضعفها وأنهم ما استخدموا عقولهم حينما استغاثوا والتجئوا إلى غيره

والمستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ يعني من دون الله ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء:٥٦] ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هذا اسم إشارة يعود إلى الملائكة والنبيين والصالحين قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ من يدعون؟ يدعون الله ﷻ ﴿يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء:٥٧] يعني كيف أنتم تطلبون دفع ضر أو جلب نفع ممن هو أصلًا يحتاج من الله ﷻ ويسأله رحمته يرجو رحمة الله ويخاف من عذابه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧] وهؤلاء كانوا في الزمن القديم يدعون بعضهم الشمس وبعضهم القمر وبعضهم الملائكة وبعضهم النجوم وبعضهم الأصنام ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٣] وهكذا في هذا الزمان منهم من يدعو ابن علوان وأبا طير والخمسة يستغيثون بغير الله وهكذا بعضهم ربما استغاث برسول الله كما في قصيدة البردة:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن آخذًا يوم المعاد يدي ... فضلًا وإلا فقل يا زلة القدم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

فالله ﷻ أنكر على هؤلاء المشركين، أنكر كيف أنتم تدعون من لا ينفع ولا يضر وفي آية أخرى يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥ - ٦] وقال سبحانه: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤] وفي قوله: ﴿يَبْتَغُونَ﴾ أي يبغون وفي



قوله: ﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾ المراد بالوسيلة القربة ويطلبون من الله ﷻ ما يوصلهم إليه وهذا يكون دعاء المسألة وقد يكون أيضًا من دعاء العبادة.



وقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١]



ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: وقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١] وحتى لا يحوجنا أن نعود للآية التي ذكرها بعد الترجمة المراد بذلك أنه لا يكمل توحيد عبدٍ ولا تنفعه شهادة أن لا إله إلا الله حتى يخلص عبادته لله دعاءً ورجاءً واستغاثةً بالله ﷻ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣] أما قوله ﷻ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١] فهو في إخبار عن أحوال النصارى وما كان عندهم من التقديس لقساوستهم وبطارقتهم وأنهم يؤلهونهم من دون الله وقد جاء عند هذه الآية حديث عدي بن حاتم لما جاء إلى النبي ﷺ وعلى عنقه صليب قال: «**ألق هذا الوثن أو الصنم عن عنقك**» ثم تلا عليه النبي ﷺ هذه الآية ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١] قال: ماعبدوهم يا رسول الله قال: «**أليس إذا حرموا عليكم شيئًا حرمتموه وإذا أحلوا لكم شيئًا استحللتموه؟**» قال: بلى قال: «**تلك عبادتكم إياهم**»(١) والأحبار جمع حبر وهم علماء اليهود وهكذا

---

(١) الترمذي (٣٠٩٥) وسنن البيهقي الكبرى (٢٠١٣٧) وانظره في [الحديث حجة بنفسه (٧٦ - ٧٧)] للألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أيضًا عباد النصارى ويقال للعالم حبر ويقال له أيضًا بحر لكثرة علمه والآية وإن كانت خاصة في أهل الكتاب لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقد قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى، وعند قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في آيات كثيرة: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة:٤] وهكذا ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [البقرة: ٢١٣/ والنساء: ١٥٣] ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩/ والشورى: ١٤/ والجاثية: ١٧] يعني ما حصل عندهم الفوضى والدغل والإختلاف إلا حينما كثرت علومهم ذكر ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مجموع الفتاوى عند هذه الآية ذكر كثيرًا منها قول ابن عمر الصحابي الجليل قال: «**الحسد والبغضاء**» فإذا دب الحسد والبغضاء بين العلماء أو بين طلاب العلم أو بين المجتمع بين الأسرة أعوذ بالله يفتت وقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث: «**دب إليكم داء الأمم من قبلكم الحسد والبغضاء لا أقول حالقة الشعر ولكنها حالقة الدين**»(١) فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ينكر ما كان من حال اليهود وكذلك أيضًا النصارى وهكذا أيضًا فيما يتعلق بنا نحن يجب أن لا نطيع علماءنا أو مشايخنا أو حكامنا إلا في حدود طاعة الله كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما الطاعة بالمعروف**»(٢) فنحن نطيع الحاكم فيما أطاع الله وإن أمرنا بمعصية الله فلسنا مستعدين أن ننفذ أمره ونترك أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا ينبغي للناس أن يقدسوا أو يرفعوا أحدًا عن منزلته حتى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قال: «**لا تطروني كما طرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد**

---

(١) حسن لغيره: أحمد (١٤١٢) ومسند أبي يعلى (٦٦٩) ومسند البزار (٢٢٣٢) وسنن البيهقي الكبرى (٢٠٨٥٤) وانظر صحيح الترغيب والترهيب للإمام الألباني برقم (٢٦٩٥).

(٢) البخاري (٦٧٢٦) (٦٨٣٠) ومسلم (١٨٤٠) وأبو داود (٢٦٢٥) والنسائي (٤٢٠٥) وأحمد (٦٢٢) (٧٢٤) (١٠١٨) وابن حبان (٤٥٦٧).

فقولوا عبد الله ورسوله»(١) فلذلك كان الإحتجاج والمراجعة والملاعنة اللعن الشديد بين التابع والمتبوع قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧ - ٦٨] وقال سبحانه: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦ - ١٦٧] وما يجر إلى هذا أمور كثيرة أعظمها وأبرزها المعاصي والذنوب قال ابن المبارك:

رأيــت الــذنوب تميــت القلــوب ... وقـــد يـــورث الـــذل إدمانهـــا
وتـــرك الـــذنوب حيـــاة القلـــوب ... وخيـــر لنفســـك عصـــيانها
وهـــل أفســـد الـــدين إلا الملـــوك ... وأحبـــار ســـوء ورهبانهـــا

فالواجب أن لا نرفع أحدًا فوق منزلته وأن نعطي لكل شخص حقه الذي أراده الله سبحانه وتعالى وهكذا أيضًا يكون التعظيم والتقديس والطاعة المطلقة لله سبحانه وتعالى ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي أمر الله بطاعته قال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢/ والتغابن: ١٢] فمن حلل حرامًا أو حرم حلالًا كان ذلك قادحًا في توحيده هذا معنى الآية الكريمة من حلل حرامًا أو حرم حلالًا كان ذلك قدحًا في توحيده وأنه ما وحد الله حق توحيده فمن لوازم التوحيد أن تؤدي الأعمال التي كلفت بها على الوجه الشرعي الصحيح تمتثل الأمر والنهي من الله تبارك وتعالى.

---

(١) البخاري (٣٢٦١) (٦٤٤٢) وأحمد (١٥٤) (١٦٤) (٣٣١) (٣٩١) وسنن الدارمي (٢٧٨٤) وابن حبان (٤١٣) (٤١٤) (٦٢٣٩).

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧]



ثم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨] وفي هذه الآية البراءة وهو التخلية التامة عمن كفر بالله، عمن كان والعياذ بالله زنديقًا منافقًا مبتدعًا يعني ولاء وبراء كما قال سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] فأمر الولاء والبراء أمر له أهميته في شريعتنا حتى ذكر صاحب كتاب الولاء والبراء القحطاني قال: ما أحد من العلماء المتقدمين يعني زمن سفيان وأحمد بن حنبل والليث بن سعد والنضر بن شميل ما أحد ألف في باب الولاء والبراء لأن هذا أمر كان معلوم من الدين بالضرورة، الولاء والبراء أن لا تناصر إلا من نصر دين الله، أن لا تجامل من كان والعياذ بالله يغش المسلمين أو يصحح مذهب اليهود والنصارى أو القوانين الوضعية التي ما أنزل الله بها من سلطان، فلذلك يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في مقدمة سورة الممتحنة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝١ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ [الممتحنة: ١ - ٣] هذا وإن كان لحاطب بن أبي بلتعة لكنه لعموم الناس ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ

يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الممتحنة:٣] ثم قال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] فلا بد كما يقول العلماء لا بد من التخلية قبل التحلية قبل أن يحلى قلبك بالإيمان والتقوى واليقين والخير لا بد أن يزاح ما فيه من هذه الشوائب وهكذا فيما يتعلق بأمر الولاء والبراء من ناحية الحب والبغض في الله فلا ينبغي أن يكون الحب والبغض إلا من أجل الله لا ينبغي أن يكون عبارة عن انتقام أو من أجل دنيا أو من أجل كلمة نابية أو هناك حزازات وحساسيات وما شابه ذلك فإن المؤمن قلبه دائمًا سليم للمؤمنين قال تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠] فمن لم يتولى من تولى الله ويتبرأ ممن عادى الله كان ذلك قدحًا في توحيده، كان ذلك نقصًا في شهادته أن لا إله إلا الله وكذلك شهادته أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكر كثير من العلماء شرحًا طويلًا لهذه الآية المباركة،



وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة:١٦٥]



ثم قال: وقوله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ قال العماد بن كثير رحمه الله: يذكر الله حال المشركين به في الدنيا ومآلهم في الدار الآخرة حيث جعلوا لله أندادًا أي أمثالًا ونظراء يعبدونهم معه

ويحبونهم كحبه وهو الله لا إله إلا هو لا ضد له ولا ند له ولا شريك له قال: وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**»(١) فيجب أن تكون محبة الله ومحبة رسول الله ﷺ هي المقدمة على أنفسنا وعلى أزواجنا وعلى أموالنا وعلى سياراتنا وعلى أمورنا كلها حتى يكون حبًا صحيحًا وهكذا أيضًا ينبغي أن تحب ما أحب الله وأن تبغض ما أبغض الله ﷻ وأن تحب ما أحب رسول الله ﷺ وتبغض ما أبغضه رسول الله ﷺ، وإلا كان هذا تناقضًا

يا مدعي حب طه لا تخالفه ... الخلف يحرم في دنيا المحبينا
أراك تأخذ شيئًا من شريعته ... وتترك البعض تدوينًا وتهوينًا
خذها جميعًا تجد خيرًا تفوز به ... وإلا فاطرحها وخذ رجز الشياطينا



وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ ﷻ»(٢)



قال: وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله ﷻ**» على رأي المؤلف في كثير من الأحاديث

---

(١) البخاري (٤٢٠٧) (٤٤٨٣) (٥٦٥٥) (٦٤٢٦) (٦٤٦٨) (٧٠٨٢) (٧٠٩٤) ومسلم (٨٦) وأبو داود (٢٣١٠) والترمذي (٣١٨٢) (٣١٨٣).

(٢) مسلم (٢٣) وأحمد (٢٧٢٥٥) (٢٧٢٥٦) وابن حبان (١٧١) والمعجم الكبير (٨١٩٢) (٨١٩٤) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٨٩٣٥).

يقول: في الصحيح فتارة يكون في الصحيحين وتارة يكون في البخاري وتارة يكون في مسلم وتارة يكون في الصحيح خارج الصحيحين ولكن هذا الحديث هو في صحيح مسلم والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عنده شيء من علم الحديث والمعرفة بالكتاب والسنة ولكنه كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كان مشغولًا بإقامة الحلقات والجهاد في سبيل الله والدعوة إلى التوحيد فرحمه الله رحمة واسعة، وهذا الحديث الذي ذكره يعتبر تصديقًا لما تقدم من الآيات وهو في الصراحة أصرح قال: «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دونه**» بمعنى أنه لا تكون هذه الشهادة صحيحة حتى تكفر بما يعبد من دون الله وإلا كان توحيدك ناقصًا غير مقبول.



وشرح هذه الترجمة وما بعدها من الأبواب

فيه أكبر المسائل وأهمها وهي تفسير الشهادة وبينها بأمور واضحة:

منها: آية الإسراء بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ففيها بيان أن هذا الشرك هو الشرك الأكبر.

ومنها: آية براءة بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهًا واحدًا مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم إياهم.

ومنها: قول الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ فاستثنى من المعبودين ربه وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٨].



ومنها: آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧] ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله فدل على أنهم يحبون الله حبًا عظيمًا ولم يدخلهم في الإسلام فكيف بمن أحب الند أكثر من حب الله؟ وكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله؟

ومنها: قول النبي ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله» وهذا من أعظم ما يبين معنى (لا إله إلا الله) فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال بل ولا معرفة معناها مع لفظها بل ولا أن يقر بذلك بل ولا كونه أن لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها ويا له من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع.



رحمة الله على الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد كان متضلعًا بعلم العقيدة والتوحيد وأقول: ما حصلت هذه البركة وهذا القبول له ولدعوته في زمانه وبعد زمانه إلا ببركة التوحيد نسأل الله ﷻ أن يختم لنا بتوحيده وأن يخرجنا من هذه الدنيا على لا إله إلا الله وأن يحسن خاتمتنا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.





باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

قوله من الشرك من هاهنا تبعضية كقولك أكلت من الرغيف أي بعضه لأن هذا الشرك في هذا الباب لبس الخيط أو الحلقة لرفع البلاء أو دفعه قد يكون شركًا أكبر أو شركًا أصغر فعلى حسب لا بسه واعتقاده فإن كان لا بأس للحلقة أو الخيط يعتقد اعتقادًا حازمًا أنه إنما يرفع البلاء أو يدفعه بهذه الحلقة أو بهذا الخيط فهذا يكون قد أشرك شركًا أكبر يخرجه من ملة الإسلام وغن كان يقول إنما يرفع البلاء هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإنما هذا سبب فنقول هذه خرافة وأنت على شرك أصغر وعلى خطر ومسألة الأسباب هي أسباب شرعية وأسباب بدعية وهناك أسباب بدعية أما الأسباب الشرعية فهو كالاستشفاء بالقرآن كما قال تعالى ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢] وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي سعيد في سورة الفاتحة: «**وما يدريك أنها رقية**» وقال: «**إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله**» وذلك عندما نزل سعيد مع أصحابه في وادٍ فجاء بعض قومه فقالوا إن سيد القوم أي سيد الحي سليم أي لديغ



وهذه عبارة تقولها العرب تفاؤل بالشفاء فهل نجد عندكم من راق قالوا والله لانفعل حتى تجعلوا لنا قطيعًا من غنم فاشتك لهم شيئًا من الغنم فقام أبو سعيد يقرأ الفاتحة وينفث بها فأجازه النبي ﷺ(١) وقد كان جبريل يرقي النبي ﷺ قائلًا: «**بسم الله أرقيك من كل داءٍ يؤذيك ومن كل حاسدٍ إذا حسد**»(٢) وكان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين بقوله: «**أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة**»(٣) وجاء إليه رجل يشتكي قال: «**ضع يدك على ما تألم من جسدك ثم قل بسم الله بسم الله بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات**»(٤) واشتكى إليه رجل آخر فأخذ قليل من التراب ووضعه على الألم وقال: «**بسم الله تربة أرضنا برقية بعضنا تشفي سقيمنا بإذن ربنا**»(٥) فهذه أسباب شرعية لرفع البلاء فالقرآن شفاء للقلوب والصدور ولا بد وأن للعالم عام مطلق قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٦ - ٥٧] هذه أسباب شرعية

---

(١) البخاري (٥٤٠٥) وابن حبان (٥١٤٦) وسنن الدارقطني (٢٤٧) (٢٤٨) وسنن البيهقي الكبرى (١٨٦٦) (١١٤٥٦) (١٤١٨٢).

(٢) مسلم (٢١٨٦) والترمذي (٩٧٢) وابن ماجة (٣٥٢٣) (٣٥٢٤) (٣٥٢٧) وأحمد (٩٧٥٦) (١١٢٤١) (١١٥٥١) (١١٥٧٤).

(٣) البخاري (٣١٩١) وأبو داود (٤٧٣٧) والترمذي (٢٠٦٠) وأحمد (٢١١٢) وابن حبان (١٠١٢) (١٠١٣) والحاكم (٤٧٨١).

(٤) (٢٢٠٢) وابن حبان (٢٩٦٤) (٢٩٦٧) والمعجم الكبير (٨٣٤٢) وسنن النسائي الكبرى (١٠٨٣٩).

(٥) البخاري (٥٤١٣) (٥٤١٤) ومسلم (٢١٩٤) وأبو داود (٣٨٩٥) وأحمد (٢٤٦٦١) وابن حبان (٢٩٧٣) ومسند أبي يعلى (٤٥٢٧) (٤٥٥٠) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٩٤٩٢).

وحروز ربانية يدفع العبد بها عن نفسه البلاء جاء في حديث خولة بنت حكيم السلمية والمرأة الواهبة نفسها للنبي ﷺ قالت سمعت النبي ﷺ يقول:

«**من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل**»(١) وجاء من حديث أبان بن عثمان عن عثمان أبيه قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**ما من عبدٍ يقول ثلاثًا إذا أصبح وإذا أمسى: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم فلا يضره شيء**» ثم التفت الراوي إلى أبان وقد أصيب بالفالج وهو الشلل النصفي قال له أبان ومما تعجب والله ما كذبت على عثمان ولا عثمان كذب على رسول الله ولكنني كنت يومًا غاضبًا فلم أقل هذا الدعاء فأصبت بما ترى(٢) فجميع الأذكار أسباب شرعية جائز استعمالها وهناك أسباب حسية تلحق بالأسباب الشرعية على أن الذاهب بالبلاء هو الله كاستعمال المرطبات لستطلاق البطن هذه أشياء عرفت بالتجارب فلا بأس باستخدامها وهي شبيه بالفحوصات الطبية ثم تصرف أدوية فهذه أسباب شرعية تدرك بالتجارب على أنها سبب والشافي هو الله ﷻ والناس في هذا الباب طرفان ووسط فنحن نجد أن الصوفية والخرافيين عندهم غلو في إثبات الأسباب فيتمسحون بأتربة الموتى ويتبركون ببقايا تفال مشائخهم يعتقدون هذا جائز وأنها أسباب شرعية وهناك من ينفي السبب وتأثيره على الجبرية والأشعرية الصحيح أنه يثبت السبب الشرعي أو

---

(١) مسلم (٢٧٠٨) والترمذي (٣٤٣٧) وأحمد (٢٧١٦٩) (٢٧٣٥١) والدارمي (٢٦٨٠) وابن خزيمة (٢٥٦٦).

(٢) صحيح: أبو داود (٥٠٨٨) والترمذي (٣٣٨٨) وابن ماجة (٣٨٦٩) وانظر مشكاة المصابيح (٢٣٩١).

الذي عن طريق التجربة والحس جائز استعماله بالشرع أو بالتجربة أما عن طريق الإلهام فيكون هذا من الخرافات الصوفية فلا ينبغي أن تفتح هذا الباب على الإطلاق وإنما نبقى على الأسباب الشرعية والأسباب الحسية وإن يكون الاعتقاد الجازم أنه سبحانه وتعال هو الشافي وهو الطبيب كما جاء إحدى الصحابة إلى النبي ﷺ وكان عنده معرفة بالطب قال: أنا طبيبه قال: «**أنت رفيق والله الطبيب**»(١) فمن أسماء الله الحسنى الطبيب ومن أسمائه الشافي ولقد كان رسول الله ﷺ يشتكي من جراء السحر الذي سحره به لبيد بن الأعصم فقال النبي ﷺ لعائشة ﵂ إن الله قد شفاني وهكذا يقول إبراهيم خليل الرحمان: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠] ولا بد أن نستشعر هذا عند استخدام الدواء كضب إبرة أو شرب مسحوق أي نوع من أنواع الأدوية أن نعتقد هذا اعتقادك أن الشفاء بيد الله وهذه إنما هي أسباب حسية أدركت بالتجارب فالله هو الذي يشفي وهو الذي يعافي نسأل منه أن يعافينا من كل بلاء قلبي أو بدني.



وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزمر:٣٨]



ثم استدل المؤلف ﵀ بقول الله تعالى ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٢٠٧) وأحمد (١٧٥٢٧) والمعجم الكبير (٧١٥) ومسند الحميدي (٨٦٦) وانظر حديث رقم: ١٤٨١ في صحيح الجامع.

أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨] استنبط من هذه الآيات الكريمة إنما إرادة الضر إنما هو بإرادة الله وكشفه كذلك بإرادة الله وإن سوى ذلك من الأصنام والأنداد وبقية المخلوقات لا تستطيع أن تقدم شيئًا ولا تمسكه.

قل حسبي الله أي الله كافي من توكل عليه كما قال هود عليه السلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود:٥٦] قال مقاتل في معنى الآية فسألهم النبي ﷺ فسكتوا أي أنهم لا يعتقدون ذلك فيها وإنما كانوا يدعونها على أنها وسائط عند الله لا على أنهم يكشفون الضر ويجيبون دعاء المضطر فهم يعلمون إن ذلك لله وحده كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ۝٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل: ٥٣ - ٥٤] قال عبد الرحمن بن حسن - شارحًا هذه العبارة:

قلت فهذه الآية وأمثالها تبطل تعلق القلب بغير الله في دفع ضر أو جلب نفع وأن ذلك شركًا بالله وفيه بيان أن الله وسم أهل الشرك بدعوة غير الله ورغبة أهله لغير الله والتوحيد ضد ذاك وهو أنه لا يدعوا إلا الله ولا يرغب إلا إليه ولا يتوكل إلا عليه وكذا جميع أنواع العبادة لا يصلح منها لغير الله شيئًا كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة كما تقدم فالآية التي استشهد بها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ خلا صتها أنه لا يمكن لأحد من البشر من الجن ولا من الإنس أن يدفع بلاء أو يرفعه أو يجلبه إلا بإرادة وإذن من الله سبحانه وتعالى ولهذا شواهد كثيرة منها قوله تعالى

﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة:١٠٢] وقوله ﷺ: «**واعلم أن**

الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»[(١)].

وعن عمران بن حصين وهو أبو نجيح صحابي جليل كانت الملائكة تسلم عليه كما في صحيح مسلم فلما اكتوى تركت الملائكة السلام عليه فلما ترك الاكتواء عادة الملائكة تسلم عليه مرة ثانية»[(٢)].



وعن عمران بن حصين ﷺ أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا في يده حلقة من صفر فقال: «مَا هَذِهِ؟» قال: من الواهنة، فقال: «انْزِعْهَا فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا» رواه أحمد بسند لا بأس به[(٣)].

وله عن عقبة بن عامر مرفوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلاَ وَدَعَ اللهُ لَهُ»[(٤)] وفي رواية: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشركَ»[(٥)].

ولابن أبي حاتم عن حذيفة: أنه رأى رجلًا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦].

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (٢٦٦٩) والمعجم الكبير (١١٤١٦) ومسند أبي يعلى (٢٥٥٦) وانظر مشكاة المصابيح (٥٣٠٢).

(٢) مسلم (١٢٢٦) وأبو داود (٣٨٦٥).

(٣) ضعيف: ابن ماجة (٣٥٣١) وأحمد (٢٠٠١٤) وابن حبان (٦٠٨٥) وانظر السلسلة الضعيفة برقم (١٠٢٩).

(٤) ضعيف: أحمد (١٧٤٤٠) وأبو يعلى (١٧٥٩) وشرح معاني الآثار (٦٦٦٠) ومسند الشاميين (٢٣٤) و انظر حديث رقم: ٥٧٠٣ في ضعيف الجامع.

(٥) صحيح: أحمد (١٧٤٥٨) وانظر السلسلة الصحيحة (٤٩٢).

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك.

الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح، ففيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر.

الثالثة: أنه لم يعذر بالجهالة.

الرابعة: أنا لا تنفع في العاجلة بل تضر، لقوله: «لا تزيدك إلا وهنًا».

الخامسة: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.

السادسة: التصريح بأن من تعلق شيئًا وكل إليه.

السابعة: التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك.

الثامنة: أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك.

التاسعة: تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر، كما ذكر ابن عباس رضي الله عنه في آية البقرة.

العاشرة: أن تعليق الودع عن العين من ذلك.

الحادية عشرة: الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له، أي ترك الله له.



وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجل في يده حلقة من صفر فقال ما هذا فقال من الواهنة قال له ارمها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا فإنك لو مت وهي



عليك ما أفلحت أبدًا» رواه أحمد بسند لا بأس به والحديث بعضهم يصححه وبعضهم يضعه والصحيح أنه ضعيف لأن في سنده المبارك بن فضالة وهو مدلس تدليس التسوية والحديث ضعيف.

وله عن عقبة بن عامر مرفوعًا أن النبي ﷺ قال: «**من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا أتم الله له**» وفي رواية: «**من علق تميمة فقد أشرك**»

أما «**من تعلق تميمة فلا أتم الله له**» فهذه الرواية ضعيفة في سندها مشرح بن هاعان وهو مجهول جهالة عين ضعيف وأما «**من تعلق تميمة فقد أشرك**» فهو صحيح صححه الألباني.

ولابن أبي حاتم وهو عبد الرحمن بن أبي حاتم صاحب الجرح والتعديل والتفسير عن حذيفة وهو بن اليمان وهو صحابي جليل أنه رأى رجل في يده خيط من الحمى فقطعه وتلى هذه الآية ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] قال قوله في يده خيط من الحمى أي عن الحمى وكان الجهال يعلقون التمائم والخيوط ونحوها عند رفع الحمى وروى وكيع عن حذيفة أنه دخل على رجل يعوده فلمس عضده فإذا به خيط فقال ما هذا قال شيء أرقى إليه فيه قطعة وقال لو مت وهو فوقك ما صليت عليك وفيه إنكار مثل هذا وإن كان يعتقد أنه سبب فالأسباب لا تجوز إلا بما أباحها الله ورسوله مع عدم الاعتماد عليها وأما التمائم والحروز والطلاسم مما يعلقها الجهال فهو شرك يجب إنكاره وأما ما يتعلق بالأسباب البدعية وهي عبارة عن آيات وأحاديث يكتبها بعضهم أما أن يمحوها ويشرب وأما إن تعلق وقد تنازع في ذلك السلف وممن أجازها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وبعض أهل العلم يعد هذا من الابتداع فيكون هذا من الحروز إن كان



فيها استعانة بالجن أو نحوها عقيدة شركية فإن كانت من القرآن كتابة أو محوًا أو تعليقًا بدعية

وأما الحروز الشرعية فهو ما تقدم من أذكار الصباح والمساء والنوم والاستيقاظ على حسب الوقائع إذا دخل البيت أو المسجد أو نحوه وتلا قوله ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ استدل حذيفة بالآية على أن هذا شرك قال ففي صحة الاستدلال على الشرك الأصغر بما أنزله الله بالشرك الأكبر بشمول الآية ودخولها في مسمى الشرك وتقدم على هذه الآية كلام في كلام شيخ الإسلام بن تيميه وغيره والله أعلم وفي هذا حرص الصحابة على علمهم في التوحيد وبيان ما ينافيه أو ينافي كلامه هذا والله أعلم والباب الذي بعده متعلق به.

باب ما جاء في الرقى والتمائم

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولًا: «أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلادَةٌ مِنْ وَتَرٍ، أَوْ قِلادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ»(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شركٌ» رواه أحمد وأبو داود(٢).

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ شيئًا وُكِلَ إِلَيْهِ» رواه أحمد والترمذي(٣).

(التمائم): شيء يعلق على الأولاد من العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

---

(١) البخاري (٢٨٤٣).

(٢) صحيح: أبو داود (٣٨٨٣) وابن حبان (٦٠٩٠) والمعجم الكبير (١٠٥٠٣) ومسند أبي يعلى (٥٢٠٨) وسنن البيهقي الكبرى (١٩٣٨٧) وأحمد (٣٦١٥) وانظر حديث رقم: ١٦٣٢ في صحيح الجامع.

(٣) ضعيف: الترمذي (٢٠٧٢) والنسائي (٤٠٧٩) وأحمد (١٨٨٠٣) والحاكم (٧٥٠٣) والمعجم الأوسط (١٤٦٩) وانظر حديث رقم: ٥٧٠٢ في ضعيف الجامع.

و (الرقى): هي التي تسمى العزائم، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة.

و (التولة): هي شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

وروى الإمام أحمد عن رويفع رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا رُوَيْفِعُ لَعَلَّ الحَيَاةَ تَطُولُ بِكَ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَو اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ»(١).

وعن سعيد بن جبير قال: «مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ» رواه وكيع.

وله عن إبراهيم: «كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن»(٢).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الرقى والتمائم.

الثانية: تفسير التولة.

الثالثة: أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء.

الرابعة: أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك.

(١) صحيح: أبو داود (٣٦) والنسائي (٥٠٦٧) وأحمد (١٧٠٣٦) (١٧٠٣٧) (١٧٠٤١) والمعجم الكبير (٤٤٩١) وسنن البيهقي الكبرى (٥٣٣) وسنن النسائي الكبرى (٩٣٣٦) وانظر صحيح سنن أبي داود (٢٧).

(٢) ابن أبي شيبة (٢٣٤٦٧).



الخامسة: أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء: هل هي من ذلك، أم لا؟

السادسة: أن تعليق الأوتار على الدواب من العين من ذلك.

السابعة: الوعيد الشديد على من تعلق وترًا.

الثامنة: فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان.

التاسعة: أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف، لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

باب ما جاء في الرقى والتمائم

أما كلمة باب:

لغة: لما يدخل ويخرج منه

اصطلاحًا: اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب فنقول هذا الكتاب عدة أبواب وهو فوق الفصل ودون الكتاب لان الكتاب اسم جنس وقوله ما جاء ما هاهنا موصولية بمعنى الذي وجاء فعل ماضي قوله في الرقى أي ما جاء في هذا الباب من الآيات والأحاديث من الآثار وأقوال الصحابة والتابعين ما جاء في الرقى والتمائم والرقى جمع رقية فيقال رقى عليه بالألف من القراءة ورقى بالياء من الصعود «**يقال لصاحب القرآن يوم القيامة إقرأ وارتقِ ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند**



آخر آية تقرأها»(١) والرقى جائزة ولكن بشروط كما ذكر ذلك بن حجر في فتح الباري الجزء العاشر صفحه رقم (١٦٦) قال أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

١- **الشرط الأول:** أن يكون بالله أو بأسم من أسماء الله أو صفه من صفاته أو من أحاديث النبي ﷺ من أذكاره ودعاء مثال «**بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن شر حاسد إذا حسد**»(٢) وقوله: «**بسم الله تربة أرضنا بريق بعضنا تشفي سقيمنا بإذن ربنا**»(٣) وكان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين وقال: «**إن أباكم إبراهيم كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامه**»(٤) وأيضًا ما جاء من حديث خولة بنت حكيم السلمية في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**من نزل منزلًا فقال أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من مكانه**»(٥) فإذا كانت الرقى بالقرآن من القرآن أو من

---

(١) صحيح: أبو داود (١٤٦٤) والترمذي (٢٩١٤) وأحمد (٦٧٩٩) (١٠٠٨٩) وابن حبان (٧٦٦) وانظر حديث رقم: ٨١٢٢ في صحيح الجامع.

(٢) مسلم (٢١٨٦) والترمذي (٩٧٢) وابن ماجة (٣٥٢٣) (٣٥٢٤) (٣٥٢٧) وأحمد (٩٧٥٦) (١١٢٤١) (١١٥٥١) (١١٥٧٤) وغيرهم.

(٣) البخاري (٥٤١٣) (٥٤١٤) ومسلم (٢١٩٤) وأبو داود (٣٨٩٥) وأحمد (٢٤٦٦١) وابن حبان (٢٩٧٣) ومسند أبي يعلى (٤٥٢٧) (٤٥٥٠) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٩٤٩٢).

(٤) البخاري (٣١٩١) وأبو داود (٤٧٣٧) والترمذي (٢٠٦٠) وأحمد (٢١١٢) وابن حبان (١٠١٢) (١٠١٣) والحاكم (٤٧٨١).

(٥) مسلم (٢٧٠٨) والترمذي (٣٤٣٧) وأحمد (٢٧١٦٩) (٢٧٣٥١) والدارمي (٢٦٨٠) وابن خزيمة (٢٥٦٦).



كلام النبي ﷺ وكان الاعتقاد حاصل فيحصل الشفاء بإذن الله لإن الله تعالى يقول: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢] فالقرآن والأدعية النبوية شفاء.

٢- **الشرط الثاني**: أن تكون هذه الرقى باللسان العربي وأن يكون كلامه مفهومًا لا من كلام العجم أو بالتمتمة لا يعرف معناها وهذا حاصل عند المشعوذين المغفلين.

جاء رجل إلى النبي ﷺ وقد حكم عليه أن يدفع غرة وهي الجناية التي تكون في بطن المرأة قال يا رسول الله كيف ندى وكان الرجل متكلمًا كيف ندي أي كيف ندفع دية من لم يستهل ولا أكل ولا شرب فإن مثل هذا يطل أي

يهدر فقال ﷺ: «**إن هذا سجع كسجع إخوان الكهنة**»(١) فلا بد أن تكون بالعربي.

٣- **الشرط الثالث**: أن لا يعتقد أنها مؤثرة بنفسها لأنها عبارة عن سبب والله هو الشافي وزاد بعض العلماء أن لا يكون فيها شرك واستدلوا بحديث عوف بن مالك في صحيح مسلم أنه قال رضي الله عنه كنا في الجاهلية نرقي فقلنا يا رسول الله كيف ترى ذاك فقال اعرض علي رقاكم فإنه لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك ومن هذا الحديث استفاد العلماء واستنبط على أن الرقى ليست توقيفية.

---

(١) مسلم (١٦٨٢) وأبو داود (٤٥٦٨) والنسائي (٤٨٢١) (٤٨٢٢) (٤٨٢٣) (٤٨٢٥) (٤٨٢٦) (٤٨٢٧) (٤٨٢٨) وأحمد (١٨١٦٣) (١٨١٧٤) (١٨٢٠٢) وابن حبان (٦٠١٦).

باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠]

قال المؤلف شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

أما ما يتعلق بتفسير كلمة باب فقد تقدمت لنا مرارا تفسير ذلك لغة واصطلاحا.

وفي قوله: تبرك، بمعنى تفعل من البركة وهو كثرة الخير ونماؤه وثبوته وهذا مأخوذ من البركة بالكسر والبركة مجمع الماء ومجمع الماء يمتاز بأمرين اثنين:

الأول: الثبوت، والثاني: الكثرة هذا من حيث تعريف البركة أو التبرك لغة واصطلاحا.

وطلب البركة التبرك طلب البركة، وطلب البركة لا يكون إلا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يطلب البركة من الصنم ولا من المقبورين ولا من الأنداد والأوثان وإنما يطلب من الله الواحد القهار وإذا أذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنزول البركة تم ذلك الأمر بإذن من الله الواحد الأحد وكل شيء إن بارك الله فيه نفع فالمال بركته من الله العلم بركته من الله الصحة والعافية والولد والهدوء والطمأنينة هذه كلها بركات وقد امتن الله عَزَّ وَجَلَّ على أهل



الإيمان إن أقاموا الشريعة أن يبارك لهم قال الله ﷻ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف:٩٦] وهكذا نبينا ﷺ كان يطلب من ربه البركة أن يبارك له في أتباعه وفي ذاته وفي حياته ومماته فقد جاء من حديث كعب بن عجرة أنه لقي عبد الرحمن بن أبي ليلى فقال له: **ألا أهدي لك هدية؟** قال: بلى قال: خرج النبي ﷺ فقلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك **فكيف نصلي عليك؟** قال: «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»(١) وهكذا في إلقاء السلام إذا قال العبد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أو: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وهكذا لما نظر بعض الصحابة سهل بن حنيف وكان أبيض شديد البياض فقال: ولا جلد مخبأة عذراء أفضل من هذا الجلد فإذا به يفحص برجله وأشرف من الموت فقال النبي ﷺ: «**هلا بركت إذ رأيت ما يعجبك**»(٢) بمعنى أن تقول: ما شاء الله بارك الله ولما طلب سعد بن الربيع من عبد الرحمن بن عوف حينما قدم المدينة فقيرا أن يعطيه شطر المال ويطلق إحدى زوجاته فإذا حلت تزوجها عبد الرحمن قال له: بارك الله لك في أهلك ومالك(٣)، ولما جاء إبراهيم خليل الرحمن يتفقد تركته إسماعيل

---

(١) البخاري (٣١٩٠) (٥٩٩٦) ومسلم (٤٠٦) والنسائي (١٢٨٩) وابن ماجة (٩٠٤) وأحمد (١٨١٣٠) وسنن الدارمي (١٨١٣٠).

(٢) صحيح: ابن ماجة (٣٥٠٩) وأحمد (١٦٠٢٣) وابن حبان (٦١٠٦) والمعجم الكبير (٥٥٧٥) (٥٥٧٨) (٥٥٧٩) (٥٥٨١) وانظر مشكاة المصابيح للعلامة الألباني (٤٥٦٢).

(٣) البخاري (١٩٤٤) (٣٥٦٩) (٣٧٢٢) والترمذي (١٩٣٣) والنسائي (٣٣٨٨) وأحمد (١٢٩٩٩) (١٣١٤٥) (١٣٨٩٠).

ذلكم النبي الصديق الذي عناه الله بقوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤ – ٥٥] سأل إبراهيم عن أحوال بيت إسماعيل فقالت له الزوجة: نحن في بئس الحال، بئس الحال نحن في ضيق وشدة قال لها: إذا جاء إبراهيم أقرئيه مني السلام وقولي له: فليغير عتبة بابه فلما جاء إسماعيل قالت له: جاء رجل شيخ كبير على هيئة كذا ويقرئك السلام ويقول: غير عتبة بابك قال: ذاك أبي وأنت العتبة فالحقي بأهلك وطلقها ثم تزوج امرأة أخرى من قبيلة جرهم فلما جاء إبراهيم سائلا عن الحال قالت له: نحن في خير وفي دعة وأثنت على الله خيرا كثيرا قال: إذا جاء إسماعيل أقرئيه مني السلام وقولي له: ليثبت عتبة بابه وقد دعا لهم بالبركة قال إبراهيم لتلك المرأة: **ما طعامكم؟** قالت: اللحم والماء فقال النبي ﷺ:

«**وليس في مكة يومئذ حب قال إبراهيم: اللهم بارك لهم في الماء واللحم قال النبي ﷺ: وما خلى بهما رجل في غير مكة إلا لم يوافقاه**»(١) إن أكلت لحما وماء في مكة الأمر طبيعي لا تصاب بشيء من الإسهال ولا إمساك ولا أمراض فإن كنت في غير مكة لم يتوافق معك ذلك ببركة دعاء إبراهيم خليل الرحمن وعلى الشخص أن يعلم أن الله ﷻ إن أحبه بارك له في حاله وماله ووقته وإن أبغضه فو الله لا أرى عقوبة أشد من أن تضيع أوقاته وحياته سدى، والتبرك على قسمين:

تبرك مشروع وتبرك ممنوع فالتبرك المشروع ما كان بأمر شرعي كالتبرك بالقرآن قال الله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص:٢٩] وكالتبرك بسورة البقرة وآل عمران حينما قال النبي ﷺ:

---

(١) البخاري (٣١٨٤) ومصنف عبد الرزاق (٩١٠٧).

«**اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيع لها البطلة**»(١) فالتبرك بالقرآن تلاوة وتعلما واستئجارا لقوله ﷺ: «**اقرءوا القرآن واسألوا الله به فإنه يأتي قوم يقرءونه يتعجلونه ولا يتأجلونه**»(٢) ويقول ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة صدي بن عجلان:

«**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه**»(٣) ومن قرأ حرفا من كتاب الله كان له عشر حسنات لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»(٤) وأخذ القرآن لترفع الجهل عن نفسك ولتسضيء بنور الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧ - ٥٨] وإقامة حلقات التعليم حلقات القرآن إيانا جميعا أن نستهين بهذا الأمر إن كان عندك ثلاثة أو أربعة أطفال صغار تعلمهم القرآن بركة قال النبي ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله**» والحديث في هذا خرج مخرج الغالب وإلا سواء في بيتك أو فيالمسجد أو في المدرسة أو في الشارع أو تحت شجرة فيأخذ هذه الأحكام «**إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن**

---

(١) مسلم (٨٠٤) وأحمد (٢٢٢٤٧) (٢٢٢٦٧) (٢٣٠٩٩) والمعجم الكبير (٧٥٤٢) (١١٨٤٤) والمعجم الأوسط (١٦٣٠) (٨٨٢٣) ومسند الشاميين (٢٨٦٢).

(٢) صحيح: أحمد (١٤٨٩٨) ومسند أبي يعلى (٢١٩٧) ومصنف ابن أبي شيبة (٣٠٠٠٤) وانظر السلسلة الصحيحة (٢٥٩).

(٣) مسلم (٨٠٤) والمعجم الأوسط (٤٦٨) وشعب الإيمان (٢٣٧٢) وسنن البيهقي الكبرى (٣٨٦٢).

(٤) صحيح: الترمذي (٢٩١٠) وانظر السلسلة الصحيحة (٣٣٢٧).

عنده»[١] «وينادي مناد أن قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات»[٢] و«هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[٣] هذا خير عظيم يوم أن توطن نفسك على حب الخير وعلى إيصال الخير إلى الناس من طريق القرآن، من حديث عثمان في صحيح البخاري قال النبي ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[٤] خير الناس ويقول ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل والنهار»[٥] التبرك بالأمكنة كالمساجد الثلاثة الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة وفي المسجد النبوي بألف صلاة وفي بيت المقدس بخمسمائة صلاة فلا بأس أن تتبرك لا أقول تتبرك بالأحجار لا وإنما تتبرك بالصلاة بالمسجد الحرام لكن الخرافيون يذهبون إلى هناك يقبلون الأحجار ويضعون صدورهم على الحجر والنبي ﷺ إنما قبل الحجر ويقول عمر وهو يقبل الحجر: «والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك»[٦] كذلك أيضا التبرك بالأزمنة

---

(١) مسلم (٢٦٩٩) وابن ماجة (٢٢٥) وأحمد (٧٤٢١).

(٢) صحيح: أحمد (١٢٤٧٦) والطبراني في الأوسط (١٥٥٦) وأبو يعلى (٤١٤١) وابن أبي شيبة (٢٩٤٧٧) والبيهقي في شعب الإيمان (٥٣٤) (٦٩٤) وانظر السلسلة الصحيحة (٢٢١٠).

(٣) مسلم (٢٦٨٩) وأحمد (٧٤١٨) (٨٩٦٠) والحاكم (١٨٢١) والطبراني في الصغير (١٠٧٤).

(٤) البخاري (٤٧٣٩) وأبو داود (١٤٥٢) والترمذي (٢٩٠٧) (٢٩٠٩) وأحمد (٥٠٠) والدارمي (٣٣٣٧) وابن حبان (١١٨).

(٥) البخاري (٤٧٣٨) (٧٠٩١) ومسلم (٨١٥) والترمذي (١٩٣٦) وأحمد (٤٥٥٠) (١٠٢١٨)

(٦) البخاري (١٥٢٠) (١٥٣٢) ومسلم (١٢٧٠) وأبو داود (١٨٧٣) والنسائي (٢٩٣٧) (٢٩٣٨) وابن ماجة (٢٩٤٣) وأحمد (٩٩) (٢٢٦) (٣٢٥) (٣٨٠) (٣٨١).

كالتبرك بشهر رمضان قال سبحانه: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة:١٨٥] ويقول ﷺ:

«**ثلاثة لا ترد لهم دعوة ومنهم الصائم عند فطره**»[(١)] وكذلك ليلة القدر يقول سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١ - ٢] تعظيم وتفخيم لشأنها وليلة القدر قيل: مأخوذ من القدر الذي هو بمعنى الشرف والرفعة أنها ليلة شريفة وقيل: من التقدير ولا بأس أن تشمل الأمرين ليلة ذات شرف ورفعة وليلة تقدر فيها مقادير الخلائق لمدة عام ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر: ٣ - آخر السورة] مسلمة من كل سوء وجاء في بعض الآثار أنها ليلة بلجة لا حارة ولا باردة ولا يرمى فيها بشهب وتطلع الشمس في صبيحتها لا شعاع لها والثلث الأخير من الليل تنال البركة في ذلك الوقت لقول النبي ﷺ: «**إن في الليل لساعة**» حديث جابر في صحيح مسلم «**إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة**»[(٢)] وهذا على وجه العموم وجاء حديث «**أن الله ﷻ ينزل إلى سماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل فيقول: هل من داع فأعطيه؟ هل من داع فأستجيب له هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟**»[(٣)] وحديث أبي موسى في صحيح مسلم: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع**

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٥٢٦) وابن حبان (٧٣٨٧) والبيهقي في شعب الإيمان (٧١٠١).

(٢) مسلم (٧٥٧).

(٣) صحيح: أحمد (١٦٧٩١) (١٦٧٩٣) والدارمي (١٤٨٠) والطبراني في الكبير (١٥٦٦) (٨٣٧٣) وأبو يعلى (٥٩٣٦) (٧٤٠٨) وانظر حديث رقم: ٨١٦٧ في صحيح الجامع.

الشمس من مغربها»(١) والتماس البركة يوم الجمعة لا سيما آخر ساعة منها جاء من حديث أوس بن أوس أن النبي ﷺ قال: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه النفخة والصعقة فأكثروا علي من الصلاة فإن صلاتكم معروضة علي قالوا: كيف تعرض عليك صلاتنا يا رسول الله وقد أرمت؟ أي بليت قال: أما علمتم أن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»(٢) ويوم عرفة يوم عظيم يطلع الله على أهل الموقف على أهل عرفات شعثا غبرا كما في الحديث الصحيح فيباهي بهم ملائكة وفي حديث آخر: أهل السماء ويقول: «**أشهدكم أني قد غفرت لهم**»(٣) ويقول النبي ﷺ:

«**أفضل ما قلت أنا والنبيون يوم عرفة لا إله إلا الله**»(٤) فهذا يوم عظيم فيتبرك الشخص بمثل هذه النفحات والفرص الذهبية في مثل هذه الأوقات المباركة، ومن ذلك أيضا التبرك بالأطعمة ببعض الأطعمة وببعض الأشربة كالتبرك مثلا بالعسل أن الله ﷻ يقول: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل:٦٩] ويقول النبي ﷺ:

«**إن كان الشفاء في شيء ففي ثلاث شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وأنهى**

---

(١) مسلم (٢٧٥٩) وأحمد (١٩٥٤٧) (١٩٦٣٥) والبيهقي في شعب الإيمان (٧٠٧٥) وسنن البيهقي الكبرى (١٦٢٨١) (٢٠٥٥٥) ومسند عبد بن حميد (٥٦٢).

(٢) صحيح: أبو داود (١٠٤٧) (١٥٣١) والنسائي (١٣٧٤) وابن ماجة (١٠٨٥) (١٦٣٦) (١٦٣٧) وأحمد (١٦٢٠٧) والدارمي (١٥٧٢) وانظر حديث رقم: ٢٢١٢ في صحيح الجامع.

(٣) حسن: ابن حبان (١٨٨٧) والبيهقي في شعب الإيمان (٤٠٦٨) وانظر صحيح الترغيب والترهيب برقم (١١٥٥).

(٤) صحيح: الموطأ (٥٠٠) (٩٤٥) وسنن البيهقي الكبرى (٨١٧٤) (٩٢٥٦) وانظر السلسلة الصحيحة (١٥٠٣).

أمتي عن الكي»[(١)] وكذلك التمر أيضا يقول ﷺ: «**من تصبح سبع تمرات عجوة من تمر المدينة لم يضره سم ولا سحر**»[(٢)] وهكذا أيضا الزيتون أثنى الله ﷻ على الزيتون في كتابه الكريم وهكذا الحبة السوداء كما في الحديث: «**شفاء لكل داء إلا السام قيل: وما هو؟ قال: الموت**»[(٣)] وماء زمزم من المشروبات قال ﷺ: «**ماء زمزم لما شرب له**»[(٤)] وقال فيه:

«**طعام طعم وشفاء سقم**»[(٥)] وقال ﷺ: «**ماء زمزم أفضل ماء على وجه الأرض**»[(٦)] كذلك ما جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين**»[(٧)] والكمأة عبارة عن شيء يشبه البطاط يزرع تحت الأرض فإذا ما نضج وحضر شقق الأرض يعرف هذا الفلاحون والزارعون قال: «**هذا من المن**» أي

---

(١) البخاري (٥٣٥٦) (٥٣٥٧) وابن ماجة (٣٤٩١) وأحمد (٢٢٠٨) والمعجم الكبير (١٢٢٤١).

(٢) البخاري (٥١٣٠) (٥٤٣٥) (٥٤٣٦) (٥٤٤٣) ومسلم (٢٠٤٧) وأبو داود (٣٨٧٦) وأحمد (١٥٧١) والطبراني في الصغير (٣١).

(٣) البخاري (٥٣٦٣) (٥٣٦٤) ومسلم (٢٢١٥) (٢٢١٥) والترمذي (٢٠٤١) وابن ماجة (٣٤٤٧) و أحمد (٩٤٦٧).

(٤) صحيح: ابن ماجة (٣٠٦٢) وأحمد (١٤٨٩٢) والحاكم (١٧٣٩) والدارقطني (٢٣٨) والطبراني في الأوسط (٨٤٩) (٣٨١٥) (٩٠٢٧) وانظر حديث رقم: ٥٥٠٢ في صحيح الجامع.

(٥) صحيح: مسند الطيالسي (٤٥٧) والطبراني في الصغير (٢٩٥) ومصنف عبد الرزاق (٩١١٦) وانظر حديث رقم: ٢٤٣٥ في صحيح الجامع.

(٦) صحيح: الطبراني في الكبير (١١١٦٧) والطبراني في الأوسط (٨١٢٩) وانظر حديث رقم: ٣٣٢٢ في صحيح الجامع.

(٧) البخاري (٤٢٠٨) (٤٣٦٣) (٥٣٨١) ومسلم (٢٠٤٩) والترمذي (٢٠٦٦) (٢٠٦٧) (٢٠٦٨) وابن ماجة (٣٤٥٣) (٣٤٥٤) وأحمد (١٦٢٥) (١٦٢٦) (١٦٣٢).

من المن الذي أنزله الله على بني إسرائيل فتحصل بركة بمثل هذا كذلك أيضا لا بأس أن تقول: نتبرك بطالب علم أو بمن عنده علم لا به ذاتيا هذه خرافة صوفية ولا بأس أن ندخل الآن بالتبرك الممنوع التبرك الممنوع أن تتبرك مثلا بهذه الأشياء لذاتها تذهب تتمسح بالمسجد الحرام بالمسجد النبوي بالمسجد الأقصى تتمسح مثلا بالكعبة تتمسح مثلا بطالب العلم هذه خرافات صوفية وهذه التبركات ربما أوصلت إلى الشركيات لا بأس أن تقول: حلت البركة حينما نزل فلان من الناس أرض كذا وكذا ففلان هذا إن كان طائعا لله متبعا لسنة رسول الله موحد من أهل السنة طائع فيكون البركةبما يحمله من خير لا به ذاتيا فإن التبرك الذاتي لا يكون إلا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فكما قال عروة بن مسعود الثقفي حينما أرسلته قريش للصلح يوم الحديبية في العام السادس قال: ما رأيت قوما أشد تعظيما لملوكهم من أصحاب محمد لمحمد فإنه لا يكاد يبصق أو يتنخم أو يتوضأ إلا كادوا يقتتلون على ذلك يأخذ الصحابي نخامة النبي فيمسحها في وجهه لأن نخامته ما هي كنخامة الغير عبارة عن جراثيم وميكروبات لا وهكذا أيضا شعره وهكذا دثاره ثيابه فتعرفون كان نائما ﷺ وإذا بامرأة عجوز تأخذ عرقه تأخذ العرق قال لها: «**لمه؟**» قالت: نجعله مع طيبنا تجعل عرق النبي ﷺ مع الطيب لكن ما هو عرقنا نحن؟ عرقنا عبارة عن روائح كريهة بخلاف عرق النبي ﷺ فالصوفية فتحوا في هذا الباب أمرا واسعا جدا فوسعوا باب التبركات فربما يتبرك المريد بشيخه فيأخذ من لعابه وربما يمخط الشيخ على المريد وربما يبول الشيخ فيعطيه للمريد فيشربه وكان يحصل في منطقة قريبة منا هنا أن الشيخ يأكل القات ويبلث القات إلى متفل ثم يأتي المريد فيشربه خسة ودناءة نسأل الله السلامة والعافية هذا من التبرك تبرك في غاية القذارة هذا لا يقال تبركا إنما هذا - بارك الله فيكم - قذارة ودناءة لا حول ولا قوة إلا بالله فلقد كان التبرك في

الجاهلية بالأصنام والأشجار فهاهم اليوم عند كثير من المسلمين يتبركون ببعض الأماكن زاعمين أنن هذه تبرك بآثار الصالحين والله ﷻ يقول: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ١٩ - ٢١] وهذه عبارة عن أصنام كان المشركون يتبركون بها.

كان يسمونه باللات وهكذا العزى اسم أيضا لصنم آخر ومناة كذلك كانت لبعض القبائل يصبون عليها العسل والسمن ويذبحون أمامها بل قيل: إن مناة سميت بهذا الاسم لكثرة ما يمنى بجانبها من الدماء ومن ذلك سميت منى بهذا الاسم منى لكثرة ما يمنى فيها من الدماء في أيام التشريق مع يوم العيد.



عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط فمررنا بسدة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط لما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السَنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إسرائِيلَ لِمُوسى: «اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» رواه الترمذي وصححه(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النجم.

---

(١) صحيح: الترمذي (٢١٨٠) وأحمد (٢١٩٤٧) (٢١٩٥٠) وابن حبان (٦٧٠٢) والمعجم الكبير (٣٢٩٠) (٣٢٩١) (٣٢٩٢) (٣٢٩٣) (٣٢٩٤) وانظر مشكاة المصابيح (٥٤٠٨).

الثانية: معرفة صورة الأمر الذي طلبوا.

الثالثة: كونهم لم يفعلوا.

الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يحبه.

الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل.

السادسة: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

السابعة: أن النبي ﷺ لم يعذرهم بل رد عليهم بقوله: «الله أكبر إنها السنن، لتتبعن سنن من كان قبلكم» فغلظ الأمر بهذه الثلاث.

الثامنة: الأمر الكبير، وهو المقصود، أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف:١٣٨].

التاسعة: أن نفي هذا من معنى (لا إله إلا الله) مع دقته وخفائه على أولئك.

العاشرة: أنه حلف على الفتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة.

الحادية عشرة: أن الشرك فيه أكبر وأصغر، لأنهم لم يرتدوا بهذا.

الثانية عشرة: قولهم: (ونحن حدثاء عهد بكفر) فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك.

الثالثة عشرة: التكبير عند التعجب خلافًا لمن كرهه.

الرابعة عشرة: سد الذرائع.

الخامسة عشرة: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية.

السادسة عشرة: الغضب عند التعليم.



السابعة عشرة: القاعدة الكلية بقوله: «إنها السنن».

الثامنة عشرة: أن هذا علم من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر.

التاسعة عشرة: أن ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا.

العشرون: أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر أما «من ربك؟» فواضح وأما (من نبيك؟) فمن إخباره بأنباء الغيب، وأما (ما دينك؟) فمن قولهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ﴾ [الأعراف:١٣٨] إلى آخره.

الحادية والعشرون: أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين.

الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه، لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة، لقولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر».



قال الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن أبي واقد الليثي، أبو واقد الليثي صحابي جليل وهو من مسلمة الفتح واختلف في اسمه.

يروي هذا الصحابي الجليل قائلا: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر بعد أن دخل النبي ﷺ مكة في العام الثامن من الهجرة فاتحا مؤيدا منصورا قال سبحانه:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ

تَوَّابَۢا﴾ [سورة النصر] ففي ذلك اليوم العظيم عند ذلك الفتح المبارك أنقذ الله مكة والمسجد الحرام من براثين الخرافة والشرك والبدعة فكسرت الأصنام وهدمت وتلي قول الله ﷻ: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء:٨١] واجتمع أهل مكة بالنبي ﷺ محدقين به فقال لهم: «**ما تظنون أني فاعل بكم؟**» قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»(١) وعفا النبي ﷺ عنهم ولم ينتقم عليه الصلاة والسلام لنفسه قال: «**من دخل البيت الحرام فهو آمن ومن دخل بيت أبي سفيان فهو آمن**»(٢) ودانت الرقاب للنبي ﷺ بتأييد من الله الواحد القهار وكان هذا النصر المبارك عبارة عن أمر مخيف لدى بعض القبائل المتغطرسة كمنطقة الطائف فإنها كان فيها قبيلتان كبيرتان هوازن وثقيف فكانت تحتل المركز الرئيسي لها في الطائف فحينما علمت أن المسلمين قد فتحوا مكة خافوا من هذا الأمر وجهزوا أنفسهم واستعدوا لمقاتلة المسلمين وجعلوا رئيسا عليهم وهو مالك بن عوف وكان رجلا شجاعا مقداما إلا إنه فاسد الرأي كما ذكر ذلك علماء التأريخ فأراد هؤلاء المشركون أن يباغتوا المسلمين وأن يفاجئوهم فعلم النبي ﷺ بأمرهم فجهز أصحابه فغزاهم وكان أصحاب النبي ﷺ الذين أتى بهم من المدينة قرابة الألفين وكان مسلمة الفتح قرابة عشرة آلاف رجلا فإذا بالنبي ﷺ يعلن لأصحابه الذهاب إلى هنالك قاصدين ثقيف وهوازن فخرجوا وهم أمة عظيمة فقال بعض مسلمة الفتح رضي الله تعالى عنهم: لا نهزم اليوم من قلة بمعنى نحن كثير فحينما خرجوا إلى ثقيف وهوازن كان هؤلاء

---

(١) ضعيف: سنن البيهقي الكبرى (١٨٠٥٥) وانظر السلسلة الضعيفة (١١٦٣).

(٢) مسلم (١٧٨٠) وأبو داود (٣٠٢١) (٣٠٢٢) وأحمد (٧٩٠٩) (١٠٩٦١) وابن حبان (٤٧٦٠) والدارقطني (٢٣٣) والطيالسي (٢٤٤٢).

القوم قد جعلوا بعض الكمين على جنبات الطريق كان الصحابة يسافرون من آخر الليل فما شعروا إلا والرماح ترشقهم من كل مكان ومن كل اتجاه فبعضهم حاص ورجع القهقرى فإذا بالنبي ﷺ يثبت ثبات أعظم من الجبال ويقول:

أنـــــا النبـــــــي لا كـــــــذب أنـــــا ابـــن عبـــد المطلـــــب[(١)]

ثم صاح أمر العباس عمه وكان جهوري الصوت أن يقول: يا أصحاب رسول الله يا أصحاب بيعة الشجرة يا أصحاب سورة البقرة قال: فإذا بهم يذهبون صوب ذلك الصوت فاجتمعوا على النبي ﷺ كما تجتمع الأمهات بأبنائها فإذا بالنبي ﷺ يحرض أصحابه على القتال وكانت ثقيف وهوازن قد خرجت بخيولها وحيوانها ونسائها وأطفالها وذلك أن مالك بن عوف أصر على هذا الرأي وقد قال له البعض: ربما نهزم فما نريد شيئا يحجزنا عن الإنطلاق فأصر على رأيه وكان في صالح أهل الإسلام فصعد النبي ﷺ كما جاء ذلك في سنن أبي داود صعد النبي ﷺ على منطقة قريبة فلما رأى هذه الثروة وهذه الغنائم قال: «**هذه غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله**»[(٢)] فثبت النبي ﷺ أصحابه واستنزل النصر من الله قال: «**اللهم انزل نصرك المؤزر**» فإذا بالمهاجرين والأنصار يقاتلون قتالا عنيفا فلما اشتد القتال قال النبي ﷺ: «**الآن حمي الوطيس**»[(٣)] وهي عبارة مشهورة ثابتة في صحيح مسلم ثم أخذ

---

(١) البخاري (٢٧٠٩) (٢٧١٩) (٢٧٧٢) ومسلم (١٧٧٦) وأحمد (١٨٤٩١) (١٨٤٩٨) (١٨٥٦٣) وابن حبان (٤٧٧٠) (٥٧٧١).

(٢) صحيح: أبو داود (٢٥٠١) والحاكم (٢٤٣٣) والمعجم الكبير (٥٦١٩) وسنن البيهقي الكبرى (٢٠٨٣) وسنن النسائي الكبرى (٨٨٧٠) وانظر السلسلة الصحيحة (٣٧٨).

(٣) مسلم (١٧٧٥) والمعجم الكبير (٧١٩١) ومسند أبي يعلى (٣٦٠٦) ومسند البزار (١٣٠١).

حفنة من الحصباء فرماها في وجوه المشركين قال: «**اللهم اهزمهم ورب محمد**»(١) قال العباس: فنظرت فإذا بذلك الحصى قد عملت عملها في القوم فولوا مدبرين وكان في بداية المعركة حينما حصل الإنهزام تشكك بعض الخارجين حتى قال بعض مسلمة الفتح: بطل السحر اليوم(٢) لكن الله ﷻ أراد أمرا وهو أن لا يغتر المسلم بقوته أو بشجاعته أو بكثرته ولكن عليه أن يعلم أن النصر من الله كما قال سبحانه: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:١٠] فنزل نصر الله المؤزر ونصر الله رسوله ﷺ كما قال: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة:٢٦] فأبو واقد الليثي يحكي ما حصل في هذه الغزوة قال: خرجنا مع النبي ﷺ مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر خرجوا من مكة يريدون حنين وهو وادي بين مكة والطائف وكان هذا في شوال آخر العام الثامن من فتح مكة على مشارف العام التاسع **فما الذي حصل؟** ولهذا نقل المؤلف هذا الحديث في هذا الباب قال: وللمشركين سدرة يعكفون عندها أي يمكثون عندها الوقت الطويل وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**الله أكبر إنها السنن**» وهذا - بارك الله فيكم - هو موطن الشاهد حينما قالوا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط بمعنى يريدون أن يعلقوا عليها سيوفهم متبركين بذلك فعظم النبي ﷺ هذا الأمر قال: «**الله أكبر إنها السنن**» أي إنها الطرق أو

(١) مسلم (١٧٧٥).

(٢) إسناده حسن: ابن حبان (٤٧٧٤) ومسند أبي يعلى (١٨٦٣) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

طرق الضلال كما قال ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة شبرا بشبر ذراعا بذراع حتى ولو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قيل: اليهود والنصارى قال: فمن القوم إلا أولئك**»(١) ولكن ما كان هذا من المسلمين الذين قد تغلغل الإيمان وتغلغلت العقيدة في قلوبهم وهذا كان من بعض حدثاء عهد بكفر من أصحاب النبي ﷺ يجهلون مثل هذا الأمر وما كان هناك الوقت الكافي لتعليم أمر العقيدة على أن النبي ﷺ أنكر مباشرة قال:

«**الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنوا إسرائيل لموسى:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨]» وفي هذا بيان خطورة الشرك والبدعة والخرافة وعلى أنه يجب على الداعية أن يعظم ذلك وأن يبين الحق وأن يبين فداحة الأمر ولا ينبغي له أن يحابي أو يجامل لماذا؟ لأن المسألة خطيرة جدا إنها تمس العقيدة فإذا كان الأمر يتعلق بالمعتقد وجب على الشخص أن ينكر ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة وفي هذا رد على الذين يقولون: ما في داعي نتكلم على أمراض الأمة فتجد يلفلف أناسا عندهم الشرك والخرافة والبدعة ويقول: دعوا الناس على ما هم عليه لا تنفروهم إذا علموا ذلك هم سيصححوا أخطاءهم من أنفسهم نقول: لا ثم لا إذا كان الأمر يتعلق بمستحب أو منهي أمر ليس بواجب أما بأمر يتعلق بناقض من نواقض الإسلام وهو الشرك فوجب على الشخص أن يعظم ما عظم الله وما عظمه رسول الله ﷺ وكان الواجب على المسلم أن يجعل هذا هو الأصل الأول من انطلاق دعوته وهو أمر

(١) البخاري (٣٢٦٩) (٦٨٨٩) ومسلم (٢٦٦٩) وابن ماجة (٣٩٩٤) وأحمد (٨٣٢٢) (٩٨١٨) (١٠٨٣٩) وابن حبان (٦٧٠٣) والحاكم (١٠٦).

التوحيد وأمر العقيدة الصحيحة والنبي ﷺ يلقي هذه المحاضرة الطويلة العريضة وهو أمام قوتين كبيرتين قبيلة هوازن وثقيف وهؤلاء حدثاء عهد بكفر ما قال: نصبر عليهم هم الآن يواجهون أعتى القوى نريد أن ننتصر على هؤلاء وبعدين نرجع نصحح وننظر لا المسألة مسألة توحيد لا تحتمل هذا ربما يموت واحد من هؤلاء وهو على عقيدة سيئة فيكون من أهل النار قال ﷺ: «**لتركبن سنن من كان قبلكم**» رواه الترمذي وصححه[1] وهو حديث صحيح وهذا - بارك الله فيكم - أيضا فيه علم من أعلام النبوة فلقد حصل ما أخبر به النبي ﷺ بالتشبه بأعداء الإسلام عقيدة وسلوكا ومنهجا إلا من رحمه الله ﷻ وقليل ما هم فكم من المسلمين الآن يتمسحون بقبر ابن علوان والعيدروس وقبر الحسن والحسين في كربلاء وقبر علي بن أبي طالب في النجف وهكذا في كثير من القبور في مشارق الأرض ومغاربها يتمسحون بالأتربة وبالقبور ويأخذون التراب ربما يأكلون منه يعتقدون فيه البركة وهذا حينما غاب دعاة التوحيد وقل شأنهم فنسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم من دعاة الحق والتوحيد والسنة والله أعلم.



---

(١) صحيح: الترمذي (٢١٨٠) وأحمد (٢١٩٤٧) وابن حبان (٦٧٠٢) والطبراني في الكبير (٣٢٩١) (٣٢٩٢) (٣٢٩٣) وانظر حديث رقم: ٣٦٠١ في صحيح الجامع.

باب ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢]

فيقول الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب ما جاء في الذبح لغير الله

وفي بعض النسخ: من جاء في نسختي هذه: من جاء لكن الصحيح ما جاء فالباب لغة: اسم لما يدخل ويخرج منه وفي الاصطلاح: اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب والباب هو دون الكتاب وفوق الفصل فهو يحتوي على جملة علمية متكاملة لهذا كان يقول شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه.

قوله: ما جاء، ما هاهنا اسم موصول وجاء فعل ماض صلة الموصول والعائد الضمير المستتر في كلمة جاء ومعنى ذلك أي ما ورد في هذا الباب من الآيات، الأحاديث، من الأحكام في هذا الباب.

قوله: في الذبح لغير الله، الذبح معروف وهو ذبح الحيوان يشمل نحر الإبل

وذبح البقر والغنم والدجاج وما شابه ذلك مما يذبح، والذبح لغير الله يشمل الملائكة الأنبياء المقبورين لغير الله غير الله يشمل هؤلاء أجمعين ثم استدل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ما ترجم به بقول الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

قوله: ﴿قُلۡ﴾، هذا خطاب موجه لنبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أن يقوم معلنا أمام المشركين مبينا لهم التوحيد الخالص بمثابة قول الله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣] اعتزاز وافتخار

أبـــي الإســـلام لا أب لـــي ســـواه إذا افتخـــروا بقـــيس أو تمـــيم

وشرب هذا أيضا أن يبين لهؤلاء المشركين وغيرهم عقيدة هي أصل الأصول إنها قضية التوحيد توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

وقوله: ﴿إِنَّ صَلَاتِي﴾ المراد بالصلاة الدعاء من حيث اللغة واصطلاحا: هي أفعال معلومة مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم الصلاة التي نعرفها ذات الركوع والسجود والقيام والتسبيح والتقديس.

وقوله: ﴿وَنُسُكِي﴾ النسك في اللغة: بمعنى العبادة فإذا قالوا: هذا ناسك أي عابد وقد سمي عبد الله بن عمر بالناسك واصطلاحا: ذبح القربان أو نحرها لأن من الحيوانات ما ينحر وهو الإبل والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول:

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر:٢] وهذا هو موطن الشاهد وهذا لا بد أن يكون لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والذبح لغير الله على قسمين:

القسم الأول: ما ذبح لغير الله تقربا وتعظيما فهذا شرك أكبر مخرج من الملة أن

تذبح تقربا وتعظيما لشأن فلان وهو ما كان يذبح أمام الأصنام والأوثان هذا شرك أكبر مخرج من الملة وهو لغير الله.

وهناك ذبح لغير الله لكن لا يكون شركا أكبر بل هو أمر جائز ذبح لغير الله وهو أمر جائز اعتاده الناس أن تذبح لضيف كريم قادم عليك فرحا واستبشارا وسرورا فهذا من الأمور العادية وقد يكون أمرا مطلوبا قال النبي ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»(١) إكراما للضيف فأنت مأجور على ذلك بخلاف ما يذبحه الشخص أضحية أو هديا إن كنت متمتعا أو أحصرت أو كان بك قمل في رأسك وأنت هناك تؤدي المناسك فهذه أمور مشروعة من جهة وواجبة من جهة أخرى وهي لله ﷻ وهكذا أيضا العقيقة قال الله تبارك وتعالى:

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾ [البقرة: ١٩٦] ودخل النبي ﷺ على كعب بن عجرة قال: «**أيؤذيك هوامك؟**» أي القمل الذي فيك قال: نعم قال: «**احلق شعرك واذبح شاة**»(٢) فهذا لله سبحانه وتعالى وهكذا أيضا من ارتكب محظورا أو ترك واجبا من واجبات الحج وجب عليه نسيكة كما أثر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه وهي فتوى مشهورة قال: «**من ارتكب محظورا أو ترك واجبا فعليه نسك**» والأثر رواه البيهقي وصححه الشيخ

---

(١) البخاري (٥٦٧٢) (٥٧٨٥) (٥٧٨٧) ومسلم (٤٧) وأبو داود (٥١٥٤) والترمذي (٢٥٠٠) وابن ماجة (٣٦٧٢) وأحمد (٦٦٢١).

(٢) البخاري (١٧٢٢) (٣٩٢٧) ومسلم (١٢٠١) وأحمد (١٨١٥٣) وسنن الدارقطني (٢٧٩) (٢٨١) والطبراني في الكبير (٢١٥) (٢٢٢).

الألباني وهو أثر مشهور عمل به العلماء جيلا بعد جيل.

وفي قوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ معنى ذلك أن حياتك كلها وهكذا أمر مماتك المتصرف في ذلك هو الله ﷻ فله مشيئته وإرادته فيك وهكذا على العبد أن يكون دائما يحمل هذه العقيدة يجعل حياته لله إن أعطى لله إن أبغض لله إن منع فلله إن أحب فلله فهو دائما مع الله

إليك وإلا لا تشد الركائب وعنك وإلا فالهيام مضيع

وعنك وإلا فالمحدث كاذب

فلا بد أن يكون هذا ديدن العبد في هذه الدنيا دائما قد أرضى الله ﷻ في أمره كله أوله وآخره واستفيد من لفظة: ﴿صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ إثبات توحيد الألوهية وفي قوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ إثبات توحيد الربوبية ومن قوله: ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ توحيد الأسماء والصفات والعالمين ما سوى الله ﷻ يعتبر عالم عالم الجن والإنس والطير والحيوان والعرش والكرسي والملائكة وما إلى ذلك خلق لا يعلمه إلا الله ﷻ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

وفي قوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ أي لا إشراكا في الربوبية ولا في الألوهية ولا بالأسماء والصفات.

﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ الآمر له الله ﷻ.

وقوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ قولان لأهل العلم:

بعض أهل العلم يقول: المراد بالأولوية هاهنا أولوية معنوية بمعنى أن النبي ﷺ



أعظم الناس وأتمهم استجابة وانقيادا لأمر الله وهذا قول صحيح.

القول الثاني: أن النبي ﷺ أول المسلمين في هذه الأمة الأمة المرحومة التي قال الله ﷻ فيها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢] والنبي ﷺ امتدح أمته في أحاديث كثيرة منها: «**أمتي كالغيث لا يدرى الخير في أوله أو في آخره**»(١).

وفي قوله: ﴿مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يشمل الإسلام والإيمان فهذه من الألفاظ التي إن أطلق بعضها شمل الآخر أو كما يقول أهل العلم: إن اجتمعت افترقت وإن افترقت اجتمعت فإذا قلت: أنا مسلم بمعنى مؤمن أيضا فالإسلام أركانه معروفة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت أعمال ظاهرية والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله ﷻ فإذا قلت: أنا مسلم يعني ومؤمن أيضا فحصل اجتماع فإن قلت: أنا مسلم مؤمن دل ذلك على تفسير الإسلام بالأعمال الظاهرية والإيمان بالأعمال الباطنية.

ثم ذكر المؤلف بعد هذه الآية قول الله سبحانه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢] وهذا أيضا في الباب نفسه وهذا أمر.



---

(١) صحيح: الترمذي (٢٨٦٩) وأحمد (١٢٣٤٩) وابن حبان (٧٢٢٦) ومسند الطيالسي (٦٤٧) الطبراني في الأوسط (٣٦٦٠) ومسند الشهاب (١٣٤٩) وانظر حديث رقم: ٥٨٥٤ في صحيح الجامع.

عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّه، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ» رواه مسلم(١).



قال: وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات، وعلي هو ابن أبي طالب أبو الحسن رضي الله تعالى عنه وأرضاه وأهل السنة يحبون عليا وآل بيت رسول الله حبا شرعيا

يا آل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن أنزله

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى:٢٣] فيحبون بيت آل الرسول ويحبون بقية أصحاب النبي ﷺ من غير غلو ولا جفاء خلاف غلو الشيعة والرافضة في آل البيت مع قدحهم لأصحاب النبي ﷺ وخلافا للناصبة الذين ينصبون العداء لآل بيت رسول الله ﷺ.

قوله: حدثني رسول الله بأربع كلمات، الكلمة في اللغة: القول المفرد وفي الإصطلاح: ما دل على الكلام المفيد كما قال ابن مالك:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم ... اسم وفعل ثم حرف الكلم
واحدها كلمة والقول عم ... وكلمة بها كلام قد يؤم

قال: بأربع كلمات «**لعن الله من ذبح لغير الله**» المراد باللعن: الطرد عن رحمة

(١) مسلم (١٩٧٨) والنسائي (٤٤٢٢) وأحمد (٨٥٥) (٩٥٤) (١٣٠٦) وابن حبان (٦٦٠٤) ومسند أبي يعلى (٦٠٢).

الله واختلف في هذا هل أراد الرسول الإنشاء أو الإخبار بمعنى هل أراد أن يجعل هذا خبرا أمرا مسلما فيه أن من فعل ذلك فهو ملعون أو أراد بذلك: اللهم العن من فعل كذا وكذا قولان لأهل العلم على أن الخبر أبلغ لأن الدعاء قد يستجاب وقد لا يستجاب وفي هذا الباب: لعن الله من ذبح لغير الله لعن الله من لعن والديه لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده لعن الله شارب الخمر أحاديث كثيرة في هذا الباب هنا قاعدة صحيحة وهي: أن أهل العلم يقولون: الأحكام المتعلقة بالأوصاف لا تتحقق في الأشخاص إلا إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع شروط العلم إقامة الحجة عدم التأويل انتفت الموانع ما عنده تأويل ما عنده جهل ليس في حالة انغلاق فكر ولا شرود ذهن ما عنده نسيان فلا بد من إقامة الحجة وانتفاء المانع فيقول أهل العلم: ليس كل من وقع في أمر يستحق اللعن يلعن بعينه ولا من وقع في الكفر يقع في الكفر ولا من وقع في البدعة وقعت عليه البدعة هذا أمر وجب على الطلاب أن يفهموه وأن يتقنوه.

مسألة أخرى: لعن المعين غير جائز وإن كان كافرا على القول الصحيح من أقوال أهل العلم فهنا ﷺ يقول: «**لعن الله من ذبح لغير الله**» سواء ذبح للجن أو للشياطين أو للمقبورين أو للأصنام المهم أنه ذبح لغير الله معظما ذلك الذي ذبح له وهناك من زل في هذا الباب ووقع في باب الشركيات سواء في باب الذبح أو غيره والفريق الناجي في هذا هم أهل السنة من زمن النبي ﷺ إلى زماننا هذا وقد ضل من الأمم في باب الشرك كاليهود مثلا يدعون عزير بن الله وكالنصارى الذين يدعون المسيح ابن الله ومن الفرق الشيعة يذبحون لغير الله إلا من رحم الله الصوفية وقعوا في باب الشركيات يذبحون لابن علوان والعيدروس وتعرفون تلك الأبيات التي

يرددونها قول البوصيري في البردة:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن آخذا يوم المعاد يدي ... فضلا وإلا فقل يا زلة القدم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

ومن الذبح لغير الله ما يسمى بالهجين عند القبائل وهو الذبح للإرضاء إرضاء الطرف الآخر من أجل الصلح يقولون: لا يزيل ما في النفس إلا الدم لا يكافئ الدم إلا دم مثله وهناك كتاب بعنوان: أركان الإيمان عرض على مائة عالم من علماء اليمن عالجوا هذه القضية وقالوا: إن كان ولا بد فلم لا يأخذون هذا المذبوح إهداء إلى بيت هذا الذي يريدون أن يذبحون له إرضاء وهذا حل يعني لا غبار عليه من باب الصلح لأن النبي ﷺ يقول: «**الصلح جائز بين المسلمين إلا صلح حرم حلالا أو أحل حراما**»(١) وقد حصل بسبب هذه البدعة انتشار فظيع جدا في اليمن وما أعلم لها أثرا في غير اليمن والعاقل ينأى بمثل هذا يعني يقتلون أخاه أو والده ثم يأتون باثنين أثوار ويرضونه وقليل فلوس وانتهى الإشكال الواجب في مثل هذا إما القصاص وإما الدية وإما العفو ويتولى في هذا المحاكم الشرعية حدثنا بعض إخواننا أن شركة الإزفلت هذه التي كانت تعمل ما بين صنعاء وخط خمر وصعدة كانت تعمل في الطرقات وكان الذي يعمل في الشركة هذه بعض الكوريين فاقتحم الكوري وهو يمشي في الشيول أو هذه التي تصلح الطريق دخل مزرعة رجل من القبائل فجاء القبيلي يتكلم باللغة العربية يقول له: لا يمشي الآلة هذه في هذه الأرض وهذا لا يفقه

(١) صحيح: أبو داود (٣٥٩٤) والترمذي (١٣٥٢) وابن ماجة (٢٣٥٣) وأحمد (٨٧٧٠) وابن حبان (٥٠٩١) والحاكم (٧٠٥٩) والدارقطني (١٥) انظر حديث رقم: ٣٨٦٢ في صحيح الجامع.

ما يقول هذا الرجل فصعد على الآلة هذه ولطم هذا الكوري فذهب الكوري إلى رئيس الشركة وكان يمنيا فأخبره ثم تعصبت الشركة كلها لهذا الكوري ضد هذا القبيلي ووصلت القضية إلى شيخ من مشائخ تلك الجهات ثم قالوا: خلاص نرضي هذا الكوري ونرضي هذه الشركة فذهبت القبائل واشتروا ثور وحملوه على متن سيارة هيلوكس وتواعدوا يوما على أن يتم الصلح فلما جاءوا بهذا الثور فقال هذا الكوري: يعني خلاص الآن الأمور تمام وقد جئنا بهذا الثور من أجل نذبحه إرضاء لكم يكلموه فلما فهم القضية قال لهم: يعني ليس هذا الثور هو الذي لطمني هذا الرجل هو الذي لطمني بمعني أنكم يعني كيف تذبحون هذا إيش ذنب الثور هذا لما أنتم الآن هذا لطمني وعلى هذا يكون الذبح في نظره هذا أمر مستغرب لطمه فلان والذبح يقع على ثور من الثيران وهذا رجل لا يفقه العربية ولا يفهم من الإسلام شيئا لكنه يدرك أن هذا ليس حلا صحيحا لهذه القضايا فالحل الصحيح هو الإسلام

العز بالإسلام يا دني اسمعي — والنصر معقود بمبدأ أحمد
من حاد عن نهج الكتاب وما به — لا خير فيه وبالمذلة مقتدي

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وبقي بعض الشرح لهذا الباب غدا يكمل إن شاء الله ثم ندخل في الباب الذي بعده وصلى الله وسلم على نبينا محمد وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قول نبينا ﷺ: «**لعن الله من لعن والديه**» إما أن يكون قد باشر اللعن بنفسه وإما أنه تسبب في لعن والديه يقول النبي ﷺ: «**من أكبر الكبائر شتم الرجل والديه قالوا: وكيف يلعن والديه يا رسول الله؟ قال: يلعن أبا الرجل فيلعن أباه ويسب أم الرجل**

فيسب أمه»[١] فلو تسبب يشمل هذا وهذا يعتبر من كبائر الذنوب والآثام قال الله ﷻ:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤]

وقوله: «**لعن الله من آوى محدثا**» المراد بالإحداث إما أن يكون إحداثا حسيا كأن يكون قاتلا زانيا لوطيا حدث حسي فآويته مخفيا إياه من وجه العدالة من أن يأخذ الناس حقوقهم منه فأنت تستحق اللعنة لأنك آويت محدثا وإما أن يكون الحدث حدثا معنويا كأن يكون مبتدعا ضالا فكره فكر بدعي حزبي شيوعي بعثي كفراوي أي حزب يناوئ الإسلام ويخالفه فأنت تستحق اللعنة لأنك آويت محدثا والنبي ﷺ يقول: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٢] ويقول:

«**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٣] فمعنى آويته أنك حميته ونصرته وأعنته والله ﷻ يقول:

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ﴾ [المائدة:٢].

وقوله: «**لعن الله من غير منار الأرض**» المراد بالمنار الحدود وهو الشيء المرتفع ويسمى عند بعض العوام وثن والصحيح ما سماه رسول الله ﷺ منار

(١) البخاري (٥٦٢٨) ومسلم (٩٠) وأبو داود (٥١٤١) وأحمد (٧٠٢٩) والبيهقي في شعب الإيمان (٧٨٦٩).

(٢) مسلم (١٧١٨) وأحمد (٢٥١٧١) (٢٥٥١١) (٢٦٢٣٤) والدارقطني (٨٠) (٨١).

(٣) البخاري (٢٥٥٠) ومسلم (١٧١٨) وأبو داود (٤٦٠٦) وأحمد (٢٦٠٧٥) وابن حبان (٢٦) والدارقطني (٧٨) وأبو يعلى (٤٥٩٤).

الأرض وهو الشيء البارز للتفريق بين الأملاك أملاك آل فلان وآل فلان بمثابة المنارة الواضحة التي يراها الناس عن بعد فهذا ملعون وأيضا آثم من وجه آخر قال النبي ﷺ: «**من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة**»(١) قيد شبر وجاء في صحيح مسلم أن أروى بنت أويس ادعت على سعد بن يزيد أنه أخذ شيئا من أرضها فخاصمته إلى مروان بن الحكم فقال سعيد أنا كنت آخذ من أرضها شيئا بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال وما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (من أخذ شبرا من الأرض ظلما طوقه إلى سبع أرضين) فقال له مروان لا أسألك بينة بعد هذا فقال اللهم إن كانت كاذبة فعم بصرها واقتلها في أرضها قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت(٢)

لقد ذهب الحمار بأم عمرو　　فما رجعت ولا رجع الحمار

وسعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة، والمبشرون بالجنة أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين وعلي أبو الحسن ثم عبد الرحمن بن عوف هؤلاء خمسة ثم سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله هؤلاء هم العشرة المبشرون بالجنة بشرهم النبي ﷺ في حديث واحد(٣) نسأل الله أن يجمعنا بهم في دار كرامته إنه على ذلك قادر.

---

(١) البخاري (٢٣٢١) (٣٠٢٣) ومسلم (١٦١٢) وأحمد (٢٤٣٩٨) وسنن البيهقي الكبرى (١١٣١٤).

(٢) مسلم (١٦١٠) ومسند أبي يعلى (٩٦٢) وسنن البيهقي الكبرى (١١٣١٣).

(٣) صحيح: أبو داود (٤٦٤٩) والترمذي (٣٧٤٧) وأحمد (١٦٧٥) وابن حبان (٧٠٠٢) و انظر حديث رقم: ٥٠ في صحيح الجامع بلفظ: «أبو بكر في الجنة و عمر في الجنة و عثمان في الجنة و علي في الجنة =

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «دَخَلَ الجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «مَرَّ رَجُلانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شيئًا، فَقَالُوا لأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ، قالَ: لَيْسَ عَنْدِي شيءٌ أُقَرِّبُ، قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبابًا، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَقَالُوا لِلآخَرِ: قَرِّبْ، قَالَ: مَا كُنْتُ لأُقَرِّبَ لأَحَدٍ شيئًا دُونَ اللهِ ﷻ، فَضربُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الجَنَّةَ» رواه أحمد(١)

فيه مسائل:

الأولى: تفسير ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام:١٦٢].

الثانية: تفسير ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢].

الثالثة: البداءة بلعنة من ذبح لغير الله.

الرابعة: لعن من لعن والديه، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك.

الخامسة: لعن من آوى محدثًا وهو الرجل يحدث شيئًا يجب فيه حق الله، فيلتجئ إلى من يجيره من ذلك.

السادسة: لعن من غير منار الأرض، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك، فتغيرها بتقديم أو تأخير.

=

و طلحة في الجنة و الزبير في الجنة و عبد الرحمن بن عوف في الجنة و سعد بن أبي وقاص في الجنة و سعيد بن زيد في الجنة و أبو عبيدة بن الجراح في الجنة».

(١) صحيح موقوفًا على سلمان الفارسي: أحمد في الزهد (٢٢) وأبو نعيم في الحلية (١ / ٢٠٣) والبيهقي في شعب الإيمان (٧٣٤٣).

السابعة: الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم.

الثامنة: هذه القصة العظيمة، وهي قصة الذباب.

التاسعة: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلصًا من شرهم.

العاشرة: معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبهم مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر.

الحادية عشرة: أن الذي دخل النار مسلم لأنه لو كان كافرًا لم يقل: «دخل النار في ذباب».

الثانية عشرة: فيه شاهد للحديث الصحيح: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك»(١).

الثالثة عشرة: معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان.



قال: وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال:

«دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب لهم شيئا

---

(١) البخاري (٦١٢٣) وأحمد (٣٦٦٧) (٣٩٢٣) وابن حبان (٦٦١) ومسند أبي يعلى (٥٢٨٠) ومسند البزار (١٦٦٣) والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٢٤٣).

فقالوا لأحدهم قرب قال: ليس عندي شيء أقرب قالوا له: قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار وقالوا للرجل الآخر: قرب فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله ﷿ فضربوا عنقه فدخل الجنة» هذا الحديث رواه أحمد وأبو نعيم وهو من طريق طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي وليس الحديث صحيحا من حيث نسبته إلى النبي ﷺ ليس بصحيح القول الذي استقر عليه رأي المحدثين أنه موقوف على سلمان والحديث الموقوف هو ما أضيف إلى الصحابي قولا أو فعلا كما قال البيقوني رحمه الله:

ومـا أضـفته إلـى الأصـحاب مـن ... قـول وفعـل فهـو موقـوف زكـن

والصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ومات على ذلك وإن تخلله ردة على الصحيح من أقوال أهل العلم وسلمان رضي الله تعالى عنه وأرضاه قال هذا الأثر ونسب إليه فلنا وهكذا كل الصحابة رضي الله تعالى عنهم للعلماء قول في ذلك إن كان هذا الصحابي لم يعرف عنه أنه أخذ من أهل الكتاب أو عن أهل الكتاب ولم يكن كلامه هذا للرأي فيه مجال ليس للرأي مجال بمعنى أنه تحدث عن الأمم الغابرة الماضية أو عن أمور مستقبلة أو عن أشياء غيبية عن عذاب القبر عن الكرسي عن الحشر النشر الصراط الميزان الجنة والنار فمثل هذه الروايات يقول العلماء: هذه لها حكم الرفع وقول الصحابي يكون حجة وهذا هو ما يدندن به العلماء يقولون كتاب وسنة وعلى فهم السلف أو على طريقة السلف **ومن السلف؟** هم أصحاب النبي ﷺ ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة.

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة:١٠٨]

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة، فسأل النبي ﷺ فقال: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قالوا: لا، قال: «فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟» قالوا: لا فقال رسول الله ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ» رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة:١٠٨].

الثانية: أن المعصية قد تؤثر في الأرض وكذلك الطاعة.

الثالثة: رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة ليزول الإشكال.

الرابعة: استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك.

الخامسة: أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع.

السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله.

السابعة: المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله.

---

(١) صحيح: أبو داود (٣٣١٣) وانظر صحيح سنن أبي داود (٢٨٣٤).



الثامنة: أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة، لأنه معصية.

التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده.

العاشرة: لا نذر في معصية.

الحادية عشرة: لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

فيقول الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي رَحِمَهُ اللَّهُ:

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

أراد المؤلف بهذه الترجمة أن يكمل ما تبقى من الباب الأول فإن الباب الأول عنوانه: باب من جاء أو ما جاء في الذبح لغير الله فمن باب سد الذرائع أن لا يذبح لله في مكان يذبح فيه أو قد ذبح فيه لغير الله سدا للذريعة حتى لا يكون هذا سبب أو وسيلة للإشراك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأمر آخر حتى لا يحصل تشبه بأولئك المشركين والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نهانا عن متابعة اليهود والنصارى ونبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«**من تشبه بقوم فهو منهم**»(١) ثم استدل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لهذه الترجمة بقول الحق جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨] قبل هذه الآية قول ربنا سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٠٣١) وأحمد (٥١١٤) والطبراني في الأوسط (٨٣٢٧) وسنن سعيد بن منصور (٢٣٧٠) ومصنف عبد الرزاق (٢٠٩٨٦) انظر حديث رقم: ٦١٤٩ في صحيح الجامع.



وَرَسُولَهُۥ﴾ [التوبة:١٠٧] ثم بعدها: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ...﴾ [التوبة:١٠٨] إلى آخر الآية وهذه الآية فيها بيان لما ذكره المؤلف وأمور أخرى وقبل أن نتطرق لذلك نريد أن نعرف **ما هو مسجد الضرار؟**

فمسجد الضرار مشتق من الضرر فيه ضرر على المؤمنين على دين الله رب العالمين على منهج الرسول ﷺ فمسجد الضرار ما اجتمعت فيه ثلاث مصائب وكل مصيبة هي كبيرة من كبائر الذنوب والآثام دليلنا على ذلك الآية من سورة التوبة: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا﴾ [التوبة:١٠٧] أي يكون هذا المكان مجمع للإلتقاء ولكن ليس الإلتقاء على خير وإنما من أجل اللقاء على الشر وقد كان المنافقون أعدوا مسجدا وذهبوا إلى النبي ﷺ ملتمسين منه أن يأتي إليهم ليصلي في هذا المسجد حتى تحل بركته فيه فكان النبي ﷺ على أهبة سفر فقال: حتى إذا رجعنا من تبوك جئنا فلما نزلت هذه الآية بعث النبي ﷺ رجلين وأمرهما بإحراقه أحرق هذا المسجد وكان مكان هذا المسجد مزبلة قمامة لأن هذا المسجد ما بني من أجل الله ما بني بنية حسنة وإنما بني بنية سيئة فاسدة نسأل الله السلامة والعفو والعافية فالله ﷻ يقول لنبيه ﵇: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [التوبة:١٠٨] وقد اختلف أهل العلم على قولين في المسجد الذي أسس على التقوى على قولين مشهورين:

الأول: أنه مسجد قباء،

والثاني أنه مسجد النبي ﷺ.

للشيخ عبد الرحمن بن حسن شارح كتاب التوحيد كلام طيب وهو كلام سديد قال:

قال المفسرون: إن الله تعالى نهى رسوله عن الصلاة في مسجد الضرار والأمة تبع له في ذلك ثم إنه تعالى حثه على الصلاة في مسجد قباء الذي أسس من أول يوم بني على التقوى وهو طاعة الله ورسوله وجمعا لكلمة المؤمنين ومعقلا ومنزلا للإسلام وأهله ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال:

«**صلاة في مسجد قباء كعمرة**»(١) والحديث صحيح قال: وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يزور قباء راكبا وماشيا(٢) وقد صرح أن المسجد المذكور في الآية هو مسجد قباء، جماعة من السلف منهم ابن عباس وعروة بن الزبير وعطية والشعبي والحسن وغيرهم قال الشيخ عبد الرحمن: ويؤيده قوله تعالى:

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة:١٠٨] وقيل الآن دخل في القول الثاني: هو مسجد رسول الله ﷺ لحديث أبي سعيد قال: تمارى أي تجادلا تناقشا تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال رجل: هو مسجد قباء وقال الآخر: هو مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**هو مسجدي هذا**» الحديث رواه مسلم(٣) قال: وهذا قول عمر وابنه وزيد بن ثابت وغيرهم وأنا في

---

(١) صحيح: الترمذي (٣٢٤) وابن ماجة (١٤١١) والحاكم (١٧٩٢) والطبراني في الكبير (٥٧٠) ومسند أبي يعلى (٧١٧٢) ومصنف ابن أبي شيبة (٧٥٢٩) وانظرحديث رقم: ٣٨٧٢ في صحيح الجامع.

(٢) البخاري (١١٣٦) ومسلم (١٣٩٩) والنسائي (٦٩٨) وأحمد (٤٤٨٥) وابن حبان (١٦١٨) ومسند الطيالسي (١٨٤٠).

(٣) صحيح: الترمذي (٣٠٩٩) والنسائي (٦٩٧) وأحمد (١١٠٦١) وابن حبان (١٦٠٤) والحاكم (٣٢٨٦) وأصله في صحيح مسلم (١٣٩٨) بلفظ: عن أبي سلمة بن عبدالرحمن قال مر بي عبدالرحمن بن أبي سعيد الخدري قال قلت له: كيف سمعت أباك يذكر في المسجد الذي أسس على التقوى؟ قال قال أبي دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله أي =

نظري أن القول الثاني أرجح من القول الأول إذ أنه معتضد بالدليل وإذا جاء سيل الله بطل نهر معقل وإذا وجد الماء بطل التيمم قال العماد بن كثير: وهذا صحيح ولا منافاة بين الآية والحديث لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم فمسجد رسول الله بطريق أولى وهذا بخلاف مسجد الضرار الذي أسس على معصية الله كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة:١٠٧] فلهذه الأمور نهى الله نبيه عن القيام فيه للصلاة وكان الذين بنوه جاءوا إلى النبي ﷺ قبل خروجه إلى غزوة تبوك فسألوه أن يصلي فيه وأنهم إنما بنوه للضعفاء وأهل العلة في الليلة الشاتية فقال: إنا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله فلما قفل عليه الصلاة والسلام راجعا المدينة لم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعضه نزل الخبر بأمر المسجد فبعث إليه فهدمه قبل وصوله إلى المدينة هذا ما يتعلق ببيان أي المسجدين الذي أسس على التقوى وقد سمعتم القول الراجح في ذلك ولا بأس أن يستشهد بالآية الكريمة على أي مسجد حمل صاحبه على بنائه نية صالحة نية حسنة يكون هذا المسجد قد أسس على التقوى نية طيبة ومال من حلال وبنى هذا المسجد لا من أجل المباهاة والمفاخرة ولكن من أجل الصلاة والعبادة والقرآن والخير والواجب على المسلم إن بنى مسجدا أن يحمل معه هذه النية الطيبة وأن تكون أمواله من حلال لا كما يفعله بعض الأثرياء اليوم ما يسمونه بغسيل الأموال تكون أموالهم قد شيبت بالربا فعندهم قانون في التجارة يسمى بغسيل الأموال سنويا يبني كذا كذا مسجدا

=

المسجدين الذي أسس على التقوى؟ قال فأخذ كفا من حصاء فضرب به الأرض ثم قال: «هو مسجدكم هذا» لمسجد المدينة قال: فقلت: أشهد أني سمعت أباك هكذا يذكره.

فنقول لهؤلاء هذه المساجد ليست على أساس من التقوى وإن كانت النية طيبة لأن المال حرام ولله در من قال:

بنى مسجدا لله من غير حله ... فكان بفضل الله غير موفق

ككافلة الأيتام من كسب فرجها ... لك الويل لا تزني ولا تتصدقي

وقوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ﴾ لا ناهية وتقوم فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والفاعل ضمير مستتر تقديره النبي ﷺ أنت مستتر وجوبا ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ نهى الله ﷻ نبيه عليه الصلاة والسلام أن يقوم في هذا المسجد لأنه لم يبن على أساس من الخير و**ما وجه المناسبة؟ ما وجه مناسبة استدلال بهذه الآية الكريمة لترجمة باب لا يذبح بمكان يذبح فيه لغير الله؟** وجه مناسبة الآية للترجمة أن المواضع المعدة للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح فيها كما أن هذا المسجد لما أعد لمعصية الله صار محل غضب لأجل ذلك فلا تجوز الصلاة فيه لله وهذا قياس صحيح يؤيده حديث الباب الذي سرده المؤلف بعد هذه الآية المباركة روى أبو داود في سننه والحديث صححه الشيخ الألباني كما في مشكاة المصابيح من حديث الثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجل النذر في اللغة بمعنى الإلزام والعهد أنا ملتزم بمعنى أتعهد بذلك نذرت بكذا أي التزمت بكذا واصطلاحا: إلزام المكلف نفسه بعبادة لم يكلف بها ألزم نفسه من غير ملزم وحكمه مكروه على قول جمهور أهل العلم يقولون بكراهيته استنادا إلى حديث:

«**إن النذر لا يأتي بشيء وإنما يستخرج به من البخيل**»[(١)] على أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يذهب إلى التحريم ومع كونه محرما أو مكروها من نذر وجب عليه

(١) البخاري (٦٢٣٤) (٦٢٣٥) ومسلم (١٦٣٩) (١٦٤٠) وأبو داود (٣٢٨٧) والترمذي (١٥٣٨) والنسائي (٣٨٠١) وابن ماجة (٢١٢٣) وأحمد (٥٢٧٥) وسنن الدارمي (٢٣٤٠).

الوفاء إن كان نذرا شرعيا وقد امتدح الله ﷻ الموفين بالنذر فقال ﷻ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ [الإنسان:٧] ويقول النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها يقول ﷺ: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه**»(١) وأقسام النذر ثلاثة:

نذر طاعة لله ﷻ نذر أن يقيم الليل نذر أن يصلي نذر أن يصوم نذر أن يبر الوالدين هنا واجب الوفاء به.

نذر المعصية لا يجب الوفاء به ولكن عليه كفارة من نذر مثلا أن يسرق أو أن يزني أو أن يقتل أو أن يلطم بالوجه هنا لا يجوز له أن يوفي ولكن عليه الكفارة لقول النبي ﷺ: «**لا نذر في معصية ومن نذر فعليه كفارة يمين**» رواه أحمد من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها(٢).

القسم الثالث: نذر يسمى نذر اللجاج نذر الغضب وهذا يجري مجرى اليمين نذرت بكذا فهذا اختلف العلماء **هل عليه كفارة أو ليس عليه كفارة؟** والصحيح أن عليه كفارة ومن الذي حمله أن ينذر فالأولى أن لا يستخدمه الشخص إطلاقا إلا إن ألزم بذلك إنذر كذا في مضايق الأمور أما أن يكون الشخص في حال ارتياح وما عليه ضغط ولا إحراج **فما الذي يحمله؟**

وقد قال عمر للنبي ﷺ: إني نذرت أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام فقال:

---

(١) البخاري (٦٣١٨) (٦٣٢٢) وأبو داود (٣٢٨٩) والترمذي (١٥٢٦) والنسائي (٣٨٠٦) وابن ماجة (٢١٢٦) وأحمد (٢٥٩١٩).

(٢) صحيح: أبو داود (٣٢٩٠) والترمذي (١٥٢٤) والنسائي (٣٨٣٥) وأحمد (٢٦١٤٠) (٢٦١٤١) والحاكم (٧٨٤٠) انظر حديث رقم: ٧٥٤٧ في صحيح الجامع.

«**أوف بنذرك**»[١] فعلى هذا التفصيل نذر طاعة يجب الوفاء نذر معصية لا يجب الوفاء وكفارته كفارة يمين نذر يجري مجرى اليمين واختلف أهل العلم **هل يجب له كفارة أو لا يجب؟** والصحيح أنه يكفر احتياطا وخروجا من الخلاف لأن الخروج من الخلاف مستحب.

يروي ثابت بن الضحاك ﷺ **قال:** نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة وبوانة هذه منطقة قيل: قريب من ذي الحليفة وقيل: قريب من يلملم منطقة السعدية وقيل: منطقة بين مكة والمدينة نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة فسأل النبي ﷺ فقال: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**» واستفاد أهل العلم من هذا على أنه يستحب وقد يجب على المفتي أن يستفصل وهناك بحث ماتع في هذا الباب للإمام النووي في مقدمة مجموع شرح المهذب قال فسأل: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**» والوثن هو الشيء الذي يتخذ ندا لله سبحانه وتعالى سواء كان مصورا أو غير مصور منحوت أو غير منحوت قالوا: لا قال: «**هل كان فيها عيد من أعيادهم؟**» والعيد مشتق من العود لأنه يعود ويتكرر وليس لنا في الإسلام إلا ثلاثة أعياد عيد الأضحى والفطر وعيد الأسبوع يوم الجمعة أما بقية الأعياد فما أنزل الله بها من سلطان عيد الشجرة وعيد أول السنة وعيد آخر السنة وعيد الأم وعيد الجلاء وعيد الجندي المجهول وعيد الثورة أعياد هذه أعياد دنيوية ما أنزل الله بها من سلطان ولكن نحمد الله أن الله عز وجل أغنى أهل الإسلام بعيدين عظيمين وعيد أصغر يوم الجمعة وعيد الفطر وعيد الأضحى وقد دخل أبو بكر الصديق على عائشة يوم

---

(١) البخاري (١٩٢٧) (١٩٣٨) ومسلم (١٦٥٦) وأبو داود (٣٣٢٥) وأحمد (٢٥٥) والبيهقي في الشعب (٣٩٦٣) وسنن البيهقي الكبرى (١٩٨٨٦).

العيد وعندها جاريتين يغنيان بغناء يوم بعاث فقال أبو بكر: **أزمارة الشيطان في بيت رسول الله؟** فالتفت النبي ﷺ قال:

«**دعهما يا أبا بكر فإن اليوم عيد**»(١) ولما لعبت الحبشة في المسجد قال: «**لتعلم يهود أن في ديننا فسحة**»(٢) فديننا وسط بين الغلو والجفاء إنه دين الوسطية ليس فيه اختلاس أو انخلاس اليهود من التعاليم الشرعية ولا جهل النصارى ما فيه تشدد الخوارج ولا كسل المرجئة بل هو دين وسطي أمر الله ﷻ بذلك فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة:١٤٣] والنبي ﷺ يقول: «**القصد القصد تبلغوا**»(٣) ويقول النبي ﷺ: «**إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق**»(٤) ويقول ﷺ: «**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه**»(٥) ويقول ﷺ: «**بعثت بالحنيفية السمحة**»(٦) فهنا يسأل ﷺ: «**هل كان فيها عيد من أعيادهم؟**» قالوا: لا فقال: «**إذن أوف بنذرك فإنه لا وفاء**

---

(١) البخاري (٣٧١٦) ومسلم (٨٩٢) والنسائي (١٥٩٧) وابن حبان (٥٨٦٨) (٥٨٧٦) وسنن البيهقي الكبرى (١٣٣٠٥) وسنن النسائي الكبرى (١٧٩٦).

(٢) صحيح: مسند الحارث (٨٦٦) ومسند الحميدي (٢٥٤) وانظر حديث رقم: ٣٢١٩ في صحيح الجامع.

(٣) البخاري (٦٠٩٨) وأحمد (١٠٦٨٨) (١٠٩٥٢) والبخاري في الأدب المفرد (٤٦١) ومسندالطيالسي (٢٣٢٢) وسنن البيهقي الكبرى (٤٥١٧).

(٤) حسن: أحمد (١٣٠٧٤) والبيهقي في شعب الإيمان (٣٨٨٥) (٣٨٨٦) وسنن البيهقي الكبرى (٤٥٢٠) (٤٥٢١) ومسند الشهاب (١١٤٧) انظر حديث رقم: ٢٢٤٦ في صحيح الجامع.

(٥) البخاري (٣٩) والنسائي (٥٠٣٤) وابن حبان (٣٥١) وشعب الإيمان (٣٨٨١) وسنن البيهقي الكبرى (٤٥١٨) وسنن النسائي الكبرى (١١٧٦٥) ومسند الشهاب (٩٧٦).

(٦) صحيح: أحمد (٢٢٣٤٥) والطبراني في الكبير (٧٨٨٣) وانظر السلسلة الصحيحة (٢٩٢٤).



بنذر في معصية الله ولا في ما لا يملك ابن آدم».

هنا مسألة خطيرة جدا انتبهوا لها: لا نذر في ما لا يملك ابن آدم لا تنذر على شيء أنت لا تمتلكه لا شرعا ولا عقلا أنت لا تمتلك شرعا أن تخرج الموتى من قبورهم أو أن تكون من الجن أو من الأنبياء أنت لا تمتلك شيئا مثل هذا ولا تمتلك مثلا بقوتك أن تحمل هذا المسجد على رأسك يعني أشياء مستحيلة عقلية أو أمور واقعية لا يقول قائل مثلا: أنا نذرت إن نجحت هذه السنة أن أتصدق بهذا الجهاز بهذا اللاقط طيب هذا حق المسجد أو أنني إذا نجحت في ثالث ثانوي أنا آخذ الماسة هذه وأضعها في مسجد آخر وأنت فقط مستمع ليس لك حق في هذه الماسة أو مثلا هذا القلم تقول: والله أنا اليوم إذا صليت المغرب نذرت آخذ القلم من جيب أخينا علي وأتصدق به وأعمل معروف مع آخرين هذا ما يجوز فلا نذر فيما لا تمتلكه لا نذر فيما لا تمتلكه إطلاقا وإنما تنذر فيما هو بمقدورك شرعا وعقلا وعرفا فإذا قلت مثلا: إن شفى الله مريضي نذرت بغنمة أو بألف ريال هنا صرت ملتزما وصار الأمر بمقدورك ولا أن تأتي بشيء من حقوق الآخرين إن شفى الله مريضي مثلا أعتق عبد فلان من الناس أو آخذ سيارة فلان وأنطلق بها إلى الموضع الفلاني المهم شيء أنت لا تمتلكه لا يجوز لك أن تنذر عليه ولكن فيما هو بمقدورك تنذر والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أراد من هذه الترجمة أن لا يوقع الشخص نفسه في موطن يسخط الله أو يغضب الله أو يترقى به الحال إلى أن يصل إلى هذا الشيء وهو إسخاط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تدرجا فعلى الشخص أن يكون بعيدا من مواطن الريبة سواء كان في باب الشرك في باب البدعة في باب المعصية تكون بعيدا حتى تصون عرضك «**فمن اتقى الشبهات فقد**

استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام»[١] وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضى وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



(١) البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) وابن ماجة (٣٩٨٤) وأحمد (١٨٣٩٨) والدارمي (٢٥٣١) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٢٠٠٣).



باب من الشرك النذر لغير الله

درسنا اليوم صغير جدا هو تتمة لما تقدم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب من الشرك النذر لغير الله

كلمة الباب مرت بنا كثيرا لغة واصطلاحا وما أظن واحدا في الحلقة لا يعرف ذلك.

وأما قوله: من الشرك النذر لغير الله **لماذا هذا من الشرك؟**

لأن النذر عبادة وإذا صرف النذر لغير الله كان ذلك بابا من أبواب الشرك الأكبر مثل أن يقول: نذرت بمبلغ من المال أو بكبش أو ببقرة للقبر الفلاني للضريح الفلاني أو حتى لجبريل لميكائيل لمحمد ﷺ الناس اليوم واقعون في هذا في اليمن وفي كثير من البلاد الإسلامية بعضهم ينذر لقبر ابن علوان وبعضهم للخمسة وبعضهم لأبي طير وللجيلاني وهكذا في مصر ينذرون للست زينب وللبدوي ولأحمد الرفاعي يتقدمون إليهم بالنذور والقرابين وأولئك موتى لا يعلمون من حقيقة الأمر شيئا وهكذا في سوريا يتقدمون بالقرابين إلى يحي بن زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فالأمور حاصلة أيضا في يومنا هذا وهو باب خطير من أخطر الأبواب ومن أراد أن يطلع على كثير من هذا فليقرأ كتاب الدكتور محمد جميل غازي بعنوان كنت قبوريا وقد أشار الشيخ عبد الرحمن بن حسن إلى هذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:



إذا علمت ذلك فهذه النذور واقعة من عباد القبور تقربا بها إليهم ليقضوا بها حوائجهم أو ليشفعوا لهم كل ذلك شرك في العبادة بلا ريب كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦] قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

وأما ما نذر لغير الله كالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك فهو بمنزلة أن يحلف بغير الله من المخلوقات والحالف بالمخلوقات لا وفاء عليه ولا كفارة وكذلك الناذر للمخلوقات فإن كلاهما شرك والشرك ليس له حرمة بل عليه أن يستغفر الله من هذا ويقول ما قال النبي ﷺ: «**من حلف وقال في حلفه واللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله**»[١] ثم استطرد بالكلام إلى أن قال: وقال الرافعي في شرح المنهاج: وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ أو على اسم من حلها من الأولياء أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين فإن قصد النادر بذلك وهو الغالب أو الواقع من القصود العامة تعظيم البقعة والمشهد أو الزاوية أو تعظيم من دفن بها أو نسبت إليه أو بنيت على اسمه فهذا انضباط غير منعقد فإن معتقدهم بأن لهذه الأماكن خصوصيات ويرون أنها مما يدفع بها البلاء ويستجلب بها النعماء ويستشفى بالنذر لها من الأدواء حتى إنهم ينذرون لبعض الأحياض لما قيل لهم: إنه استند إليها عبد صالح وينذرون لبعض القبور السرج والشموع والزيت وهذا حاصل إلى يومنا هذا ويقولون إنها تقبل النذر كما يقوله البعض يعنون بذلك أنه يحصل به

(١) البخاري (٤٥٧٩) (٥٧٥٦) (٥٩٤٢) ومسلم (١٦٤٧) وابن ماجة (٢٠٩٦) وابن حبان (٥٧٠٥) والبخاري (١٢٦٢) والطبراني في الأوسط (٩١٥٧).



الغرض المأمول من شفاء مريض أو قدوم غائب أو سلامة مال وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقا ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل عليه السلام ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء فإن الناذر لا يقصد بذلك الإيقاد على القبر إلا تبركا وتعظيما ظانا أن ذلك قربة فهذا مما لا ريب فيه ببطلانه والإيقاد نفسه محرم سواء انتفع به هناك منتفع أم لا، الله المستعان.



وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان:٧]

وقوله: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾ [البقرة:٢٧٠]



ثم استدل الشيخ محمد بن عبد الوهاب لهذه الترجمة بقوله سبحانه: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ [الإنسان:٧] ووجه الإستدلال بهذه الآية أن النذر لغير الله شرك لأن النذر عبادة فكان الله عز وجل قد أثنى على هؤلاء الوافين بالنذر حينما كان له فعلم بدلالة المفهوم أن من صرف شيئا من هذا النذر لغير الله كان قد أتى بابا من الشر عظيما وهذا ما يسمى عند العلماء بقياس العكس

وقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾ [البقرة:٢٧٠] ما هاهنا شرطية وما أنفقتم جملة أنفقتم هي فعل الشرط ومن نفقة جار ومجرور متعلق بأنفقتم أو نذرتم عطف جملة على جملة عطفت جملة نذرتم على ما أنفقتم ومن نذر متعلقة بنذرتم فإن الله الفاء واقعة في جواب الشرط وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ

يَعۡلَمُهُۥ﴾ يعلم قلته وكثرته ويعلم كذلك لمن أنذرتم لله أو لغيره وهل كان ذلك عن طيب من أنفسكم وهل أنتم تريدون بهذا النذر وجه الله ﷻ أو لا تريدون به وجه الله.



وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلا يَعْصِهِ»(١).

فيه مسائل:

الأولى: وجوب الوفاء بالنذر.

الثانية: إذا ثبت كونه عبادة فصرفه إلى غيره شرك.

الثالثة: أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.



قال: وفي الصحيح عن عائشة رضي الله تعالى عنها والمراد بالصحيح هاهنا صحيح البخاري والمؤلف ليس له اصطلاح خاص بذلك تارة يكون الحديث في الصحيحين وتارة في صحيح مسلم وتارة في صحيح البخاري وتارة خارج الصحيحين.

قال: وفي الصحيح عن عائشة وعائشة هي زوج النبي ﷺ أم المؤمنين وتكنى بأم عبد الله هي الصديقة بنت الصديق تزوجها النبي ﷺ وهي بنت ست سنين ودخل

---

(١) البخاري (٦٣١٨) (٦٣٢٢) وأبو داود (٣٢٨٩) والترمذي (١٥٢٦) والنسائي (٣٨٠٦) وابن ماجة (٢١٢٦) وأحمد (٢٥٩١٩).

عليها وهي ابنة تسع سنوات وهي أفقه النساء مطلقا وبينها وبين خديجة مزايا فلعائشة مزايا العلم ولخديجة مزايا الفضل في إكرام النبي ﷺ والوقوف معه وشدت من أزره عند بداية النبوة والرسالة فكثير من أهل العلم تحرى وتورع وتوقف في التفاضل بين الصديقتين خديجة الكبرى وعائشة بنت الصديق رضي الله تعالى عن أمهات المؤمنين أجمعين.

تروي عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**»(١) إذا نذرت لله بطاعة وجب عليك الوفاء على أنني أقول ودائما أحذر لا تفتح على نفسك هذا الباب فالنذر لا يجلب خيرا ولا يدفع ضيرا فلا ينبغي للشخص أن يكثر بل لا يطرق بابه فإن كان قد ابتلي لأن الشخص قد ينذر في بعض الأحيان مضطرا أو لا يدري إلا وقد ألزم نفسه فإذا فعل ذلك وكان هذا النذر طاعة لله وجب عليه الوفاء وإلا فهي ذمة في عنقه «**ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**» كأن تقول: نذرت لله أن أضرب فلانا أو آخذ شيئا من حقوقه هذه معصية نذرت أن تسرج القبر الفلاني أو تتصدق بمال على شخص لا يستحقه ربما استعان بذلك المال على معصية الله وقد ألف فلم يتألف فهنا لا يجب عليك أن تفي بهذا النذر لأنه نذر في معصية **وما الذي يلزمك حينها؟**

يلزمك كفارة اليمين لحديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«**لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين**»(١) وقد جاء في سنن أبي داود أن امرأة قالت: يا رسول الله إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف فقال النبي ﷺ: «**أوفي**

(١) صحيح: أبو داود (٣٢٩٠) والترمذي (١٥٢٤) والنسائي (٣٨٣٥) وأحمد (٢٦١٤٠) (٢٦١٤١) والحاكم (٧٨٤٠) انظر حديث رقم: ٧٥٤٧ في صحيح الجامع.

بنذرك»[١] والحديث - بارك الله فيكم - صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال الألباني في الإرواء: إسناده على شرط مسلم وتعرفون - بارك الله فيكم - ما يتعلق بآلة الدف فإنها تجوز في الأعراس وفي الأعياد لقول النبي ﷺ: «**فصلا بين الحلال والحرام الضرب بالدف**»[٢] أسأل ﷻ أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضى وأن يأخذ بنواصينا للبر والتقوى.



(١) حسن: أبو داود (٣٣١٢) والترمذي (٣٦٩٠) وأحمد (٢٣٠٣٩) وابن حبان (٤٣٨٦) وانظر مشكاة المصابيح (٣٤٣٨).

(٢) حسن: النسائي (٣٣٦٩) وأحمد (١٨٣٠٥) (١٨٣٠٦) والحاكم (٢٧٥٠) والطبراني في الكبير (٥٤٢) وسنن سعيد بن منصور (٦٢٩) انظر حديث رقم: ٤٢٠٦ في صحيح الجامع.

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

المراد بالشرك هاهنا الشرك الأكبر المخرج من الملة الذي يبيح العرض والدم والنفس والذي يخلد صاحبه في جهنم كما قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦] وكلمة شرك معناها أن تجعل لله ندا وهو خلقك والشرك من أكبر الكبائر وأكبر الذنوب والآثام لأن فيه اعتداء على حق من حقوق الله وهو أصل الأصول وأصل العلوم ألا وهو توحيد الله علام الغيوب والمراد بالإستعاذة طلب العوذ ومعنى ذلك الالتجاء والاعتصام كما أن الاستغاثة طلب الغوث والاستهداء طلب الهداية وتكون الاستعاذة من أمر مكروه الإستعاذة يستعيذ الشخص مما يخافه بخلاف ما يتعلق بكلمة لياذة وهو في ما يؤمله العبد من الخير كما ذكر ابن كثير عند شرحه للاستعاذة من كتابه تفسير القرآن العظيم قول الناظم:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ... ولا يهيضون عظما أنت جابره

وقوله: بغير الله يشمل في ذلك الملائكة النبيين الجن الإنس الأصنام الأنداد أي شيء من غير الله ﷻ يكون هذا باب من أبواب الشرك.

قال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر الشهير بابن كثير: الاستعاذة هي الالتجاء إلى



الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر والعياذ يكون لدفع الشر واللياذ لطلب الخير.

قال عبد الرحمن بن حسن: قلت وهو من العبادات التي أمر الله تعالى بها كما قال سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦] وأمثال ذلك في القرآن كثير كقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق:١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١] فما كان من عبادة لله فصرفه لغير الله شرك في العبادة فمن صرف شيئا من هذه العبادات لغير الله جعله شريكا لله في عبادته ونازع الرب في ألوهيته كما أن من صلى لله وصلى لغيره يكون عابدا لغير الله ولا فرق كما سيأتي تقريره إن شاء الله تعالى.



وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦]

عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شرِ مَا خَلَقَ لَمْ يَضرَّهُ شيءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» رواه مسلم(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الجن.

الثانية: كونه من الشرك.

---

(١) مسلم (٢٧٠٨) والترمذي (٣٤٣٧) وأحمد (٢٧١٦٩) (٢٧٣٥١) والدارمي (٢٦٨٠) وابن خزيمة (٢٥٦٦).



الثالثة: الاستدلال على ذلك بالحديث، لأن العلماء يستدلون به على أن كلمات الله غير مخلوقة، قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.

الخامسة: أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية، من كف شر أو جلب نفع، لا يدل على أنه ليس من الشرك.



ثم صدر المؤلف وهو الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب دليلا لما عقده من الترجمة باب من الشرك الاستعاذة بغير الله استدل على ذلك بآية من سورة الجن قال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا﴾ [الجن:٦] هذا إخبار من الله سبحانه وتعالى فيما كان عليه أمر الناس قبل الإسلام في تلك الجاهلية الجهلاء والوثنية العمياء يخبر الله عز وجل عن حالة مزرية وهو أنه كان الرجل من الإنس يستعيذ بالرجل من الجن إذا نزل واديا من الوديان يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي هكذا أو أنه يجمع له كوما من الأحجار فيعتقد أنه إله مؤقت أو يصنعه من التمر فإذا ما نطلق بعد طلوع الفجر أكله أو هدم تلك الأحجار وانطلق مسافرا.

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾ المراد بهم بنو آدم وسموا إنسا قيل: من النسيان وقيل: من الإيناس أي يأنس بعضهم لبعض.

وقوله: ﴿يَعُوذُونَ﴾ أي يطلبون العوذ مما يخافون من المكروه.

وقوله: ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ فيه إثبات أن للجن ذكورا وكذلك إناث أيضا فإن الرجال لا يكون إلا من إناث وقد سئل الإمام الشعبي رحمه الله: هل لإبليس زوجة؟



فقال: ذلك عرس لم أحضره فلما تلا الآية من سورة الكهف ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [الكهف:٥٠] قال: علمت أنه لا ذرية إلا من تناسل وسموا جن من الإجتنان وهو الاستتار ومن ذلك سمي الجنين والجنة وذلك أنه أمر مستور أي غير ظاهر ولا مرئي فهم عالم مستقل فهناك بعض الكتاب ينكرون هؤلاء الجن وهذا والعياذ بالله باب خطير إن كان يعتقد ذلك يكون صاحبه كافرا كفرا أكبر مخرجا من الملة لأنه رد صريح القرآن الكريم أما من ينفي تلبس الجني بالإنسي فللعلماء فيه كلام إن كان عنده تأويل أو كذا فلا يكفر بذلك أنكر وجود الجن كما هو حاصل لبعض الذين تعرضوا لتفسير القرآن الكريم بعضهم يقول: إن الجراثيم والمكروبات هذه هي التي تسمى بالجن أي أنها غير مرئية إنما ترى بالمجهر وبالميكروسكوب هذه أشياء ما أنزل الله ﷻ بها من سلطان فقد أتى الجن إلى النبي ﷺ كما قال سبحانه:

﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ﴾ [الأحقاف:٢٩] وجاءت الجن إلى النبي ﷺ طلبوا الطعام لهم ولدوابهم فقال: «**لكم كل عظم أكله ابن آدم ذكر اسم الله عليه فهو لحم لكم ورجيع دواب علف لدوابكم**»(١) وخرج النبي ﷺ ليلة هو وابن مسعود فخط النبي ﷺ دائرة ثم قال لابن مسعود: «**إياك أن تتعدى هذا الخط الذي رسمته لك فإنه سيأتيك رجال لا تعرفهم**» فاستمر ابن مسعود في ليلة مظلمة قال: فأقبل علي رجال سود فأردت أن أفر فتذكرت قول النبي ﷺ عدم الفرار من تلك الحلقة التي رسمها لي فقال له النبي ﷺ: «**أولئك نفر**

(١) مسلم (٤٥٠) والترمذي (٣٢٥٨) وأحمد (٤١٤٩) وابن حبان (٦٥٢٧) وسنن البيهقي الكبرى (٣٠ ٥٢٨).

من الجن أتوني»(١) وهكذا ما قاله ﷺ: «**اعترض لي شيطان فخنقته حتى وجدت بردة لسانه على يدي ولولا دعوة أخي سليمان** ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥] **لربطته إلى سارية من سواري المسجد حتى يلعب به صبيان المدينة**»(٢) أو كما قال صلى الله عليه وآله وسلم فهم عالم غيبي له عاداته وتقاليده وحياته من تجارة وزراعة وعمارة وحضارة وهيئات كثيرة جدا ربما يكون معنا الآن في المسجد يستمعون إلى ما يقال من كلام الله ومن كلام النبي ﷺ وكم من قصص ذكرها الدميري في كتابه الحيوان تنبئ عن قرب هذا العالم من عالم الإنس لكن الكثير من الناس ربما والعياذ بالله كان عنده مبدأ كمبدأ الشيوعيين أنه لا يؤمن إلا بشيء يراه ويشاهده والله ﷻ قد أثنى على الذين يؤمنون بالغيب والجن عالم غيبي قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢ - ٣] فيحكي الله ﷻ عما كان من أمر الجن والإنس كذلك قال: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ [الجن:٦] أي زادوهم ذعرا وخوفا والآية تفيد تحريم استعاذة الإنس بالجن **وهل هذا حاصل في أيامنا؟** نعم حاصل هناك من ينادي جن كذا وهناك من ينادي اسم يسمى زوبعة وآخر يقول: يا شنهل وآخر يقول: يا جناه ويا جن شلوه ولك جني ومن هذه العبارات عياذا بالله فهذا أمر حاصل فوجب على المسلم أن يعلم أن هؤلاء الجن الذين خلقهم الله ﷻ عالم له استقلاله وأنهم لا ينفعون ولا يضرون ولا يستطيعون أن يقدموا لك خيرا أو يدفعوا عنك شرا

---

(١) الترمذي (٢٨٦١).

(٢) البخاري (٤٤٩) (١١٥٢) (٣٢٤١) (٤٥٣٠) ومسلم (٥٤١) وأحمد (٧٩٥٦) وابن حبان (٦٤١٩) والدارقطني (١٦) وغيرهم.

إلا بإذن من الله الواحد القهار فلما جاء الإسلام عولجت هذه القضية معالجة عظيمة فبدلا من الاستعاذة بأمر الجن أتانا النبي ﷺ بكلمات يسيرة يقولها العبد إذا دخل بيته أو مسجده أو ركب سيارته أو على متن طائرته أو نزل منزلا في العراء في الصحراء في أي مكان كان وهو ما جاء في صحيح الإمام مسلم من حديث خولة بنت حكيم وهي المرأة الواهبة نفسها لرسول الله ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من نزل منزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من مكانه**» فقوله ﷺ: «**من**» هذه يسميها علماء اللغة العربية اسم شرط جازم يجزم فعلين الأول فعل الشرط والثاني جوابه وجزاؤه فمن هاهنا شرطية وقوله: نزل منزلا منزلا نكرة في سياق الشرط وإن كانت النكرة في سياق الشرط أو في سياق النفي فإن علماء الأصول يقولون: إنها تفيد العموم فأي منزل نزلته بدلا من أن تتعب نفسك فما عليك إلا أن تقول: أعوذ ومعنى أعوذ أي ألتجئ وأعتصم بمن بالله ﷻ بكلمات الله التامات وكلمات الله أوامره الكونية والشرعية وكلمات الله ﷻ عظيمة قال الله ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩] وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان:٢٧] والفرق بين الكلمات الشرعية والكونية أن الكلمات الكونية واجبة الوقوع وهي لا منتهى لها بخلاف الكلمات الشرعية فإنها قد انقطعت بموت النبي ﷺ فقد ذهب أبو بكر وعمر إلى أم أيمن فظلت أم أيمن تبكي فقالوا لها: أتبكين على فراق رسول الله فللذي ذهب إليه خير من بقائه عندنا قالت: أعلم ذلك ولكني أبكي لأن الوحي انقطع من السماء[١] وقوله: «**التامات**» تمام كلام

---

(١) مسلم (٢٤٥٤) وابن ماجة (١٦٣٥) ومسند أبي يعلى (٦٩) وسنن البيهقي الكبرى (١٣٣١٤).

الله ﷻ قالوا: لأنه لا نقص فيه بوجه من الوجوه فهي عدل في الأحكام أحكام الله ﷻ كلها عدل سواء كانت شرعية أو كونية وصدق في الأخبار عدل في الأحكام وصدق في الأخبار ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢]﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين:٨] قال ﷻ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل:١١٨] فامتازت كلمات الله بالتمام لهذين الاعتبارين أنها عدل في الأحكام وصدق في الأخبار فكلمات الله ﷻ كما قال الله ﷻ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] فكلها حق وكلها خرجت من حقائق ربانية نطق بها الله ﷻ أحسن النطق فهو له الأمر وله الخلق كما قال سبحانه: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤] وكما قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤] وهاهنا فائدة يذكرها علماء الصرف وقد ذكر ابن مالك على أن كلمات الله من أفعال القلة من جموع القلة لكنها تفيد الكثرة بدليل الآية التي في سورة الروم والآية التي في سورة الكهف فهي جموع قلة لكنها تفيد الكثرة فجموع القلة هو من الثلاثة إلى العشرة والكثرة من العشرة إلى ما لا نهاية له فلو قلت مثلا: هذه ورقات فكلمة ورقات جموع قلة لأنها تعني أن عندك من العدد واحد إلى العدد العاشر واحد اثنين إلى عشرة إذا قلت: ورقات لكن إذا قلت: هذه ورق فإن هذه الجموع كثرة تدل على مما لا نهاية له من الأوراق فهي ملايين الورقات فلا يقولون حتى في المصانع مصانع الورقات وإنما مصانع الورق يستخدمون جموع الكثرة لا جموع القلة قال ابن مالك رحمه الله:

أفعلــــة أفعـــــل ثــــم فعلـــــة ... وثمــــة أفعـــــال جمـــــوع قلـــــة
وبعـــض ذي بكثـــرة وضـــعا يفـــي ... كأرجـــل والعكـــس جـــاء كالصـــفي

فيكون هذا هو الفرق بين جموع القلة وجموع الكثرة ولهذا مبحث في كتب

التصاريف اللغوية المعروفة بفن الصرف كشذا العرف وما شابهه.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: «**أعوذ بكلمات الله التامات**» قال: شرع الله لأهل الإسلام أن يستعيذوا به بدلا عما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن فشرع الله للمسلمين أن يستعيذوا بأسمائه وصفاته قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قيل معناه الكاملات التي لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر وقيل: معناه الشافية الكافية وقيل: الكلمات هنا هي القرآن فإن الله أخبر عنه بأنه هدى وشفاء وهذا الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يدفع به الأذى ولما كان ذلك استعاذة بصفات الله كان من باب المندوب إليه المرغب فيه وعلى هذا فحق المستعيذ بالله وبأسمائه وصفاته أن يصدق الله في الإلتجاء إليه ويتوكل في ذلك عليه ويحضر في ذلك في قلبه متى فعل ذلك وصل إلى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه ومما يستدلون به هنا بقوله: «**كلمات الله**» استدل به علماء العقيدة كالإمام أحمد على أن القرآن ليس بمخلوق حينما كان فيها طلب الاستعاذة والاستعاذة لا تكون بمخلوق وإنما بالخالق فهذا من أقوى الأدلة على أن القرآن ليس بمخلوق والأدلة في ذلك أيضا كثيرة في هذا الباب ليس هذا محل بسطها ثم ذكر القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فائدة حول هذا الحديث حول هذا الذكر الذي يقوله العبد إذا نزل منزلا أو يجعله من أذكار المساء أو عند النوم يقول: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق كما جاء في صحيح البخاري أن أبا هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله لدغتني عقرب البارحة قال: «**أما إنك**

لو قلت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرك شيء»[١] قال القرطبي صاحب التفسير:

هذا خبر صحيح وقول صادق علمنا صدقه دليلا وتجربة فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه فلم يضرني شيء إلى أن تركته فلدغتني عقرب بالمهدبة ليلا فتفكرت في نفسي فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات وقوله: «**من شر ما خلق**» قال العلماء: مخلوقات الله ثلاثة أقسام خير محض كالجنة والملائكة والرسل خير محض وشر محض كإبليس والنار وما فيه خير وشر كسائر المخلوقات وكان ﷺ يلهج بمثل هذا كثيرا استعاذة واعتصاما بربه سبحانه حتى إنه جاء من أذكار النوم ما هو في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه يقول: «**اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر**»[٢] وهكذا كان يستعيذ باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم وهو حديث أبان بن عثمان عن أبيه عثمان قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من أصبح أو أمسى فقال: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شيء**» فلما حدث أبان طلبته بهذا الحديث استغرب أحد تلامذته وذلك لما رأى من حال أبان وهو أنه

---

(١) مسلم (٢٧٠٩) وأبو داود (٣٨٩٨) وأحمد (٢٣٧٠٠) ومسند أبي يعلى (٦٦٨٨).

(٢) مسلم (٢٧١٣) وأحمد (٩٢٣٦) وابن حبان (٥٥٣٧).

مشلول أصيب بالفالج فأصيب بالشلل النصفي فقال أبان لتلميذه: أتعجب من أمري والله ما كذبت على عثمان ولا عثمان كذب على النبي ﷺ وما حصل لي مما تراه أنني كنت غضبانا يوما فلم أقله عند الصباح فأصابني ما تراه[١] هذا ذكر أيضا جيد جدا ويدخل في هذا الباب وقوله: «**لم يضره شيء**» شيء نكرة في سياق النفي تفيد العموم وهذه الأذكار الشرعية والتحصينات الربانية النبوية هي بمثابة سيف بيد صاحبه وإنما السيف بضاربه فإن كان العبد يحمل الذكر وهو على عقيدة راسخة في قلبه وقال ما قال فإن ذلك ينفعه وإن قال هذا الذكر وعنده اهتزاز وعدم اعتقاد فإن ذلك لا ينفعه أرأيت رجلا بيده سيف ونفس هذا السيف حملته عجوز شمطاء فإنها لا تستطيع أن تعمل به شيئا وذلك أنها لا تستطيع أن تنازل به الأبطال بخلاف من يحمل ذلك السيف فإنه يستطيع أن يدافع به عن نفسه وهكذا التحاصين الشرعية كان بعض آل البيت من علماء اليمن يتحدث عن نعمة الله ﷻ فيما منحه من الذكر والالتجاء إلى الله ﷻ كان يقول:

الدهر يزعم أنه سيروعني ... بخطوبه ويزيد في أتراحي
ولم يدر دهري أني متجلد ... لخطوبه وليخش هول كفاحي
الذكر حصني والقناعة جنتي ... والصبر درعي والدعاء سلاحي

فكانت هذه بمثابة قوة يحملها في يده وفي قلبه وفي رأسه وفي عقله يدرأ بها كل ذي شر هي عبارة عن أشياء نحن نعتقدها لكن شتان بين من يؤمن ويعتقد وينفذ ومن يقول: هذا إن حصل حصل وإن لم يحصل فهناك غيره بعض الناس إذا قلت له:

---

(١) صحيح: أبو داود (٥٠٨٨) والترمذي (٣٣٨٨) وابن ماجة (٣٨٦٩) وانظر مشكاة المصابيح (٢٣٩١).

اعمل كذا أو صلح كذا وكذا ربما تساهل في هذا الأمر وذهب إلى بعض المشعوذين والعرافين بل بعضهم ربما يشتكي عليك ديونا ومشاكل فأنت تأتي إليه وتقول: يا أخي - بارك الله فيك - عليك بحديث أنس الذي رواه الحاكم وصححه الشيخ الألباني وهو أن تقول إذا أصبحت وإذا أمسيت وكل ما أشكل عليك شيء: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**»(١) أو حديث علي في الترمذي حديث قضاء الدين: «**اللهم اغنني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك**»(٢) أو «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال**»(٣) أحاديث كثيرة في هذا الباب فربما يعمل بها أو لا يعمل بها فصار عندنا من الاعتقاد بالمحسوسات والمشاهدات أكثر مما هو عقيدة أخبرنا الله ﷻ بها فكان واجبا على العبد أن يكون كامل اليقين في باب الأذكار الصباحية والمسائية والتحصينات الربانية وأن يكون دائما التجاء إلى الله ﷻ وتعرفون ما حصل من قصة خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وأرضاه حينما أعطوه سما ليشربه فقال: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء فأخذ السواك وحرك به ذلك السم ثم شربه فما ضره شيء اعتقادا واعتصاما بالله ﷻ وشيخ الإسلام رحمه الله لما قال لأصحابه في معركة شقحب في دمشق: إننا منصورون غدا هكذا فقيل له: قل إن شاء الله فقال: أقولها تحقيقا لا تعليقا هذا ما يدل

---

(١) حسن: الحاكم(١٨٧٥) والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٢٣١) انظر حديث رقم: ٤٧٧٧ في صحيح الجامع.

(٢) حسن: الترمذي (٣٥٦٣) وأحمد (١٣١٨) والحاكم (١٩٧٣) ومسند البزار (٥٦٣) انظر حديث رقم: ٢٦٢٥ في صحيح الجامع.

(٣) البخاري (٢٧٣٦) (٥١٠٩) (٦٠٠٢) (٦٠٠٨) والنسائي (٥٤٤٩) (٥٤٥٠) (٥٤٥٣) وأحمد (١٣٣٨٩) والطبراني في الأوسط (١٢٩).

على ما أفاض الله ﷻ على تلك الأرواح الكريمة من اليقين والاعتقاد وهكذا على العبد أن يكون دائما متفائلا لا أن يكون متشائما فإن الأمور بيد الله هو الذي يدبرها وهو الذي يغيرها قال أبو العتاهية:

هـــي الأيـــام والغيـــر　　　وأمـــر الله ينتظـــر
أتيـــأس أن تـــرى فرجـــا　　　فـــأين الله والقـــدر

أسأل الله بمنه وكرمه وبأسمائه الحسنى وبصفاته العلى أن يجعلنا وإياكم من عباده الصالحين وأن يرفع درجاتنا في المهديين وصلى الله وسلم على نبي الأولين والآخرين وجزاكم الله خيرا.





باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من الشرك أن يستغيث أما قوله: من الشرك من هاهنا تبعيضية.

أن الاستغاثة طلب أو دعاء لإزالة الشدة في حال المكروه أما الدعاء فهو أعم من ذلك لأنه يكون لجلب منفعة أو لدفع ضرر فيكون - بارك الله فيكم - باب الدعاء أو سع من باب الاستغاثة ثم قول المؤلف: من الشرك أن يستغيث بغير الله ليس على إطلاقه فالاستغاثة إن كان فيما لا يقدر عليه إلا الله وصرفت شيئا منها لغير الله فهذا من الشرك جاءت بعض الأحاديث الموضوعة التي يتشبث بها بعض الشيعة والرافضة والصوفية يقولون قال النبي ﷺ: «**إذا ضاقت عليكم الأمور فاستعينوا بأصحاب القبور**» وهذا لا يثبت عن النبي ﷺ ولما دخل التتر إلى بغداد في القرن السابع الهجري كان بعضهم يقول: يا عبد القادر بادر بادر عبد القادر الجيلاني وقال بعضهم: يا هاربين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر ينجيكموا من الضرر عياذا بالله فإن كان الأمر الذي استغثت به لا يقدر عليه إلا الإله فصرفه لغيره من الشرك بل من الشرك الأكبر المخرج من الملة وإن كان في أمر يقدر عليه المرء فلا



بأس أن تستعين ولا بأس أن تستغيث فيما يقدر به كما قال ربنا سبحانه حاكيا عن سيدنا موسى وذلكم القبطي:

﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥]

فالأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله إن ارتكبه العبد يكون قد أشرك أما الأمر الذي بمقدور العبد أن ينفع أخاه فلا بأس في صحيح الإمام مسلم من حديث جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**»(١) وأما من حيث الدعاء فمن معلومات إخواننا الأولوية أنه ينقسم إلى قسمين:

دعاء عبادة ودعاء مسألة فدعاء المسألة أن تجعل اسما بين يدي دعائك ربك ﷻ كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠] تجعل اسما من أسماء الله الحسنى كما كان النبي ﷺ إذا دعا يجعل بعض الأسماء توطئة لدعائه كما جاء في حديث ابن مسعود في مسند أحمد: «**اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وذهاب همي وجلاء حزني**»(٢) وسيد الاستغفار حديث شداد بن أوس عند البخاري والترمذي أن النبي ﷺ قال: «**سيد الاستغفار أن**

---

(١) مسلم (٢١٩٩) وأحمد (١٤٢٦٩) (١٤٤٢٢) (١٤٦٢٤) (١٥١٤٢) (١٥٢٧١) وابن حبان (٥٣٢) (٦٠٩١) (٦٠٩٧) وغيرهم.

(٢) صحيح: أحمد (٣٧١٢) (٤٣١٨) وابن حبان (٩٧٢) والحاكم (١٨٧٧) والبزار (١٩٩٤) وابن أبي شيبة (٢٩٣١٨) وغيرهم وانظر السلسلة الصحيحة برقم (١٩٩).

يقول العبد: **اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي**» شوف بدأ بالأسماء ثم قال: «**فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»[(١)] ومن حديث أبي موسى في الصحيحين كان النبي ﷺ يقول: «**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير**»[(٢)] ومن حديث أبي هريرة في صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان إذا أخذ مضجعه وضع يده تحت خده الأيمن ثم يقول: «**اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر**»[(٣)] أدلة كثيرة في هذا الباب تثبت أن من آداب الدعاء أن تقدم بين يدي دعائك اسما لا سيما اسما مناسبا إن أردت الرزق يا رزاق ارزقني إن أردت المغفرة يا غفور إن أردت الرحمة يا رحيم وإن أردت العزة يا عزيز فالله ﷻ له الأسماء الحسنى والصفات العلى أما دعاء العبادة فهو أوسع من هذا الباب فمعناه أن تتعبد لله بمقتضى الأسماء والصفات لأن الاسم منه اسم علم على الذات الإلهية

---

(١) البخاري (٥٩٤٧) (٥٩٦٤) والترمذي (٣٣٩٣) والنسائي (٥٥٢٢) وأحمد (١٧١٥٢) (١٧١٧١) وابن حبان (٩٣٢) (٩٣٣).

(٢) البخاري (٦٠٣٥) ومسلم (٢٧١٩) وابن حبان (٩٥٧).

(٣) مسلم (٢٧١٣) وأحمد (٩٢٣٦) وابن حبان (٩٦٦) (٥٥٣٧) والحاكم (٢٠٠٢).

ومنه صفة ومنه أيضا يستفاد بلازم خارجي دروسا مسلكية ينطلق العبد منها في ميدان العقيدة والعبادة والعمل الصالح بل كل عبادة من توحيد وصلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة أمر بالمعروف نهي عن منكر بر والدين إحسان إلى الجار طلب علم دعوة إلى الله أي عبادة من العبادات تندرج تحت دعاء العبادة لأن العبد لا يعمل هذه العبادات إلا لأنه يريد وجه الله ومغفرة الله وإرضاء الله سبحانه وتعالى.



وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: ١٠٦ - ١٠٧] **الآية.**



ثم يقول الشيخ: وقول الله تعالى:

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦ - ١٠٧] هذا بعضهم يقول: إنه خاص بالنبي ﷺ والصحيح أنه عام.

ولا تدع مع أن النبي ﷺ هو داعية إلى التوحيد إذا كان نهي للرسول ﷺ فنحن من باب الأولى ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي سوى الله ﴿مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ قال سبحانه: ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لم يقل من المشركين لأنه إذا أنت صرفت شيئا من العبادة لمن لا يضرك ولا ينفعك فأنت تكون من الظالمين بل قد أتيت الظلم منتهى الظلم وهو الإشراك بالله وقال بعض الشارحين:

لم يقل: من المشركين ليعلم أن الشرك ظلم ومما يوافق هذه الآية حديث ابن عباس المشهور الثابت عند الترمذي وأصله في مسند أحمد لما قال النبي ﷺ:

«**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(١) **إيش تريد بعد هذا؟**

«**رفعت الأقلام**» أي لا كتابة حديث عبادة بن الصامت: «**إن أول ما خلق الله القلم قال: اكتب قال: ما أكتب قال: اكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة**»(٢) وحديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم: «**إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام وكان عرشه على الماء**»(٣) «**رفعت الأقلام وطويت الصحف**» أي لا تفتح خلاص وحديث أبي الدرداء واسمه عويمر بن زيد في مسند أحمد وذكره الشيخ مقبل رحمه الله في الجامع الصحيح في القدر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله قد فرغ إلى كل عبد من خمس من رزقه وعمله وأجله وأثره وشقي أوسعيد**»(٤) وحديث ذي اللحية الكلبي الذي سجلناه لكم: **أنعمل في أمر مستأنف أو في أمر قد فرغ منه؟** قال: «**لا بل في أمر قد فرغ منه**» قالوا: **فلم العمل إذن؟** قال:

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (٢٦٦٩) والمعجم الكبير (١١٤١٦) ومسند أبي يعلى (٢٥٥٦) وانظر مشكاة المصابيح (٥٣٠٢).

(٢) الترمذي (٢١٥٥) (٣٣١٩) والحاكم (٣٨٤٠) والطيالسي (٥٧٧) والمعجم الكبير (١٢٥٠٠) وغيرهم.

(٣) مسلم (٢٦٥٣) والترمذي (٢١٥٦) وأحمد (٦٥٧٩).

(٤) صحيح: أحمد (٢١٧٧٠) والمعجم الأوسط (٣١٢٠) بلفظ: «إن الله عز وجل فرغ إلى كل عبد من خلقه من خمس من أجله وعمله ومضجعه وأثره ورزقه» وانظر ظلال الجنة للألباني (٣٠٣) (٣٠٥) (٣٠٨).

«**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»(١) فغير الله من جحافل الظلم من القبوريين من الملائكة من الجن من الآدميين من من من من لا يمكن أن ينفعك أحد أو يضرك إلا بإذن من الله إذا كان قد قال الله في حق الجن والسحرة: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة:١٠٢] فما بالك بما هو سوى ذلك.

قال أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقول ربنا سبحانه: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾ [يونس: ١٠٧]

معنى قوله: ﴿يَمۡسَسۡكَ﴾ أي يصبك إن يصبك الله بضر فلا كاشف له إلا هو بمعنى الله هو الذي يكشف الضر وهو الذي يجلب النفع كما قال ربنا سبحانه في آية أخرى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢] ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ **من الذي يكشف ضرك؟** الله لا أحد غير الله لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي من الصالحين ينفع، هؤلاء إن كانوا صالحين فصلاحهم لأنفسهم فلو تأمل العبد في كتاب الله وفي هدي المصطفى ﷺ لرأى عجبا عجابا يقول سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء:٨٧] ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ ذا بمعنى صاحب ونصب هنا على الفعل المحذوف أي واذكر عبدنا ذا النون ومعنى النون أي الحوت واسمه يونس بن متى وكان هذا النبي الكريم يقال: من بلاد الرافدين من بلاد العراق ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾ أي قومه لأنهم لم يستجيبوا له ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ﴾ ومعنى نقدر أي نضيق ظن أن لن نضيق عليه كما قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ

---

(١) البخاري (١٢٩٦) (٤٦٦١) (٤٦٦٣) (٤٦٦٤) (٤٦٦٥) (٤٦٦٦) (٥٨٦٣) (٦٢٣١) (٧١١٣) ومسلم (٢٦٤٧) وأبو داود (٤٦٩٤) وغيرهم.

﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ﴾ [الفجر: ١٥ - ١٦] أي ضيق فكان منه أن ركب في سفينة ثم كان في عقيدة ذلك الزمان إذا اضطربت السفينة تساهموا فقذفوا واحدا منهم إلى الماء فكما قال ربنا: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات:١٤١] فرموا به من على متن السفينة ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنبياء:٨٧] **ماذا يقول في تلك الظلمات؟** ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] إنها ظلمات ثلاث كما قال المفسرون: البحر والليل وبطن الحوت في ذلك المكان العجيب البعيد بالنسبة لنا القريب بالنسبة من الله جاء في بعض الآثار التي لم تصح أسانيدها أن الملائكة قالوا: صوت معروف من أرض غريبة.

الشاهد من هذا حينما نادى وهو في ذلك المكان وفي ذلك الموضع ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] ثم في آية أخرى ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٨٨] استجاب الله ﷻ لسيدنا يونس بن متى عليه السلام ويخرجه من بطن الحوت ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤] هذا دليل على عظمة الله ﷻ

يا صاحب الهم إن الهم منفرج وابشر بخير فإن الكاشف الله

الكاشف للهم هو الله ﷻ وكان النبي ﷺ يهتف بهذه العقيدة فكان عليه الصلاة والسلام من دعائه في الهم والكرب ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس أنه كان يكرر: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم**»(١) وهكذا كان ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم**

(١) البخاري (٥٩٨٥) (٥٩٨٦) (٦٩٩٤) ومسلم (٢٧٣٠) والمعجم الكبير (١٢٧٥٠) والمعجم الأوسط (١٠١٠) وسنن النسائي الكبرى (٧٦٧٤) (٧٦٧٥) (١٠٤٩٠).

والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال»(١) وجاء مكاتب أي رقيق كاتب سيده من أجل أن يحرر إلى علي بن أبي طالب أمير المؤمنين في الكوفة قال له: إني كاتبت وإني عجزت عن الأداء يريد منه الإعانة والنجدة قال له أمير المؤمنين: **ألا أدلك على ما علمنا رسول الله ﷺ؟** قال: بلى قال: «**أن تقول: اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك فإنه لو كان عليك مثل جبل**» ضبطت «**صيرى أو ثبير دينا إلا أدى الله عنك**»(٢) ذكر الألباني الحديث في السلسلة الصحيحة فبعضهم يقول: صبير هو جبل صبر كما قال صاحب النهاية: جبل من جبال اليمن وبعضهم يقول: ثبير وهو جبل من جبال طي وطي أيضا في بلاد اليمن فلا يكشف همنا وغمنا وبلوانا إلا الله ﷻ وإن أراد عبد بك الضر فليس بقادر إلا بإذن من الله وإن أراد لك النفع فلا يستطيع أن يصل إلى نفعك إلا بإذن من الله هذه معتقد المسلمين بل كان على هذه العقيدة بعض الجاهليين الذين لم تتلوث فطرتهم بعد كما قال قائلهم:

فإن يشأ الرحمن يعفو ويطلق،

قال سبحانه: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧] مقام المنع مقام الضر مقام النفع مقام العطاء الله ﷻ هو المتفضل وهو الذي بيده أزمة الأمور كلها كان النبي ﷺ إذا انتهى من صلاته يهلل «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم**

---

(١) البخاري (٢٧٣٦) وأبو داود (١٥٥٥) والنسائي (٥٤٥٣).

(٢) حسن: الترمذي (٣٥٦٣) وأحمد (١٣١٨) والحاكم (١٩٧٣) والبزار (٥٦٣) انظر حديث رقم: ٢٦٢٥ في صحيح الجامع.

لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد»(١) هذه العقيدة لو ثبتت في قلوب المؤمنين أخرجت كل شك وكل وسوسة وأخرج من قلوبنا الأمراض أمراض الجبن والبخل والحسد وأخرجت حب الدنيا وأخرجت التكالب بحيث أن يكون العبد واثق أنه ما أراده الله لا بد أن يصل وإن أرادت الدنيا منعه ما استطاعت وتأمل فرعون أراد أن يهزم موسى بقوته وجيوشه فأبى الله إلا أن ينصر موسى وكان موسى معه نفر قليل من بني إسرائيل ﴿فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ﴾ ركز على كلمة معي ﴿رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١ – ٦٢] وفعلا هداه الله لأن يضرب في البحر بعصاه وشققه الله سبحانه وتعالى بقوته وقدرته فما أحوج المسلم وطالب العلم أن يجعل هذه عقيدة في قلبه وهو أن يعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن كما قال ابن القيم في كتابه الفوائد قال: قاعدة جليلة أن تعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

دع المقـــادير تجـــري في أعنتهـــا ... ولا تنـــامن إلا خـــالي البـــال
مـــا بـــين غمضـــة عـــين وانتباهتهـــا ... يغيـــر الله مـــن حـــال إلـــى حـــال

وفي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ الغفور أي ذو المغفرة والمراد بالغفران ستر الذنب والتجاوز عنه وأصل الغفر مأخوذ من الآلة التي تتخذ على الرأس يتقي بها الشخص السهام والأحجار التي تقذف عليهم كما جاء من حديث أنس «**أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر**»(٢)، وهكذا هذه الطاقية الكوفية التي يلبسها الجنود في الحرب تسمى مغفر وهكذا الدرع الحربي الذي يرد أيضا يأخذ هذا لأنه يصد به

---

(١) البخاري (٥٩٧١) ومسلم (٥٩٣).

(٢) البخاري (١٧٤٩) وأبو داود (٢٦٨٥) والترمذي (١٦٩٣).

الضربات وعلى ذلك حديث النبي ﷺ: «**لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده**»(١) والبيضة هي هذه الآلة الترس ليس التي على الرأس وإنما التي يتقي بها المقاتل ضربات أعدائه فالمغفرة فيها ستر ووقاية إن يسر الله ﷻ وأذن بها للعبد يوم أن يغفر له ذنوبه، والرحيم صفة الرحمة وهي صفة تليق بالله سبحانه وتعالى تقتضي الإنعام والإحسان فالله سبحانه وتعالى رحيم وما نفى هذين الاسمين إلا الجاحدون لآيات الصفات أو للصفات وأسمائها وهم الجهمية أو المعتزلة أولوا وكذلك أيضا الأشاعرة والمفوضة الذين يقولون: لا نعلم معنى ذلك.



وقوله: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ﴾ [العنكبوت:١٧] الآية.



ثم قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٧] ومعنى فابتغوا أي اطلبوا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني ملائكة جن إنس أوثان أنداد أصنام مقبورين قال: ﴿لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا﴾ قال سبحانه: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ الآن من الناس من عنده خدش وخلط في معتقداته بعض أصحاب المحلات التجارية يذهب إلى بعض الكهنة والعرافين وهؤلاء الذين يدعون علم الغيب والذين يدعون السيادة والريادة وأنهم من نسل الرسول فيكتبون لهم جذبا للزبائن وصرفا عن فلان جلب لفلان وصرف عن فلان وأخبرنا بعض إخواننا أنه

(١) البخاري (٦٤٠١) ومسلم (١٦٨٧) والنسائي (٤٨٧٣) وابن ماجة (٢٥٨٣).

دخل محلا تجاريا ووجد فيه ورقة هكذا مثل الملحة مكتوب فيها أسماء وطلاسم وكذا إيش في؟ يشير إلى المكان الآخر قال: شوف ذاك ذاك ابن الكلب ما ترك سيد ولا شيخ إلا حبس علي الزبائن فهذه عملتها كدفاع أدفع بها عن نفسي هذه يا إخوان عقيدة خربانة وعند كثير من الناس إذا قلت زبائنه يقول له أصحابه أسرته: إذهب شوف نفسك روح شوف نفسك هذا حاصل يا إخوان يجيب نفسه عند المقذين والعرافين والكهنة الذين يدعون - بارك الله فيكم - النفع والضر وأعرف واحدا الناس والنساء جرافات ووحدانا عنده وهو إذا مرض لا يقنع بالأدوية في اليمن ولا في الدول العربية وإنما يحاول أن يذهب إلى دول أخرى يذهب إلى دول أخرى طلبا للعلاج وأظنه قد ذهب إلى الهند أربع أو خمس مرات موجود هذا في منطقة قريبة هو يتداوى في الهند وهؤلاء الرعية المساكين يعمل لهم شوية زيت حبة سوداء عسل من هذا المستورد ويبيع كما يقال: الذي هو بسعر البلعة بالقلعة يغلي عليهم بالأثمان أعوذ بالله فكان لزاما على العبد المسلم أن يرضى بما قسمه الله فالله ﷻ إن أعطاك قليلا رضيت وإن أعطاك كثيرا رضيت ثم عليك أن تعلم أنك مبتلى فالله ﷻ إن أعطاك ابتلاك وإن منعك ابتلاك أيضا فأنت في ابتلاء واختبار فلا يظن أنه إن أعطي يعني أن الله راضي عنه لا ربما كان علامة سخط يقول النبي ﷺ: «**إن الله تعالى ليحمي عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب**»(١) ويقول النبي ﷺ: «**إن الله يعطي الدنيا من أحب ومن لا يحب وأما الدين فلا يعطيه إلا**

(١) صحيح: الحاكم (٧٤٦٥) والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٤٥٠) انظر حديث رقم: ١٨١٤ في صحيح الجامع.

من يحب»(١) ويقول سبحانه في كتابه الكريم: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر:١٥] أكرمني الله ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾ ربه ﴿فَقَدَرَ﴾ أي ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٦] هذا ميزان كثير من الناس فلان ما أعطي إذن الله ما يحبوش فلان أعطي هذا الله يحبه هذا ميزان غالط قال الله بعدها: ﴿كَلَّا﴾ أي ليس كل من أعطيناه قربناه ولا كل من منعناه أقصيناه ليس هذا الأمر فميزان القرب والبعد هو التقوى والعمل الصالح ليس المال ولا الحسب والنسب قال ربنا: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧] فلا يكون عند الشخص عقيدة مهزوزة فيبيع عقيدة التوحيد من أجل أن رزقه كان قليلا وربما غنى طغى بصاحبه ربما مال مال بصاحبه ربما شخص أعطي مال فمال وأعطي ذهبا فذهب فكان لزاما على أن يرضى العبد بما قسمه الله من حديث أبي هريرة في مسند أحمد قال النبي ﷺ:

«**خمس كلمات من يتعلمهن؟ ويعلم من يتعلمهن؟ قال أبو هريرة: أنا قال: فأخذ بيدي أخذ النبي ﷺ بيد أبي هريرة قال فعد خمسا فقال: اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله تكن أغنى الناس وأحب لأخيك ما تحب لنفسك تكن مؤمنا وأحسن إلى جارك تكن مسلما ولا تكثر من الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**»(٢).

---

(١) صحيح: الحاكم (٩٤) والبيهقي في شعب الإيمان (٥٥٢٤) ومسند الشهاب (١١٠٨) وانظر السلسلة الصحيحة (٢٧١٤).

(٢) حسن: الترمذي (٢٣٠٥) وأحمد (٨٠٨١) والطبراني في الأوسط (٧٠٥٤) انظر حديث رقم: ١٠٠ في صحيح الجامع.



وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأحقاف:٥] **الآيتين.**



ثم ذكر المؤلف قول ربنا سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف:٥] من أضل أي في منتهى الضلال من دعا من لا يستجيب لأن الشخص له قدرة محدودة وسمع محدود الآن لو عندنا واحد حي صحيح سليم وهو بعيد منا قرابة اثنين كيلو متر في بيته ونادينا بصوت رفيع يا فلان بن فلان ما يسمع فكيف إذا كان مقبور فكيف إذا كان صنم فالله ﷻ هو الذي يسمع عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فجعلنا لا نصعد شرفا ولا نعلو شرفا ولا نهبط في واد الا رفعنا أصواتنا بالتكبير قال فدنا منا رسول الله ﷺ فقال: «**أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم ما تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعا بصيرا ان الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**»(١) الله قريب وتقول عائشة: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات فلقد جاءت المجادلة خولة بنت ثعلبة تجادل النبي في زوجها أوس بن الصامت وإني لبيني وبينها جدار ما سمعتها، فسمعها الله ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١](٢) على أن الجدار الذي كان بين

---

(١) أحمد (١٩٦١٤) وسنن النسائي الكبرى (٧٦٨٠) وهو في الصحيحين بدون لفظة: «إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته».

(٢) النسائي (٣٤٦٠) وابن ماجة (١٨٨) وأحمد (٢٤٢٤١)

عائشة ورسول الله والمرأة ويش كان من جدار جدار بلك مليس مرنج لا جدار أحجار صغير ما فيه من هذا الأمور الحديثة ويقول سبحانه في كتابه الكريم: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الملك:١٣] الذي يدعو من لا يسمع لا يمكن يستجيب ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤] يوم القيامة يأتي يشهد عليك ويشهد ضدك ويقول نحن ما أردنا منك أن تدعونا من دون الله أو أن تعبدنا من دون الله ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف:٥] غافل لك في قبره مشغول بنفسه فكيف الذي يدعو ابن علوان إلى يفرس وابن علوان قد مات في القرن الخامس الهجري وكان صوفيا وكيف من يدعو أحمد الرفاعي وقبره في مصر ولما نزلت جمهورية جيبوتي للدعوة إلى الله دخلنا مقام الناس يطوفون حوله وينحرون ويتقربون القرابين شرك يعني فقلنا لهم: **هذا إيش؟** قالوا: هذا مقام أحمد الرفاعي قلنا: أحمد الرفاعي هو في مصر قالوا: هذا مقامه يعني يعبر عنه قلنا: **طيب كيف يعني له قبران وإلا مات مرتين والا كيف؟** قالوا: لا القبر في مصر وهنا شاع أمره فين؟ في جيبوتي فاتخذوا له مقام والذي يطوف حوله ترى فيه من الإعراض عن الدين من خلال شكله عنده القات هذا بعد العصر أعوذ بالله وفي باب المندب واحد مقبور الله أعلم إيش حاله يسمى بالشيخ سعيد تذهب المرأة إليه وتقول: يا شيخ سعيد أسألك أن تحبلني تطلب الحبل من الشيخ سعيد إيش يحبلها وهو داخل القبر أنا والله ما أدري كيف يحبلها وتذهب المرأة وتقول: هذه خمسة آلاف ريال أنا نذرت بها وتطرحها جانب القبر وأولئك السدنة حمران العيون هي تنطلق وهم يأخذونها يكذبون على الناس يدجلون على الناس السدنة هؤلاء نسأل



الله السلامة هذه عادات قضى عليها الإسلام لكن الشيطان وراءها بالمرصاد يدعو الناس إلى الشرك من أجل أن يضلوا

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨] هذه خطوات الشيطان فالله ﷻ يقول: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف:٥] وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:٦] أن هؤلاء يكفرون بهذه العبادة.



وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل:٦٢].



وقوله سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢] وهذا يسميه العلماء استفهام إنكاري بمعنى النفي فيفيد التحريم والتنفير والزجر عن هذه العادات ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ لا أحد أنت الذي تجيب المضطر إذا دعاك.



وروى الطبراني بإسناده: أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بالله»(١).

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١٥٩): ورجاله رجال =

فيه مسائل:

الأولى: أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص.

الثانية: تفسير قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس:١٠٦].

الثالثة: أن هذا هو الشرك الأكبر.

الرابعة: أن أصلح الناس لو فعله إرضاءً لغيره صار من الظالمين.

الخامسة: تفسير الآية التي بعدها.

السادسة: كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفرًا.

السابعة: تفسير الآية الثالثة.

الثامنة: أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله.

التاسعة: تفسير الآية الرابعة.

العاشرة: أنه لا أضل ممن دعا غير الله.

الحادية عشرة: أنه غافلٌ عن دعاء الداعي لا يدري عنه.

الثانية عشرة: أن تلك الدعوة سببٌ لبغض المدعوّ للداعي وعداوته له.

الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعوّ.

الرابعة عشرة: كفر المدعوة بتلك العبادة.

الخامسة عشرة: هي سبب كونه أضل الناس.

=

الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث.

السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة.

السابعة عشرة: الأمر العجيب، وهو إقرار عبدة الأوثان بأنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

الثامنة عشرة: حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد والتأدب مع الله.



وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين قال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال النبي: «**إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله**» الحديث رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد وهو ضعيف لضعف القاضي عبد الله بن لهيعة وهو مختلط كما أفاد ذلك الدوسري في النهج السديد أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من أهل التوحيد وأن يميتنا عليه وأن يبعثنا عليه حينما نلقاه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.



باب قول الله تعالى:

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ **الآية** [الأعراف: ١٩١-١٩٢]

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١ - ١٩٢]

أما تعريف كلمة باب فلغة: تستعمل لما يدخل ويخرج منه وفي اصطلاح العلماء في تبويب كتبهم ومصنفاتهم يعنون به: الجملة العلمية المختصة من الكتاب فيقولون: اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب وفي هذا الباب لما ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في الأبواب السابقة الاستعاذة والاستغاثة بغير الله ذكر البراهين الدالة على بطلان عبادة ما سوى الله ولهذا جعل الترجمة لهذا الباب نفس الدليل فتأمل إلى البابين السابقين فيما يتعلق بالاستعاذة والاستغاثة ذكر هذا الباب دون أن يترجمه بشيء إنما قال: باب قول الله: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ ففي قول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ الاستفهام هاهنا يسميه علماء البلاغة استفهام إنكاري يراد به التوبيخ والإنكار على هؤلاء الكفار الذين يشركون ما لا يخلق شيئا وما هاهنا موصولية تفيد العموم إيش معنى تفيد العموم يعني تستعمل

للعاقل ولغير العاقل وتستعمل للمذكر والمؤنث وتستعمل للمفرد والجمع فتقول: جاءني ما عندك فربما الذي جاء مفرد وربما مثنى وقد يكون جمعا وقد يكون مذكرا أو مؤنثا قد يكون عاقلا وقد يكون غير عاقل كالحيوانات جاءني ما عندك فما هاهنا موصولية وما الموصولية تفيد العموم تشمل عموم الأشياء فيدخل في ذلك الأشجار والأحجار والملائكة والنبيين والمقبورين وكل ما عبد من دون الله يقول سبحانه: ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ في إنكر على الكفار على المشركين أيشركون مع الله ﷻ في عبادتهم هذه المخلوقات التي لا تخلق شيئا وهم يخلقون فالله ﷻ ينكر على هؤلاء من خلال هذا الاستفهام الإنكاري ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ لا يخلقون أي لا يمكن أن يوجدوا شيئا من العدم إلى الوجود من غير شريك ولا معين لا يمكن أن يعطوا الصفة التي اتصف الله بها وهو الخلق كما قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤] ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي الخالق لهم الله ﷻ ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ هذه الآلهة لا تستطيع أن تنصر هؤلاء الذين يشركون بهم من دون الله ﷻ ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ بل ﴿وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ يعني حتى هذا الصنم لا يستطيع أن ينصر نفسه فالصنم ربما يأتي إليه طفل صغير يأخذ من العذرة ومن القاذورات فيلطخه على وجهه وعلى رأسه دون أن تستطيع هذه الأصنام أن تدفع عن نفسها شيئا كما قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج:٧٣] في هذا إثبات العجز والنقص الذي يلحق هذه المخلوقات وقد قيل إن رجلا كان يعبد صنما فإذا بثعبان يعلو على هذا الصنم فيبول على رأسه فأدرك ذلكم بفطرته أن هذا لو كان يضر أو ينفع لدفع عن نفسه السوء وبول هذا الثعبان فقال ذلكم العربي:

أرب يبـــول الثعلبـــان برأســـه ... لقـد ذل مـن بالـت عليـه الثعالـب

لا يستطيع أن ينفع نفسه وإذا كان لا يستطيع أن ينفع نفسه فمن باب أولى أنه لا يستطيع أن ينفع غيره أو يدفع الضر عن غيره.



وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣]



ثم قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ الذين تدعون من دون الله سواء كانوا ملائكة أو جن أو إنس نبيين أحجارا أو أشجارا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي من دون الله ﴿مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ والقطمير هو اللفافة التي تأتي على نواة التمر يعني مخلوق ضعيف جدا لا يمتلكه هؤلاء وقد يقول قائل: لكن قد يملكون كما قال الله ﷻ: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ﴾ [النساء:٢٤] وكما قال سبحانه في كتابه الكريم:

﴿أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ [النور:٦١] يعني إثبات الملك للإنسان والجواب على هذا أن ابن آدم قد يملك لكنه ملك ناقص فصاحب المال يملك هذا المال لكن ملكه لهذا المال عبارة عن وديعة لا يمكن أن يتصرف بهذا الملك إلا على حسب الشرع فلا يجوز له أن يحرق هذه الأموال يعني هذا من الإسراف والتبذير ولا يجوز له أن يشتري به المجون والخلاعة وأن يسرف في الحرام فإنه يحاسب كما قال ﷻ في كتابه الكريم: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨] وكما قال ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧] وكما قال

سبحانه: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر:٨] تسأل عن هذا النعيم الذي نعمك الله ﷻ به وفي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ المراد بهذا الدعاء دعاء المسألة ودعاء العبادة وقد تقدم الفرق بين هذين النوعين من العبادة ثم قال ﷻ:

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر:١٤] هؤلاء الذين أنتم تشركون بهم معنا ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ هؤلاء الذين هم أصنام أو هم من بني آدم في عالم القبور لو سمعوا ما استجابوا لكم حتى وإن كانوا على قيد الحياة ما يستطيعون أن يلبوا لكم مطالبكم إن قلت لهذا الحي: اشفني ارزقني اعطني فهو عاجز هو مخلوق مثلك يحتاج إلى ربه ﷻ ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥] فيقول سبحانه:

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤] هذا إنباء الله ﷻ وهو الخبير والخبير هو العالم ببواطن الأمور وظواهرها فهذه فتوى من الرب ﷻ في باب العقيدة والتوحيد ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ هؤلاء الذين دعوا من دون الله يكفرون بهذا الشرك ويقولون: نحن يارب ما أردنا منهم هذا الشرك ويتبرءون وأول من يتبرأ الشيطان الرجيم قال سبحانه: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس:٦٠] فمن الناس من عبد الشيطان ففي ذلك اليوم العظيم يستقيم الشيطان خطيبا مفوها ينكر الإشراك الواقع من بني آدم به قال ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ [إبراهيم:٢٢] والمراد بالصريخ المغيث ما أنا بمغيثكم ولا أنتم بالذين

تستطيعون إغاثتي هكذا يتنصل الشيطان من العبادة الواقعة من بني آدم له وهناك جماعة في أرض الموصل تسمى باليزيديين وهؤلاء هم عبدة الشيطان على وجه الخصوص وهناك أيضا من يعبده على وجه العموم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨] ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [البقرة: ١٦٨] كذلك الملائكة تتبرأ أيضا ممن يشرك بها في ذلك اليوم قال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠ – ٤١] تتبرأ الملائكة من الذين يدعونهم من دون الله وتتبرأ جميع المعبودات من عابديها وجميع المتبوعين من أتباعها قال ﷻ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة:١٦٦] الذين اتبعوا القادة من الذين اتبعوا هؤلاء الذين هم يتابعونهم ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ۝١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ هؤلاء الضعفاء المساكين: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ يعني رجعة إلى الدنيا هذه ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ﴾ قال ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧] وكما قال سبحانه:

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧ – ٦٨] وجاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري في حديث طويل أن النبي ﷺ قال: «**يقال يوم القيامة: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد في هذه الدنيا فيتبع أهل النار النار وأهل الصليب الصليب وأهل الخنزير الخنزير وأهل القمر القمر وأهل الشمس الشمس يتبعونهم ثم يجعل الله هذه المعبودات كلها في نار جهنم**»(١) كما قال سبحانه: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ

---

(١) البخاري (٤٣٠٥) ومسلم (١٨٣).

أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [الأنبياء:٩٨] وهكذا يقول النبي ﷺ: «**الشمس والقمر مكوران يوم القيامة**»(١) توبيخا وتبكيتا لهؤلاء لهؤلاء المشركين يقال لهم: أنتم تعبدون الشمس إذن يدخل الله الشمس النار أنتم تعبدون القمر يدخل الله القمر النار ويخزى ويفتضح في ذلك اليوم ما يسمون اليوم بالمسيحيين وهم النصارى يفتضحون في ذلك اليوم يوم أن يقال لهم: ما عبدتم قالوا: عبدنا المسيح ابن مريم فالمسيح بن مريم يتنصل ممن يعبده ويدعوه من دون الله في النوائب والشدائد لأن المسيح بن مريم كان على التوحيد وفي آخر الزمان ينزل عيسى بن مريم حكما مقسطا يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ويسوس الناس بشريعة محمد ﷺ قال الله حاكيا ومصورا موقفا من مواقف يوم القيامة:

﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦ – ١١٧] فهذا كله دلائل واضحة مصداقا لقوله سبحانه:

﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [فاطر: ١٣ – ١٤]

﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ﴾ أي يتنصلون من هذه العبادة التي صرفت لهم من دون الله وما أشبه هذه الآية بقوله سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ

(١) البخاري (٣٠٢٨).



لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٥ – ٦].



وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته فقال: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟» فنزلت: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨][(١)].



ثم قال المؤلف: وفي الصحيح والمراد بالصحيح في البخاري ومسلم والشيخ ابن عبد الوهاب رحمه الله ليس له اصطلاح في هذا فربما يعني في الصحيحين ويعني في البخاري وفي مسلم وربما عنى به أنه صحيح وإن كان خارج الصحيحين.

قال: وفي الصحيح عن أنس،

وأنس هو ابن مالك أبو حمزة خادم النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي قط: أف وما قال لي لشيء فعلته كذا ألا فعلت كذا؟**»[(٢)] وذلك أنه ما كان يعمل شيئا يخالف فيه أمر النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقرب الوضوء والسواك والعنزة يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فأفلح كان من العلماء رضي الله عنه.

والمكثرين في رواية الأثر ... أبو هريرة يليه ابن عمر
وأنس والبحر كالخدري ... وجابر وزوجة النبي

(١) علقه البخاري ووصله أحمد في المسند (٣ / ٩٩ و ١٧٨ و ٢٠٦) والترمذي (٢٠٠٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) البخاري (٥٦٩١) وأبو داود (٤٧٧٤) والترمذي (٢٠١٥).

من المكثرين ودعا له النبي ﷺ قال: «**اللهم اكثر ماله وولده**»[١] فكان له من الولد مائة وبضعة وعشرين ولدا وكانت مزارعه تنتج في العام مرتين وهو آخر من مات في البصرة من أصحاب النبي ﷺ رضي الله عن أنس بن مالك.

هذا الصحابي الجليل يروي قال: شج النبي، والمراد بالشجة هو الجرح الذي يكون في الرأس أو في الوجه خاصة إذا كان في الوجه أوفي الرأس يقال شجة وإذا كان في غيره من الجسم يسمى جروح أو جراحات.

قال: شج النبي، فيكون النبي نائب فاعل والذي شج النبي ﷺ يقال إنه أحد الكفار يسمى عبد الله بن قمأة جرحه في وجنته والوجنة تكون في الوجه.

قال: شج النبي ﷺ يوم أحد،

ويوم أحد هو ذلكم الجبل الذي هو في الشمال الشرقي من المدينة النبوية ولا نقول المدينة المنورة لأن أي أرض دخلها الإسلام فهي منورة ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: أي أرض لم يدخلها الإسلام فهي أرض ملعونة لكن الاسم هذا المنورة هو من ألفاظ أهل البدع فلا بأس أن نقول المدينة النبوية تمييزا لها وتشريفا على سائر البقاع ولا شك أنها منورة نورت بالوحي ونورت بنزول النبي ﷺ فيها وللمدينة مزايا وفضائل قال النبي ﷺ: «**ما روع أحد أهل المدينة إلا انماع كما ينماع الملح في الماء**»[٢] أو كما قال عليه الصلاة والسلام ويقول: «**اللهم بارك لنا في مدنا اللهم بارك لنا في صاعنا**»[٣] يدعو النبي ﷺ للمدينة وقال: «**اللهم إن إبراهيم خليلك حرم مكة وأنا**

(١) البخاري (٥٩٧٥) ومسلم (٦٦٠).

(٢) البخاري (١٧٧٨).

(٣) البخاري (١٧٩٠) ومسلم (١٣٧٣).

أحرم المدينة كما حرم إبراهيم مكة»[١] فهي أرض حرام وهكذا أيضا يقول ﷺ: «**المدينة حرم من عير إلى ثور**»[٢] وهما جبلان في المدينة ويوم أحد كان في العام الثالث من الهجرة النبوية وكانت في شوال وذلك أنه التقى أولياء الله وأولياء الشيطان في غزوة بدر في العام الثاني من الهجرة وكانت الغلبة للمسلمين أيد الله المسلمين بالظفر والنصر فما زال في قلوب المشركين من المرض وحب الانتقام لأنه قتل من صناديدهم ومن أكابرهم في بدر فكان هذا في النفوس فأعدوا العدة وخرجوا من مكة يريدون الأخذ بالثأر لمن قتل في بدر من أصحابهم فكان النبي ﷺ يريد أن يبقى في المدينة فمن ناوأهم ناوءوه ودفعوا عن أنفسهم وأعراضهم ومدينتهم ودينهم وكان المنافقون يريدون هذا الرأي وكان بعض الصحابة الذين لم يحضروا بدرا ولم يكرموا بالشهادة أرادوا الخروج إلى مكان أحد إلى الجبل المعروف الذي وقعت فيه الوقعة المعروفة فاشتهى النبي ﷺ ما أراد أصحابه فخرج وعبد الله بن أبي كان لا يريد الخروج وهنا فائدة أن الشخص إذا استشير في أمر لم يكن فيه برهان من الله أو من رسوله ﷺ فكلامه هو رأي إن أخذ به حمد الله وإن لم يؤخذ به فهو رأي ولا تكون المشورة إلا في أمر لم يكن فيه برهان فاشتهى النبي ﷺ ما أراد أصحابه وشاء الله ﷻ ذلك فإذا بابن أبي ينخنس بثلث الجيش وقد قال: يعصيني ويطيع هؤلاء فانكشف فريق النفاق والريب في هذه الغزوة عياذا بالله فخرج النبي ﷺ وأصحابه يريدون وجه الله والدار الآخرة ورأى النبي ﷺ بقرا تنحر فأولت باستشهاد قرابة سبعين من أصحابه ومنهم حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ﷺ فيخرج

---

(١) أحمد (١٥٢٧٠) وسنن النسائي الكبرى (٨٦٨١).

(٢) البخاري (٦٣٧٤) ومسلم (١٣٧٠).

الصحابة فلما وصلوا إلى ذلك الموضع رتب النبي ﷺ ونظم أصحابه وجعل خمسين نفرا على قمة الجبل وجعل أميرا عليهم عبد الله بن جبير وقال: «**إن رأيتم الطيور تتخطفنا فلا تبرحوا عن أماكنكم**»(١) فكانت الغلبة في بداية الأمر للصحابة وللمسلمين كما قال الله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عمران:١٥٢] هذا في بداية المعركة ومعنى تحسونهم أي تقتلونهم فإذا بالصحابة ينادي بعضهم بعضا الغنيمة يا قوم الغنيمة فنزل من الرماة واحد وأربعون نفرا وقد عاب الأمير عليهم لكنهم لم يلتفتوا فوجد خالد بن الوليد فرجة وكان آنذاك لا يزال على الشرك وكان شجاع وعنده معرفة بساسة الحرب والقتال فجاء من وراء أصحاب النبي ﷺ بسبب معصية واحدة خالف فيها أصحاب النبي ﷺ النبي عليه الصلاة والسلام

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ هذا هو الفشل الفشل الحاصل من ترك الرماة الموضع الذي حدده النبي ﷺ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ أي من الغنيمة

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ابتلاء واختبار وشيع في ذلك اليوم أن رسول الله قد قتل ويأتي أنس بن النضر فيقول له سعد بن معاذ: أين تريد؟ قال: الجنة إني لأجد ريحها دون أحد فقاتل قتالا عنيفا قالوا: إنهم وجدوا فيه بضعة وسبعين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم وقد مثل به المشركون لم تعرفه إلا أخته ببنانه وكان في الصحابة من الجراح واللأواء ما الله به عليم تأديبا بسبب مخالفة واحدة حصلت منهم ويخرج المشركون وكانوا بقيادة أبي سفيان إلى موضع وإذا بأبي سفيان يقول: **أفيكم ابن أبي**

(١) الآحاد والمثاني (٢٠٠٩).

كبشة؟ يعني بذلك رسول الله أفيكم أبو بكر بن أبي قحافة؟ أفيكم ابن الخطاب؟ فلم يصبر عمر قال: قد أبقى الله ما يسوؤك يا عدو الله وكان أبو سفيان لا زال على الشرك فإذا بأبي سفيان يقول: اعل هبل اعتزاز وافتخارا بالأصنام قال النبي ﷺ لأصحابه: «ألا تجيبوه؟» قالوا: ما نقول؟ قال:

«قولوا: الله أعلى وأجل» فقال أبو سفيان: يوم بيوم يوم أحد بيوم بدر والحرب سجال فقال الرسول للصحابة:

«أجيبوه» قالوا: ما نقول؟ قال: «**قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار**»[١] فالشاهد أيها الأخوة حصل ما حصل من المواقف الدامية في هذه الغزوة بسبب مخالفة واحدة عصي الله ﷻ بها فلو تأملنا إلى واقعنا اليوم واقع المسلمين وما فينا من الضعف والذلة والهوان وما عند أعداء الإسلام من الاعتزاز بصليبهم وبشركهم وبدنياهم لعرف المسلم حقيقة الأمر والنبي ﷺ يقول:

«**وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري**»[٢] فنحن نعيش في ذلة فإذا أردنا أن نعالج ذلك فلنعالجها بالرجوع الصحيح إلى الله وتصحيح المناهج وغربلتها من الأحزاب والبدع والعصبيات والفوضية حتى يعلم الله من قلوبنا الصدق والإخلاص والتوبة الصادقة فحينئذ إذا غسلت القلوب تنزل النصر من الله الواحد الأحد وهذا لا يكون إلا بما يريده الله ﷻ منا.

ففي هذه الغزوة المباركة والحدث التأريخي العظيم في غزوة أحد يقول أنس بن

---

(١) البخاري (٢٨٧٤).

(٢) أحمد (٥١١٤) ومصنف ابن أبي شيبة (١٩٤٠١) والطبراني في مسند الشاميين (٢١٦).

مالك: شج النبي ﷺ وكسرت رباعيته والرباعية قال القرطبي: هي كل سن بعد ثنية وقال النووي للإنسان أربع رباعيات قال الحافظ: المراد أنها كسرت فذهب منها فلقة ولم تقلع من أصلها فالمتوسطان تسمى بثنيات هذه ثنية من تحت ومن فوق وما يليها يسمى رباعية هذه ثنيتان وما حولها يسمى رباعية واحدة من هنا وواحدة من هنا وفي الأسفل نفسها فلما حصل هذا قال ﷺ: «**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟**» فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ نزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ النبي ﷺ لما قال: «**كيف يفلح قوم**» استبعاد لفلاح هؤلاء الناس فنزلت الآية: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الله أكبر، تأمل يعني رسول الله يقتل أصحابه يقتل عمه وتكسر رباعيته هشمت البيضة على رأسه وابتلي في ذات الله بلاء حسنًا ويش قال من كلام قال: «**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟**» فنزلت الآية تعاتبه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.



وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلانًا وَفُلانًا» بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨] الآية.

وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾(١).



تتمة لهذا قال: وفيه يعني في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ

(١) البخاري (٣٨٤٢).



يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «**اللهم العن فلانًا وفلانًا**» بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ وتتمة: وفي رواية لأن الرواية هذه مجملة في رواية تفصل هؤلاء المدعو عليهم وفي رواية يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ هذا عتاب من الله ﷻ لمصطفاه ولرسوله محمد ﷺ وذلك أنه دعا باللعن والطرد اللهم العن فلان يعني اطرد فلان فالآية تعاتبه ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ فالأمر ليس لك يا رسولنا وإنما هو لنا أي لله ﷻ وذلك أن هؤلاء قد كتب الله لهم الهداية تاب الله عليهم وأسلموا صفوان وسهيل بن عمرو وكذلك أيضًا الرجل الثالث الحارث بن هشام أسلموا في فتح مكة في العام الثامن من الهجرة وفي هذا أنه لا ينبغي للشخص أن يقنط أو ييؤس أحد من رحمة الله فالأمر لله من قبل ومن بعد فهناك أناس كانوا من أجفا الناس قلوبًا وأقساها هداهم الله ﷻ وهكذا الطائع أيضًا لا ينبغي له أن يغتر فرب معصية أدخلت صاحبها الجنة ورب طاعة أدخلت صاحبها النار والسعيد من ثبته الله ﷻ ولا ينبغي للشخص الحكم على الناس بالظاهر فقد جاء في الصحيحين من حديث ابن مسعود قال حدثنا الصادق المصدوق ﷺ: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ثم يرسل إليه الملك وينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتابة رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل عمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل**

أهل الجنة فيدخلها»[(١)] فلا ينبغي لك أن تقنط عاصيًا ولا أن تشهد لرجل بالجنة وإنما معتقد أهل السنة أنك ترجو للمحسنين الجنة وتخاف على المسيئين من النار وقد جاء في قصة أصيرم بن عبد الأشهل وهي قصة صحيحة في مسند أحمد اسمه الأصيرم بن عبد الأشهل هذا خرج يوم أحد مع الناس يقاتل في سبيل الله وقد أسلم وما أحد يعرف لا الرسول ولا الصحابة ثم تفقد الصحابة قتلاهم فوجدوا الأصيرم في آخر رمق قالوا له: يا أصيرم ما أنت قال: من المسلمين قالوا: أحدبًا على قومك؟ يعني من أجل أن قومه كانوا مسلمين حدبًا على قومك أم رغبة في الإسلام قال: بل رغبة في الإسلام وأبلغوا رسول الله مني السلام وقولوا له: إن الأصيرم يشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فلما أخبروا بذلك النبي ﷺ قال:

«**هو في الجنة**»[(٢)] فلا ينبغي للشخص أن يحكم على المعين لا تحكم للمعين بشيء وهكذا أيضًا ما جاء في مسند أحمد أن النبي ﷺ ذكر قصة رجلين متآخيين فكان أحدهما طائع والآخر عاصي فكان الطائع ينصح العاصي وهو لا يلتفت له فقال له مرة: والله لا يغفر الله لك قال: دعني وشأني أبعثت علي رقيبًا قال: والله لا يغفر الله لك فقال الله تبارك وتعالى: «**من ذا الذي يتألى علي فقد غفرت له وأحبطت عملك**»[(٣)] نسأل الله السلامة والعافية وفي الحديث من الفوائد جواز القنوت في النوازل فقد كان النبي ﷺ يدعو وهكذا أيضًا يكون هذا القنوت بعد الرفع من الركوع في الركعة الأخيرة.



---

(١) البخاري (٣٠٣٦) ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) أحمد (٢٣٦٨٤)

(٣) مسلم (٢٦٢١) والطبراني في الكبير (١٦٧٩) ومسند أبي يعلى (١٥٢٩).

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه:

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] فقال: «يَا مَعْشر قُرَيْشٍ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ الله شيئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ الله شيئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ الله لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شيئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شيئًا»[1].



ثم قال رحمه الله: وفيه أي في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حينما أنزل عليه يعني قام خطيبًا حين أنزل عليه أي بواسطة جبريل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] هذه الآية لما نزلت قام النبي ﷺ خطيبًا فقال: «**يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئًا ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا**»[2] هذا فيه أيضًا درس لأهل الشرك هذا رسول الله هو أزكى الناس وأقرب الناس إلى الله سبحانه وتعالى ومع ذلك يقول لقومه ولأسرته ولعشيرته ولذريته: لا أغني عنكم من الله شيئًا فهو ﷺ قد قام خطيبًا امتثالًا لأمر الله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾ والإنذار هوالإعلام المقرون بتخويف والعشيرة قبيلة الرجل الأقرب الأقرب فيكون الأقرب الوالد والولد والأخ ثم الأعمام والأخوال وبقية العصبة والإنذار على قسمين كما ذكر العلماء: إنذار عام كما قال سبحانه: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١] وإنذار خاص: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ

(١) البخاري (٢٦٠٢) ومسلم (٢٠٦).

(٢) البخاري (٢٦٠٢) ومسلم (٢٠٦).

ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [يس:١١] إنذار عام وإنذار خاص وهذه هي دعوة محمد ﷺ فقال النبي ﷺ: «**يا معشر قريش**» والمعشر هم الجماعة وقريش قيل هو فهر بن النضر بن مالك وهم أجداد الرسول ﷺ فقال: «**اشتروا أنفسكم**» أي بتوحيد الله وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له وذلك أن قومه كانوا على الشرك، لكن اسمع قال: «**لا أغني عنكم من الله شيئًا**» أنا لست بنافعكم أنتم تشترون أنفسكم من الله تبارك وتعالى قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ قوله: «**لا أغني عنكم من الله شيئًا**» قال:

فيه حجة على من تعلق على الأنبياء والصالحين ورغب إليهم ليشفعوا له وينفعوه أو يدفعوا عنه فإن ذلك هو الشرك الذي حرمه الله تعالى وقام نبيه ﷺ بالإنذار عنه كما أخبر تعالى عن المشركين في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] وقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس:١٨] فأبطل الله ذلك ونزه نفسه عن الشرك، انتهى كلامه رحمه الله.

وفي قوله: «**يا عباس بن عبد المطلب**» يجوز بالنصب يا عباسَ ابنَ يا عباسُ بنَ يجوز الرفع والنصب في قوله: «**يا عباس بن عبد المطلب**» «**ويا صفية عمة رسول الله**» «**ويا فاطمة بنت محمد**» أما قوله: «**يا عباس**» فيكون منادى مبني على الضم في محل نصب بمعنى أدعو عباس وأما النصب المباشر يا عباسَ فيكون من حيث الإضافة مضاف إلى ابن يجوز حينئذ النصب قال: «**يا عباس بن عبد المطلب**» والعباس عم النبي ﷺ يا عباس بن عبد المطلب عمه رضي الله تعالى عنه وأرضاه فقد أسلم العباس وقوله: «**ابن المطلب**» هو علم يعرف به والنبي ﷺ ناداه على حسب ما كان مشهورًا كما قال ﷺ: «**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب**»(١) والشاهد من هذا أنه

(١) البخاري (٢٧٠٩) (٢٧١٩) (٢٧٧٢) ومسلم (١٧٧٦) وأحمد (١٨٤٩١) (١٨٤٩٨) (١٨٥٦٣) =

قال: «**لا أغني عنك من الله شيئًا**» وهذا العباس هو والد عبد الله بن عباس وإليه تنسب الدولة العباسية، والمشكلة أن الرافضة يؤلهون العباس من دون الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم قال: «**يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا**» فلو أن المشركين يتأملوا في مثل هذا ويراجعون حسابهم فيما يقررونه ويقولونه لكان خيرًا لهم في الدنيا والآخرة هذا رسول الله نادى قبيلته على وجه العموم ثم خصص العباس وصفية وفاطمة هؤلاء ذرية النبي ﷺ محمد عليه الصلاة والسلام صاحب المقام الرفيع لا يملك لهم من الله شيئًا يقول: «**اشتروا أنفسكم**» أي بتوحيد الله أنقذوا أنفسكم من النار بتوحيد الله وحدوا الله أخلصوا العبادة لله سبحانه وتعالى قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن:

قوله: «**سليني من مالي ما شئت**» بين رسول الله ﷺ أنه لا ينجي من عذاب الله إلا الإيمان والعمل الصالح وفيه أنه لا يجوز أن يسأل العبد إلا ما يقدر عليه من أمور الدنيا وأما الرحمة والمغفرة والجنة والنجاة من النار ونحو ذلك من كل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فلا يجوز أن يطلب إلا منه تعالى فإن ما عند الله لا ينال إلا بتجريد التوحيد والإخلاص له بما شرعه ورضيه لعباده أن يتقربوا إليه به فإذا كان لا ينفع بنته ولا عمه ولا عمته ولا قرابته إلا ذلك فغيرهم أولى وأحرى وفيه قصة عمه أبي طالب وفي قصة عمه أبي طالب معتبر، أبو طالب كان يحوط النبي ﷺ برعايته ويحفظه بوجاهته ومع ذلك هو في النار لأنه لم يسلم قال: فانظر إلى الواقع الآن من كثير من الناس من الإلتجاء إلى الأموات والتوجه إليهم بالرغبات والرهبات وهم عاجزون لا

=

وابن حبان (٤٧٧٠) (٥٧٧١).

يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا فضلًا عن غيرهم يتبين لك أنهم ليسوا على شيء إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون أظهر لهم الشيطان الشرك في قالب محبة الصالحين وكل صالح يبرأ إلى الله من هذا الشرك في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ولا ريب أن محبة الصالحين إنما تحصل لموافقتهم في الدين ومتابعتهم في طاعة رب العالمين لا باتخاذهم أندادًا من دون الله يحبونهم كحب الله إشراكًا بالله وعبادة لغير الله وعداوة لله ورسوله والصالحين من عباده كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧].

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الآية بعد كلام سبق:

ثم نفى أن يكون قال لهم غير ما أمر به وهو محض التوحيد فقال:

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ ثم أخبر أن شهادته عليهم مدة مقامه فيهم وأنه بعد الوفاة لا اطلاع له عليهم وأن الله جَلَّ وَعَلَا المنفرد بعد الوفاة بالإطلاع عليهم فقال: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ وصف الله سبحانه بأن شهادته فوق كل شهادة وأعم قال الشيخ: قلت ففي هذا بيان أن المشركين خالفوا ما أمر الله به رسله من توحيده الذي هو دينهم الذي اتفقوا عليه ودعوا الناس إليه وفارقوهم فيه إلا من آمن فكيف يقال لمن دان بدينهم وأطاعهم فيما أمروا به من إخلاص العبادة لله وحده إنه قد تنقصهم بهذا التوحيد الذي أطاع به ربه واتبع فيه رسله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ونزه به ربه عن الشرك الذي هو هضم

للربوبية وتنقص للألوهية وسوء ظن برب العالمين والمشركون هم أعداء الرسل وخصماؤهم في الدنيا والآخرة وقد شرعوا لأتباعهم أن يتبرؤوا من كل مشرك ويكفروا به ويبغضوه ويعادوه في ربهم ومعبودهم قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين.



فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها شجهم نبيهم وحرصهم على قتله، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل عليه في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨].

السابعة: قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [آل عمران:١٢٨] فتاب عليهم فآمنوا.

الثامنة: القنوت في النوازل.

التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعن المعين في القنوت.

الحادية عشرة: قصته ﷺ لما أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤].

الثانية عشرة: جِدُّه ﷺ بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن.

الثالثة عشرة: قوله للأبعد والأقرب: «لا أغني عنك من الله شيئًا» حتى قال: «يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئًا» فإذا صرح وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئًا عن سيدة نساء العالمين وآمن الإنسان أنه لا يقول ﷺ إلا الحق ثم نظر فيما وقع في قلوب خواصّ الناس اليوم تبين له التوحيد وغربة الدين.



ثم قال الشيخ محمد رحمه الله: فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين، الآية الأولى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف:١٩١] والآية الثانية: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣].

الثانية: قصة أحد وما كان فيها من أن الله تبارك وتعالى نهى نبيه ﷺ أن يدعوَ على أولئك الناس وبين أنه ليس له شيء كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨].

الثالثة: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة كما كان يدعو على صفوان بن أمية والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار ومع ذلك نهاه وفي هذا أنه لا ينبغي تقنيط العاصي.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار منها شجهم نبيهم وحرصهم على



قتله ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم نسأل الله السلامة والعافية يعني على أن النبي ﷺ كان له مبررات ولكن هو لا يملك شيئًا الذي يمتلك الأشياء هو الله تبارك وتعالى.

السادسة: إنزال الله عليه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ عتاب.

السابعة: **قوله:** ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فتاب عليهم فآمنوا كما جاء في العام الثامن في فتح مكة.

الثامنة: قنوت النوازل وهذا متى ما نزلت بالمسلمين نازلة شرع للإمام ولنائبه أن يخبر الناس فيدعون لأن هذا أمر مصلحته على الجميع.

التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعن المعين في القنوت، وهذا قد نهي عنه النبي ﷺ.

الحادية عشرة: قصته ﷺ أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]، دعا القبيلة «**يا بني عبد مناف**» ثم «**يا عباس**» «**يا صفية**» «**يا فاطمة**».

الثانية عشرة: جده ﷺ بحيث فعل ما نسب إليه الجنون وكذلك لو يفعله مسلم الآن وذلك أنه ﷺ كان نشيطًا في تبليغ الدعوة.

الثالثة عشرة: قوله للأقرب والأبعد: «**لا أغني عنك من الله شيئًا**» لا يغني عنهم شيئًا وهو رسول الله سيد الأولين والآخرين وخليل رب العالمين وأمير الأنبياء والمرسلين «**يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئًا**» فإذا صرح ﷺ وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني عنهم شيئًا عن سيدة نساء العالمين وآمن الإنسان أنه ﷺ لا يقول إلا الحق ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس الآن تبين له التوحيد وغربة الدين وذلك - بارك الله فيكم - أن أغلب الناس الآن ربما اتكل على المقبورين



وعلى يعني الصالحين فيدعوهم ويتقرب إليهم وهناك من يشجع على هذا كالصوفية والرافضة فهم يحرضون الناس على الإشراك لا سيما شرك القبور المنتشر في مثل أيامنا هذه نقول لهم هذا نبينا ﷺ ما هو قادر ولا باستطاعته أن ينفع ابنته ولا عمته ولا عمه ولا قبيلته فضلًا عن هؤلاء المخلوقين الضعفاء المربوبين الذين هم بحاجة ماسة إلى أن ينفعوا أنفسهم فضلًا عن غيرهم نكون بهذا قد أتينا على آخر الباب نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.




باب قول الله تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]

باب قول الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]

في هذا الباب صدر المؤلف هذه الآية الشريفة من كتاب الله فجعلها ترجمة ووجه الشاهد منها بيان ما عليه الملائكة من الخضوع والفزع والخوف حينما يسمعون كلام ربهم ﷻ وهؤلاء الملائكة من أقرب المخلوقات إلى الله ومن كان بالله أعلم كان منه أخوف وله أرجى فمع قربهم يخافون كما قال سبحانه:

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل:٥٠] وكما قال سبحانه: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢] وكما قال ﷻ: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت:٣٨] وفي هذا رد على المشركين الذين كانوا يدعون الملائكة ويستغيثون بهم من دون الله كما كان الشأن بالبعض من المشركين في الجاهلية الإستغاثة والإستعانة بالجن كما قال ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] فلا يجوز الإستعانة والإستغاثة بالجن ولا بالملائكة ولا الخوف منهم وإنما الخوف من الله والإستعانة بالله

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره ولا يهيضون عظمًا أنت كاسره

فالإستغاثة والإستعانة إنما تطلب من الله فهو الذي يمتلكها والله ﷻ قد أرشدنا إلى ذلك فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] والنبي ﷺ يقول: «**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**»(١).

فيقول المؤلف رحمه الله: باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ [سبأ:٢٣] والمراد بالفزع الهروب والنهوض من شدة الخوف قال: إذا فزع عن قلوبهم وفي هذا إثبات أن للملائكة أيضًا قلوب وأنهم مخلوقات وأنهم أجسام قالوا: ماذا قال ربكم؟ هم لا يعلمون الغيب يسأل بعضهم بعضًا ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق الله هو الحق ولا يقول إلا الحق يقول بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق إي قال ربنا ﷻ الحق كما قال سبحانه:

﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ﴾ [ص:٨٤] وقال سبحانه: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ [الأنعام:١١٥] وقال ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢] والعلماء يعربون كلمة ماذا إعرابين:

الإعراب الأول: أن ماذا كلها استفهامية ماذا أداه استفهام لا محل لها من الإعراب.

(١) صحيح: الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (٢٦٦٩) والمعجم الكبير (١١٤١٦) ومسند أبي يعلى (٢٥٥٦) وانظر مشكاة المصابيح (٥٣٠٢).



وبعضهم من يعرب ما اسم استفهام مبتدأ وذا موصولية خبر قال ابن مالك:

ومثل ماذا بعد ما استفهام أو من إذا لم تلغ في الكلام

قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ [سبأ:٢٣] من العلو والله ﷻ له العلو المطلق علو القهر وعلو القدر وعلو الذات فعلو القهر وعلو الذات وكذلك علو القدر علو القدر وعلو القهر أمر متفق عليه وهكذا أيضًا علو الذات متفق عليه بين أهل السنة من أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا ولكن هناك من جحد صفة العلو على أنها ثابتة في كتاب الله وفي سنة النبي ﷺ فقد استفاضت الأدلة في ذلك حتى قال بعض العلماء: إنه يستطيع أن يستنبط ألف دليل على علو الله ﷻ من ذلك قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] وقال سبحانه: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠] وقال سبحانه ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى:١] وكان النبي ﷺ يقول: «**سبحان ربي الأعلى**»(١) وكان ﷺ يشير إلى السماء في خطبة عرفة يقول: «**اللهم هل بلغت اللهم فاشهد ويشير بالسبابة إلى السماء**»(٢) وقال سبحانه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦]﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ وقال سبحانه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١١] وفي صحيح مسلم قال النبي ﷺ للجارية: «**أين الله؟**» قالت: في السماء قال لمولاها معاوية السلمي: «**اعتقها فإنها**

---

(١) مسلم (٧٧٢).

(٢) صحيح: ابن ماجة (٣٠٧٤) وسنن الدارمي (١٨٥٠) وصحيح ابن خزيمة (٢٨٠٩) وابن حبان (٣٩٤٤) وسنن البيهقي الكبرى (٨٦٠٩) وسنن النسائي الكبرى (٤٠٠١) وغيرهم وانظر صحيح سنن ابن ماجة للألباني رحمه الله برقم (٢٤٩٤).

مؤمنة»(١) وهناك كتاب للإمام الذهبي بعنوان العلو للعلي الغفار، ذكر فيه وحشد فيه أدلة كثيرة كلها تثبت العلو لله تبارك وتعالى وما خالف في ذلك إلا الجهمية ومن ذهب مذهبهم من أهل الضلال وإلا فالله سبحانه وتعالى علمه في كل مكان لكن ذاته في السماء ومن الأدلة المعراج فإنه كان إلى السماء وهكذا أيضًا الناس إذا دعوا إنما تدلهم فطرهم على من في السماء يرفعون أكف الضراعة إلى الله سبحانه وتعالى والكبير صاحب الكبرياء ثم بعد ذلك يفسر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هذه الآية بحديث النبي ﷺ وهذا وجه من أوجه التفسير فإن التفسير لكتاب الله على ثلاث مراحل أو أربع مراحل:

المرحلة الأولى أن يفسر القرآن بالقرآن، فالقرآن فيه الإجمال والتفصيل والمطلق والمقيد والعام والخاص يعرف في ذلك من درس في أصول الفقه.

ويفسر القرآن بسنة النبي ﷺ كما في هذا الشاهد وكما في قوله سبحانه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧] فسرها النبي ﷺ بقوله: «**ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي**»(٢) وهكذا أفعال الصلاة والصيام والحج الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٦] لكن رسول الله ﷺ قال: «**لتأخذوا عني مناسككم**»(٣) والله تبارك وتعالى قال: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] لكن رسول الله قال: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(٤) قال سبحانه: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] لكن القدر والكم

---

(١) مسلم (٥٣٧) وأبو داود (٩٣٠) والنسائي (١٢١٨).

(٢) مسلم (١٩١٧) وأبو داود (٢٥١٤) والترمذي (٣٠٨٣) وابن ماجة (٢٨١٣).

(٣) مسلم (١٢٩٧) وأبو داود (١٩٧٠) والنسائي (٣٠٦٢) و سنن البيهقي الكبرى (٩٣٠٧) والطبراني في مسند الشاميين (٩٠٨).

(٤) البخاري (٦٠٥).

والنوع بينه رسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله إذن يفسر القرآن بالقرآن ويفسر القرآن بالسنة ويفسر القرآن بأقوال الصحابة فإنهم عاصروا زمن الوحي فالصحابة هم تلامذة رسول الله ﷺ ويفسر القرآن بلغة العرب لا سيما لغة قريش فإن القرآن نزل بلهجتهم ولغتهم فهم العرب أصالة وصلابة فيفسر القرآن بهذه المراحل ولا عبرة بمن يفسر القرآن الآن بما يسمى الآن بالإعجاز فهذه ربما توافق القرآن هكذا عفويًا وربما لا توافقه فلا نجعل هذه النظريات دليلًا على القرآن وإنما إن وافقت القرآن هكذا عفويًا فالحمد لله وإذا لم توافقه فالقرآن هو القرآن ماسك لأصالته وفصاحته وبلاغته والمقصود من ذلك التعبد به لله ﷻ فإن الله سائلنا عن هذا الكتاب قال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤] ومعنى ذكر أي شرف وقال ﷻ في كتابه الكريم: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٢ - ٣] وقال سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ [طه: ١٢٤].



وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا قَضى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضربَتِ المَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣] فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، (وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ، فَحَرَّفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ)، فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ،

فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ. فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ»(١).



قال: وفي الصحيح والمراد بذلك صحيح البخاري وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء**» والقضاء قضاء كوني وقضاء شرعي فما قد قدره الله وقضاه يسمى قضاءً كونيًا والآيات والأحاديث يسمى قضاءً شرعيًا قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها**» خوف من الله ﷻ «**خضعانًا**» خضعانًا مفعول لأجله أي من أجل هذا الصوت المسموع ومعنى ذلك أنهم خاضعين قال: «**كأنه سلسلة على صفوان**» والسلسلة الصوت والمراد بالصفوان الحجر الأملس يسمى الآن الصفا «**ينفذهم ذلك حتى إذا فزع عن قلوبهم**» أي إذا جاوز هذا الخوف قلوبهم أفاق هؤلاء الملائكة «**قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق**» قال بعضهم لبعض: ماذا قال قالوا: الحق أي أن الله قال الحق قضاءً شرعيًا أو قضاءً كونيًا «**وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع وهذا من الملائكة وكانوا كثيرين قبل البعثة لكن بعد ذلك منعوا إلا قليلًا كما قال سبحانه:** ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن:٩] **ومسترق السمع من السرقة لأنه يأخذ الشيء خفية ومن ذلك سمي السارق سارقًا لأنه يسرق الشيء خفية عن أعين الناس حتى لا يرى وجزاؤه قطع اليد كما قال الله في كتابه الكريم:** ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ

(١) البخاري (٤٤٢٤).

حَكِيمٌ﴾ [المائدة:٣٨] «**قال: فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضه فوق بعض**» وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه يعني أمال هكذا وفرق يعني بين ذلك بيانًا أن هؤلاء الجن يصعد بعضهم على بعض هكذا وهذا مثال شرحه سفيان لطلابه فما زال العلماء بعضهم يشرحها لبعض وهذا أسلوب من أساليب التعليم الفعلية كما جاء في الصحيح عن ابن مسعود أن النبي ﷺ رسم خطًا ثم قال: «**هذا صراط الله المستقيم ثم قرأ** ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣] **ثم رسم خطوطًا عن جنبات هذا الصراط**» الخط هذا عن جنباته رسم خطوطًا صغار «**قال: هذه سبل الشيطان فما من سبيل من هذه إلا عليها شيطان يدعو الناس إليها**»(١) فهذا أسلوب بليغ من أساليب التعليم بينه سفيان بن عيينة أبو محمدٍ الهلالي الكوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لطلابه وقد كان سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كان من أوعية العلم والحديث، «**قال: فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر**» السحر لغةً: ما لطف وخفي سببه ومن ذلك سمي السحَر وقت يعني وقت غلبته ظلام ولكن سيبزغ الفجر بعد قليل سحَر ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾ [القمر:٣٤] وأما السحر في الإصطلاح: فهو عبارة عن رقى وتعوذات بالجن استعاذات بالجن يتوصل بذلك الساحر إلى أن يؤثر على بدن المسحور وعقله وقلبه وفكره وتصوره هذا قسم.

القسم الثاني: هو عبارة عن أدوية يستميلون بها العقل من حيث الحكم كما جاء

---

(١) صحيح: ابن ماجة (١١) وأحمد (٤١٤٢) والدارمي (٢٠٢) وانظر صحيح ابن ماجة (١١).

في بعض الآثار: «**حد الساحر ضربة بالسيف**»(١) سواء كان من الذي هو استعاذات بالجن ورقى أو كان عبارة عن أدوية وعقاقير، أما الأول الذي هو الرقى والتعوذات فصاحبه كافر وقد أفصح القرآن في عدة مواضع على كفر الساحر قال سبحانه:

﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ [يونس:٧٧]﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩] وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾ [البقرة:١٠٢] بمعنى إذا كفر علموه ويقول النبي ﷺ: «**من اقتبس شعبة من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**»(٢) أي زاد ما زاد في الكفر.

أما القسم الثاني الذي هو الأدوية وكذا فلا يكون بذلك كافرًا لكن هو على جريمة خطيرة فقد قال النبي ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات ومنها السحر**»(٣) والسحرة هم أولياء الشيطان كما قال سبحانه: ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ﴾ [الأنعام:١١٢] وكما قال ربنا ﷻ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢].

وأما الكاهن هو الذي يخبر بالمغيبات في المستقبل قال: «**حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها**» ليس المراد بالشهاب النجم،

---

(١) ضعيف: الترمذي (١٤٦٠) والحاكم (٨٠٧٣) والدارقطني (١١٢) انظر حديث رقم: ٢٦٩٩ في ضعيف الجامع.

(٢) صحيح: أبو داود (٣٩٠٥) وابن ماجة (٣٧٢٦) وأحمد (٢٨٤١) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٥٦٤٦) انظر حديث رقم: ٦٠٧٤ في صحيح الجامع.

(٣) البخاري (٢٦١٥) ومسلم (٨٩).

النجم لو أنزل على الأرض لأحرقها ولكن هذه الشهب تسمى عند بعض أهل الطبيعة بالنيازك نيزك يعني إضاءة قوية جدًا تتبع هذا الشيطان حينما يسترق السمع من السماء قال: «**ربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء**» وقد قالت عائشة: يا رسول الله وقد سألته عن الكهنة قال: «**ليسوا بشيء تلك الكلمة يسمعها الجني من الحق أو من الملك فيقرقرها في أذن سيده كقرقرة الدجاجة يزيد معها مائة كذبة**»(١) وهذا فقط عدد تقديري تقريبي وإلا فقد ينقص وقد يزيد أكثر من ذلك وقد قال ﷺ: «**فلا تأتوهم**» وقال: «**من أتى عرافًا أو كاهنًا فسأله فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»(٢) وفي بعض الروايات:

«**لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**»(٣) ففي هذا الحديث عدة فوائد:

أولًا: فيه رد على الطائفة الخبيثة القرآنية الذين يقولون بظاهر القرآن يأخذون بالقرآن ولا يأخذون بأحاديث النبي ﷺ وقد قال ﷺ: «**رب رجل شبعان ريان يجلس على أريكته**» أي على كرسيه «**يأتيه الأمر من أمري فيقول: بيني وبينكم القرآن**» قال النبي ﷺ: «**وإنما أوتيت القرآن ومثله معه**» رواه أبو داود من حديث المقداد بن معد كرب(٤) وهذه الطائفة تسمى بالقرآنية وتسمى بالفرماوية وتسمى أيضًا بجماعة

(١) البخاري (٧١٢٢).

(٢) صحيح: ابن ماجة (٦٣٩) وأحمد (٩٥٣٢) والدارمي (١١٣٦) انظر حديث رقم: ٥٩٣٩ في صحيح الجامع.

(٣) مسلم (٢٢٣٠).

(٤) صحيح: الترمذي (٢٦٦٤) انظر حديث رقم: ٢٦٥٧ في صحيح الجامع.



التكفير والهجرة فهنا النبي ﷺ فسر في حديثه الكتاب العظيم هو الذي جاء بالقرآن وهو الذي جاء بالسنة.

ثانيًا: فيه إثبات صفة العلو

الحديث فيه فوائد:

الفائدة الأولى: الرد على الطائفة القرآنية الخبيثة الذين ينحون السنة جانبًا بل يلحدون بها ويقولون نكتفي بالقرآن وهم بذلك يخالفون من جاء بالقرآن من عند الله تبارك وتعالى وهو محمد ﷺ كما قال ربنا جل وعلا: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥] فالذي جاء بالقرآن هو رسول الله وهو الذي أمرنا أن نأخذ بالقرآن وأن نأخذ بالسنة فقد قال ﷺ: «**رب رجل شبعان ريان يجلس على أريكته أي على كرسيه يأتيه الأمر من أمري فيقول: بيني وبينكم القرآن قال: وإنما أوتيت القرآن ومثله معه**» فما حرم الرسول في السنة كما حرم الله في القرآن تمامًا سواء بسواء والحديث رواه أبو داود من حديث المقداد بن معد كرب رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

في الحديث صفة العلو لله تبارك وتعالى وهو العلو المطلق علو القدر وعلو القهر وعلو الذات.

فيه أيضًا عدم جواز تعلق الآدميين بالملائكة فالملائكة مخلوقون مربوبون هم عباد لله فنحن إنما نؤمن بهم لكن لا ندعوهم من دون الله ولا نستغيث بهم من دون الله سبحانه وتعالى فهم يخافون كما قال سبحانه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم﴾ [النحل:٥٠] وكما في هذا الحديث: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ [سبأ:٢٣] تحصل لهم فزعة وهكذا

جاء في بعض الآثار أن النبي ﷺ قال: «**أطت السماء وحق لها أن تئط**» أي تحركت سمع لها اهتزاز قال: «**ما فيها موضع شبر إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد يدعو الله إلى يوم القيامة**»(١).

في الحديث إثبات استراق الشياطين للسمع.

وفيه بطلان السحر والكهانة.

وفيه أيضًا قبول النفوس للباطل شوف كيف الآن قال: «**فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء**» بعض الناس يصدقون هذا الكاهن وهذا الساحر يقولون: أليس قد قال لنا في يوم كذا، كذا وكذا؟ وما أكثر النفوس التي تتابع أهل الباطل سواء في هذا الباب أو في أبواب أخرى الذين يتابعون الصوفية الرافضة الشيعة الحزبيين الذين يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الذين يدعون الناس إلى الضلالة إلى الغواية إلى الشهوة إلى الميوعة الذين يدعون الناس إلى الفجور وإلى قلة الحياء وقلة الخير هذا أيضًا من الباطل الذي نهينا عن متابعته فقد قال ربنا سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].



---

(١) الترمذي (٢٣١٢) وأحمد (٢١٥٥٥) والحاكم (٣٨٨٣) انظر حديث رقم: ٢٤٤٩ في صحيح الجامع.

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ، تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ، (أَوْ قَالَ: رِعْدَةٌ شَدِيدَةٌ)، خَوْفًا مِنَ اللهِ عز وجل، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهَلُ السَّمَوَاتِ صَعِقُوا وَخَرُّوا لله سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى المَلائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: قَالَ الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ، فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عز وجل»(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك خصوصًا من تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

الثالثة: تفسير قوله: ﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣].

الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة: أن جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله: قال: كذا وكذا.

السادسة: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام.

السابعة: أنه يقول لأهل السماوات كلهم، لأنهم يسألونه.

الثامنة: أن الغشي يعم أهل السماوات كلهم.

(١) ضعيف: الطبراني في مسند الشاميين (٥٩١) وانظر ظلال الجنة برقم (٥١٥).



التاسعة: ارتجاف السماوات بكلام الله.

العاشرة: أن جبريل عليه السلام هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله.

الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين.

الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضًا.

الثالثة عشرة: إرسال الشهب.

الرابعة عشرة: أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة: كون الكاهن يصدق بعض الأحيان.

السادسة عشرة: كونه يكذب معها مائة كذبة.

السابعة عشرة: أنه لم يصدق كذبه إلا تلك الكلمة التي سمعت من السماء.

الثامنة عشرة: قبول النفوس للباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة.

التاسعة عشرة: كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها.

العشرون: إثبات الصفات خلافًا للأشعرية والمعطلة.

الحادية والعشرون: أن تلك الرجفة والغشي خوف من الله عز وجل.

الثانية والعشرون: أنهم يخرون لله سجدًا.





ثم قال المؤلف: وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة أو قال: رعدة شديدة خوفًا من الله عز وجل فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا سجدًا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل قال: الحق وهو العلي الكبير فيقول كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله** عز وجل» هذا الحديث ضعفه الدوسري كما في النهج السديد لأن في سنده الوليد بن مسلم وهو مدلس كما تعرفون تدليس التسوية، ومدلس تدليس التسوية لا يقبل حديثه إذ هو إسقاط ضعيف بين ثقتين ولكن بما تقرر من الآية والحديث للباب فيه غنية عن هذا الحديث الضعيف أسأل من الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما قلنا وبما سمعنا وبما نقول وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل والله أعلى وأعلم وأعز وأكرم.





باب الشفاعة

وقول الله ﷻ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:٥١] وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤].

وقوله: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦].

وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢ - ٢٣].

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك، أو قسط منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

فهذه الشفاعة - التي يظنها المشركون أنها لهم - هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ: «أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ، لا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»(١).

---

(١) البخاري (٣١٦٢) ومسلم (١٩٣).

وقال له أبو هريرة رضي الله عنه: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»(١).

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص - بإذن الله - ولا تكون لمن أشرك بالله، وحقيقته أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيات.

الثانية: صفة الشفاعة المنفية.

الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة.

الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى.

الخامسة: صفة ما يفعله صلى الله عليه وسلم: أنه لا يبدأ بالشفاعة بل يسجد، فإذا أذن له شفع.

السادسة: من أسعد الناس بها؟

السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

---

(١) البخاري (٩٩).



الثامنة: بيان حقيقتها.

قال ابن عباس: قوله: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ﴾ قال: أي بالقرآن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ قال: هم المؤمنون.

وعن الفضيل بن عياض قال: ليس كل خلقه عاتب إنما عاتب الذين يعقلون فقال: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ وهم المؤمنون أصحاب العقول الواعية.

قوله: ﴿لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾ قال الزجاج: موضع ليس نصب على الحال كأنه قال: متخلين من كل ولي وشفيع قال: والعامل فيه يخافون.

وقوله: ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ أي فيعملون في هذه الدار عملًا ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة.

قوله سبحانه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ قال: وقبلها: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الزمر:٤٣] وهذه كقوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] قال: فبين تعالى في هذا الآيات وأمثالها أن وقوع الشفاعة على هذا الوجه منتف وممتنع وأن اتخاذهم شفعاء شرك يتنزه الرب تعالى عنه وقد قال سبحانه: ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [الأحقاف:٢٨] فبين تعالى أن دعواهم أنهم يشفعون لهم بتأليههم أن ذلك

منهم إفك وافتراء وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزمر:٤٤] أي هو مالكها فليس لمن تطلب منه شيء منها وإنما تطلب ممن يملكها دون كل من سواه لأن ذلك عبادة وتأليه لا يصلح إلا لله تعالى، انتهى كلام المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الشفاعة في لغة العرب بمعنى جعل الوتر شفعًا كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ [الفجر: ١ – ٣] فالوتر هو الواحد والشفع هو الإثنان هذا من حيث المدلول اللغوي وأما في الإصطلاح: فالشفاعة هي التوسط للغير في جلب منفعة أو دفع مضرة وعلماء العقيدة والتوحيد يحرصون كل الحرص على هذا الباب ويدخلونه في كتب التوحيد والعقيدة ويعقدون هذه الأبواب والفصول أعني في كتب العقيدة يعنونون لهذا الموضوع موضوع الشفاعة لماذا؟ لأن المشركين في القديم وكذلك في الحديث يعتقدون أن لهذه المألوهات والمعبودات من المقبورين والأحجار والأشجار لهم شفاعة عند الله يعتقدون أن لهم شفاعات كما قال سبحانه قال الله ﷻ حاكيًا عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] فأبطل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هذه العبادة أبطل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذه الفرية أبطل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا الزعم بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزمر:٤٤] وهذا في حقيقة الأمر يعتبر نقص في توحيد هؤلاء وكذلك أيضًا انتقاص لحق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإن الشرك فيه تنقص للذات الإلهية من ناحية الربوبية والألوهية وكذلك مدلولات الأسماء والصفات.

الشفاعة تنقسم إلى قسمين:

شفاعة دنيوية وشفاعة أخروية.

نبدأ بالشفاعة الدنيوية لأنها مختصرة ومعلومة أيضًا، الشفاعة الدنيوية: هي التوسط للغير إما في جلب منفعة أو دفع مضرة وهي على قسمين:

شفاعة حسنة وشفاعة سيئة قال سبحانه: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ﴾ [النساء:٨٥] فأنت تشفع كما في قوله ﷺ:

«**اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء**»(١) تشفع بالخير هذه الشفاعة الحسنة، الشفاعة السيئة أن تشفع لشخص في حد من حدود الله لا تحل الشفاعة في ذلك أو أن تشفع لنيل حرام لارتكاب محذور فهذه لا تجوز، جاء في سنن أبي داود من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله ومن خاصم في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال**»(٢) وفي زمن النبي ﷺ سرقت امرأة مخزومية مخزوم هذه قبيلة قوية هي قبيلة أبي جهل والوليد بن المغيرة قبيلة خالد بن الوليد فكانت المرأة تجحد المتاع تأخذ متاعًا تستعيره وتجحد وتكذب فثبتت الجناية في حقها فقرر المصطفى ﷺ القطع قطع يد السارق قال ﷺ:

«**تقطع يد السارق في ربع دينار**»(٣) والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [المائدة:٣٨] فأهم الناس هذا الأمر همهم هذا الأمر قالوا: كيف تقطع؟ امرأة مخزومية قبيلة قوية مستعدين يدفعون المال فقالوا: لا بد لنا من شفيع يشفع لنا إلى رسول الله فتحاوروا وتشاوروا واتفقوا على أن يشفع عند رسول الله رجل محبوب عند الله وعند رسوله وهو أسامة بن زيد

---

(١) البخاري (١٣٦٥).

(٢) صحيح: أبو داود (٣٥٩٧) انظر حديث رقم: ٦١٩٦ في صحيح الجامع.

(٣) البخاري (٦٤٠٧) ومسلم (١٦٨٤).

العبد الأسود الذي سكن الإيمان في قلبه فغطى على كل عيب فيه فذهب أسامة ليكلم رسول الله ﷺ في هذا الأمر فتغيظ رسول الله وغضب واحمرّ وجهه وقال:

«**أتشفع في حد من حدود الله كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»(١) فالشفاعة في الحدود لا تجوز لكن قبل أن تصل إلى الحاكم لك أن تدرأ لقوله ﷺ: «**ادرؤوا الحدود بالشبهات**»(٢) ادرؤوها بالشبهات ادرؤوها أي ادفعوها ويقول ﷺ: «**من ابتلي بشيء من هذه القاذورات فاستتر فأمره إلى الله**»(٣) هذه قاذورات أوحال هذا ما يتعلق بالشفاعة الدنيوية وقد تقدم لكم الكلام حولها.

أما الشفاعة الأخروية يوم القيامة أولًا وبادئ ذي بدئ هي على قسمين الشفاعة على قسمين:

شفاعة مثبتة وشفاعة منفية، المثبتة هذه لها ثلاثة شروط:

الشرط الأول: الإذن من الله ولهذا دليل.

الشرط الثاني: رضا الله عن الشافع.

الثالث: رضاه ﷻ عن المشفوع له، لا بد من هذه الثلاثة الشروط الإذن من الله، رضا الله عن الشافع، رضا الله عن المشفوع له الدليل لهذه الأقسام قوله ﷻ: ﴿

---

(١) البخاري (٣٢٨٨) ومسلم (١٦٨٨).

(٢) ضعيف: انظر حديث رقم: ٢٥٨ في ضعيف الجامع.

(٣) الموطأ (١٥٠٨).



وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦] وقال سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة:٢٥٥] وقال سبحانه:

﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨] وقال سبحانه:

﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ [طه:١٠٩] فبين أن الشفاعة لا تكون إلا بإذن ولا بد تكون أيضًا عن رضا للشافع والمشفوع له هذه الشفاعة المثبتة.

أما المنفية تستطيع أن تقول: هي ما فقدت شرطًا من هذه الشروط الثلاثة يعني عدم إذن الله للشافع والمشفع عدم رضاه عن الشافع، عدم رضاه عن المشفوع له، إن فقدت شرطًا من هذه الشروط فهي شفاعة منفية.

أما الشفاعة باعتبار الشافع فهي على قسمين:

شفاعة خاصة برسول الله ﷺ لا يشاركه فيها أحد من الناس كما في حديث جابر في الصحيحين قال المصطفى ﷺ: «**أوتيت خمسًا لم يؤتهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل أدركته الصلاة من أمتي فليصل أو فعنده وطهوره وأحلت لي الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة وفي رواية للأسود والأبيض**»(١) الشاهد: وأعطيت الشفاعة ودلّ على ذلك قوله ﷻ:

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:٧٩]

---

(١) البخاري (٣٢٨) ومسلم (٥٢١).

فالقول الصحيح أن المقام المحمود هي شفاعة النبي ﷺ العظمى وهي إراحة الناس لأهل الموقف راحته لأهل الموقف حينما يبلغ بهم الكرب والويل مبلغه فيأتون إلى آدم اشفع لنا يا آدم فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله إذهبوا إلى نوح يأتون إلى نوح فيعتذر ثم إبراهيم ثم موسى فعيسى وكلهم يقدمون الإعتذارات فيقول عيسى بن مريم ائتوا عبدًا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ائتوا محمدًا ﷺ فإذا ما أتوا إليه خر تحت العرش ساجدًا وقال: أنا لها فقال: فأحمد الله بمحامد لم أكن أعلمها من قبل فيقول الله: محمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فقال: فأقول ربي أمتي أمتي الله أكبر هذه هي الشفاعة العظمى نحن قلنا الشفاعة شفاعة خاصة برسول الله ﷺ وهي أنواع هذه الشفاعة العظمى إراحة الناس من الموقف.

ثانيًا: شفاعته ﷺ للمؤمنين بدخول الجنة كما في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعًا**»[(١)] وفي رواية: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأشفع فيقول الخازن من أنت؟ فأقول: محمد فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك**»[(٢)] إذن الأولى الشفاعة العظمى الثانية: شفاعته للمؤمنين بدخول الجنة.

ثالثًا: شفاعته لعمه أبي طالب فقد جاء في البخاري ومسلم من حديث العباس والعباس هو عمّ الرسول ﷺ قال: يا رسول الله ما أغنيت عن عمك أبي طالب فإنه كان يحوطك ويغضب لك قال: «**هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك**

---

(١) مسلم (١٩٦).

(٢) مسلم (١٩٧).

الأسفل من النار»[(١)] هذه ثلاث شفاعات لرسول الله الشفاعة العظمى وإراحة الناس من الموقف وشفاعته للمؤمنين بدخول الجنة وشفاعته لعمه أبي طالب كذلك هذا يكون - بارك الله فيكم - القسم الأول من الشفاعة باعتبار الشافع.

ثانيًا: شفاعة عامة هذه الشفاعات يشترك فيها نبينا ﷺ وقبل ذلك الله شفاعة النبي ﷺ شفاعة الأنبياء شفاعة الملائكة شفاعة المؤمنين شفاعة القرآن شفاعة الصيام شفاعة الوالد شفاعة العالم شفاعة المجاهد شفاعة المصلين الذين يصلون على الجنازة أربعون رجلًا لا يشركون بالله شيئًا من مات وقبر في المدينة تشفع له المدينة من ذلك جاء من حديث ابن عمر عند الترمذي أن النبي ﷺ قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[(٢)] والرافضة ينكرون الشفاعة المعتزلة تنكر الشفاعة الجهمية تنكر الشفاعة والذين حظوا بالخير هم أهل السنة والجماعة حتى جعلوا أحاديث الشفاعة من حتى كانت أحاديث الشفاعة من الأحاديث المتواترة.

قال الإمام البخاري بعد أن ساق السند في كتاب التوحيد في حديث طويل ذكر فيه شفاعة أرحم الراحمين فإليكم الحديث بطوله:

قال نبينا ﷺ: «**إن أهل الجنة يحاجون ربهم في إخوانهم الموحدين من أهل النار قال: فيشفعهم الله فيهم**» وفي البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري قال: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضامون في رؤية الشمس والقمر إذا كان صحوًا قلنا: لا قال: فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في**

---

(١) البخاري (٣٦٧٠) ومسلم (٢٠٩).

(٢) صحيح: أبو داود (٤٧٣٩) والترمذي (٢٤٣٥) وأحمد (١٣٢٤٥) انظر حديث رقم: ٣٧١٤ في صحيح الجامع.

رؤيتهما ثم قال: ينادي منادٍ ليذهب كل قومٍ إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب إلى صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبرات من أهل الكتاب ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: نعبد عزيرًاً بن الله فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا فيقال: اشربوا فيتساقطون في جهنم ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح بن مريم فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا فيقال: اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بر وفاجر فيقال: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم وإنا سمعنا مناديًا ينادي: كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوها أول مرة فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينه آية أي علامة تعرفونه فيقولون: الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهراني جهنم قلنا: يا رسول الله ما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطة أي فيها اتساع لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان المؤمن عليها كالبرق وكالطرف وكالريح وكأجاويد الخيل والراكب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ الجبار وإذا رأوا أنهم قد نجوا بإخوانهم يقولون: ربنا إخواننا الذين كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا فيقول الله تعالى: إذهبوا فمن

وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فاخرجوه ويحرم الله صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقول: إذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوه قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرءوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا﴾ [النساء:٤٠] **قال: فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار: بقيت شفاعتي فيقبض الله قبضة من النار فيخرج أقوامًا قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحِبة في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة أو إلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر وما كان إلى الظل كان أبيض فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن ادخلوهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم: لكم ما رأيتم أو مثله معه»**(١) هذه الشفاعة - بارك الله فيكم - عامة شاملة هذه عامة شاملة شفاعة ربنا شفاعة نبينا محمد شفاعة الملائكة شفاعة النبيين بقي شفاعات، هناك شفاعة لمن استحق النار أن لا يدخلها لحديث: «**إن من أمتي من يشفع للفئام ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلون الجنة**» رواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري(٢)، شفاعة لرفع درجات المؤمنين في الجنة لحديث: «**إن الله ليرفع العبد الصالح الدرجة في الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه فيقول: باستغفار**

---

(١) البخاري (٧٠٠١) ومسلم (١٨٣).

(٢) ضعيف: الترمذي (٢٤٤٠) انظر حديث رقم: ٢٠٠٢ في ضعيف الجامع.

ولدك لك» رواه أحمد من حديث أبي هريرة(١) وأسباب رفع درجات المؤمن في الجنة كثيرة منها الولد الصالح، قراءة القرآن وحفظه، الصيام، سكنى المدينة لحديث: «**لا يصبر على لأوائها فيموت إلا كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة إذا كان مسلمًا**» الحديث في مسلم من حديث أبي سعيد(٢) كذلك أيضًا من أسباب الشفاعات الصلاة على النبي ﷺ لحديث الرسول ﷺ عند مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ فإنه من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله بها عليه عشرًا ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا ينبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة**»(٣) وجاء في حديث أبي الدرداء: «**من صلى عليّ عشرًا إذا أصبح وعشرًا إذا أمسى حلت له شفاعتي يوم القيامة**»(٤) هذا باختصار وهناك كتب قد كتبت في هذا الباب كتب كثيرة جدًا والعلماء علماء العقيدة والتوحيد يهتمون بهذا الجانب لأن هناك من الطوائف المنحرفة من نفت وجحدت كالخوارج والشيعة الإمامية وكذلك المعتزلة والجهمية أيضًا، الأشاعرة نفوا هذه الشفاعات كلها فهذا - بارك الله فيكم - ما أردنا أن نبينه وأن نقرره كذلك أيضًا من الأحاديث التي أردت أن أقولها: شفاعة القرآن وشفاعة الصيام لحديث عبد الله بن عمر بن العاص أن النبي ﷺ قال: «إن

(١) صحيح: أحمد (١٠٦١٨) انظر حديث رقم: ١٦١٧ في صحيح الجامع.

(٢) مسلم (١٣٧٧).

(٣) مسلم (٣٨٤).

(٤) أخرجه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد انظر مجمع الزوائد (١٠ / ١٢٠) وصحيح الترغيب والترهيب (١ / ٢٧٣).

الصيام والقرآن يشفعان لصاحبهما يوم القيامة يقول الصيام: أي ربي منعته طعامه وشرابه وشهواته فشفعني فيه ويقول القرآن منعته نومه بالليل قال النبي ﷺ: فيشفعان»[1] فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى وأن يأخذ بنواصينا للبر والتقوى وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.



(١) صحيح: أحمد (٦٦٢٦) والحاكم (٢٠٣٦) والبيهقي في الشعب (١٩٩٤) انظر حديث رقم: ٣٨٨٢ في صحيح الجامع.



باب قول الله تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦]

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمه الله:

باب قول الله تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص:٥٦]

غرض المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ من عقده لهذا الباب هو الرد غرضه رحمه الله هو الرد على الذين غلوا في النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصوفية ومن شابههم الذين يجعلون للنبي ﷺ تدخل في الكون أو في الحياة والإماتة وليس له من ذلك شيء حسبه أن يكون عبدا رسولا وهذه منزلة أنزله سبحانه وتعالى بها «**أرسل الله جبريل إلى محمد ﷺ أن يخيره أن يكون عبدا رسولا أو ملكا مقربا فقال جبريل للنبي ﷺ: أن تواضع لربك يا محمد فقال: بل عبدا رسولا**»[(١)] والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨] ويقول سبحانه في كتابه الكريم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠/ وفصلت: ٦] والصوفية يرفعون النبي ﷺ فوق منزلته وهو ينهى عن ذلك قائلا: «**لا تطروني كما**

---

(١) صحيح: أحمد (٧١٦٠) وابن حبان (٦٣٦٥) ومسند أبي يعلى (٦١٠٥) وانظر السلسلة الصحيحة (١٠٠٢).



طرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»(١) والبوصيري في بردته يقول:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن آخذا يوم المعاد يدي فضلا ... وإلا فقل يا زلة القدم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

قال بعض العلماء: ما ترك هذا لله شيئا فهذا الباب فيه الرد على الذين غلوا في النبي ﷺ وعلى المشركين الذين يتعلقون بالصالحين يدعونهم ويستغيثون بهم من دون الله والنبي ﷺ يقضي الله أنه لا يمكن أن يهدي من أحب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦] فسبب نزول هذه الآية في عم النبي ﷺ أبو طالب الذي كان يحوط النبي ﷺ ويحميه ولكن لم يسلم لم يدخل في دين محمد ﷺ بل ضل على كفره فرسول الله كان حريصا كل الحرص عليه وعلى أمثاله وعلى غيره من الأمة ولكن باعتباره من آبائه ومن المقربين له لكنه لم يسلم ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦] والمراد بالهداية هنا هداية التوفيق والإلهام لأن الهداية هدايتان: هداية دلالة وإرشاد وهداية توفيق وإلهام فهداية التوفيق والإلهام هذه أمر الله من شاء الله ﷻ له الهداية هداه وأما هداية الدلالة والإرشاد فهذه هي مسئولية العلماء والأنبياء والدعاة والصالحين كما قال ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢] وهكذا: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور:٥٤] وهكذا أثبت الله هداية للقرآن قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩] يهدي وحديث سهل بن سعد في

(١) البخاري (٣٢٦١) (٦٤٤٢) وأحمد (١٥٤) (١٦٤) (٣٣١) (٣٩١) والدارمي (٢٧٨٤) وابن حبان (٤١٣) (٤١٤) (٦٢٣٩) وغيرهم.



صحيح مسلم: «**من دل على هدى كان له مثل أجور من تبعه**»(١) فهداية الدلالة والإرشاد هذه عامة للأنبياء للقرآن للدعاة إلى الله للعلماء وأما هداية التوفيق والإلهام فهذه من شاء الله ﷻ هدايته هداه فقد كتب الله في اللوح المحفوظ أن أبا طالب من أهل النار قضى الله ﷻ وهذه من حكمة الله البالغة وهو الذي لا يسأل عما يفعل فهو ﷻ له الحكمة البالغة والحجة النافذة فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا راد لأمره ولا معقب لحكمه.



وفي الصحيح عن ابن المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية، وأبو جهل فقال له: «يَا عَمِّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عَنْدَ اللَّه» فقالا: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله فقال النبي ﷺ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾ [التوبة:١١٣] وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص:٥٦]»(٢).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ [القصص:٥٦].

---

(١) مسلم (٢٦٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٠) ومسلم (٢٤).



الثانية: تفسير قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ [التوبة:١١٣].

الثالثة: وهي المسألة الكبرى: تفسير قوله: «قل لا إله إلا الله» بخلاف ما عليه من يدعي العلم.

الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل: «قل لا إله إلا الله» فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام.

الخامسة: جده ﷺ ومبالغته في إسلام عمه.

السادسة: الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه.

السابعة: كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له، بل نهي عن ذلك.

الثامنة: مضرة أصحاب السوء على الإنسان.

التاسعة: مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشرة: استدلال الجاهلية بذلك.

الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم لأنها لو قالها لنفعته.

الثانية عشرة: التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين، لأن القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته ﷺ وتكريره، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها.



ثم قال المؤلف: وفي الصحيح المراد بالصحيح هنا الصحيحين والمؤلف ليس له اصطلاح خاص فتارة يعني الصحيحين وتارة يعني أحد الصحيحين البخاري أو مسلما.

قال: عن ابن المسيب، وابن المسيب هو سعيد بن المسيب بن حزن من سادات التابعين بل هو سيد التابعين أما أفضل التابعين فهو أويس القرني كما جاء في حديث صحيح: «**أفضل التابعين أويس القرني**»[(١)] لكن سيد التابعين هو سعيد بن المسيب وهو صهر إبي هريرة زوجه ابنته وسعيد بن المسيب هو من الفقهاء السبعة الذين كانوا في عصر واحد إذا اجمعوا على شيء لا ترد فتواهم كما قال الناظم:

إذا قيل من في العلم سبعة أبحر ... روايتهم عن العلم ليست بخارجة
فقل هم عبيد الله عروة قاسم ... سعيد أبو بكر سليمان خارجة

فهذا العالم الكبير يروي عن أبيه الذي هو حزن قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، أي قارب الموت من أبي طالب يحكي قصة واقعية جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أمية وهذا قد أسلم وحسن إسلامه وأبو جهل أبو جهل هو عمرو بن هشام كان النبي ﷺ يقول كما في السنن:

«**اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب قال وكان أحبهما إليه عمر**»[(٢)] فكانت الكرامة لعمر بن الخطاب كان الاصطفاء والاختيار لعمر بن الخطاب وأما أبو جهل قبحه الله فإنه لم يسلم بل ضل يبذل كل ما في وسعه للصد عن الدعوة وعن الخير وعن الصراط المستقيم وهو الذي جر الفتن في زمانه والويلات على المسلمين من المهاجرين والأنصار فهو المحرض في الغزوة الأولى من الغزوات التي أكرم الله بها المسلمين غزوة بدر الكبرى كانوا

---

(١) أحمد (١٥٩٨٤) والحاكم (٥٧١٧) انظر حديث رقم: ٣٢٧٢ في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: الترمذي (٣٦٨١) والحاكم (٤٤٨٦) والطبراني في الكبير (١٠٣١٤) وانظر صحيح الترمذي (٢٩٠٧).

يقولون له: قد نجت قافلة قريش نجت القافلة قال أبو جهل: لا لا بد أن نأتي بدرا لا بد أن تنحر الجزور وتشرب الخمور وتضرب القيان يعني المغنيات فإذا سمعت بنا العرب فلا زالت تهابنا عياذا بالله وخرج في غزوة بدر قبل الغزوة وفيه من الكبرياء والتبختر قائلا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢] غرورا ورياء وكبرياء **فماذا كان بعد هذا؟** كانت الهزيمة النكرة التي سمعت بها العرب فلا زالت العرب تحتقر ما حصل من أبي جهل وصناديد الكفر بسبب ما فعلوه رجعوا خائبين منهزمين وأبو جهل صعد عبد الله بن مسعود على صدره قال: لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويعي الغنم وكانت هزيمة أخذوا إلى قليب بدر والمراد بالقليب هي الحفرة التي كانت بئرا ولم يكن فيها طواية رموا كما ترمى الزبالة أو الأحذية البالية ثم قام النبي ﷺ على رؤوسهم قال: «**يا أبا جهل يا عمرو بن هشام يا أمية بن خلف يا فلان يا فلان هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإني وجدت ما وعدني ربي حقا؟**» فقال عمر: **يا رسول الله تخاطب هؤلاء النتنى؟** فقال النبي ﷺ: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**»(١) وهذه خاصية للنبي ﷺ أحياهم من أجل أن يستمعوا إلى كلام رسول الله توبيخا وتقريعا وتأنيبا والآية من سورة العلق: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٥ - ١٨] هي في أبي جهل وأضرابه ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ لو اعتدى أو اقترب من نبينا ﷺ مؤاذاة له قال عليه الصلاة والسلام: «**لو فعل لأخذته الملائكة**»(٢) **وأين أبو جهل؟** إنه في سحيق ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا

(١) البخاري (١٣٠٤) ومسلم (٢٨٧٣).

(٢) البخاري (٤٦٧٥)

وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦] فهو فرعون هذه الأمة وحاله كحال فرعون وقوم نوح ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح:٢٥] فهذا الرجل كان عند أبي طالب فالنبي ﷺ يقول: «**يا عم قل لا إله إلا الله**» وفي هذا ما كان النبي ﷺ من الحرص على الدعوة والأخلاق العالية قال له: «**يا عم**» على أنه كان مشرك كافر ولكن هكذا كان صاحب خلق عظيم قال: «**يا عم قل لا إله إلا الله**» هذه هي كلمة التوحيد وهي الكلمة الطيبة وهي كلمة التقوى وهي كلمة المحاجة وهي كلمة الإخلاص «**قل لا إله إلا الله**» قال بعض العلماء: هنا هذه الكلمة في محل نصب على البدلية كأنه يقول: قل كلمة بمحل نصب مقول القول قل: كلمة «**قل: لا إله إلا الله**» أو لا تنفي الآلهات قل لا إله إلا الله إثبات لألوهية الله الحقة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج:٦٢] «**كلمة أحاج لك بها عند الله**» قل هذه الكلمة يا عم فقال له: **أترغب عن ملة عبد المطلب؟** ذكروه بالأجداد ذكروه بالآباء ذكروه بالملة الأولى التي هي احتجاج كثير من المشركين بل ومن المسلمين كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣] نعرة وعصبيات جاهلية قوميات فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادها يعني صراع بين الحق والباطل رسول الله يوجهه إلى الجنة وهم يوجهونه إلى النار رسول الله يوجهه إلى الصراط المستقيم وهم يوجهونه إلى طريق الشيطان الرجيم نسأل الله السلامة والعافية في آخر رمق فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن:

قوله: هو على ملة عبد المطلب الظاهر أن أبا طالب قال: أنا فغيرها الراوي

استقباحا للفظ المذكور وهو من التصرفات الحسنة قاله ابن حجر في فتح الباري وقوله: وأبى أن يقول لا إله إلا الله قال الحافظ: هذا تأكيد من الراوي في وقوع ذلك من أبي طالب وفي هذا دليل أن أبا طالب مات على الكفر خلافا لما تقوله الرافضة: بأنه نبي وخلافا لما تقوله الشيعة: بأنه مات على الإسلام بهذا الدليل وبحديث آخر جاء علي بن أبي طالب إلى النبي ﷺ قائلا: إن عمك الشيخ الضال توفي أو مات قال: «**اذهب فواره**»(١) فهذه أدلة تقتضي الرد على مزاعم الشيعة فإنهم قد ألفوا كتابا بعنوان: المنة في أن أبا طالب في الجنة، ويش الدفاع هذا على أبي طالب من قبل أعوذ بالله من قبل الشيعة والرافضة لماذا دائما يخالفون؟ أعوذ بالله يا إخوان أعوذ بالله دائما يخالفون الحق ويحرصون عليه.

قال: وأبى أن يقول: لا إله إلا الله فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**» اللام هنا موطئة للقسم وفيه دليل على من قال من العلماء بجواز الحلف وإن لم يستحلف العبد فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣] وأنزل الله في أبي طالب ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص:٥٦](٢) في هذا الدرس فوائد من أعظمها:

أهمية الدعوة إلى الله وهذا حاصل من فعله ﷺ ذهب في آخر رمق عمه يدعوه إلى الله سبحانه وتعالى «**لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**»(٣).

---

(١) صحيح: أبو داود (٣٢١٤) والنسائي (٢٠٠٦) ومسند أبي يعلى (٤٢٣) وانظر صحيح أبي داود (٢٧٥٣).

(٢) البخاري (٣٨٨٤).

(٣) البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

ثانيا: مشروعية زيارة المريض وهذا من محاسن هذا الدين «**من عاد مريضا لم يزل في خرفة من الجنة حتى يرجع**»(١) وهكذا: «**من زار مريضا أو عاد أخا له في الله ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا**»(٢) وفي حديث: «**حق المسلم على المسلم ست ومنها عيادة المريض**»(٣).

ثالثا: عظمة لا إله إلا الله وأن أبا طالب لو قالها كانت كافية ولكنه لا حول ولا قوة إلا بالله لم يوفق لها، ولكن اللئيم عن المكارم يشغل، شغل أبو طالب أن يقول: هو على ملة الإسلام وأصر أن يكون على ملة الكفر لا حول ولا قوة إلا بالله.

رابعا: فيه دليل على أن الأعمال بالخواتيم من قوله: فكان آخر ما قال ففيه معنى حديث ابن مسعود في الصحيحين لما قال: حدثنا الصادق المصدوق ﷺ: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك**» يعني بقدر ما يمتضغ يعني مدة أربعة أشهر «**ثم يرسل إليه الملك وينفخ فيه الروح ويؤمر بكتابة أربع كلمات كتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد**» ثم قال ﷺ:

«**فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة**» يعني فيما يبدو للناس بعمل أهل الجنة لكن ما هو على إخلاص نسأل الله السلامة والعافية «**حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع**» قريب من الجنة «**فيسبق عليه الكتاب**» يعني ما كتبه الله

---

(١) مسلم (٢٥٦٨).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٠٠٨) وابن ماجة (١٤٤٣) وأحمد (٨٣٠٨) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٧٨).

(٣) مسلم (٢١٦٢).

«**فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»(١) في آخر حياته يحدد مصيره إما إلى الجنة وإما إلى النار وفيه معنى حديث سهل بن سعد في البخاري(٢) أنهم كانوا في بعض الغزوات قد رأوا رجلا فما ترك من شاردة ولا واردة ولا شاذة إلا بددها وأدركها فقال ﷺ: «**ألا أريكم رجلا من أهل النار؟ قالوا: بلى قال: هذا**» حتى كاد إيمان الصحابة كما يقول الشيخ الألباني يتقلقل ويتزعزع رجل في قلب المعركة يقاتل وينازل من أجل الله وصاحب الشرع العظيم محمد عليه الصلاة والسلام يقضي من اللوح المحفوظ من علم الله أنه من أهل النار سبحان الله فقال بعض الصحابة: أنا صاحبه وهذا فيه دليل على أهمية الإخلاص وأن الشخص ما يعمل من أجل يقال من أجل الشيخ أو من أجل فلان أو من أجل يقال عني لا اعمل لله ولو كان قليلا يبارك الله فيه وأوقات السر والخلوات هي الكفيلة بذلك **فما الذي صار؟** لا حول ولا قوة إلا بالله ما الذي صار قال بعض الصحابة: أنا صاحبه فما زال يدركه وإن توقف وقف معه وإن سار سار بعده فكان في نهاية المطاف أن جرح الرجل فما صبر على الجرح فوضع ذبابة سيفه على صدره ليخرج من ظهره قتل نفسه وتعرفون أن النبي ﷺ يقول:

«**من قتل نفسه بحديدة فحديدته بيده يتوجأ بها في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا**»(٣) فالذنوب والمعاصي لا سيما الذنوب الخفية فهنا بين يدي فائدة:

---

(١) البخاري (٣٠٣٦) ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) البخاري (٦١٢٨).

(٣) البخاري (٥٤٤٢) ومسلم (١٠٩).

أجمع العارفون كما ذكر هذا ابن القيم وغيره على أن ذنوب الخلوات هي أصل الانتكاسات وأن عبادات الخفاء هي أعظم أسباب الثبات فهذا الرجل يقاتل ولكن إيش كان المصير؟ فلما سمع النبي ﷺ قولة هذا الرجل قال ﷺ: «**الله أكبر إنما الأعمال بالخواتيم**»(١).

خامسا: التحذير من جلساء السوء

إذا ما صحبت القوم فاصحب خيارهم ... ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... إن القرين بالمقارن يقتدي

فمن كان جليسه التلفاز أو مجرم من المجرمين فليخش على نفسه، قلبك ليس بيدك فربما ينتكس وعائشة رضي الله عنها تقول: كان من أكثر دعاء النبي ﷺ: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»(٢).

سادسا: الرد على من زعم إسلام أبي طالب من الشيعة والرافضة والخرافيين بدلالة هذا الحديث وبما تقدم.

سابعا: فيه رد في هذه القصة قصة أبي طالب رد على المرجئة القائلين بأنه يكفي الإيمان والمعرفة والاعتقاد وإن لم يحصل عمل هذا ضلال يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة ففيه رد على مزاعم هؤلاء فإن أبا طالب كان يعتقد ويعلم بنص القرآن ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣] وبقوله سبحانه وتعالى:

---

(١) البخاري (٦٢٣٣).

(٢) صحيح: أحمد (٢٤٦٤٨) والطبراني في الأوسط (١٥٣٠) ومسند أبي يعلى (٤٦٦٩) انظر حديث رقم: ٧٩٨٧ في صحيح الجامع.

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [النمل:١٤] وهو القائل:

ولقد علمت بأن دين محمد	من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة وحذار مسبة	لوجدتني سمحا بذاك يقينا
والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتى أوسد في التراب دفينا

وما نفعه هذا.

قال العباس: يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك **فهل ذلك نافعه من شيء؟**

هل نفعته بشيء؟

قال: «**هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»(١) ففيه رد على المرجئة.

ثامنا: فيه تحريم الاستغفار للمشركين ولو كانوا من الأقرباء ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣].

تاسعا: فيه التحذير من التعصب للآباء إن كان الآباء على حق فلنتعصب للحق أما إن كانوا على باطل فلا يجوز التعصب لا للآباء ولا للأجداد ولا للقبائل ولا للمشائخ ولا للعلماء لا يجوز التعصب إلا لكتاب الله أو لسنة النبي ﷺ قال الله حاكيا عن هؤلاء المتعصبين في نار جهنم: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٦٧ – ٦٨] وقال سبحانه: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦] ولله

(١) البخاري (٣٦٧٠) ومسلم (٢٠٩).



در المقبلي حينما قال في العلم الشامخ في كتاب له بعنوان العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشائخ قال:

فدع قصر فضل الله جهلا عليهموا — ولا تغل فيهم واترك التحزبا
ولا عار إن لم تختر لك مذهبا — ودر حيثما دار الدليل لتجتبى
بلا فئة تأوي إليها ومركز — سوى الحق من أدلى به قلت مرحبا

المقبلي له كتاب بعنوان العلم الشامخ وابن الوزير له كتاب بعنوان إيثار الحق على الخلق فلا بد أن يؤثر الحق وأن يقدم وإن كان على قول أبيك وأمك وعلى قول أجدادك فهؤلاء لا ينفعون ولا يضرون إن كانوا على باطل فاترك باطلهم وإن كانوا على حق فتمسك بالحق الذي كانوا عليه ومن المسلمين اليوم لا زال متأثر بما كان عليه أهل الجاهلية الأولى بجهل وإلا لو عرفوا العلم والخير والدعوة لنبذوا هذه الأباطيل وراء ظهورهم فإن الله لما أكرم النبي ﷺ بالإسلام والدعوة وقف في أعظم تجمع إسلامي وهو الحج في يوم عرفة فوقف النبي ﷺ خطيبا أمام الناس دون خجل قال: «**وربا الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين وأول ربا أضعه ربانا ربا العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ**»(١).



(١) مسلم (١٢١٨).



باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم

هو الغلو في الصالحين

أما كلمة باب فلغة: استعمل هذا اللفظ لما يدخل ويخرج منه إلى الشيء من الشيء وإلى الشيء وأما العلماء فألفوا الكتب فسموها كتابا وما في هذا الكتاب من المسائل سموه أبوابا وفصول فالباب في مصطلح المؤلفين والكتاب: هو اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب ولا يأخذ هذا الاسم إلا إذا كان الباب عاما شاملا في أي مسألة من مسائل الفقه مسائل العقيدة فهو يأخذ المسألة من أولها إلى آخرها كما قال أبو الحسن علي بن المديني رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: إن الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه.

أما قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ما جاء أي ما ورد من أدلة الشرع من الكتاب والسنة.

قال: ما جاء أن سبب المراد بالسبب في اللغة: ما يتوصل منه إلى الشيء ومنه قوله سبحانه:

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج:١٥] والمراد بالسبب الحبل فالحبل عبارة عن سبب يمد من مكان إلى آخر وكذا السلم عبارة عن سبب وهكذا الميك هذا الذي أمامي عبارة عن سبب لأنه يوصل إلى أذهان السامعين الكلام العبارات فهذا من حيث اللغة فهو ما يتوصل به إلى الشيء وأما في اصطلاح الأصوليين: فهو ما يلزم من عدمه العدم يعني الآن لو انعدم هذا الميك والكهرباء ما سمعتم هذا الصوت المدوي ما سمعتم هذا الصوت الكبير لكان الصوت عاديا فيقولون: هو ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود يعني قد يكون هذا موجود ولكن لا نستخدمه فلا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته هذا هو تعريف الأصوليين.

قال: ما جاء أن سبب كفر سبب مضاف وكفر مضاف إليه والكفر في اللغة التغطية وسمي الزارع كافر لأنه يكفر الحب أي يغطيه بالتراب والفوارق بين الكفر والشرك قولان للعلماء:

من العلماء من يقول: لا فرق بين الكفر والشرك ويستدل بالآية: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤] ولكن الصحيح أن الكفر أعم من الشرك.

قال: باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم: وهم البشر

الناس من جهة التمثال أشباه — أبوهم آدم والأم حواء
فإن يكن شيء يفاضلون به — فإنما هو الطين والماء

قال: وتركهم عطف على ما تقدم من الإضافات ويصلح وتركهم على أن يكون معطوف على اسم إن.

وقوله: دينهم يكون مفعولا به لترك لأن ترك مصدر والدين في اللغة بمعنى النظام والحكم كما قال الله: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف:٧٦] ومراتب

الدين الإسلامي ثلاث:

الإسلام والإيمان والإحسان كما فسر ذلك نبينا ﷺ بحديث جبريل الطويل قال: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»(١).

قال: هو الغلو والضمير هذا ضمير فصل لا محل له من الإعراب إنما يؤتى به للتوكيد والتأكيد قال: هو الغلو والغلو هو الزيادة على الحد هذا من حيث اللغة وفي الشرع: الزيادة على الحد المشروع ويسمى غلوا وزيادة وطغيان وتنطع والغلو محرم لقوله ﷺ: «**إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**»(٢) هو محرم ويقول ﷺ: «**إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق**»(٣) ويقول صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن هذا الدين يسر فما شاد أحد الدين إلا غلبه**»(٤) ويقول عليه السلام: «**عليكم هديا قاصدا**»(٥) وفي رواية: «**القصد القصد تبلغوا**»(٦) والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة:١٤٣] فالوسطية هي أصل ديننا والنبي عليه السلام يقول: «**بعثت بالحنيفية السمحة**»(٧) ولكن لا إفراط ولا تفريط لأن الدين بين الغلو والجفاء فلا بد أن يكون طرفان ووسط

---

(١) مسلم (٨).

(٢) صحيح: النسائي (٣٠٥٧) وابن ماجة (٣٠٢٩) وأحمد (١٨٥١) وانظر السلسلة الصحيحة (١٢٨٣).

(٣) حسن: أحمد (١٣٠٧٤) والبيهقي في شعب الإيمان (٣٨٨٥) انظر حديث رقم: ٢٢٤٦ في صحيح الجامع.

(٤) صحيح: النسائي (٥٠٣٤) وابن حبان (٣٥١) وانظر السلسلة الصحيحة (١١٦١)

(٥) صحيح: أحمد (١٩٨٠١) وابن خزيمة (١١٧٩) والحاكم (١١٧٦) انظر حديث رقم: ٤٠٨٦ في صحيح الجامع.

(٦) البخاري (٦٠٩٨).

(٧) صحيح: أحمد (٢٢٣٤٥) والطبراني في الكبير (٧٨٨٣) وانظر السلسلة الصحيحة (٢٩٢٤).

فالوسط هو حبيب الله أما أن يشد كتشدد اليهود أو كتشدد الخوارج أو أنه يتسامح ويتساهل كتسامح المرجئة الذي في ميزانهم أن إبليس مؤمن وفرعون مؤمن وهكذا جميع العصاة مؤمنين فهذا ليس من الدين هذا خراب الدين فلا إفراط ولا تفريط

فلا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وجاء في مسند أحمد من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ في صباح ليلة المزدلفة أمر واحدا أن يلتقط له حصى من أجل أن يرمي بها جمرة العقبة الكبرى تحية منى يوم العيد أو ابن عباس هو الذي التقط له قال: فلقطت له حصيات حصى الخذف فلما وضعهن رسول الله ﷺ بيده أو في يده هزها ثم قال: «**نعم بأمثال هؤلاء فارموا إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**»[(١)].

قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله معلقا على هذا الحديث الذي سببه هو أخذ النبي ﷺ حصاة رمي الجمار اسمع إلى شيخ الإسلام ماذا يقول؟ قال:

هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال وسبب هذا اللفظ العلم رمي الجمار وهو داخل فيه مثل الرمي بالحجارة الكبار بناء على أنه أبلغ من الصغار ثم علله بما يقتضي مجانبة هدي من كان قبلنا إبعادا عن الوقوع فيما هلكوا به فإن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك والغلو - بارك الله فيكم - هلاك في الدنيا وفي الآخرة يشد إيش بعد الشد؟ لو أن شخص معه حبل وهو يشد يشد إيش الذي يصير؟ ينقطع أعطيكم فائدة هي والله أغلى من الدنيا وما فيها في

(١) صحيح: ابن ماجة (٣٠٢٩) ومصنف ابن أبي شيبة (١٣٩٠٩) وانظر صحيح ابن ماجة (٢٤٥٥).

صحيح البخاري أن النبي ﷺ دخل على عائشة بنت أبي بكر الصديق وعندها امرأة فقال النبي ﷺ: «**من هذه؟**» وهذا فيه - بارك الله فيكم - استحباب أو شرعية أو جواز أن تسأل أهلك إن كان عندها امرأة وإن أساءت أهلك الظن فلا حرج ربما تسيء الظن من ظنون النساء أنك تريد أن تتزوج بها قال الشيخ ابن عثيمين: فلا بد أن يسأل ربما كانت امرأة سوء تنقل السوء إلى أهلك أو من أهلك إلى الغير فقال ﷺ وهديه خير الهدي: «**من هذه؟**» قالت: فلانة باسمها تذكر من عبادتها فقال نبينا ﷺ: «**مه عليكم من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا**»[١] الحديث رواه البخاري قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: قال الزين بن المنير وكثيرا ما ينقل عنه الحافظ قال: في هذا الحديث علم من أعلام النبوة فقد أدركنا وأدرك من كان قبلنا أنه ما تنطع أو تشدد أحد في الدين إلا هلك وأخبرني أحد طلاب العلم الصادقين الناصحين أنه عرف واحدا جاء بتشدد وتعمق فما هي إلا فترة قرابة شهر وإذا به يترك أشياء أبلغ مما كان ينكرها صار يحلق لحيته ويترك الصلاة أشياء كثيرة جدا وأذكر كلمة والله لا أنساها لأخينا جمال با تيسير جزاه الله خير حينما قال في مسجدنا هذا: إن من أسباب التمييع هو الغلو يشد الشخص يشد يشد فينقطع به الحبل فإذا به بعد ذلك يسقط ويفتر وتعرفون - بارك الله فيكم - رجل كان من أعظم المتشددين رجل في إب لا يستحق أن يذكر هو الآن في جماعات الجهاد انخرط في جماعة الجهاد جماعة الفساد ويقول: ما في داعي للتبليغ والإخوان وأهل السنة كلنا إخوان نعمل للإسلام نعمل للدين قال أحد إخواننا قال: كان في الغرفة العليا فإذا به ينزل إلى الاصطبل نزل إلى الإصطبل لماذا؟ كان عنده شدة وعنده غلو على مستوى أنه كان ينكر على الشيخ

---

(١) البخاري (٤٣).

مقبل وينكر على الألباني وينكر على بن باز يقول: متمذهبة وهو ليس بطالب علم لو قلت له: إعرب جاء زيد أو ضرب زيد عمرا ما يستطيع والله ما يستطيع ما درس النحو ولكن بزعم الزاعمين له أنه كان رجل منهجي إنه رجل جاهل ما يفهم شيء ولكن حفظ له بعض الآثار مثل حديث: «**الخوارج كلاب أهل النار**»(١) ومثل قول محمد بن سيرين لذلك المبتدع: لا يجمعني وإياك سقف ولما أراد أحد المبتدعين أن يتكلم مع سفيان الثوري قال له: كلمة قال: ولا نصف كلمة أخذ له هذه الآثار وإذا به يجادل ويناظر من أجلها إنه كان يقول: دين دين سنة منهج والآن يا فلان ما لك لقد ترك والله لقد ترك تلك الشدة وهذه - بارك الله فيكم - هي مصداق حديث النبي ﷺ: «**هلك المتنطعون**» حديث ابن مسعود في صحيح مسلم قال النبي ﷺ:

«**هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون**»(٢) وهذا عام هلاك في الدنيا وفي الآخرة قال الخطابي: المتنطع هو المتعمق في الشيء المتكلف بالبحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين في ما لا تبلغه عقولهم.

ثم قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ:

ومن التنطع الامتناع من المباح مطلقا كالذي يمتنع من أكل اللحم والخبز ومن لبس الكتان والقطن ولا يلبس إلا الصوف ويمتنع من نكاح النساء ويظن أن هذا من الزهد المستحب قال الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله: هذا جاهل ضال وقال ابن القيم رحمه الله قال الغزالي: والمتنطعون في البحث والاستقصاء قال أبو السعادات: هم المتعمقون الغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم مأخوذ من النطع وهو

(١) صحيح: الطبراني في الكبير (٨٠٤٢) وانظر ظلال الجنة (٩٠٤).

(٢) مسلم (٢٦٧٠).

الغار الأعلى من الفم ثم استعمل في كل متعمق قولا وفعلا «**هلك المتنطعون**».



وقول الله ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [المائدة:٧٧].



ثم بعد هذا يذكر المؤلف دليلا لما ذهب إليه قول الله ﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [المائدة: ٧٧] المراد بأهل الكتاب هم اليهود والنصارى ولماذا سموا بأهل الكتاب؟ لأنهم كانوا يكتبون ويقرؤون والعرب جهال لا يقرؤون ولا يكتبون مشغولون بالتناحر والقتال فيما بينهم والله المستعان فالله ﷻ يقول: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ خطاب لليهود وللنصارى ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ **وهل هذا الخطاب خاص باليهود والنصارى؟** لا بل عام لهم ولغيرهم لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ سواء كانت أمة اليهود أو أمة النصارى أو أمة الإسلام لا تغلوا في دينكم فالنصارى قد غلوا في عيسى بن مريم قالوا: هو إله وقالوا: ابن الله وقالوا: ثالث ثلاثة **واليهود** غالوا في العزير وقالوا: هو ابن الله وهذا كفر ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣] هذا ضلال فالنصارى كان عندهم رهبانية ابتدعوها واليهود حرفوا الكتب المنزلة من عند الله وهم قتلة الأنبياء وهم وراء كل فتنة إلى قيام الساعة يقول سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ هم عندهم حق ولكنهم كتموه وأخفوه فلذلك كان المصلي صباحا ومساء يسأل الله أن يهديه الصراط المستقيم بقوله:

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] طلب ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧]

ومن الذين أنعم الله عليهم؟ هم الأنبياء الرسل الصديقون الشهداء والصالحون كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء:٦٩] فيقول المصلي: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]

فأمر المصلي بهذا قائلا: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ وفسر النبي ﷺ المغضوب عليهم بأنهم اليهود ولا الضالين فسر النبي ﷺ بأنهم النصارى فهذا دليل استدل به المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ على نبذ الغلو وترك الغلو سواء كان في باب العقيدة والتوحيد أم في غير ذلك من أبواب العلم والفقه فلا تغل في باب العقيدة التوحيد ولا في الفقه ولا في الوضوء ولا في الصلاة ولا في الكلام مع الناس ولا في مخالطة الناس ولا تغل حتى في النظافة كثرة النظافة فإنها تؤدي بك في الوسوسة ولا تغل في إخوانك أيضا في محبتهم وبغضهم فلا يكن عندك غلو لا تغل في حب ولا في بغض إياك والغلو يقول ﷺ: «**احبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك يوما ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما**»(١) فإياك أن يكون عندك الغلو في هذا ولا تغل حتى في حب امرأتك ولا في محبة ولدك ولكن ما أحسن العدل والوسطية في كل شيء هذا ما يتعلق بالتعليق على هذه الآية الكريمة.



(١) صحيح: الترمذي (١٩٩٧) والبخاري في الأدب المفرد (١٣٢١) والمعجم الأوسط (٣٣٩٥) انظر حديث رقم: ١٧٨ في صحيح الجامع.

في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] قال:

«هذه أسماء رجال صالحين، من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت»[١].



يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

في الصحيح، والمراد بالصحيح صحيح البخاري وليس له اصطلاح خاص تارة يقول في الصحيح وهو في الصحيحين وتارة يقول في الصحيح وهو في أحدهما وصحيح البخاري أصح الكتب بعد كتاب الله سبحانه وتعالى

صحيح البخاري لو أنصفوه لما خط إلا بماء الذهب

قال: في الصحيح عن ابن عباس وابن عباس هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب هاشمي وهو قريب النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمه ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم والتقى به الرسول صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة في الفتح فعاش مع النبي صلى الله عليه وسلم قرابة كم؟ ثلاث سنوات أو أربع سنوات ومات النبي صلى الله عليه وسلم وهو قد حفظ المفصل وكان قد ناهز الاحتلام يعني بداية الشبة وكان قد حفظ من سورة الناس إلى الأحقاف وقيل: إلى سورة ق هذا هو المفصل ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[٢] فنفعه الله

(١) البخاري (٤٦٣٦).

(٢) البخاري (١٤٣).



بهذه الدعوة ثم بالحرص لا بد من الحرص

بقدر الكد تكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي
ومن رام العلو أي طلبه من غير كد ... أضاع العمر في طلب المحال
تروم العز ثم تنام ليلا ... يغاص البحر في طلب اللآلي

كان له همة كان لابن عباس همة والهمة دليل على كمال عقل الرجل حينما يكون الشخص عنده همة وكانت الهمة هذه في مجال عظيم في مجال العلم الفقه قيادة الأمة إلى الخير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان يذهب يطلب العلم عند كبار الصحابة عند زيد بن ثابت ويأخذ عن أبي بكر وعمر وعلي وفلان وفلان كبار الصحابة وكان يأخذ بلجام بغلة أو ناقة زيد بن ثابت ويقبل يده ويقول: «**هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا**» وكان يذهب إلى زيد بن ثابت وقت القائلة وقت القيلولة فتأتي الرياح فتسف الرمل إلى وجهه وهو منتظر متى يخرج شيخه زيد بن ثابت فيقول له زيد: يا ابن عم رسول الله والله لو أرسلت إلي لأتيناك إلى رحلك فيقول: العلم يؤتى ولا يأتى إليه تأمل الآن قارن الآن لو أن الشخص عقد درس روحوا صيحوا لفلان صيحوا لفلان قولوا له: يأتي يطلب العلم يا فلان تعال تعال يا فلان لو سمحت بهذا الجاه اقرب تعال اطلب وابن عباس يذهب يبحث عن الفائدة وعن المسألة ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢] والله وصمة عار يا إخوان يأتي وقت الدرس ما أدري في أي صفحة المدرس ولا ماذا أخذت بالأمس وكأنك لست بشيء فمرة من المرات قال ابن عباس لأحد الأنصار ابن عباس مهاجري قال له: يا فلان لو نطلب العلم لا يزال أصحاب النبي ﷺ متواجدين قال له: **أترى يا ابن عباس أيحتاج الناس لك؟** الناس

عندهم أبو بكر عندهم عمر عندهم عندهم عندهم قال: فلم ألتفت إلى قوله وأقبل ابن عباس على طلب العلم يطلبه من الصحابة قال: فما هي إلا أيام وإذا بالغزوات يموت فيها أكابر أصحاب النبي ﷺ وإذا بالناس يبحثون عن العلم فيجدونه عند ابن عباس قال: فدخلت مرة المسجد ورأيت حلقة قد اجتمع فيها الناس فقلت:

على من اجتمعوا؟ قالوا: على ابن عباس قال: والله لقد كان ابن عباس أعقل مني وكان رضي الله تعالى عنه وأرضاه عنده في القرآن وفي الحديث وفي الشعر وفي أيام العرب وكان رضي الله تعالى عنه وأرضاه قد رزقه الله الفهم بخلاف أبي هريرة وجابر وابن عمر وأبو سعيد هم من المكثرين صح لكن الفقه بل قال بعضهم: كان المزي صاحب تهذيب الكمال بمثابة أبي هريرة وكان ابن تيمية بمثابة ابن عباس عنده من الفقه وعنده من أيام العرب وعنده من الشعر وعنده من كذا وكذا وكذا ولما كبر سنه عمي وهو القائل:

إن يأخــذ الله مــن عينــي نورهمــا ففــي فــؤادي وقلبــي منهمــا نــور
قلبــي ذكــي وعقلــي غيــر ذي دخــل وفي فمــي صــارم كالسـيف مشــهور

ولما مات قال مورق العجلي في الطائف لأن ابن عباس كان في الطائف وأنس كان في البصرة آخر من مات من الصحابة في الطائف ابن عباس قال: مات في هذا اليوم رباني هذه الأمة ورأوا عندما مات طائر أبيض دخل معه في أكفانه كما ذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية بعضهم قال: ذلك عمله رضي الله تعالى عن ابن عباس وانظر كم حفظ لنا من العلوم وتأمل إلى يومنا هذا وابن عباس مخلد اسمه

مــا زلــت تــدأب في التــاريخ حتــى رأينــا اســمك في التــاريخ مكتوبــا

فولج التاريخ من أوسع أبوابه باب العلم والفقه **لكن بإيش - بارك الله فيكم - ؟**

بالإهمال والضياع والكسل ولو سمحت تعال ادرس لو سمحت سجل هذه الفائدة وبهذا الجاه اجلس في الدرس لا ولكن عنده همة تتنقل به من حسن إلى أحسن كما كان ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يتحدث لطلابه يقول يتحدث عن فضل الله وعن نعمة الله عليه وهذا ذكر في ترجمة ابن الجوزي قال:

ما زلت أدرك ما غلا بل ما علا ... وأكابد النهج العسير الأطولا

يعني أي شيء من الصعب يحاول أن يذلله قال:

ما زلت أدرك ما غلا بل ما علا ... وأكابد النهج العسير الأطولا
تجري بي الآمال في حلباتها ... جري السعيد مدى ما أملا
أفضى بي التوفيق فيه إلى الذي ... أعيا أي أتعب سواي تغلغلا وتأصلا
لو كان هذا العلم شخصا ناطقا ... فسألته هل زار مثلي قال لا

على أن هذا رحم الله ابن الجوزي ما كان ينبغي أن يقول هذا

لو كان هذا العلم شخصا ناطقا ... فسألته هل زار مثلي قال لا

على أن ابن الجوزي كان حريصا كل الحرص على الحفظ وعلى الفائدة وعلى المحافظة على وقته فابن عباس ينقل في قول الله ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح:٢٣] قال: «**هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ﷺ فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا والمراد بالأنصاب الأصنام الصور وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت**» ابن عباس ينقل هذا وهو من أمور الغيب وقول الصحابي إن كان من أمور الغيب أو ليس للرأي فيه مجال فله حكم الرفع ورواية ابن عباس رواية مرسلة عن الصحابة لكن لها حكم الاتصال كما

قال العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أمـــا الـــذي أرســـله الصـــحابي فحكمـــه الوصـــل علـــى الصـــواب

فهكذا الشيطان يعني أخذهم مرحلة مرحلة بداية نصبوا عبارة عن تصاوير حتى إذا اندرس العلم وتتالت القرون أوحى إلى الناس في ذلك الزمان أن هؤلاء ما صوروا إلا من أجل علة صلاح شيء من الخير فيهم فلا بد أن يعبدوا فعبدوا من دون الله وتعرفون في قوم نوح كثر الأصنام والأوثان والشرك واستمر نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ألف سنة إلا خمسين عاما كما ذكر الله ذلك في القرآن الكريم وما أسلم ودخل معه في الدين الإسلام إلا قرابة ثمانين رجلا وامرأتان وذلك أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وعن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ» أخرجاه.

وقال: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ».

ولمسلم عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ» قالها ثلاثًا.

فيه مسائل:

الأولى: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده، تبين له غربة الإسلام ورأى من

قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية: معرفة أول شرك حدث في الأرض أنه بشبهة الصالحين.

الثالثة: أول شيء غير به دين الأنبياء وما سبب ذلك، مع معرفة أن الله أرسلهم.

الرابعة: قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها.

الخامسة: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل فالأول: محبة الصالحين، والثاني: فعل أناس من أهل العلم شيئًا أرادوا به خيرًا، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح.

السابعة: جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد.

الثامنة: فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدع سبب الكفر.

التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه.

الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهي أعجب وأعجب: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل



قوم نوح أفضل العبادات، فاعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه هو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العيظم في قوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم» فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده.

العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء.



قال ابن القيم وابن القيم هو الإمام العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية وهو إمام من أئمة العلم ومن أوعية العلم قال الإمام السخاوي: هو العلامة الحجة المتقدم في سعة العلم ومعرفة الخلاف وقوة الجنان المجمع عليه بين الموافق والمخالف صاحب التصانيف السائرة والمحاسن الجمة ويكفيه شرفا أنه تتلمذ على يدي شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عالم كبير قال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم نسأل الله السلامة والعافية.

وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تطروني كما طرت النصارى عيسى بن مريم**»[١] **لماذا؟** لأن هذا - بارك الله فيكم - قد يفضي إلى الشرك فمن الناس من يدعو رسول الله من دون الله وفي هذا الزمان من يدعو ابن علوان والخمسة وأبا طير وهذا شرك باتفاق.

ذكر شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله عن بعض أهل زمانه يعني من العلماء في ذلك الزمان أنه جوز الاستغاثة برسول الله في كل ما يستغاث فيه بالله وصنف في ذلك مصنفا رده شيخ الإسلام ويقول عبد الرحمن بن حسن: ورده موجود ويقول: إنه يعلم مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله وذكر له أشياء من هذا النمط نعوذ بالله من عمى البصيرة.

وتعرفون قول البوصيري وهي قصيدة مشهورة:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم

إن لم تكن آخذا يوم المعاد يدي   فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

وتعرفون الصوفية في تريم وفي البيضاء يقولون:

لي خمسة أطفي بهم   نار الجحيم الحاطمة

المصطفى والمرتضى   وابناهما والفاطمة

الرسول وعلي والحسن والحسين نسأل الله السلامة وهكذا - بارك الله فيكم - يقولون: اللهم إني أخاف منك وأخاف ممن لا يخاف منك فبحق من يخاف منك نجني

---

(١) البخاري (٣٢٦١) (٦٤٤٢) وأحمد (١٥٤) (١٦٤) (٣٣١) (٣٩١) والدارمي (٢٧٨٤) وابن حبان (٤١٣) (٤١٤) (٦٢٣٩) وغيرهم.



ممن لا يخاف منك فالنبي ﷺ حذر من الغلو فيه حتى لا يفضي الأمر إلى أن يؤله من دون الله على أن من الناس من ذهب إلى قبر النبي ﷺ يقول: اعطني ارزقني اشف أمراضي يدعو النبي ﷺ من دون الله والرسول ﷺ سمع جارية تقول: وفينا رسول الله يعلم ما في غد قال: «**لا لا يعلم ما في غد إلا الله**»[(١)] ولما سمع شخص يقول: ما شاء الله وشئت قال: «**أجعلتني لله ندا؟ قل: ما شاء الله وحده**»[(٢)] فهنا يحذر النبي ﷺ من الغلو قال: «**لا تطروني**» أي لا تجاوزوا وتبالغوا في مدحي «**فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله**» والحديث في الصحيحين لأن هذا الغلو سوف يفضي بنا كما أفضى بقوم نوح ومن شابههم إلى الشرك فلا نغل في الأنبياء ولا في النبي ولا في الصحابة ولا في العالم لأن من الناس اليوم من يغالي في شخص من الأشخاص ويرفعه فوق منزلته ويرى أن الحق محصور في فلان هذا لا يجوز المعصوم من الخطأ هم الأنبياء أما بالنسبة للأولياء الصالحين العلماء فهم بشر يخطئون ويصيبون وقال بعض العلماء: ما منا من أحد إلا راد ومردود عليه كل يؤخذ من قوله ويرد ويقول عليه الصلاة والسلام: «**إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**» وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثا «**هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون**» يحذر النبي ﷺ من الغلو سواء كان في باب الاعتقادات أو في باب الأعمال أو في باب المحبة في أي شيء وقد تقدم لكم بالأمس القريب شيء من هذا الباب وبهذا القدر نكتفي وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

---

(١) المعجم الأوسط (٣٤٠١) والمعجم الصغير (٣٤٣) وسنن البيهقي الكبرى (١٤٤٦٦) (١٤٤٦٧) وانظر آداب الزفاف للألباني (١٠٩ – ١١٠).

(٢) سنن النسائي الكبرى (١٠٨٢٥).

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟

يقول شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله تعالى عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟

أما قوله: باب فكلمة يراد بها من حيث اللغة: لما يدخل ويخرج منه هذا من حيث المعنى اللغوي الحسي وأما من حيث المعنى الذي اصطلح عليه العلماء في كتبهم فهو اسم لجملة علمية مختصة من الكتاب وقوله: ما جاء ما هاهنا موصولية أي الذي جاء ومعنى جاء أي ورد والمراد بذلك ما جاء في هذا الموضوع عن الله عن رسوله ﷺ من الدين الذي أرسل الله به محمدًا ﷺ رحمة للعالمين وحجة على الناس أجمعين.

قال: ما جاء من التغليظ والمراد بالتغليظ التشديد فيمن عبد الله وتعرفون العبادة واسع معناها فهي كما يقول ابن تيمية وهو تعريف ارتضاه أهل العلم: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة وهذا كما يقال تعريف جامع مانع والمراد بذلك من الصلاة وقراءة القرآن وتقديم القرابين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لكن أين تكون هذه العبادة عند قبر رجل صالح هي عبادة لله ولكن عند القبر فهنا يقول: ما جاء



من التغليظ أي من التشديد فيمن عبد الله **في أي مكان؟** عند قبر رجل صالح وربما كان غير صالح فصالح أو غير صالح فلا يجوز أن تقوم تلك العبادة هناك فكيف إذا كانت هذه العبادة لهذا المقبور؟ العبادة غير جائزة وغير شرعية إن كانت لله في ذلك الموضع فكيف فيمن عبد هذا القبر أو صاحب هذا القبر أو دعا صاحب هذا القبر إنه ضلال مبين وتعريف الصالح هو من قام بحقوق الله وحقوق عباده وأمر المقابر أو ما يفعل عند المقابر أمران:

مشروع وممنوع أما المشروع فهو الدعاء لأهل القبور وهو ما علمه إيانا ﷺ كما جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لعائشة: «**إذا أتيت القبور فقولي: السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون ونحن إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله العافية لنا ولكم**»[(١)] هكذا سلم على أهل القبور السلام عليكم أهل الديار يعني أسأل الله أن يسلمكم من عذاب القبر من فتنة القبر ادعو لهم بالسلامة السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين أنتم السابقون ونحن إن شاء الله بكم لاحقون هذه زيارة شرعية وقد رغب النبي ﷺ فيها قال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة**»[(٢)] فمن شعر بضيق أو بهم وحزن وتكالبت عليه أمور الدنيا فليذهب إلى المقابر زائرا متعظا معتبرا ليتأمل في الموت كيف يذهب إلى تلك القصور فينزل من فيها إلى ظلمة اللحود

أتيـــــت القبــــــور فناديتهـــــــا   أيـــــن المعظـــــــم والمحتقـــــــر

---

(١) مسلم (٩٧٤) وصحيح ابن حبان (٧١١٠) ومصنف عبد الرزاق (٦٧١٢) وسنن البيهقي الكبرى (٧٠٠٣).

(٢) أحمد (١٢٣٥).



وأيـــن المـــذل بســـلطانه | وأيـــن المزكـــي إذا مـــا افتخـــر
تفـــانوا جميعـــا فمـــا مخبـــر | ومـــاتوا جميعـــا ومـــات الخبـــر
فيـــا ســـائلي عـــن أنـــاس مضـــوا | أمالـــك فيمـــا مضـــى معتبـــر

هذه زيارة شرعية أما الممنوع فهو أمران إما أن يذهب إلى المقبرة فيقرأ من القرآن وكما يفعل بعضهم يقرأ يس ويكثر من البقاء هناك وربما أيضا شد الرحل لقبر من القبور فهذه يسميها العلماء زيارة بدعية ومن الممنوع ما كان شركا أو وسيلة إلى الشرك كأن يدعو صاحب القبر لأن هناك أحاديث موضوعة مكذوبة روجها زنادقة الإسلام مثل: «**إذا أعيتكم الأمور فاستعينوا بأهل القبور**» وفي رواية «**إذا ضاقت**» الحديث موضوع وله روايات ولما دخل التتر المغول بغداد كان بعض المتصوفة يقولون:

يـــا هـــاربين مـــن التتـــر | لـــوذوا بقبـــر أبـــي عمـــر

ينجيكموا من الضرر

نسأل الله العافية فهذه شركيات ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥ - ٦].



في الصحيح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال: «أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَو العَبْدُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ أُوْلَئِكِ شرارُ الخَلْقِ

عِنْدَ الله يوم القيامة»[١] فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور وفتنة التماثيل.



ثم قال: في الصحيح المراد بالصحيح صحيح البخاري ومسلم عن عائشة وعائشة بنت أبي بكر الصديق المبرأة من السماء تزوجها النبي ﷺ وهي بنت ست وقيل: سبع سنوات ودخل عليها وهي ابنة تسع سنوات وقد روت من الأحاديث ألفين ومائتين وعشرة وكانت من حافظات هذه الأمة كما قال السيوطي:

والمكثـــــرون في روايــــة الأثــــر	**أبـــو هريـــرة يليـــه ابـــن عمـــر**
وأنــــس والبحــــر كالخــــدري	**وجــــابر وزوجــــة النبــــي**

تروي هذه الصحابية الجليلة أن أم سلمة، وأم سلمة هي ضرتها وهي هند بنت أبي أمية رضي الله تعالى عنها وأرضاها وأم سلمة هاجرت مع زوجها أبي سلمة إلى الحبشة فلذلك سيأتي حديث الآن أنها رأت كنيسة في بلاد الحبشة وكان أبو سلمة من أقدم المسلمين هجرة إلى المدينة بل كما سمعتم يعني هاجر الهجرتين فكانت تحب زوجها وفاء وحبا رجل صالح وكان عندها أطفال فلما مات أبو سلمة حزنت عليه لكنها تذكرت حديثا حدثها به أبو سلمة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**من أصيب بمصيبة ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرا منها إلا آجره الله وأخلفه خيرا منها**» ثم قالت: أين لي خير من أبي سلمة؟ من أقدم الناس إسلاما ومن أقدمهم هجرة هكذا تقول في نفسها قالت: فأخلفني الله خيرا من أبي سلمة رسول الله ﷺ، سبحان الله رسول الله صحيح رسول الله خير من أبي سلمة وخير من الأمة كلها بل هو خير البشر سيد الأولين والآخرين خطبها النبي إلى نفسها قال: إنني

(١) البخاري (٤٢٤) ومسلم (٥٢٨).

شديدة الغيرة وذو عيال ذات عيال قال: «**أما عيالك فعيالي وأما الغيرة فسوف أدعو الله فيذهبها عنك**»(١) فتزوجها النبي ﷺ وهي من أمهات المؤمنين رضي الله عن أمنا أم سلمة وجمعها بالنبي ﷺ في الفردوس الأعلى هذه الصحابية الجليلة ذكرت لرسول الله يعني بعد أن تزوجها ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة، لما ضايق الكفار المسلمين رحلوا إلى بلاد الحبشة فارين بدينهم لأن لا يفتنوا أذن النبي ﷺ يذهبوا إلى هناك فغاظ ذلك قريش فهيأت لهم رجال حملوا الهدايا إلى النجاشي وكان الناطق الرسمي السفير لقريش عمرو بن العاص قبل أن يسلم رضي الله عنه فتكلم مع النجاشي أن هؤلاء فعلوا وفعلوا وتركوا دين قومهم وسفهوا آلهتهم والنجاشي لم يلتفت إلى ما قال قال: أيها الملك إنهم يخالفونك في عيسى فقال لجعفر: **ما تقولون في عيسى؟** فبين له أن عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وتلا عليه بعض الآيات فبكى النجاشي وعاد الرسل إلى قريش دون أية فائدة وقال ملك الحبشة للصحابة: اذهبوا حيثما شئتم في أرضي فلن تظلموا أو كلمة تشبهها فلما رجع الصحابة إلى النبي ﷺ ومعروف أن النجاشي أسلم وكان اسمه أصحمة فقد جاء في البخاري أن النبي ﷺ خرج بالصحابة إلى الصحراء قال: «**إن أخا لكم قد مات فقوموا فصلوا عليه يعني النجاشي**»(٢) وما أحد صلى على النجاشي من قومه إذ أنهم كانوا نصارى وما أسلموا وكان هذا الملك على دين محمد ﷺ بل إنه زوج نبينا ﷺ أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله تعالى عنها وأرضاها فذكرت أم سلمة ما شاهدت من الكنيسة مكان تعبد النصارى عبارة عن بناء كبير يتجمع فيه

(١) مسلم (٩١٨).

(٢) مسلم (٩٥٣).

النصارى يعبدون في هذا المكان على ما عندهم من الدين المحرف ذكرت ما في هذه الكنيسة من الصور فقال النبي ﷺ بعد أن قصت القصة أم سلمة قال النبي ﷺ:

«**أولئك**» ويجوز أن نقول: أولئكَ فأولئك على أن المخاطب أم سلمة وأولئكَ على أنه للجميع قال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور**» وفي قوله: أولئك أي اليهود والنصارى فاليهود هم الأمة التي غضب الله عليها والنصارى هم الضالون الخرافيون فاليهود ضلوا حينما حرفوا دينهم وعبدوا الله بغير دين مع كتمهم للعلم والنصارى عبدوا الله بالجهل بالخرافات بالأنداد بالآلهات اختلاف كثير جدا فكان اليهود هم المغضوب عليهم والنصارى ضالين فيقول ﷺ: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور**» سواء كانت هذه الصور مجسمة أو تماثيل «**أولئك شرار الخلق عند الله**» لماذا؟ لأنهم يعبدون أصناما لا تضر ولا تنفع قال: فهؤلاء جمعوا بين فتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هذا الحديث علق عليه الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقلا عن شيخ الإسلام ابن تيمية قال شيخ الإسلام: وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور لأنها هي التي أوقعت كثيرا من الأمم إما في الشرك الأكبر أو في ما دونه من الشرك فإن النفوس قد أشركت بتماثيل الصالحين وتماثيل يزعمون أنها طلاسم الكواكب ونحو ذلك فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر ولهذا تجد أهل الشرك يتضرعون عندها ويخشعون ويخضعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر ومنهم من يسجد لها وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها

والدعاء مالا يرجونه في المساجد فلأجل هذه المفسدة حسم النبي ﷺ مادتها حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقا وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها لأنها أوقات يقصد فيها المشركون الصلاة للشمس فنهى ﷺ أمته عن الصلاة حينئذ وإن لم يقصد ما قصده المشركون سدا للذريعة وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركا بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله والرسول ولمخالفة الدين وابتداع دين لم يأذن به الله فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين الرسول ﷺ أن الصلاة عند القبور منهي عنها وأنه ﷺ لعن من اتخذها مساجد فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد وبناء المساجد عليها وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه وقد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها متابعة منهم للسنة الصحيحة الصريحة وصرح أصحاب أحمد وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي في تحريم ذلك وطائفة أطلقت الكراهية والتي ينبغي أن تحمل على كراهية التحريم إحسانا للظن بالعلماء وأن لا يظن بهم أن يجوزوا فعل ما تواتر عن رسول الله ﷺ لعن فاعله والنهي عنه. انتهى كلامه ملخصا رحمه الله هذا الكلام أنا أقرؤه من فتح المجيد وهو مأخوذ من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.



ولهما عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لما نزل برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا. أخرجاه[1].



ثم قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

ولهما أي للبخاري ومسلم عنها أي عن عائشة قالت: لما نزل برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي لما نزل به ملك الموت لما نزلت به حالة الاحتضار طفق يطرح خميصة، هذه طفق وشرع واخلولق تسمى عند علماء النحو من أفعال الشروع طفق أي شرع ومعناه جعل طفق يطرح خميصة والخميصة هي الكساء الذي له أعلام يعني ما نسميه نحن الآن بطانية أو طراحة طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك: «**لعنة الله على اليهود والنصارى**» والمراد باللعن الطرد عن رحمة الله «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر ما صنعوا ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا. أخرجاه أي في البخاري ومسلم تقول عائشة: هذا السبب في أن قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يبرز أي لم يظهر بمعنى لم يدفن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مقابر المسلمين مثلا في مقبرة البقيع التي هي الآن مقبرة للمسلمين من زمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

رب لحـد قـد صـار لحـدا مـرارا ... ضـاحكا مـن تـزاحم الأضـداد

---

(١) البخاري (٤٢٥) ومسلم (٥٢٩).

ودفـــين يـــا دفـــين مـــن علـــى   قـــديم العصـــور والآبـــاد

فهي مقبرة معروفة ومشهورة لكن تقول: لهذا السبب كان قبر النبي ﷺ في حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها هذا أمر هذا اجتهاد منها لكن جاء من حديثها عند الترمذي وغيره أن الصحابة اختلفوا أين يدفن النبي ﷺ فحدثهم أبو بكر أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ما دفن نبي إلا حيث قبض**» فنحوا السرير أو الفراش الذي كان عليه نبينا ﷺ فداه أبي وأمي ونفسي فنحوه قليلا وحفروا له تحت هذا الفراش(١) وكان قبره في بيت أمنا عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها هذان أمران الأمر الثالث: النبي ﷺ قد دعا الله أن لا يجعل قبره وثنا يعني عيد ومجمع للناس فقال عليه الصلاة والسلام: «**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد**»(٢) ابن القيم رحمه الله تعالى يأخذ من هذا الحديث فائدة فينظمها في ثلاث أبيات في النونية قال رحمه الله:

ودعا أي النبي ﷺ قال:

ودعـــا بـــأن لا يجعـــل القبـــر الـــذي   قـــد ضـــمه وثنـــا مـــن الأوثـــان

اسمع إلى الكلام الطيب:

ودعـــا بـــأن لا يجعـــل القبـــر الـــذي   قـــد ضـــمه وثنـــا مـــن الأوثـــان

فأجـــاب رب العـــالمين دعـــاءه   وأحاطـــه بثلاثـــة الجـــدران

حتـــى اغتـــرت أرجـــاؤه بدعائـــه   في عـــزة وحمايـــة وصـــيان

صحيح الآن قبر النبي ﷺ محمي من جميع الاتجاهات الغرفة على ما هي عليه

---

(١) صحيح : ابن ماجة (١٦٢٨) ومسند أبي يعلى (٢٣) ومسند البزار (١٨) و انظر حديث رقم: ٥٦٧٠ في صحيح الجامع.

(٢) صحيح : مالك (٤١٤) وانظر مشكاة المصابيح (٧٥٠).

غرفة السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها وفيها رسول الله وأبو بكر وعمر في تلك الحجرة الحجرة ثم بعد ذلك جدار آخر ثم جدار ثالث يمنع من النفوذ إلى ذلك المكان حتى لا يكون ذريعة أو وسيلة إلى الشرك فلدينا الآن حديثان في الصحيحين حديث عائشة الذي فيه قصة أم سلمة وما رأته وما روته عائشة رضي الله تعالى عنها عن أحوال النبي ﷺ عند مرض الموت فيستفاد من الحديثين عدة فوائد أنا أجملها بعناصر يسيرة جدا:

الأولى: تحريم البناء على القبور وقد جاء أن النبي ﷺ نهى عن أن يبنى على القبر أو يجصص وهكذا قوله ﷺ: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» فهذه كبيرة من كبائر الذنوب والآثام لأن تعريف الكبيرة: ما ترتب عليها حد في الدنيا أو توعد صاحبها بعذاب في الآخرة أو كان فيها لعن أو طرد أو نار وما شابهها.

ثانيا: تحريم العبادة عند القبر.

ثالثا: تحريم الصور وذلك أن النبي ﷺ قال: «**أولئك شرار الخلق عند الله إذا مات فيهم الرجل الصالح نصبوا عليه تلك الصور**» وفيه - بارك الله فيكم - أن النية الصالحة لا تسوغ العمل السيء فهؤلاء ما أرادوا إلا أن هذا رجل صالح وكذا ربما نية صالحة ولكن لا بد للعمل من ميزانين باطني وظاهري الإخلاص هو الميزان الباطني والاتباع هو الميزان الظاهري فلا بد في كل عمل من هذين الشرطين.

خامسا: جواز لعن الكفار غير المعينين لعنة الله على اليهود والنصارى.

سادسا: الاهتمام بأمر العقيدة إذ أن النبي ﷺ نوه إلى هذا وغضب وأوصى

وكانت آخر مراحله أن يقول: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» فهذا فيه دليل على حرص النبي ﷺ على علم العقيدة والتوحيد وهو أمر لا بد منه على طلاب العلم وعلى دعاة الإسلام أن يركزوا على هذا الجانب من العلم وما سقطت دول الإسلام إلا حينما خربت القلوب من العقيدة الصحيحة واتجه الناس إلى عبادة القبور وإلى الخوف من الله سبحانه وتعالى بل يقولون: من ضمن الأسباب الرئيسية في سقوط الدولة العثمانية هو دخول الشرك وتقريب الصوفية والآن في هذا الزمان نجد أن هذه الطائفة طائفة الصوفية التي تشجع على الشرك وعلى الذبح عند القبور وعلى إقامة الموالد والحضارات وعلى النحبات وعلى القوقعة في المساجد يرضى عن هذه الطائفة الناس بل هناك في بعض المقالات أن الدول الكبرى تحاول أن تلزم الدول العربية أن تقرب الصوفية وأن يكون لهم شأن في هذه الدولة لماذا؟ لأن الصوفية لا ينكرون المنكر ولا يأمرون بالمعروف الصوفية كما كان شيخنا الشيخ مقبل رحمه الله يقول: الصوفية والشيعة عكازا للشوعية وهكذا لما دخلت الشوعية إلى عدن بدؤوا بتخريب بعض القباب والمشاهد وكذا ظنا منهم أن هذا هو الإسلام وأنه لا بد يحاربوا الإسلام فجاءهم شيوعي سوداني وقال لهم: لا أنتم الآن تعينوا الإسلام لأن هؤلاء بقاؤهم عون لكم فهؤلاء قربوهم ولا تخربوا عليهم شيئا ويقال: إن أقطاب الصوفية ذهبوا إلى اللجنة المركزية وقالوا: نحن وأنتم دعوة واحدة اللهم إلا أنتم في الحكم وقضايا الناس ونحن في المساجد وكذا وإلا فالأمر وتعرفون - بارك الله فيكم - تاريخ الصوفية أسود من قديم الزمان فشيخهم ابن عربي والحلاج الذي يقول:

ومـا الكلـب والخنزيـر إلا إلهنـا ... ومـا الله إلا في كنيسـة يتعبـد

وكما قال ابن عربي:

العبد رب والرب عبد	يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك رب	وإن قلت رب فأنى يكلف

وهو القائل: ما في الجبة إلا الله.

وكانوا يقولون: إذا سألوني عن علم الورق خرجت إليهم بعلم الخرق وكانوا يعظمون أقوال الشيخ والمريد ما يقوله الشيخ لا يخرجون عن قوله حتى قال قائلهم:

كم بين قولي عن أبي عن جده	وأبي أبي فهو الإمام الهادي
وفتى يقول روى لنا أشياخنا	ما ذلك الإسناد من إسناد

فتأريخ مظلم جدا فلذلك الآن أمريكا وبعض الدول يحاولون يضغطون على دول المنطقة أن تكون الصوفية لهم يد عظمى قريبة في هذه فلذلك يظهرون على القنوات كالجفري الذي يدعو إلى الشرك الصراح وهكذا عمر باحفيظ الذي يدعو إلى عبادة غير الله ﷻ يظهر في قناة الجزيرة ويظهر في قناة الإمارات يظهر في القناة اليمنية ويدعوا إلى مثل هذا وهذا الرجل أنا أعرفه من قبل أكثر من خمسة عشر عاما وهو صوفي جلد يبيح دعاء غير الله ويقول: ليس في ذلك شيء أن ينادي المنادي غير الله ﷻ فقد نادى الصحابة قائلين: يا محمداه أو وامحمداه وهذه أدلة لا تسعفه فالآن بعض الصوفية يقولون: **لماذا تنكرون علينا البناء على القبور أو كذا؟** وقبر النبي ﷺ هو في المسجد الآن المسجد النبوي الذي الصلاة فيه بألف صلاة قبر النبي ﷺ في هذا المسجد وكان الشيخ العثيمين قد ذكر هذه الشبهة فأحببت أن آخذها حتى أقرأها من كتابه فذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في القول المفيد الجزء الأول صفـ٢٥٥ـة قال: اعتراض وجوابه:

فإن قال قائل: نحن الآن واقعون في مشكلة بالنسبة لقبر النبي ﷺ الآن فإنه في وسط المسجد **فما هو الجواب؟**

قلنا: الجواب على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن المسجد لم يبن على القبر بل بني المسجد في حياة النبي ﷺ.

الوجه الثاني: أن النبي ﷺ لم يدفن في المسجد حتى يقال إن هذا من دفن الصالحين في المسجد بل دفن في بيته.

الوجه الثالث: إن إدخال بيوت الرسول ومنها بيت عائشة مع المسجد ليس باتفاق من الصحابة بل بعد انقراض أكثرهم ولم يبق منهم إلا القليل وذلك عام أربعة وتسعين هجرية تقريبا فليس مما أجازه الصحابة أو أجمعوا عليه مع أن بعضهم خالف في ذلك وممن خالف أيضا سعيد بن المسيب من التابعين فلم يرض بهذا العمل.

الوجه الرابع: أن القبر ليس بالمسجد حتى بعد إدخاله يعني الآن وقبر النبي ﷺ في مسجده كما يقال أن القبر ليس في المسجد حتى بعد إدخاله لأنه في حجرة مستقلة عن المسجد فليس المسجد مبنيا عليه ولهذا جعل هذا المكان محفوظا ومحوطا بثلاثة جدران وجعل الجدار في زاوية منحرفة عن القبلة أي مثلث والركن في الزاوية الشمالية بحيث لا يستقبله الإنسان إذا صلى لأنه منحرف فلهذا كله يزول الإشكال الذي يحتج به أهل القبور ويقولون: هذا منذ عهد التابعين إلى اليوم والمسلمون قد أقروه ولم ينكروه فنقول: إن الإنكار قد وجد حتى في زمن التابعين وليس محل إجماع وعلى فرض أنه إجماع فقد تبين الفرق من الوجوه الأربعة التي ذكرناها انتهى

كلام الشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

وهذا بين يدي رياض الجنة في الرد على أعداء السنة ومعه الطليعة في الرد على غلاة الشيعة وحكم القبة المبنية على قبر النبي ﷺ فقد نقل شيخنا ووالدنا مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من كتاب البداية والنهاية لابن كثير **متى أدخل قبر النبي ﷺ في مسجده؟**

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية الجزء التاسع ص٧٤ في حوادث سنة ٨٨ ذكر ابن جرير أنه في شهر ربيع الأول من هذه السنة قدم كتاب الوليد الوليد بن عبد الملك يعني من ملوك الدولة الأموية على عمر بن عبد العزيز وعمر كان يومئذ أمير على أهل المدينة ما كان قد هو خليفة لأن عمر صار خليفة على المسلمين بانتهاء القرن الأول يعني على رأس المائة كان عمر هو الخليفة يأمره بهدم المسجد النبوي وإضافة حجر النبي ﷺ وأن يوسعه من قبلته وسائر نواحيه حتى يكون مائتي ذراع فمن باع ملكه فاشتراه منه وإلا فقوم له قيمته قيمة عدل ثم اهدمه وادفع إليهم أثمان بيوتهم فإن لك في ذلك سلف صدق عمر وعثمان فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والفقهاء العشرة وأهل المدينة وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فشق عليهم ذلك وقالوا: هذه حجر قصيرة السقوف وسقوفها جريد النخل وحيطانها من اللبن وعلى أبوابها المسوح واتركها على حالها أولى لينظر إليها الحجاج والزوار والمسافرون وإلى بيوت النبي ﷺ فينتفعون بذلك ويعتبرون به ويكون ذلك أدعى لهم إلى الزهد في الدنيا فلا يعمرون فيها إلا بقدر الحاجة وهو ما يستر ويكن ويعرفون أن هذا البنيان العالي إنما هو من أفعال الفراعنة والأكاسرة وكل طويل الأمل راغب في الدنيا في الخلود فيها فعند ذلك كتب ابن عبد العزيز يعني عمر

إلى الوليد بما أجمع عليه الفقهاء العشرة المتقدم ذكرهم فأرسل إليه يأمره بالخراب وبناء المسجد على ما ذكر وأن يعلي سقوفه فلم يجد عمر بدا من هدمها ولما شرعوا في الهدم صاح الأشراف ووجوه الناس من بني هاشم وغيرهم وتباكوا مثل يوم مات النبي ﷺ وأجاب من له ملك متاخ في المسجد للبيع فاشتري منه وشرع في بنائه وشمر عن إزاره واجتهد في ذلك وأرسل الوليد إليه فعولا كثيرا فأدخل فيه الحجرة النبوية حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها فدخل القبر في المسجد وكان حده من الشرق وسائر حجر أمهات المؤمنين كما أمر الوليد.

وروينا أنهم لما حفروا الحائط الشرقي من حجرة عائشة بدت لهم قدم فخشوا أن تكون قدم النبي ﷺ حتى تحققوا أنها قدم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ويحكى أن سعيد بن المسيب أنكر دخول حجرة عائشة في المسجد كأنه خشي أن يتخذ قبره مسجدا والله أعلم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الجواب الباهر ص٧١ قال:

وهو ﷺ مدفون في حجرة عائشة رضي الله عنها وكانت حجرة عائشة وسائر أزواجه من جهة شرقي المسجد وقبلته لم تكن داخلة في المسجد بل كان يخرج من الحجرة إلى المسجد ولكن في خلافة الوليد وسع المسجد وكان يحب عمارة المساجد عمر المسجد الحرام ومسجد دمشق وغيرهما فأمر نائبه عمر بن عبد العزيز أن يشتري الحجر من أصحابها الذين ورثوا أزواج النبي ﷺ ويزيدها في المسجد فمن حينئذ دخلت الحجر في المسجد وذلك بعد موت الصحابة بعد موت ابن عمر وابن عباس وأبي سعيد الخدري وبعد موت عائشة بل بعد موت عامة الصحابة رضي الله عنهم ولم يكن بقي في المدينة منهم أحد وقد روي أن سعيد بن المسيب كره ذلك وقال: كره كثير من

الصحابة والتابعين ما فعله عثمان بن عفان رضي الله عنه من بناء المسجد بالحجارة والقصة والساج وهؤلاء لما فعل الوليد أكره وأما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه وسعه لكن بناه على ما كان بناؤه من اللبن وعمده جذوع النخل وسقفه الجريد ولم ينقل أن أحدا كره ما فعله عمر وإنما وقع النزاع فيما فعله عثمان رضي الله عنه إلى أن قال رحمه الله:

فإن الوليد بن عبد الملك تولى بعد موت أبيه عبد الملك سنة بضع وثمانين من الهجرة وكان قد مات هؤلاء الصحابة كلهم وتوفي عامة الصحابة في جميع الأمصار ولم يكن بقي في الأمصار إلا قليل جدا مثل أنس بن مالك في البصرة فإنه توفي في خلافة الوليد سنة بضعة وتسعين وجابر بن عبد الله مات سنة ثمانية وسبعين بالمدينة وهو آخر مات في المدينة والوليد أدخل الحجرة بعد ذلك بمدة طويلة نحو عشر سنين وبناء المسجد كان بعد موت جابر فلم يكن بقي في المدينة أحد وذكر رحمه الله في كتابه الرد على الإخنائي وفي اقتضاء الصراط المستقيم:

وهكذا ذكر أهل التاريخ كما في عمدة الأخبار وفي تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة للمراغي ووفاء الوفاء للسمهودي في المجلد واحد ص٥١٣ وبهذا يتضح لنا أن الوليد رحمه الله أخطأ في إدخال الحجر في المسجد النبوي وأنه وقع في عين ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من اتخاذ القبور مساجد والصلاة إليها فإن الذين يصلون في المكان الذي كان لأهل الصفة يستقبلون القبر كما هو مشاهد وكذلك النساء فإنهن يتجهن في صلاتهن إلى القبر وأن الواجب على المسلمين هو إعادته كما كان من الناحية الشرقية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه خير الهدى فإن خير الهدى هدي محمد صلى الله عليه وسلم

دعــوا كــل قــول عنــد قــول محمــد　　　فمـــا آمـــن في دينـــه كمخـــاطر

بقيت شبهة ذكرها الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذا الكتاب فإنه يقول:

إن بعض مشايخه في المدينة النبوية بعد أن ناقش الرسالة ما أدري هي رسالة الماجستير أو هذه قال له: لماذا لا تذكر ردا على الذين يحتجون بجواز بناء القبور على المساجد بقوله ﷻ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١]؟

قال الشيخ هنا: هذه وقد قال شيخنا الفاضل الشيخ عبد الغفار الهندي حفظه الله عند المناقشة إنه يلزمني أن أتكلم على قول الله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١] فإنها من أعظم شبه القبوريين فأجبت طلبه حفظه الله بعد انتهاء المناقشة فكتبت ما يأتي:

كتب الشيخ للقبوريين شبهة وهي قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١] قالوا: فاتخاذ المساجد على القبور جائز في شرع من قبلنا وهو شرع لنا ما لم ينسخ.

الجواب على هذه الشبهة من أوجه:

الأول: أن هذا فعل قوم أصحاب الكهف وقد قال أصحاب الكهف: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ [الكهف:١٥] فمن ادعى أنهم قد أسلموا بعد اعتزال أهل الكهف فإنما يعتمد على قصص إسرائيلية ومن الأدلة على أن قومهم باقون في كفرهم قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ [الكهف:٢١] والذي لا يعلم أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ليس بمسلم.

الثاني: لو سلمنا لهم أنهم مسلمون فمن أين لنا أن شرعهم يبيح لهم ذلك ألا يجوز أنهم اجتهدوا وأخطأوا.

الثالث: لو سلمنا أنه شرع لمن قبلنا فهو منسوخ هنا بشرعنا فقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بالنهي عن اتخاذ القبور مساجد ولعن النبي ﷺ فاعله كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها وهناك كتاب بحث هذه المسألة بطولها وعرضها وهو كتاب الشيخ الألباني تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد.



ولمسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول:

«إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»(١).

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن - وهو في السياق - من فعله، والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد، وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجدًا، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدًا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا، كما قال ﷺ: «جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»(٢).

---

(١) مسلم (٥٣٢).

(٢) البخاري (٣٢٨).



قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

ولمسلم عن جندب بن عبد الله، ولمسلم أي هذا الحديث الذي يسرده ومسلم هو ابن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ويكنى بأبي الحسين وهو من العلماء الذين نفع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعلومهم وكان تلميذا من تلامذة الإمام البخاري وكذلك أيضا كان تلميذا للشيخ محمد بن يحي الذهلي رحم الله الجميع فلما شنع على الإمام البخاري في مسألة اللفظية على أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ معتقده معتقد أهل السنة والجماعة ولكن كما قيل قال بعض العلماء: احذروا من الأقران فإنهم يتناطحون كتناطح التيوس في زريبتها فالإمام البخاري كان يقول: القرآن كلام الله وألفاظنا هي مخلوقة ومعه صواب في ذلك لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦] فهذه الألفاظ التي أنتم تسمعونها هي من خلق الله خلقها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فكلما أنشأ العبد كلاما فهذا يعتبر خلقا من خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لكن محمد بن يحي الذهلي دخل عليه من هذا الباب على أنه كان من أهل السنة والإمام البخاري كان يبكي ويقول: اللهم إن عبدك هذا قد حسدني ولك أن الإمام البخاري جاء بعلوم وأحاديث من بلاد الرافدين ومن بغداد ومن المدينة والتقى بعلماء كثر فكانوا خارجين في جنازة رجل من أهل نيسابور فكان إذا سئل عن حديث قال: هو عندي من طريق كذا وكذا وكذا على أن الذهلي كان حينما رجع البخاري قال: من أحب أن يأتي حلقة محمد بن إسماعيل فليأت فلما صار للإمام البخاري شيء من الشهرة وترك الناس حلقة محمد بن يحي الذهلي وكان هو صدر البلد ومفتيها وله كلمة في البلد حصل بينهما شيء من الوحشة فحذر منه ونفر وقال: من أتى حلقة محمد بن إسماعيل فليعتزل حلقتنا فكان من ضمن الذين لم يعتزلوا مسلم بن الحجاج أراد أن يكون له شيخان البخاري محمد بن إسماعيل

ومحمد بن يحي الذهلي لكن الذهلي لم يعجبه ذلك علم أن مسلما لا زال يحضر فقال في الحلقة: من يأتي حلقة محمد بن إسماعيل فليعتزل حلقتنا هكذا فقام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ وعليه رداؤه على رؤوس الطلاب وخرج من حلقة العلم وأرسل للبخاري بكتبه وكذلك ببعض النسخ إلى محمد بن يحي الذهلي ولم يرو عن هذين الإمامين وهكذا لكل عصر فتنته وكانت فتنة ذلك العصر هي مسألة اللفظية ولكن انظر إلى العدل والانصاف كيف كان الرفعة والشرف والفخر والسؤدد للإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ حينما لم يرض إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما أرضى محمد بن يحي الذهلي إطلاقا في أن يترك الإمام البخاري على أنه لا يعرف عنده شيء من البدع أو من الأهواء وهكذا على العبد أن يكون دائما معظما للدليل معظما لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في حرمات أوليائه وأهل طاعته حتى لا يأتي هؤلاء يوم القيامة يشكونه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قال ابن دقيق العيد: أعراض الناس حفرة من حفر النار وقف عليها طائفتان من الخلق العلماء والحكام فما أحوجنا إلى العدل وإلى الإنصاف عدل وإنصاف ودليل وإرضاء الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

وليت الذي بيني وبينك عامر … وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود يا غاية المنى … فكل الذي فوق التراب تراب

فتأمل الآن إذا قال الشخص في حديث ما: مسلم رواه الحمد لله يعني حصل الاتفاق وتنزلت السكينة على القلب أو قال: رواه البخاري فما شاء الله أو قال متفق عليه فالإمام مسلم يروي عن جندب بن عبد الله وهو صحابي جليل قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يموت بخمس، وهذه عبارة عند العرب يطلقونها على الليالي والأيام قبل كذا بخمس بأربع بعشر قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلا**» المراد بالبراءة التخلي أو التخلية



معنى الحديث أتخلى أن يكون لي منكم خليل والمراد بالخلة عصارة المحبة وخلاصتها ورحيقها وغايتها كما قال الناظم:

قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا

فالنبي ﷺ يقول: إنه يبرأ أي يتخلى أن يكون له أحد غير ربنا ﷻ خليل لأن قلبه مملوء بحب الله تعالى فيقول: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلا**» هذا شرف لنبينا ﷺ أن الله اتخذه خليلا أي حبيبا والله ﷻ لا يحب إلا عن رضا وليس العجب أن تحب الله فإن الإنسان عبد الإحسان ولكن العجب كل العجب أن يحبك الله ﷻ فنبينا خليل الرحمن كما أن إبراهيم ﷺ خليل الرحمن والعوام عندهم طوام بل كما يقول ابن عثيمين رحمه الله: هم هوام أهل الأرض فالعامة يقولون: اللهم صلّ على إبراهيم خليلك وعلى محمد حبيبك هم يريدون بهذا تعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن كما قيل:

رام نفعا فضر من غير قصد ومن البر ما يكون عقوقا

فالخلة أرفع من المحبة فالواجب علينا وعلى العامة لأن العامة هم آباؤنا وأمهاتنا وإخواننا وأبناؤنا وجيراننا الواجب أن يقولوا: اللهم صلّ على إبراهيم خليلك وعلى محمد خليلك وهذه من فوائد العلم أن تعرف الفرق بين الخلة وبين المحبة فيقول ﷺ: «**فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا**» واتخذ هنا من أخوات ظن تتعدى إلى مفعولين «**ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا**» ثم قال: «**ألا وإن من كان قبلكم**» والمراد بكلمة من قبلنا إذا جاءت هم اليهود والنصارى الأمم الذين هم قبلنا «**كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**» قال ﷺ: «**فإني أنهاكم**» والنهي يفيد التحريم إذ

هو يقتضي الفساد عند الأصوليين فقد نهى قال الشيخ ابن عبد الوهاب: فقد نهى عنه في آخر حياته.

فوائد هذا الحديث عدة فوائد:

أولًا: تبرؤ النبي ﷺ من أن يتخذ أحدا خليلا لأن قلبه مملوء بحب الله سبحانه وتعالى.

ثانيًا: أن الله اتخذه خليلا هذه فائدة ثانية.

فائدة ثالثة: في هذا الحديث فضيلة لإبراهيم عليه السلام أنه خليل الرحمن وقد جاء من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قام خطيبا فقال: «**أيها الناس إنكم محشورون إلى ربكم حفاة عراة غرلا وإن أول الناس يكسى يوم القيامة إبراهيم خليل الرحمن**»(١) إبراهيم امتدحه الله في عدة آيات ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ [النجم:٣٧] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢٠ - ١٢١] ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤] وفي ليلة الإسراء والمعراج قال إبراهيم يا محمد اقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ففي الحديث فضيلة لسيدنا إبراهيم عليه السلام في الحديث فضيلة لأبي بكر واسمه عبد الله بن أبي قحافة قرشي صاحب النبي ﷺ أشار الله إلى اسمه في القرآن ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة:٤٠] ثاني اثنين أي الرسول وأبو بكر وثاني اثنين هو الله أي كان حاميا وناصرا وقد أحاطهما بحفظه وكلاءته فكانت السكينة قد تنزلت من الله سبحانه وتعالى على نبينا عليه السلام وهو خليفة النبي ﷺ وهو

(١) البخاري (٣١٧١) ومسلم (٢٨٦٠).

أفضل الأمة بعد نبيها رغم أنف الروافض الذين يسبون أبا بكر ويتهمونه بالنفاق يقول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق فأبو بكر مشهور بهذا اللقب البديع العظيم الرفيع السامق إذا سمعت شخصا يذكر أبا بكر فتقول: **من رحمك الله؟ أهو الصديق؟** فكان معروفا بالصديق ففي الحديث فضيلة لهذا العبد الصالح جمعنا الله وإياه في دار كرامته.

خامسًا: في الحديث التحذير من اتخاذ القبور مساجد وأن هذا إنما هو من فعل اليهود والنصارى ومن أفعال الرافضة فإن الرافضة وكذلك الصوفية يشجعون مثل هذه البدع والمحدثات لذا أفتى علماء الإسلام أنه إذا قبر شخص بمسجد من المساجد وجب أن ينبش هذا القبر وأن يذهبوا بهذه العظام إلى مقابر المسلمين وإن كان المسجد اعتدى على القبر وجب هدم المسجد حتى لا يتخذ سلما وذريعة إلى الشرك.

سادسًا: في الحديث عظمة التوحيد وحرص النبي صلى الله عليه وسلم على سد أبواب الشرك وإن كانت صغيرة في أنظار الناس لكنها عظيمة عند الله وعند نبينا صلى الله عليه وسلم.

قال: ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجدا رجع إلى بعض حديث عائشة رضي الله عنها قال: فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا وقد تقدم التفصيل حول هذا في درس الأمس وكل موضع قصد الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا كما قال صلى الله عليه وسلم: «**وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا**»(١).

---

(١) البخاري (٣٢٨).



ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود ﷺ مرفوعًا: «إِنَّ مِنْ شرارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ القُبُورَ مَسَاجِدَ» ورواه أبو حاتم في صحيحه[(١)].



قال: ولأحمد بسند جيد والحديث إذا قالوا فيه سند جيد هي مرتبة بين الحسن والصحة عن ابن مسعود وهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعا أي إلى النبي ﷺ: «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد**» ورواه أبو حاتم في صحيحه هذا الحديث صححه أو جود إسناده أحمد محمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ والحديث واضح المعنى قوي المبنى لكن هناك استشكال: **كيف يجمع بين هذا الحديث: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء» أي أنهم شر الناس والنبي ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم إلى قيام الساعة»؟**[(٢)] والجمع بين الحديثين أن المراد بذلك إلى قرب قيام الساعة أما قيام الساعة أي تحقق قيامها فإنها لا تقوم إلا والناس يتهارجون تهارج الحمر وخفة الطير وحتى لا يقال في الأرض الله الله كما جاء في بعض الأحاديث الصريحة في هذا المعنى.



(١) أحمد (٣٨٤٤) وابن حبان (٦٨٤٧) والطبراني في الكبير (١٠٤١٣٩) والبزار (٨٤٢).

(٢) البخاري (٦٨٨١) ومسلم (١٩٢٠).

فيه مسائل:

الأولى: ما ذكر الرسول ﷺ فيمن بنى مسجدًا يعبد الله فيه، عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل.

الثانية: النهي عن التماثيل وغلظ الأمر في ذلك.

الثالثة: العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك: كيف بين لهم هذا أولًا، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم.

الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.

السادسة: لعنه إياهم على ذلك.

السابعة: أن مراده تحذيره إيانا عن قبره.

الثامنة: العلة من عدم إبراز قبره.

التاسعة: في معنى اتخاذها مسجدًا.

العاشرة: أنه قرن بين من اتخذها وبين من تقوم عليه الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.

الحادية عشرة: ذكره في خطبته - قبل موته بخمس -:

الرد على الطائفتين اللتين هما شرار أهل البدع. بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة، وهم الرافضة والجهمية. وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد.



الثانية عشرة: ما بلي به ﷺ من شدة النزع.

الثالثة عشرة: ما أكرم به من الخلة.

الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من المحبة.

الخامسة عشرة: التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة.

السادسة عشرة: الإشارة إلى خلافته.



ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه مسائل: أي في هذا الباب:

الأولى: ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح ولو صحت نية الفاعل لكن هذا العمل يكون فاسدا.

ثانيا: النهي عن التماثيل وغلظ الأمر في ذلك وقد جاء من حديث أم سلمة وعائشة أن النبي ﷺ قال:

«**أولئك شرار الخلق إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح نصبوا على قبره تلك النصب وصوروا فيه تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله**».

الثالثة: العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك وكيف بين لهم هذا أولا ثم قبل موته بخمس قال ما قال ثم لما كان السياق لم يكتف بما تقدم.

الرابعة: نهي عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر بدلالة حديث: «**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد**» يدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال ابن القيم:

فأجـــاب رب العـــالمين دعـــاءه ... وأحاطـــــه بثلاثـــــة الجـــــدران.



الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.

السادسة: لعنه إياهم على ذلك.

السابعة: أن مراده تحذيره إيانا عن قبره.

الثامنة: العلة في عدم إبراز قبره حتى لا يتخذ مسجدا.

التاسعة: في معنى اتخاذها مسجدا.

العاشرة: أنه قرن بين من اتخذها وبين من تقوم عليه الساعة فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.

الحادية عشرة: ذكره في خطبته قبل موته بخمس.

الرد على الطائفتين التين هما أشر أهل البدع بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين والصحيح أن يقول: من الثلاث والسبعين فرقة وهم الرافضة والجهمية.

أما الرافضة سموا بذلك حينما دعوا زيد بن علي ليكونوا أنصارا له ومدافعين عنه وعن أهل بيته ثم اختبروه قبل أن يعتصموا معه ضد خصومه سألوه عن أبي بكر وعمر **وما هو موقفك منهما؟** فأثنى على الشيخين خيرا فطلبوا منه أن يسبهما قال: **كيف أسبهما وهما وزيرا جدي؟** أي جده رسول الله ﷺ فرفضوه وتكلموا عليه بكلام شنيع قال: اذهبوا فأنتم الرافضة هذا بداية التسمية وكان المحرض رجل يهودي من يهود صنعاء أمه امرأة سوداء دخل في الإسلام زندقة ورياء كما يقال: لا توقز الحبة إلا من داخلها فأراد أن يضرب الإسلام من داخله ولكنه عظيم دين الله سبحانه وتعالى عظيم مهما كان فإنه يتصدى لكل من ضربه ولا يستطيع أحد من الخلق إهانة دين أراده الله ﷻ أن

يكون عزيزا ظاهرا شامخا إلى يوم القيامة كما قال ربنا سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] فهذا الرجل الفاسد أراد أن يفسد الإسلام بل كان يشيع بين الصحابة أن علي هو الله عياذا بالله بل ذهب وغيره فقالوا: أنت أنت فقال: **ماذا؟** قالوا: أنت الله قال: أعوذ بالله **من يقول بقولكم هذا؟** قالوا: كثير فجمعهم وفر هذا قيل: إلى مصر وقيل: إلى المدائن فالله أعلم ثم أحرق أولئك القوم علي بن أبي طالب وقال قولته المشهورة:

لما رأيت الأمر أمرا منكرا أججت ناري ودعوت قنبرا

هذا الرجل أعني عبد الله بن سبأ أراد أن يفسد الإسلام كما أراد بولس أن يفسد دين النصارى فهو أراد أن يفسد الإسلام ولكنه ما استطاع إلا أنه نمى له رجالا فصارت الرافضة تتجمع شيئا فشيئا حتى قويت شوكتها عياذا بالله هؤلاء القوم لم يعلم في التاريخ على امتداد التاريخ البشري من عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا أنهم نصروا الإسلام أو ردوا الكفار عن حياض الدين أو عن بلاد المسلمين بل العكس من ذلك تماما هم عكاز لكل مبطل أعني الرافضة وفي هذا الزمان لهم دولة كان الكلام في الأمس على الصوفية الكلام اليوم على الرافضة الآن لهم دولة تحميهم وتنشر أفكارهم ومبادئهم وكان يقودها ذلكم الرجل أية الله الخميني الذي يصور للعالم أنه على الإسلام وليس على ذلك بل إنه على العقيدة الفارسية لكنهم يظهرون للناس أن عندهم غيرة وأن عندهم دين وليس الأمر كذلك وهذا ما أخبر به كثير من الذين نزلوا إلى إيران وكتبهم واضحة التي تدرس فهم يدرسون في كتاب الكليني وفيه ما فيه من الكفر الواضح بل الخميني له كتاب معروف ومتداول يقول في هذا الكتاب إن لأئمتنا منزلة لا يبلغها ملك مقرب ولا نبي مرسل هذه الطائفة أعني الرافضة يقول

عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: إنهم أشد ضررا على الإسلام ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: إنهم أصل البدع كلها أصل البدع كلها تأتي من قبل الروافض فمن بدعهم الكبرى يعتقدون أن لديهم قرآنا يفوق قرآننا هذا يسمى بقرآن فاطمة ومن معتقداتهم أنهم يقولون بالتقيا أو بالتقية وهم يظهرون خلاف ما يبطنون فيظهرون الإسلام والدين والقيم وهم يكفرون بذلك وإذا ناقش شخصا ربما أظهر لك الموافقة وهو يكيد لك كيدا كذلك عندهم التسفيه للصحابة لا سيما الشيخان أبو بكر وعمر يسبوهما سبا مقذعا وينقمون على عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها هؤلاء الرافضة هم الذين ساعدوا التتر فكان مساعدة التتر عن طريق الوزير محمد بن العلقمي ونصير الدين الطوسي الذي ضحى بالخلافة الإسلامية وبالمسلمين في العراق وفعل الأفاعيل حتى إن التتر أباحوا بغداد أربعين يوما حتى إن المسلمين قتل بعضهم نفسه حيا وبعضهم نزل في البالوعات وفي الأماكن القذرة خوفا من هؤلاء القوم كان بسبب فتنة هذا الرجل الخبيث ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي الذي يسميه الخميني بابا شجاع أي أنه فعل وفعل بالمسلمين ودول الكفر الآن تريد أن تكون الصوفية والرافضة هي المقدمة في نصر أفكارها لأنهم يظهرون باسم الدين وهم ليس من أهل الدين كما قال بعض الشعراء:

تسمى بشمس الدين وهو ظلامه ... وأخر نجم الدين وهو له خسف

فوجب على المسلمين أن يتيقظوا لهذا الأمر ووجب على طلاب العلم أن يتسلحوا بالعلم فإن هؤلاء بعد فترة يكونون أمامنا في الساحة يجيدون الفرائض والنحو والأصول وكثير من علوم الآلة والسني ربما كان خلو ما عنده من العلم إلا فتات إن وجد وهؤلاء يقدمون في الوظائف وفي المساجد وفي كذا وفي كذا فوجب

على أهل السنة أن يكونوا أقوياء أمام هذا الزحف الرافضي على أنه ولله الحمد والمنة كسرت شوكتهم في اليمن فقد كانت هذه البذرة السيئة يقودها السيد حسين بدر الدين الحوثي الذي استعجل في الأمر لأن الروافض هم مبيتون لهذه الهجمة على المسلمين لكن هذا اليمني الحوثي هذا استعجل وانصدم بالدولة ولله الحمد والمنة أن فضح وانكشف أمره وكسرت شوكتهم من بادئ أمرها على أن لهم الآن صحيفة جريدة البلاغ ولهم أيضا في القيادة ولهم أتباع ولهم أنصار ولهم شوكة كبيرة جدا لكنهم ولله الحمد والمنة يعتبر هذا هزيمة نكراء بالنسبة للمذهب الشيعي الرافضي الذين يتسترون بالزيدية وهم أبعد الناس من مذهب زيد بن علي فقد كان زيد بن علي من أهل السنة والجماعة والمذهب الذي يتزعمونه هو مذهب ليس بصحيح نسبته إلى زيد بن علي بل هو جاء مذهب ملفلف من طريق وضاع وكذاب وضعيف فهم يلفقون دين الرافضة ودين الشيعة ملفق من هنا وهناك بخلاف دين أهل السنة فإنه دين قوي عظيم منشؤه من محمد ﷺ عن جبريل عن رب العالمين نقله كابر عن كابر وثقة عن ثقة حتى وصل إلينا بقوته قافلة فيها الصدق والإخلاص والاتباع لو تأملت فيها لا ترى تشققا ولا تصدعا إطلاقا أما بالنسبة للجهمية كما بينت لكم أن أصل مذهب الرافضة هو من اليهود واليهود هم وراء كل بلية مذهب الجهمية أيضا من اليهود وقد جاء في حديث:

«**القدرية مجوس هذه الأمة**»[(١)] والجهمية فيهم هذه الأغاليط كلها فالجهمية نسبة إلى رجل يسمى بالجهم بن صفوان هذا أول ما بدأ ينكر كلام الله بدأ بتعطيل

---

(١) حسن: أبو داود (٤٦٩١) والحاكم (٢٨٦) والطبراني في الأوسط (٢٤٩٤) انظر حديث رقم: ٤٤٤٢ في صحيح الجامع.

صفة المحبة وصفة الكلام وهكذا الشر يبدأ شيئا فشيئا هذا الرجل عاش في خراسان وهذه فيها الصابئة والمنجمون والفلاسفة فيها كل باطل أخذ علمه عن الجعد بن درهم والجعد أخذه عن أبان بن سمعان وأبان بن سمعان أخذ ذلك عن طالوت وشيخ طالوت هو لبيد بن الأعصم الذي سحر نبينا ﷺ فتأمل إلى الرافضة منشؤهم من اليهود والجهمية أيضا منشؤهم من اليهود فكلا الطائفتين منشؤهما من اليهود عند الجهمية بلاء أولا تعطيل الأسماء والصفات وقد أجمع العلماء أن من عطل اسما أو صفة أو آية أو حرفا من القرآن كفر بإجماع المسلمين عند الجهمية القول بالجبر إيش المراد بالجبر يقولون العبد مجبور على المعصية يجعلون العبد كريشة في مهب الريح تميل بها الرياح يمنة ويسرة وعندهم أيضا القول بالإرجاء وذلك أن الناس جميعا على إيمان مسلمهم كافرهم فاسقهم بدعيهم ففي هذا المصطلح إبليس وفرعون وقارون وأبو جهل مسلمون هكذا باعتبار أنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة حتى إن ابن القيم يرد عليهم قائلا:

والناس في الإيمان شيء واحد   كالمشط عند تماثل الأسنان

هذا هو مذهب الجهمية هؤلاء فهذه الطائفة فعلت فعلتها في دين محمد ﷺ ولكن قيض الله لها العلماء الأفذاذ الذين كسروا شوكتها وبينوا باطلها ولا زال باطلهم موجود إلى يومنا هذا فهنالك دكاترة وأساتذة ومعيدين في الجامعات العربية وغير العربية يدرسون مبادئ الجهمية من القول بخلق القرآن وفي مسألة عدم استواء الله على عرشه يجعلون الله ﷻ في كل مكان لأنهم يقولون الله لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا داخل الكون ولا خارج الكون يعني هذا هو العدم فكما قال بعض العلماء: المشركون يعبدون صنما والجهمية تعبد عدما فهم يعبدون العدم

فيوجد من هؤلاء رجل في بلاد الأردن يسمى بالسقاف أو كما قال بعض الأردنيين بالخساف هذا مما يشجع على فكر الجهمية وفكر الصوفية فهو جهمي جلد في باب المعتقد عياذا بالله ولهم أتباع وأنصار في كل بلاد من أجل نشر هذا المذهب الضال ففي هذا الدرس وفي هذه الأحاديث الثلاثة التي تقدمت لنا عن النبي ﷺ يقول محمد بن عبد الوهاب: الحادية عشرة من مسائل هذا الباب ذكره في خطبته قبل موته بخمس الرد على الطائفتين اللتين هما شر أهل البدع بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة وهم الرافضة والجهمية وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور وهم أول من بنى عليها المساجد.

الثانية عشر: ما بلي به ﷺ من شدة الفزع.

الثالثة عشر: ما أكرم به ﷺ من الخلة.

الرابعة عشر: التصريح بأنها أعلى من المحبة.

الخامسة عشرة: التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة.

السادسة عشرة: الإشارة إلى خلافته وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ: «**أغلقوا كل خوخة إلا خوخة أبي بكر الصديق**» قالوا: في ذلك إشارة إلى خلافته والشيخ محمد الأمين الشنقيطي الجكني صاحب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن يقول: إن خلافة أبي بكر كانت بالنص والإجماع إجماع أصحاب النبي ﷺ فإن أبا بكر قال للصحابة: اختاروا لكم شخص فلان أو فلان قال له عمر: بل نختارك أنت وأنا أول من أبايعك ثم تابع الصحابة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في هذا فكان إجماعا وأما النص فإن الله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ



﴿٦ صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧] الذين أنعم الله عليهم هم كالآتي: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء:٦٩] فكانت مرتبة الصديقية هي بعد مرتبة النبوة فكان هذا الوصف لائقا في حق أبي بكر رضي الله تعالى عنه ويكفيه فخرا وشرفا أن النبي ﷺ ناداه بالصديق.

ثالثا: أن النبي ﷺ جاءته عجوز فقال لها: «**عودي في العام المقبل**» قالت: **فإن لم أجدك؟** قال: «**اءت أبا بكر**»[1].

الرابع: أنه لما مرض ﷺ قال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**» فقالت له: عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء فقال لها ولحفصة: «**إنكن لصواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس**»[2] فاجتهدت عائشة وجعلت بلال يخبر عمر يؤم الناس فلما كبر فزع النبي ﷺ لذلك وقال: «**لا يأبى الله والمؤمنون**» يعنى يأبى الله والمؤمنون أن يكون الإمام إلا أبو بكر رضي الله تعالى عنه وهذا مما يخالف فيه أهل السنة والجماعة الرافضة ولكن خلاف الرافضة لا يعتد به أهل الإسلام لا سيما غلاة الرافضة كالجعفرية والخطابية ومن كان بهذا المستوى.



(١) ابن حبان (٦٨٧٢).

(٢) البخاري (٦٣٣) ومسلم (٤١٨).



باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله

يقول شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين
يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله

في هذا الباب ارتباط وثيق بالباب الذي قبله لأن الغلو في الصالحين أو في قبورهم هذا الأمر يفضي بأصحابه إلى أن يؤلهوا هؤلاء الذين غلوا فيهم.

وفي قوله: ما جاء في الغلو أي ما ورد من الأدلة من الكتاب والسنة في هذا الباب.

والغلو هو: مجاوزة الحد مدحًا أو ذمًا فلا يجوز لأحد أن يتجاوز الحد في حق بشر وذلك أنه غاية ما يكون فيه أنه من البشر، إذا كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ يقول في حق نفسه:

«لا تطروني كما طرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»[1] فما بالك بمن دونه رفعة وسؤددًا ومنزلة فلا يرفع النبي ﷺ لا يرفع فوق منزلته التي أنزله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إياها ويقول في حديث آخر:

---

(١) البخاري (٣٢٦١) (٦٤٤٢) وأحمد (١٥٤) (١٦٤) (٣٣١) (٣٩١) والدارمي (٢٧٨٤) وابن حبان (٤١٣) (٤١٤) (٦٢٣٩) وغيرهم.

«**لا تفضلوني على الأنبياء**» وفي حديث آخر: «**لا تفضلوني على يونس بن متى**» وللحديث سبب وهو أن أحد المسلمين قال أمام يهودي: والذي اصطفى محمدًا على العالمين! فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين فغضب المسلم فلطم اليهودي فأبلغوا النبي ﷺ بذلك فقال: «**لا تخيروني على موسى**»(١) وهذا تواضع منه ﷺ وإلا فهو سيد الأولين والآخرين وخليل رب العالمين صاحب المقام المحمود والحوض المورود أول من ينشق عنه قبره وأول من يقعقع باب الجنة فيقول خازنها: من؟ فيقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك، منزلة رفيعة على أن عائشة تقول له: يا رسول الله قد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول:

«**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»(٢) وذلك أنه كان يقوم من الليل حتى تتورم قدماه صلوات الله وسلامه عليه ومع ذلك لا تغلُ فيه ولا تنزله عن المنزلة التي وضعه الله سبحانه وتعالى فيها وهكذا في عباد الله أجمعين إجعل ميزانًا عدلًا وقسطًا فكن ذا عدل في الغضب والرضى في المنع والعطاء، العدل ما تمسكت به أمة إلا علت وسادت وما خلا العدل من أمة إلا هوت وضاعت وصارت بلاقع وكأن لم يكن شيء، حتى إن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول:

(إن الله يحفظ الدولة الكافرة العادلة ويهين أو عبارة نحوها الدولة المسلمة الظالمة) فنحن مطالبون بالعدل والإنصاف مع الناس أجمعين

فلا تغلُ في شيء من الأمر واقتصد   كلا طرفي قصد الأمور ذميم

(١) البخاري (٢٢٨٠).

(٢) البخاري (١٠٧٨) ومسلم (٢٨١٩).

وقد كان النبي ﷺ يدعو: «**اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق..... إلى أن قال: أسألك القصد في الفقر والغنى والعدل في الغضب والرضى**»(١) يكون عندك عدل مع الموافق والمخالف عدل يقول ربنا سبحانه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] فالغلو آفة أيما آفة فعلى العبد إن رأى ميولًا من نفسه لأمر ما أن يحتفظ بهذا الميل ولا يستعمله فإنه يكون ضرر يكون فيه ضرر سلبًا أو إيجابًا خيرًا أو شرًا إياك أن تبالغ في عدوك مبالغةً شديدة وتعطيه من البغض أكثر مما يستحقه أو أنك تميل بحبك وعطفك على الموافق فترفعه فوق منزلته ولكن التوسط، فهؤلاء المشركون غلوا في بعض المخلوقين كما سوف يأتي فصيروهم - عياذًا بالله - أوثانًا تعبد من دون الله غلت اليهود في عزير فعبدوه من دون الله وغلت النصارى في دانيال أحد أنبياء بني إسرائيل وكانوا إذا قحطوا أخرجوه من تابوت كان عنده قبر بمثابة تابوت يستطيعون إخراجه استسقوا بهذا الرجل فيسقون ابتلاءً واختبارا فعبدوه من دون الله، وهكذا أيضًا بعض المسلمين اليوم يعبدون المقبورين من دون الله هناك من يغالي في ابن علوان ويقول: هو ينفع جنب الله وهناك من يدعو الخمسة أصحاب الكساء يعنون بذلك: محمدًا عليه الصلاة والسلام وعلي والحسن والحسين وفاطمة البتول رضي الله تعالى عن آل رسول الله أجمعين وهكذا منهم من يدعو أحمد الرفاعي، والسيدة زينب والحسين ورأيت مكتوبًا في بعض اللوائح في العراق يا علي أدركني ويا حسين أغثني عبارات شركية تدعو إلى الكفر والإنخلاع من دين رب العالمين، هذا هو الشرك في حد ذاته فلا ينبغي للشخص أن ينحو هذا المنحى بل عليه أن يكون عنده ميزان العدل، رجل صالح ينفعه صلاحه، الرجل

(١) صحيح: النسائي (١٣٠٥) وأحمد (١٨٣٥١) وابن حبان (١٩٧١) وانظر مشكاة المصابيح (٢٤٩٧).



الصالح هو الذي أدى حق الله وحق الخلق ينفعه صلاحه ونحن نطلب منه الدعوة في حال حياته أدع لنا بارك الله فيك أما أننا نتمسح أو نرى أنه معصوم هذا لا يجوز وقد حضرت مرة يعني دخلت مسجدًا من مساجد الصوفية في بلاد البيضاء وإذا بشيخهم الهدار قد وضع يده على ماسة فيأتون ويأخذون اليد ويتمسحون بها ويتبركون بها ويجعلونها على رؤوسهم وعلى جباههم وعلى أعينهم **إيش هذا؟** هذا لا يكون إلا لرسول الله ﷺ أما البشر فلا، فهذه الترجمةً تحمل معاني كثيرة ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يشمل في ذلك الأنبياء والأولياء وما دونهم يصيرها أي يجعلها أوثانًا.

والوثن: هو ما نصب للعبادة، تعبد من دون الله.



روى مالك في الموطأ: أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»(١).



ثم قال: روى مالك.

ومالك هو ابن أنس إمام دار الهجرة أصبحي مدني، أحد الأئمة الأربعة، أحد الفقهاء الأئمة المتبعين في هذا الدين وكان من أحفظ أهل زمانه لسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، مالك بن أنس بلغ مبلغًا من العلم والديانة والصيانة والعفة والطهر، وكان كرسيه كعروش الملوك إعظامًا لحديث رسول الله ﷺ، وكان لا يحدث حتى يتطهر ويدهن ويجلس بوقار فإن سئل عن الحديث قائمًا يأبى أن

(١) صحيح: مالك (٤١٤) وانظر مشكاة المصابيح (٧٥٠).

يجيب، يقول: أجيب عن حديث رسول الله ﷺ وأنا أمشي !!، وكان إن رفع أحد صوته في حلقته زجره وقال: إن الله يقول:

﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات:٢] فمن رفع صوته على حديثه فكأنما رفع صوته على صوته في حال حياته وزاره مرةً ابن المبارك أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك فوسع له مالك بجانبه فلما رأى ما عنده من الأدب قال:

يـأبى الجـواب فـلا يراجـع هيـبةً ... والسـائلون نـواكس الأذقـان
أدب الوقـار وعـز سـلطان التقـى ... فهـو المطـاع ولـيس ذا سـلطان

إذ كان مهيبًا كل المهابة وتناقش مع مالك في بعض المسائل وتأمل في فقهه وفقه مذهبه وتعرفون المالكية رحمهم الله أكثر ما يكون اعتمادهم على المعنى وهكذا أيضًا سيأتي الكلام على الموطأ إذ أنه قريب العهد بالنبي ﷺ فأسانيده أعلى من أسانيد البخاري لقربه من النبي ﷺ مدةً فلما رأى ابن المبارك ما عنده من الخير قال:

صـموت إذا مـا الصـمت زيـن أهلـه ... وفتـاق أبكـار الكـلام المخـتم
وعى مـا وعـى القـرآن عـن كـل حكمةٍ ... وسـيطت لـه الآداب بـاللحم والـدم

وله تلامذة أخذوا عنه وكان يختبر الطالب، إذا جاءه الطالب يختبره وربما يجعله يبيت ليلة أو ليلتين عند عتبة بابه يتأمل في هذا الطالب هل هو طالب بحق لأن العلم كان في الصدور، الآن ممكن أكبر فاسق يذهب إلى أي مكتبة يأخذ كتاب ويقرأ ويدعي العلم، فلذلك خاف بعض العلماء حينما دخل العلم في السطور قالوا: سيهان العلم إذ أنه كان لأهله لا يؤخذ إلا من الصدر إلى الصدر أما الآن سيدخل فيه من هب ودرج، وفعلًا، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عنده تواضع وتورع فقد كان لا يفتي حتى يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وكان إذا جاءته مسائل أفتى ببعضها فيقول له السائل:

جئتك من العراق مثلا، يقول: أنظر إلى ذلك الجبل اصعده وناد في الناس: إن مالكًا لا يحسن إلا هذه المسائل، كان علمه لله ﷻ.

وهو الذي قال: كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر، وأشار إلى قبر النبي ﷺ، وهو القائل لما سئل عن الإستواء قال: الإستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وقال في الرجل: إنه رجل سوء، ولا زال مذهب مالك إلى يومنا هذا له كتب ومؤلفات وأتباع، وقد أحسن من قال:

جـــزى الله المالكيـــة مـــا جــــزى عـن الـدين أصـحاب الإمـام المبجـل
همـــو وردوا حـــوض المنايـــا أعـــزةً وقـد أنفـوا أن يصـحبوا كـل مبطـل

وأما كتابه الموطأ فالموطأ بمعنى الممهد قيل: ألفه في أربعين عامًا وكان متحريًا، روى لبعض الضعفاء والكذابين أو الوضاعين لكن ليس عن سبيل التعمد وإنما كان بعضهم يتزين لأمثال هؤلاء كعبد الكريم بن أبي المخالق أو ابن أبي العوجاء لما قال بعضهم: غاص مالك فوقع على خشبة منكسرة أو خزفة منكسرة، روى عنه مالك وإلا فأغلب أحاديثه صحيحة، وكان العلماء يعظمونه بل إن الشافعي يقول: لا أعلم كتابًا أصح من موطأ مالك، وهو تلميذ من تلامذته على أن الشافعي ما رأى صحيح البخاري لأن البخاري متأخر، يقال: أنه قرأه عليه فقال له مالك: إني أرى عليك نورًا فلا تطفئه بظلمة المعصية، وأحسن من شرح كتاب مالك هو التمهيد لابن عبد البر النمري القرطبي، بل وبلاد المغرب بشكل عام هم على المذهب المالكي وقليل من بلاد مصر.

قال: روى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا**

يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[١].

اللهم معناه أو أصله: يا ألله، وفي قوله: لا تجعل دعاء منه ﷺ وطلب من الله ﷻ أن لا يجعل قبره مجمعًا يجتمع إليه الناس وقد استجاب الله ﷻ ذلك الدعاء كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

فأجـــاب رب العـــالمين دعـــاءه وأحاطـــه بثلاثـــة الجـــدران
حتـــى غـــدت أرجـــاؤه بدعائـــه في عـــزة وحمايـــة وصـــيان

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ:

ودل الحديث على أن قبر النبي ﷺ لو عبد لكان وثنًا ولكن حماه الله تعالى بما حال بينه وبين الناس فلا يوصل إليه ودل الحديث على أن الوثن هو ما يباشره العابد من القبور والتوابيت التي عليها وقد عظمت الفتنة بالقبور لتعظيمها وعبادتها كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير وينشأ فيها الصغير تجري على الناس يتخذونها سنة إذا غيرت قيل: غيرت سنة» وهذا ينطبق على حال الناس اليوم إذا أراد شخص أن يهدم قبرًا أو يغير المنكر، قالوا: هذا يحارب الدين، وهذا الأثر صحيح، قال: ولخوف الفتنة نهى عمر تتبع آثار النبي ﷺ المواطن التي كان يجلس فيها النبي ﷺ كما سوف يأتي، قال ابن وضاح: سمعت عيسى بن يونس يقول: أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة، وقال المعرور بن سويد: صليت مع عمر بن الخطاب بطريق مكة صلاة الصبح ثم رأى

---

(١) صحيح: مالك (٤١٤) وانظر مشكاة المصابيح (٧٥٠).



الناس يذهبون مذاهب فقال: أين يذهب هؤلاء؟ قيل: يا أمير المؤمنين: مسجد صلى فيه النبي ﷺ فهم يصلون فيه، فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعًا فمن أدركته الصلاة فليصل ومن لا فليمض ولا يتعمدها.

وفي قوله ﷺ: «**اشتد غضب الله...**» فيه إثبات صفة الغضب وهي صفة تليق بكمال الله وعظمته وكبريائه ولا تشبه صفة من صفات مخلوقاته.

«**على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» قد تقدم شيء من ذلك ولكن لا بأس أن نقرأ كلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله فإنه مفيد في بابه قال: قوله ﷺ:

«**اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» فيه تحريم البناء على القبور وتحريم الصلاة عندها وأن ذلك من الكبائر، وفي القرى للطبري من حديث أصحاب مالك عن مالك أنه كره أن يقول: زرت قبر النبي ﷺ وعلل ذلك بقوله ﷺ:

«**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**» الصحيح لا تقول: أزور قبر النبي ﷺ ولكن تقول: أزور مسجد النبي ﷺ، العوام الكلام هذا فوق مستواهم يقول إذا قلت له: قل زرت مسجد النبي ﷺ قال: لا أنا أزور النبي أو قبر النبي ﷺ، ما يفهم أن شد الرحل لا يجوز إليه ﷺ لكن يجوز أن يشد الرحل إلى مسجده، إلى المسجد الحرام، إلى المسجد الأقصى فبعضهم يقول: أين الأفضل الحجار أو رسول الله ﷺ؟ الجواب وبدون تفكير رسول الله أفضل فيقول لك: طيب بناءً على كلامك هذا أنك تقول لي: أنه الأفضل لي أن أزور الحجارة وأنا أريد أن أزور من قلت أنه أفضل وهو رسول الله ﷺ هذا تعليل وكل تعليل باطل ميت لأن كل تعليل يكون مصادمًا للحق فهو تعليل باطل مثل الذين يصلون ويضعون أيديهم على قلوبهم

لماذا؟ يقول لأن القلب له نبضات وأنا إذا فعلت هكذا أخفف من نبضات القلب تقول له: النبي ﷺ كان يضعها في غير هذا الموضع على الصدر أو ما بين الصدر والبطن روايات عن الرسول ﷺ في ذلك فبعضهم يأتي باستحسانات وبتعليلات من عنده وهذه لا تنفع شيئًا في مقابلة النص.



ولابن جرير بسنده عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم:١٩] قال: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره.

وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس ﵄: كان يلت السويق للحاج[(١)].



قال: ولابن جرير.

ابن جرير هو الإمام الحافظ محمد بن جرير بن يزيد الطبري صاحب التفسير والتأريخ والأحكام قال ابن خزيمة: لا أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير، وكان من المجتهدين لا يقلد أحدًا وله أصحاب يتفقهون على مذهبه ويأخذون بأقواله، قال: ولد سنة أربعة وعشرين ومائتين ومات ليومين بقي من شوال سنة عشرة وثلاثمائة هذا له كتاب التأريخ والتفسير وتفسيره من أجمع التفاسير بل إن ابن كثير إنما استفاد الأسانيد من تفسير ابن جرير واستفاد ابن كثير الأحكام من تفسير القرطبي فهو كتاب فاق غيره فيما يتعلق بأمر الأسانيد وهو من أهل السنة وليس بشيعي ولا رافضي هو من أهل السنة والجماعة وكان له نهم وهمة عالية في طلب

---

(١) تفسير الطبري (١١ / ٥١٩).



العلم وهو القائل قولته المشهورة: مع المحبرة إلى المقبرة وبعض الناس يزهد في تفسيره ويقول: لا الأولى أن تقرأ في الكشاف للزمخشري وبعض طلبة العلم يقول: لا أقرأ في تفسير السعدي مع أن تفسير السعدي تفسير سلفي جيد لكن هو عبارة عن فك لغوامض القرآن وفيه خير كبير لكن طالب العلم لا يقتصر على هذا، يقرأ في المبسوط، وفي الموسع، حتى يستفيد من أقوال أهل العلم.

قال: ولابن جرير بسنده عن سفيان بن منصور عن مجاهد، جاء في بعض النسخ أنه سفيان الثوري، وأما مجاهد فهو ابن جبر أبو الحجاج المكي قال: عرضت القرآن على ابن عباس عدة عرضات أوقفه عند كل آية أسأله، ويقول سفيان الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، كان مفسرًا من أكابر المفسرين في زمانه بل هو صاحب المدرسة المكية خلفًا لابن عباس.

في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم:١٩] قال: كان يلت لهم السويق، هذا رجل كان يلت لهم السويق للحجاج والمراد بالسويق هو الشعير يحمص أي يحمى في النار ثم يطحن ويعجن بالسمن والتمر ويعطيه الحجيج هذا عادتهم في الجاهلية قبل الإسلام كانوا يكرمون الحجاج والآن في هذا الزمان ربما يسرقون الحجاج ويزيدون عليهم لا سيما الباعة الذين هم حول الحرم، يرفعون الأثمان لأنه في نظرهم موسم إستغلالي يستغلون به الزائرين والقادمين من الآفاق، فهذا الرجل كان يلت السويق ويسقي الماء ماء زمزم فلما مات اعتقد الناس فيه الصلاح وصوروا صورة على شكله وكانوا يعبدونه من دون الله لشرفه حينما قام بهذا الأمر، قال: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج ومعنى للحاج أي للحجاج.

وعن ابن عباس ﵄ قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَائِرَاتِ القُبُورِ، وَالمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ وَالسرجَ» رواه أهل السنن[1].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الأوثان.

الثانية: تفسير العبادة.

الثالثة: أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه.

الرابعة: قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

الخامسة: ذكر شدة الغضب من الله.

السادسة: وهي من أهمها، صفة معرفة عبادة اللات التي هي أكبر الأوثان.

السابعة: معرفة أنه قبر رجل صالح.

الثامنة: أنه اسم صاحب القبر وذكر معنى التسمية.

التاسعة: لعنه ﷺ زوارات القبور.

العاشرة: لعنه من أسرجها.



(١) ضعيف: أبو داود (٣٢٣٦) والترمذي (٣٢٠) والنسائي (٢٠٤٣) وأحمد (٢٠٣٠) انظر حديث رقم: ٤٦٩١ في ضعيف الجامع.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**» رواه أهل السنن.

حديث ابن عباس هذا حديث ضعيف لكن جاء بلفظ: «**لعن رسول الله ﷺ زوارات**»[(١)] حديث ابن عباس الذي هو: «**لعن رسول الله ﷺ زائرات**» رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وقد ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة وكذلك في تحذير الساجد، هو حديث ضعيف.

وهنا كلام للشيخ عبد الرحمن بن حسن ثم استشهد بكلام ابن تيمية فهو جيد في بابه، قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن:

قوله: وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**» رواه أهل السنن قال: قلت: وفي الباب حديث أبي هريرة وحديث حسان بن ثابت، فأما حديث أبي هريرة فرواه أحمد والترمذي وصححه، وحديث حسان أخرجه ابن ماجة من رواية عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أبيه: «**لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور**» وحديث ابن عباس هذا في إسناده أبو صالح مولى أم هانئ وقد ضعفه بعضهم، الذي هو:

«**لعن الله زائرات**» هذا حديث ضعيف واسم أبي صالح هذا إسمه باذام قال علي بن المديني عن يحي القطان: لم أر أحدا من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أم هانئ وما سمعت أحدًا من الناس يقول فيه شيئًا ولم يتركه شعبة ولا زائدة ولا

---

(١) صحيح: الترمذي (١٠٥٦) وابن ماجة (١٥٧٤) وأحمد (٨٤٣٠) انظر حديث رقم: ٥١٠٩ في صحيح الجامع.

عبد الله بن عثمان ن قال ابن عدي ليس به بأس ولهذا أخرجه ابن السكن، انتهى من الذهب الإبريز عن الحافظ المزي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقد جاء عن النبي ﷺ من طريقين فعن أبي هريرة رضي الله عنه **«أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور»** وذكر حديث ابن عباس ثم قال: ورجال هذا ليس رجال هذا رجال حديث زوارات ليس رجال حديث زائرات هما حديثان فلم يأخذ أحدهما عن الآخر وليس في الإسناد من يتهم بالكذب ومثل هذا حجة بلا ريب، قال: وهذا من أجود الحسن الذي شرطه الترمذي فإنه جعل الحسن ما تعددت طرقه وليس فيها متهم ولا خالفه أحد من الثقات، هذا لو كان عن صاحب واحد فكيف إذا كان رواه عن صاحب وذاك عن آخر فهذا كله يبين أن الحديث في الأصل معروف والعلماء رحمهم الله على قولين اثنين في زيارة النساء للقبور فالذين ذهبوا إلى التحريم هم الحنابلة ويجعلون - بارك الله فيكم - زيارة النساء للقبور محرم بإطلاق إلا أن تمر المرأة عابرة على مقبرة فلها أن تقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون ونحن إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله العافية لنا ولكم، هذا مذهب الحنابلة يرون التحريم مطلقًا، غيرهم يرون الجواز، جواز زيارة النساء للقبور وإنما يكون المحرم هو الإكثار والتصخب ولهم أدلة، منها ما جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ مر بامرأة تبكي عند قبر فقال لها: **«اتق الله واصبري»** قالت: إليك عني إنك لم تصب بمصيبتي فقيل لها: هذا رسول الله فجاءت إليه كما في البخاري وقالت: لم أجد عنده بوابين قالت: لم أعرفك قال لها النبي ﷺ: **«إنما الصبر عند الصدمة الأولى»**[(١)] هذا دليل، الدليل الثاني يستدلون أن عائشة رضي الله عنها زارت قبر أخيها عبد الرحمن وأجهشت بالبكاء وتمثلت

---

(١) البخاري (١٢٢٣).

بقول ذلكم الرجل لما قال:

وكنا كندماني جذيمة حقبة	من الدهر حتى قيل لا يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالك	لطول اجتماع لم نبت ليلة معًا

فهذا من أعظم ما يستدلون به من الأدلة الخاصة.

ثالثًا: أدلة عامة: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة**»[(١)] والمرأة إن كانت تكثر من التصخب والدعاء بالويل والثبور وكان في خروجها فتنة وضرر هي أو الرجل فإنهم يمنعون عن ذلك وللعلماء في هذه المسألة قولان معلومان من غير أن تجرح من لم يأخذ بقولك واجتهد لنفسه، والذي ترجح لدينا هو جواز زيارة المرأة للقبور لأن الزيارة ثلاثة أقسام:

زيارة شرعية: وهي هذه للعبرة والعظة.

وزيارة بدعية: يزور ولكن يذهب يقرأ القرآن أو مثلًا يشد الرحل لهذا القبر.

وزيارة شركية: وهو أن يذهب يتمسح بالقبر أو يدعو صاحب هذا القبر كما هو حاصل في كثير من البلاد اليمنية وغيرها تذهب المرأة إلى رجل في بلاد باب المندب وتنادي الشيخ سعيد المقبور هناك في قبره وتقول: يا شيخ سعيد أسألك أن تحبلني، يعني تريد الحبل من القبر أنظر على سخافة، وهكذا في جيبوتي أخبرنا أن بعض النساء اللاتي يبعن الخمر تذهب إلى قبر أحمد الرفاعي وتقول: يا شيخ أحمد زبائننا قلوا خمورنا ما انبعش وحالتنا... وتدفع خمسة آلاف فرنك لهذا الشيطان الرجيم الذي يطوف المرأة وقد زرناه وفمه مليء بالقات بعد العصر في مثل هذه اللحظات وتجد

---

(١) أحمد (١٢٣٥).



عليه - أعوذ بالله - صورة العبوس والكآبة يعني تعرف في وجهه السوأة والمقت - عياذًا بالله - من ذلك المنظر البشع، هذا مشرك ويدعو الناس إلى شركيات، وهكذا في قبر أحمد بن علوان إذا ذهبت يأتي إليك يقول: حياك الله **جئتم تزورون؟ تشتي مطوف؟** مطوف يعني **إيش مطوف؟!** يطوفك على الصفا والمروة وعلى الكعبة وعلى ماء زمزم - أعوذ بالله - يعني لو قال: **تشتي تشرك بالله؟ تشتي تشرك؟** هو شرك وهكذا في صعدة يطوفون على قبر الهادي وهكذا في حضرموت أيضًا رأيناهم يطوفون حول القبور فنسأل الله ﷻ أن يطهر بلادنا وبلاد المسلمين من البدع ومن الشركيات والخرافات ومن المعاصي وأن يجنبنا وإياكم الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يزيل ما علق في أذهان المسلمين من الشبهات ومن الأحاديث الضعيفة والموضوعة فإنها لها أثر في إثارة مثل هذه الشركيات والبدع وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وأخذ بنواصينا للبر والتقوى وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

قال:

باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

باب ما جاء في حماية، ما جاء أي ما ورد من الأدلة والبراهين، وحماية معناه جعل حام للشيء يحميه أي يمنع من الإقتراب منه، أرأيت مزرعة خاف أصحابها من السراق ومن البهائم يضعون أشجار أو زرب أو أسلاك حديدية يمنعون البهائم لذلك يقول النبي ﷺ: «**كالراعي يرعى حول الحمى**» أي المكان المحمي، ما حماه الخليفة أو الرئيس أو الملك أو صاحب الأرض «**ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه**»[(١)] فالحماية هو المنع من الإقتراب.

ما جاء في حماية المصطفى، المصطفى: لفظ مشتق من الصفوة وهو اختيار الشيء وهناك كتاب بعنوان: صفة الصفوة لابن الجوزي واسمه عبد الرحمن بن الجوزي ويكنى بأبي الفرج، وهو من علماء القرن الخامس الهجري وأصل

---

(١) البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩).



المصطفى مصتفى هذا أصلها، والله ﷻ هو الذي اصطفاه واختاره على العالمين.

ما جاء في حماية المصطفى أي النبي ﵇ إصطفاه الله ﷻ من جميع أهل الأرض، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، يتصل نسبه بإسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن وهو قرشي معروف بالصدق والطهر والعفاف والأمانة وهو من نكاح ليس من سفاح فقد كان من أسرة عريقة معروفة بالمحافظة وهم بنو هاشم بل قال بعض العلماء أنه ﷺ تنقل من عصر آدم إلى أن وصل إلى أبيه عبد الله من الأصلاب الطاهرة إلى الفروج الطاهرة هكذا يتنقل حتى كان في عبد الله بن عبد المطلب وليس في هذا دليل على أن أجداده أو آباءه أسلموا أو مسلمين، في صحيح مسلم قال رجل: **يا رسول الله أين أبي؟** قال:

«**في النار**» فوجد الرجل في نفسه قال له النبي ﷺ:

«**إن أبي وأباك في النار**»(١).

قال: ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد، والجناب بمعنى الجانب والمراد بالتوحيد عموم التوحيد، توحيد الله في أفعاله، وتوحيد الله في أفعال عباده وتوحيد الله في أسمائه وصفاته، في توحيد الربوبية: الذي هو إفراد الله في أفعاله.

ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد، عموم التوحيد **وهل يدخل العقيدة؟** نعم لكن علم العقيدة أوسع من علم التوحيد فباب العقيدة واسع، من حيث اللغة الفرق حاصل فإن التوحيد مصدر وحد لأن مادة الواو والحاء والدال

(و ح د) تدل على الإنفراد جعل الشيء واحدًا، وأما العقيدة مشتقة من العقد

---

(١) مسلم (٢٠٣).

وهو الربط بقوة وإحكام لكن تعريف العقيدة أشمل من تعريف التوحيد فالتوحيد إفراد الله فيما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

أما العقيدة فهي الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده، تعني العقيدة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بكل ما ثبت من أمور الغيب علمية أو عملية وبهذا التعريف نجد أن التوحيد بأقسامه الثلاثة يندرج تحت علم العقيدة وإن أردت أن يتبين لك الفرق هذا إقرأ في التوحيد هذا واقرأ في العقيدة الطحاوية **فهل تجد فرق وإلا لا؟** تجد الفرق، العقيدة الطحاوية فيها أصول التوحيد الثلاثة وفيها أمور الغيب وما يتعلق بالموت والحشر والنشر والصراط والميزان والكفة والجنة والنار، وما شجر بين الصحابة وإيماننا في الحكام وإيماننا برؤية الله، أشياء واسعة.

قال: باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق، أي سدها النبي ﷺ بحيث لم يجعل الأبواب مفتحة لكل أحد لم يجعلها مهملة وإنما سدها **بماذا سدها؟** بما جاء عنه ﷺ من التوجيهات والعلم الذي أخذه عن الله ﷻ في الحفاظ على عقيدة هذه الأمة.

قال: وسده كل طريق يوصل إلى الشرك، والمراد بالشرك لغة: من التشريك أو من الإشراك وهو المشاركة في الشيء وقد فسر النبي ﷺ الإشراك قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**»[(١)] هذا هو الشرك وهو على قسمين:

شرك أكبر مخرج من الملة، وشرك أصغر كيسير الرياء وهناك فوارق بين الشرك

(١) البخاري (٤٢٠٧) ومسلم (٨٦).



الأصغر والأكبر **فما هي؟**

١- الأكبر مخرج والأصغر غير مخرج.

٢- الأكبر يخلد صاحبه والأصغر لا يخلد صاحبه.

٣- الأكبر لا يغفر والأصغر تحت المشيئة.

٤- الأكبر يبيح الدم والعرض والمال بخلاف الأصغر وبعض أهل العلم يقول: لا فرق وهو شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم بخلاف الجمهور يقول: إنه لا فرق بين الشرك الأصغر والأكبر في التخليد وعدم المغفرة ويستدلون بقوله سبحانه:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] يقول: إن هنا وما دخلت عليه في تأويل مصدر إشراكًا، نكرة في سياق النفي تفيد العموم فيقولون يفيد العموم هذا رأيهما.

الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنا سألته فيقول: الشرك الأصغر فوق الكبيرة ودون الشرك وهو تحت المشيئة.



وقول الله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨].



واستدل المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذه الترجمة ولهذا التبويب بآية من كتاب الله الكريم وهي قوله سبحانه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ

تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٨ - ١٢٩] في إرسال نبينا ﷺ ومجيئه للعالمين تأكيد بل ثلاثة مؤكدات: اللام الموطئة للقسم والقسم وقد التي تفيد التحقيق فهذه ثلاثة مؤكدات تؤكد هذا الأمر العظيم، لقد جاءكم،وجمهور المفسرين على أن هذا الخطاب للعرب بدليل من أنفسكم وقوله سبحانه: ﴿رَسُولٌ﴾ الرسول هو رجل من بني آدم أوحى الله إليه بشرع جديد وأمره بتبليغه والرسالة أعظم من النبوة ونبينا عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء والرسل كما قال ربنا سبحانه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

وجاء من حديث أنس عند ابن ماجة وغيره أنه ﷺ قال: «**إن النبوة والرسالة قد انقطعت فلا نبي بعدي ولا رسول ولم يبق إلا المبشرات ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة**»(١) وهذا النبي معلوم ومعروف بصدقه وأمانته ونزاهته وعفته من قبل أن يبعث بل كان هو الملقب بالصادق الأمين لصدقه وأمانته وليس هذا أمرًا نادرًا بل كان أمرًا شاملًا في مسرى حياته كلها

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨] أي من العرب، ولهذا كان الحسد من قبل اليهود والنصارى لماذا انتقلت النبوة والرسالة من بني إسرائيل فصارت في العرب فحسدوه وكادوا له كيدًا ثم قوله سبحانه وتعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ معنى كلمة عزيز أي يصعب ويعز عليه، ذكر بعض اللغويين أنه إذا قيل: هذه أرض عزاز أو عزاز أي أرض صلبة ليست بلينة فقوله سبحانه: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ ما هاهنا مصدرية ليست بموصولية ويكون تقدير الكلام لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٢٧٢) وأحمد (١٣٨٥١) والحاكم (٨١٧٨) وغيرهم وانظر حديث رقم: ١٦٣١ في صحيح الجامع.

عنتكم ومعنى عنتكم أي مشقتكم فهو ﷺ يعز عليه مشقتنا يعز عليه ويعظم عليه أن يحصل لنا العنت والمشقة مثل أن تقول لإنسان: يعز علي موقفكم وما أنتم فيه أنه أمر جلل في نظره وهذا أمر حاصل عنده صلى الله عليه وآله وسلم بل هذا هو الأصل في بعثته كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] فلما كان يعز عليه عنتنا مشقتنا كان رحمة مهداة ونعمة مسداة يقول الله ﷻ في كتابه الكريم:

﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران:١٥٩] فهو القائل ﷺ: «**إن هذا الدين يسر**»(١) وهو القائل ﷺ: «**بعثت بالحنيفية السمحة**»(٢) وهو القائل ﷺ لأبي موسى ومعاذ بن جبل: «**يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا**»(٣) وهكذا من حديث أنس في الصحيحين: دخل أعرابي فبال في ناحية من المسجد فقام الصحابة يريدون الوقوع به قال:

«**لا تزرموه إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**»(٤) ولما معاذ صلى فأطال الصلاة قال له ﷺ: «**أفتان أنت يا معاذ؟**»(٥) وفي حديث آخر:

«**إن منكم منفرين**»(٦) فهو ﷺ رحمة للعالمين أجمعين سواء كانت أمة الدعوة

---

(١) صحيح: النسائي (٥٠٣٤) وابن حبان (٣٥١) وانظر السلسلة الصحيحة (١١٦١).

(٢) صحيح: أحمد (٢٢٣٤٥) والطبراني في الكبير (٧٨٨٣) وانظر السلسلة الصحيحة (٢٩٢٤).

(٣) البخاري (٢٨٧٣) ومسلم (١٧٣٣) وأحمد (١٩٧١٤) وسنن البيهقي الكبرى (١٩٩٣٧).

(٤) البخاري (٢١٧).

(٥) صحيح: أحمد (١٤٢٢٦) وابن خزيمة (١٦١١) وابن حبان (٢٤٠٠) وانظر صفة صلاة النبي ﷺ للألباني صفحة (١٠٦).

(٦) البخاري (٦٧٠) ومسلم (٤٦٦).

أو أمة الإجابة وهكذا هو رحمة لبقية المخلوقات من الحيوانات وما شابهها ثم قال سبحانه: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ والحرص هو بذل الجهد غايته إذا قيل في شخص هو حريص معنى أنه بذل جهدًا من أجل إدراك أمر مقصود فبذل كل ما في وسعه فهو حريص ومن حرصه صلى الله عليه وآله وسلم أنه يقول: «**إنما أنا لكم بمنزلة الوالد**»(١) ويقول نبينا ﷺ: «**ما بقي شيء يقرب إلى الجنة ويباعد من النار إلا وقد بينته لكم**»(٢) وجاء من حديث عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**ما بعث الله نبيًا إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ويحذرهم من شر ما يعلمه لهم**»(٣) هذا من حرصه ﷺ وجاء من حديث أبي هريرة في الصحيحين أنه ﷺ كان يقول: «**مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارًا فجعلت الجراد والهوام يقعن فيها وهو يذبهن عنها وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تفلتون من يدي**»(٤) هذا من حرصه ﷺ وليس حرصًا فقط في هذا الباب بل في الأبواب كلها قال أبو ذر الغفاري كما عند الطبراني رحمه الله، قال أبو ذر رضي الله عنه: «**تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وقد ذكر لنا منه علمًا**»(٥) بين الحلال بين الحرام بين الخير حذر من الشر فهو ﷺ حريص وبلغ من حرصه أنه يكون يوم القيامة أيضًا حريصا على أمته كما جاء في حديث الشفاعة أنه ﷺ إذ جاءت إليه الخلائق تريد منه الشفاعة إلى الله قال:

---

(١) حسن: أبو داود (٨) انظر حديث رقم: ٢٣٤٦ في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: الطبراني في الكبير (١٦٤٧) وانظر السلسلة الصحيحة (١٨٠٣).

(٣) مسلم (١٨٤٤).

(٤) مسلم (٢٢٨٥) وأحمد (١٤٩٣٠) (١٥٢٥٠) ومسند الطيالسي (١٧٨٤).

(٥) صحيح: الطبراني في الكبير (١٦٤٧) وانظر السلسلة الصحيحة (١٨٠٣).

«**فأقول: أنا لها فأخر تحت العرش ساجدًا فيعلمني ربي محامد لم أكن أعلمها من قبل فأحمده بها فيقول الله: يا محمد إرفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأول ما يرفع رأسه يقول: ربي أمتي أمتي**»(١) «**ولما كان على قيد الحياة بكى نبينا ﷺ فأرسل الله إليه جبريل يسأله ما بال بكائه؟ والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فهو يدري ما سبب البكاء فأرسل جبريل إلى محمد يسأله عن سبب البكاء فقال له: أمتي أمتي ! فعاد جبريل إلى الرب فأخبره فأرسله مرة ثانية قال له: إنا سنرضيك في أمتك**»(٢) وهكذا جاء من حديث ابن عباس في الصحيحين أن النبي ﷺ قام خطيبًا فقال: «**أيها الناس إنكم محشورون إلى ربكم حفاة عراة غرلًا** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤] **وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم خليل الرحمن وأنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: رب أمتي أمتي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقًا سحقًا لمن غير وبدل**»(٣) هذا من حرصه ﷺ وبقية الشريعة كلها حرص أيضًا فهو حذر من إطلاق البصر ومن التغوط تحت الأشجار وفي الممرات وأماكن تجمعات الناس وحذرنا النبي ﷺ من كل رذيلة وأمرنا ودلنا على كل فضيلة هذا أيضًا من حرصه ﷺ فما ترك من شيء إلا وبين لنا إياه وذكر لنا منه علمًا فصلوات ربي وسلامه عليه دائمًا سرمديًا أبدًا عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون وفي الدنيا والآخرة قال الله:

---

(١) البخاري (٤٤٣٥) ومسلم (١٩٤).

(٢) مسلم (٢٠٢).

(٣) البخاري (٣١٧١) ومسلم (٢٨٦٠).

﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨] والرأفة والرحمة بمعنى الرقة وبمعنى الحنو على المرحوم فعنده ﷺ رحمة وعنده أيضًا رأفة صلوات الله وسلامه عليه فمن جعله قدوة وقيادة في هذه الدنيا ناله نصيب وافر من حرصه ومن رأفته ورحمته ثم قال سبحانه: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ أي أبوا إلا أن يتولوا وأن يستمروا في العناد والإعراض وتولي الأدبار قال: ﴿فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ﴾ أي كافيني الله ولفظ الجلالة معناه هو: الإله المعبود الذي تألهه القلوب محبة وتعظيمًا والقول الصحيح من أقوال أهل العلم أنه مشتق من أله يأله ألوهية كما ذكر ذلك سيبويه في كتابه المعروف بالكتاب أو ما يسمى بقرآن النحو و﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ هو بمعنى لا إله إلا الله الكلمة الطيبة وكلمة التقوى والعروة الوثقى فهي الكلمة التي لها الشروط المعروفة والأركان المعروفة، فبها يدخل العبد في الإسلام وبتركها أو بما يناقضها يخرج من الإسلام وهي مفتاح الجنة ونبينا ﷺ يقول: «**من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة**»(١) قال: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩] هو رب العرش من باب تعظيم هذا المقام وإلا فهو رب السماوات والأرض رب الجبال رب البحار رب العالمين فهو رب كل شيء سبحانه وتعالى ففي هذا الموطن مدح الله سبحانه وتعالى بهذا المدح العظيم في هذا الموطن، قال: ﴿رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ والعرش كما هو معلوم أن الله سبحانه وتعالى يقول في حق هذا العرش: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] والعرش أعظم من الكرسي فكما جاء في بعض الآثار عن ابن عباس رضي الله عنه: ما الكرسي في العرش إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وجاء في بعض الآثار أنه موضع القدمين فإذا كان الكرسي

---

(١) صحيح: أبو داود (٣١١٦) والحاكم (١٢٩٩) والطبراني في الكبير (٢٢١) انظر حديث رقم: ٦٤٧٩ في صحيح الجامع.

وسع السماوات والأرض كما في آية الكرسي فما بالك بالعرش الذي هو أعظم من الكرسي وما بالك بعظم الرب الذي هو: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] إنه عظيم كبير متعال.



عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ» رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات[(١)].



ودلل على الترجمة المعروفة وهو: باب ما جاء في حماية النبي ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك بحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا**» هنا تعليق للشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله قال:

قوله: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا**» قال شيخ الإسلام يعني ابن تيمية أي لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور فأمر بتحري العبادة في البيوت ونهى عنها عند القبور عكس ما يفعله المشركون النصارى ومن تشبه بهم من هذه الأمة، لا تجعلوا بيوتكم قبورًا أي لا تعطوا هذه البيوت حكم المقابر واستفاد العلماء من هذا تحريم الصلاة في المقبرة وجاءت بعض الأحاديث التي

---

(١) صحيح: أبو داود (٢٠٤٢) وأحمد (٨٧٩٠) والطبراني في الأوسط (٨٠٣٠) انظر حديث رقم: ٧٢٢٦ في صحيح الجامع.

تثبت وتبين أن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة أي صلاة الجماعة، الصلوات الخمس هذه تكون في المسجد جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «**إجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا**»(١) وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر فإن الشيطان يفر من البيت الذي يسمع فيه سورة البقرة تقرأ فيه**»(٢) أو كما قال عليه الصلاة والسلام هذا في قوله: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا**» أيضًا هذا من حمايته صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد ثم قال: «**ولا تجعلوا قبري عيدًا**» قبره صلى الله عليه وسلم المعروف الذي هو في غرفة عائشة والآن دخل من ضمن مسجده صلى الله عليه وآله وسلم «**لا تجعلوا قبري عيدًا**» أي مجمعًا وموسمًا تتجمعون فيه، وهنا كلام متين لشيخ الإسلام ابن تيمية نقله الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله، قال شيخ الإسلام: العيد إسم لما يعود من الإجتماع العام على وجه المعتاد عائدًا إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك، وقال ابن القيم: العيد ما يعتاد مجيؤه وقصده من زمان ومكان مأخوذ من المعاودة والإعتياد فإذا كان اسمًا للمكان فهو المكان الذي يقصد فيه الإجتماع وانتيابه للعبادة وغيرها كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر كلها لله عيدًا للحنفاء ومثابا، كما جعل أيام العيد فيها عيدًا وكان للمشركين أعيادًا زمانية ومكانية فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى كما عوضهم من أعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر هذا شرح قوله صلى الله عليه وسلم: «**لا تجعلوا قبري عيدا**» ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني**

---

(١) البخاري (٤٢٢) ومسلم (٧٧٧).

(٢) مسلم (٧٨٠).

حيث كنتم» صلوا علي هذا أمر منه ﷺ صلوا علي والله ﷻ يقول:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦] وقد جاء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**من صلى علي صلاة واحدة صلى الله بها عليه عشرًا**»[(١)] ومعنى الصلاة على رسول الله ذكر الله له في الملأ الأعلى ومعنى صلاة الملائكة على رسول الله بمعنى الدعاء والإستغفار وصلاتنا على رسول الله بمعنى طلب زيادة الثناء كما نقل ذلك الإمام البخاري عن أبي العالية رفيع بن مهران الرياحي رحمه الله هذا معنى الصلاة على رسول الله ﷺ وهناك مواطن يستحب فيها مثل عند ذكره ﷺ فإنه عليه الصلاة والسلام قد قال:

«**البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي**»[(٢)] وقال: «**رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل علي**»[(٣)] وجاءت آثار تبين فضل الصلاة على رسول الله ليس هذا موطنها ولكن لا بأس أن أعرج إلى حديث واحد وهو حديث أبي بن كعب الذي عند أبي داود والترمذي وغيرهما قال أبي: كان إذا ذهب ثلثا الليل قام النبي ﷺ فيقول: «**أيها الناس جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه**» فقال أبي: يا رسول الله إني أكثر عليك من الصلاة **فكم أجعل لك من صلاتي؟** قال: «**ما**

---

(١) مسلم (٣٨٤).

(٢) صحيح: أحمد (١٧٣٦) وابن حبان (٩٠٩) والحاكم (٢٠١٥) والطبراني في الكبير (٢٨٨٥) انظر حديث رقم: ٢٨٧٨ في صحيح الجامع.

(٣) صحيح: البخاري في الأدب المفرد (٦٤٦) وانظر تحقيق الألباني على رسالة فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم (١٥).



شئت» قال: أجعل لك الشطر؟، قال:

«**ما شئت وإن زدت فهو خير لك**،» قال: أجعل لك الثلثين؟، قال: «**ما شئت وإن زدت فهو خير لك**» قال: أجعل لك صلاتي كلها؟، قال: «**إذن تكفى همك ويغفر ذنبك**»[١] فهو ﷺ يقول: «**فإن صلاتكم تبلغني**» أي في أي مكان كنتم وقد جاء في بعض الأحاديث:

«**إن لله ملائكة سياحين يبلغون النبي ﷺ صلاة أمته عليه**»[٢] بل أصرح من هذا يقول ﷺ: «**ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد** عليه السلام»[٣] فبعض الناس يفهم أن الصلاة هذه لا تكون نافعة له الصلاة على رسول الله إلا أن يذهب إلى المدينة النبوية ويسلم ويصلي عليه يعني عن قرب، هنا يسمع وهذا غير صحيح فجاء من حديث أوس بن أوس أن النبي ﷺ قال:

«**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ففيه خلق آدم وفيه نفخ فيه الروح وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها فأكثروا علي من الصلاة فإن صلاتكم معروضة علي**» قال بعض الصحابة: يا رسول الله كيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ - أي قد بليت - قال: «**أما علمت أن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[٤] عليهم الصلاة

---

(١) حسن صحيح: الترمذي (٢٤٥٧) ومسند عبد بن حميد (١٧٠) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (١٦٧٠).

(٢) صحيح: النسائي (١٢٨٢) وابن حبان (٩١٤) والحاكم (٣٥٧٦) وانظر السلسلة الصحيحة (٢٨٥٣).

(٣) حسن: أبو داود (٢٠٤١) وأحمد (١٠٨٢٧) والطبراني في الأوسط (٩٣٢٩) والبيهقي في الشعب (١٥٨١) انظر حديث رقم: ٥٦٧٩ في صحيح الجامع.

(٤) صحيح: أبو داود (١٠٤٧) والنسائي (١٣٧٤) وابن ماجة (١٠٨٥) انظر حديث رقم: ٢٢١٢ في =

والسلام فهو ﷺ في قبره كما خلقه الله كما كان على قيد الحياة لم تمسه التربة بشيء من الأذى، مات ما مسته التربة ولن تمسه التربة بشيء من الأذى كما خلقه الله ﷻ وكما كان على قيد الحياة بأبي هو وأمي قال: «**فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**» وحيث هنا ظرف مكان مبني على الضم في محل نصب وذكر ابن هشام في القطر أنها تبنى على الضم وعلى الكسر وعلى الفتح ليست لعلة تصريفية، يقال: حيثُ وحيثِ وحيثَ لا لعلة تصريفية وجاءت لغة حوث وحاث فهي أيضًا لغة لكنها ضعيفة.

قال: رواه أبو داود وهو سليمان بن الأشعث السجستاني صاحب الكتاب المعروف بسنن أبي داود وهو كتاب من أجمع الكتب لا سيما في باب الأحكام.

قال: بإسناد حسن ورواته ثقات هذا على حسب ما ذكره أبو داود أنه بسند حسن، وقد جاء أن أبا داود أرسل برسالة إلى أهل مكة حينما ألف كتابه هذا فقال لهم فيها: ذكرت الصحيح وما يشبهه، وما يقاربه، وما كان فيه وهن شديد بينته، وما سكت عنه فهو حسن على أن تعريف الحسن ليس هذا فإن تعريف الحسن هو: ما اتصل سنده بنقل العدل الذي خف ضبطه عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة، فمصطلح أبي داود أنه ما سكت عنه فهو حسن أي صالح عند أبي داود لكن علماءنا يقولون: لا بد من بحث السند وإن كان قد سكت عنه أبو داود لأن أبا داود لم يشترط الصحة في كتابه كما اشترطها البخاري ومسلم في صحيحيهما وكونه يقول: رواته ثقات فمعنى ذلك أنه كان عند هؤلاء الرواة ملكة تحملهم على الصدق والمروءة والخوف من الله ﷻ لكن أيضًا هذه اللفظة لا يستفاد منها تصحيح الحديث أو تحسينه لأنها إنما هي نظرة لرجال السند من حيث الثقة وعدمها أما من حيث

=

صحيح الجامع.



الإنقطاع والإرسال والتدليس فليس هذا بحثها فهناك أيضًا شروط خمسة لهذه الأحاديث حتى يحكم لها بالصحة بهذا القدر نكتفي وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



وعن علي بن الحسين رضي الله عنه أنه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي، عن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ» رواه في المختارة[١].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية براءة.

الثانية: إبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد.

الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

الرابعة: نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حثه على النافلة في البيت.

---

(١) صحيح: مسند أبي يعلى (٤٦٩) ومصنف ابن أبي شيبة (٧٥٤٢) والضياء المقدسة في المختارة (٤٢٨) وانظر تحذير الساجد للألباني ص (٨٥).



السابعة: أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة.

الثامنة: تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

التاسعة: كونه ﷺ في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه.



وعن علي بن الحسين من التابعين ومن أعلمهم، وله قصائد معروفة ويكفيه فخرًا وشرفًا أنه من سلالة رسول الله ﷺ فهو من آل البيت، وإذا تأملت الآن إلى مرويات أهل البيت ومخالفة المدعين محبة آل البيت والتشيع لآل البيت لرأيت بونًا شاسعًا أذكر أنه قيل لبعض الشيعة: كيف تطوفون حول القبر؟ بل أنا قلت لهذا الشخص في مسجد الهادي في صعدة: كيف تطوفون حول هذا القبر - قبر الهادي -؟ والإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: قال لي النبي ﷺ: «**لا تدعن صورة إلا طمستها ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته**»[(١)] والحديث قلنا له: في صحيح مسلم، قال: مسلم هذا أصلًا ضعيف عندنا، قلنا: تلقت الأمة كتابه بالقبول فلا يعتد بخلافكم إطلاقًا، أشياء كثيرة جدًا تجد أن مرويات بيت النبوة تناقض ما عند هؤلاء، وأنا أقول حقيقة: هي عبارة عن مزاعم كما سئل عن ذلك إحسان إلهي ظهير رحمه الله وهذا الرجل من تلامذة الشيخ عبد العزيز بن باز الكبار سئل: لماذا كان التشيع لعلي والحسن والحسين وفاطمة وبعض آل بيت النبوة؟ قال: لقربهم من رسول الله وإلا فالقوم ليسوا مع آل البيت إطلاقًا، كيف يزعمون ويدعون محبة آل البيت وهم يقعون في الشيخين في أبي

---

(١) مسلم (٩٦٩).



بكر وعمر؟، وعلي بن أبي طالب يقول: أفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق، وكان علي يوقر عمر ويجله أيما إجلال.

هذا العبد الصالح أعني علي بن الحسين رأى رجلًا من الناس يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيدخل فيها فيدعو فنهاه عن ذلك وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي - الحسين - عن جدي - علي - عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا - أي موسمًا وتجمعًا - ولا بيوتكم قبورًا**» وقد تقدم شرح هاتين العبارتين بصورة أوسع «**وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني حيث كنتم**» قال: رواه في المختارة، الحديث له طرق ذكره الشيخ الألباني في فضل الصلاة على النبي ﷺ وذكر له شواهد كثيرة جدًا رواه الضياء في المختارة، وهذا الكتاب كتاب الضياء ذكر أحاديث كثيرة جدًا في هذا الكتاب وسماه مختارة لاختياره أحاديث استحسنها، كما اختار الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أحاديث سماها الأربعين، فتواتر عليها العلماء أنهم سموها الأربعين النووية وهنا كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ حول هذا الحديث، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

وأما الحديث الثاني هذا الذي هو حديث علي بن الحسين فرواه أبو يعلى والقاضي إسماعيل والحافظ الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي في المختارة، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: فانظر هذه السنة - هذا هو موطن الشاهد - كيف مخرجها من أهل المدينة ومن أهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا له أضبط، قال: وقال سعيد بن منصور في سننه حدثنا عبد العزيز بن محمد قال أخبرني سهيل بن أبي سهل قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب - هذه رواية أخرى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم عند القبر

فناداني وهو في بيت فاطمة ﵂ يتعشى فقال لي: هلم إلى العشاء فقلت: لا أريده فقال: ما لي رأيتك عند القبر، فقلت: سلمت على النبي ﷺ فقال: إذا دخلت المسجد فسلم، يعني لا تتعمد الذهاب إلى القبر لتسلم أو لتصلي على رسول الله ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال:

«**لا تتخذوا قبري عيدًا ولا تتخذوا بيوتكم قبورًا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ما أنتم وبني بالأندلس إلا سواء**» فإذا أراد العبد أن يحظى بشرف الصلاة والسلام وبشرف الرد من رسول الله ﷺ فليصل وليسلم في أي أرض كان فإن النبي ﷺ يقول: «**ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد** ﵇»(١) وسمعت في شريط للشيخ الألباني أنه أراد أن يرحل للحج أو العمرة من الشام فقال له أحد المسؤولين: أريد أن أبعث معك رسالة فقال الشيخ: ما عندي مانع فقال له: الرسالة خفيفة المحمل فقط تبلغ تحياتنا وتسليماتنا لرسول الله ﷺ فقال له الشيخ الألباني: سلم عليه وصل عليه حيث كنت وفي أي مكان أنت فإن الله ﷻ هيأ ملائكة ينقلون هذا السلام إلى نبينا ﷺ فيرد عليك التسليم فالصلاة تبلغ وهكذا التسليم وعلى هذا فلا يجوز شد الرحل إلى قبره لهذا المقصد لقصد زيارته أو لقصد التسليم عليه لكن شد الرحل للمسجد جائز لحديث في البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا**»(٢) وفي رواية:

---

(١) حسن: أبو داود (٢٠٤١) وأحمد (١٠٨٢٧) والطبراني في الأوسط (٩٣٢٩) والبيهقي في الشعب (١٥٨١) انظر حديث رقم: ٥٦٧٩ في صحيح الجامع.

(٢) البخاري (١١٣٢) ومسلم (١٣٩٧).

«**لا تعمل المطى إلا إلى ثلاثة مساجد**»[(١)] وهذا الحديث في الموطأ من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه فلا يجوز شد الرحل لا إلى قبر البدوي ولا أحمد الرفاعي ولا إلى السيدة زينب ولا الهادي ولا ابن علوان هذه بدع محدثات ما أنزل الله بها من سلطان وهكذا شد الرحل إلى كهف أهل الكهف الذي يزعمونه الآن في صبر بعضهم يشد الرحل إليه لو ذهبت من أجل السياحة والكذا لا بأس على أنه ليس بمؤكد أنه هنا أنه هنا ولا يجوز شد الرحل إلى قبر النبي هود في الأحقاف في حضرموت ولا إلى جبل النور وهو غار حراء الذي كان النبي ﷺ يتعبد فيه في مكة والآن تجد الناس أيام الحج والعمرة زرافات إلى هناك وهو مكان وعر جدًا أنا ما طلعته لكن نظرته من بعد ترى الناس وهم يمشون في غاية من التعب والإرهاق يعني بعد من الشوارع والمدينة، والحكومة هناك حريصة على التوحيد ما أصلحت الطريق إلى هناك حتى لا يكون مزارًا معتمدًا ولو أنها هدمته كان أولى لو هدمت ذلك المكان كان أولى حتى لا يتخذ ذريعة فقد كان بعض التابعين يذهبون فيصلون تحت الشجرة التي ذكرها الله ﷻ في القرآن:

﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] فكان بعضهم يذهب يصلي تحت الشجرة فعلم بذلك عمر فقطعها حتى لا تكون ذريعة إلى الشرك وهكذا - بارك الله فيكم - الناس يتشبثون لهم بأشياء ما أنزل الله ﷻ بها من سلطان يتشبثون بها ويظنون - بارك الله فيكم - أن هذا هو الدين، بل عند العوام يا إخوان جهل مطبق تحصل بعض العوام ربما وكذا من النساء من تقول إلى ابنها: انظر إلى ربنا هذا الكبير وتنظر هكذا في السماء وتظن أن هذا هو الرب نستغفر الله ونتوب إليه

---

(١) صحيح: مالك (٢٤١) انظر حديث رقم: ٧٣٧١ في صحيح الجامع.

وهذه فقط هي السماوات التي رفعها الله بغير عمد وهذا - بارك الله فيكم - جهل مطبق في هؤلاء الناس فكان باب التوحيد وحرص النبي ﷺ عليه من آكد أبواب الفقه وأبواب العقيدة **لماذا؟** لأن به النجاة والهداية والأمن في الدنيا والآخرة كما قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] وبهذا نكون قد جئنا على آخر هذا الباب الذي هو باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك وبهذا القدر نكتفي وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.



باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

يقول: باب ما جاء أي ما ورد من أدلة الكتاب والسنة أن بعض هذه الأمة، بعض وليس كل لأن النبي ﷺ يقول: «**لا تجتمع أمتي على ضلالة**»(١) وهذه الأمة المراد بها أمة الإجابة لا أمة الدعوة فقد جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**ما يسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمة فيموت يوم يموت ولم يؤمن بي إلا كبه الله على وجهه في نار جهنم**»(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة وسبب قول المؤلف بعض كما تقدم أن الأمة لا تجتمع على ضلالة، حديث ابن عباس رواه أبو داود وغيره أضف إلى ذلك ما جاء من حديث عمران بن حصين في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلى قيام الساعة**»(٣) ما هو إلى قيام الساعة إلى قرب قيام

---

(١) صحيح: الترمذي (٢١٦٧) و انظر حديث رقم: ١٨٤٨ في صحيح الجامع.

(٢) مسلم (١٥٣).

(٣) البخاري (٦٨٨١) ومسلم (١٩٢٠).

الساعة لأن النبي ﷺ يقول: «**تقوم الساعة على شرار الناس**»[١] بل جاء أنه ﷺ قال: «**لا تقام الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله**»[٢] ويقول النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس في الدنيا لكع بن لكع**»[٣] نسأل الله السلامة والعافية.

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان، الوثن: كل ما عبد من دون الله يدخل فيه الحجر والشجر والقبر والصنم والجن والإنس، الوثن أعم من الصنم، فالصنم هو الذي له شكل إنسان شكل حيوان لكن الوثن أعم من ذلك كما قال الله ﷻ حاكيًا عن الخليل: ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ [العنكبوت:١٧].

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان، سبب مجيء المؤلف بهذه الترجمة أو بهذا التبويب ردًا على مزاعم الذين يقولون أو ينكرون وقوع الشرك في هذه الأمة، هناك مجموعة الشيعة، الصوفية، منهم ابن حفيظ، والجفري الذي يظهر على القنوات الفضائية ينكرون وقوع الشرك في هذه الأمة يستدلون على ذلك بحديث ينزلونه في غير ما ينزله به وهو حديث جابر عند الإمام مسلم أن نبينا ﷺ قال: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن بالتحريش**»[٤] فقالوا: **كيف تقولون شرك ورسول الله يقول:**

«**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون**»؟ والرد على ذلك أن العلماء كما ذكر ذلك الإمام النووي في شرح مسلم على هذا الحديث حملوا لفظة المصلين على

---

(١) مسلم (٢٩٤٩).

(٢) مسلم (١٤٨).

(٣) صحيح: الترمذي (٢٢٠٩) وأحمد (٢٣٣٥١) انظر حديث رقم: ٧٤٣١ في صحيح الجامع.

(٤) مسلم (٢٨١٢).

الصحابة وبعضهم قال: المراد بالمصلين الموحدين وبعض أهل العلم قال: هذا إخبار من رسول الله لما تقرر في نفس الشيطان، طيب الشيطان يائس من رحمة الله هل نقول: ما لله رحمة هو يائس من رحمة الله فهذا إخبار ولا يلزم من ذلك عدم وقوع الشرك على أن النبي ﷺ يقول: «**من حلف بالأمانة فليس منا**»[١] «**الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل**»[٢] وقال: إنكم تشركون قال: **وما؟** قال تقولون ما شاء الله وشاء محمد، الآن من يقول: ما شاء الله وشئت!

محمد بن هانئ دخل على الحاكم بأمر الله وهو بأمر الشيطان حاكم مصر الذي عكس الفطرة وجعل الليل نهار والنهار ليلًا، دخل محمد بن هانئ ليتقرب إليه بسخط الله قال

ما شئت لا ما شاءت الأقدار ... فاحكم فأنت الواحد القهار

يقولها المخلوق وكان إذا ذكر الحاكم في خطبة الجمعة استقام الناس إذعانًا وخضوعًا لهذا الرجل فمرض هذا الشاعر ولقنه الله ﷻ درسًا قاسيًا كان ينعق على سريره كما ينعق الفرخ صار كالفرخ ينعق كما ينعق الكلب، حالة مزرية فذهب الأمير بزيارته قال:

أبعين مفتقر إليك نظرتني ... وأهنتني وقذفتني من خانقي
لست الملوم أنا الملوم لأنني ... علقت آمالي بغير الخالق

---

(١) صحيح: أبو داود (٣٢٥٣) وابن حبان (٤٣٦٣) والبيهقي في الشعب (١١١١٦) انظر حديث رقم: ٦٢٠٣ في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: أحمد (١٩٦٢٢) والبخاري في الأدب المفرد (٧١٦) والطبراني في الأوسط (٣٤٧٩) انظر حديث رقم: ٣٧٣٠ في صحيح الجامع.

علق آماله بغير الله هذا شرك هذا من الشرك وإيليا أبو ماضي شاعر لبناني بعضهم من يقول نصراني وبعضهم من يقول مسلم وهو إما من أمة الدعوة وإما من أمة الإجابة يأتي بأبيات شرك يقول:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت ولقد أبصرت قدامي طريقًا فمشيت
وسأبقى ماشيًا إن شئت هذا أو أبيت لست أدري لست أدري لست أدري

شرك يا إخوان شرك واضح فالشرك حاصل فكيف تقول الصوفية: لا يسمى دعاء من في القبور وسؤال قضاء الحاجات من الشرك، كيف لا يعد هذا شركًا وهو طلب من غير الله والله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠] أي مهانين حقيرين وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ﴾ [البقرة:١٨٦] ويقول النبي ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**»(١) **ما هو الشرك إذن في نظر هؤلاء؟ ما هو الشرك؟** الشرك: هو أن تجعل لله ندًا وهو خلقك، هؤلاء قد جعلوا أندادًا، جعلوا أندادًا يدعونهم ويخافون منهم ويتوكلون عليهم ويثقون بما عندهم في قضاء الحاجات وتفريج الكربات.

لما دخل التتار إلى بغداد كان بعضهم يقول:

يـــا هـــاربين مـــن التتـــر لـــوذوا بقبـــر أبـــي عمـــر
ينجيكموا من الضرر

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (٢٦٦٩) والمعجم الكبير (١١٤١٦) ومسند أبي يعلى (٢٥٥٦) وانظر مشكاة المصابيح (٥٣٠٢).

وما حال المرأة التي تقول في بلاد باب المندب وهي تنادي مقبورًا إسمه: الشيخ سعيد تقول: يا شيخ سعيد أحبلني، تطلب الحبل من الشيخ سعيد المدفون تحت التراب، الله المستعان هذا من الشرك يا إخوان.

وآخر دخل قرطاس في أذنه فقالت له أمه: خذ القارورة هذه السمن واذهب بها إلى نصب الولي عرفتم نصب الولي وامسح هذا النصب وقل: يا ولي يا ولي يا ولي ! اللهم هكذا اللهم عافني واعف عني واخرج القرطاس من أذني ويمسح على هذا النصب هذا من الشرك وسوف يتبين لكم كيف كان الاستنباط من القرآن ومن السنة ما يدلل على وجود الشرك في هذه الأمة أعني أمة المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم.



وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النساء: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١].



قال: وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١] ألم تر: هذا يسمى عند العلماء بالاستفهام التقريري، ألم تر: أي قد رأيت قد علمت يا محمد

إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب وهم اليهود،أوتوا نصيبًا من الكتاب وهو التوراة التي أنزلت على موسى، أوتوا نصيبًا أي حظًا من الكتاب بمعنى أن عند اليهود كتاب إسمه التوراة ومع وجود هذا الكتاب يؤمنون بالجبت والجبت هو الشرك وقيل السحر والطاغوت عرفت الآن **كيف كان الاستدلال؟** هؤلاء هذه أمة أمة اليهود قد بعث الله إليهم رسل ومع ذلك مع وجود الكتاب إلا أنهم يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا،

الطاغوت لغة: مجاوزة الحد، واصطلاحًا: ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله، وقال العلامة ابن القيم: الطواغيت كثيرة ورؤوسها خمسة:

١- الشيطان عليه لعائن الله هذا رئيس الطواغيت.

٢- من عبد وهو راض.

٣- من دعا إلى عبادة نفسه.

٤- من ادعى علم الغيب.

٥- ومن حكم بغير ما أنزل الله.

هذه رؤوس الطواغيت الخمسة ذكرها ابن القيم وذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب نقلًا عن ابن القيم في غير هذا الكتاب أنت الآن عليك أن تستجمع مع الدرس لكي تنظر **من أين استنبط المؤلف أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان؟**

قال: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [النساء:٥١] يعني هؤلاء اليهود يقولون للذين كفروا أي لكفار قريش

﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١] نقل ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وهما يهوديان إلى أهل مكة وذلك بعد أن نزل رسول الله ﷺ المدينة وكون فيها دولة ودخل الناس في هذا الدين غاض ذلك اليهود فذهبوا إلى مكة استغلالا لهذه الفرصة يحرضون القرشيين على المسلمين فذهبوا إلى مكة فقالوا لهم: أنتم أهل كتاب وأهل علم فأخبرونا عنا وعن محمد إسمع إلى القسمة الضيزى ! فقالوا: **ما أنتم وما محمد؟** فقالوا: نحن نصل الأرحام وننحر الكوماء (أي الإبل السمينة) ونسقي الماء على اللبن ونفك العاني ونسقي الحجيج، ومحمد صنبور يعني فقير منقطع قطع أرحامنا واتبعه سراق الحجيج من غفار **فنحن خير أم هو؟** إسمع إلى اليهود إيش قالوا ! قالوا: أنتم خير وأهدى سبيلًا فأنزل الله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١] هذا تقرير وعضد من اليهود لكفار قريش وشهادة يشهدون بها أنهم أفضل من محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النساء: ٥١] وهؤلاء وقعوا في هذه المطبات كلها مع وجود العلم ولكن اختلفوا.

﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ﴾، قل: **يا محمد هل أخبركم بشر جزاء عند الله ﷻ؟، هل أنبؤكم بشر من ذلك مثوبة؟** أي ثوابًا عند الله، من لعنه الله: طرده وغضب عليه، طرد وغضب وجعل منهم القردة مفرده قرد ذاك الحيوان الذي يشبه بني آدم في غاية من القبح وذكر في القرآن على وجه الذم، والخنازير مسخ بنو إسرائيل إلى قردة وخنازير ذاك الحيوان القذر النجس الرجس الذي هو نجس كله، خنزير فلا يمر إلا على

الجيف والقمامات يقمها ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ هذه في حق اليهود حصل لهم هذه كلها مع وجود الكتاب الذي بين أيديهم ثم ثلث بآية ثالثة:

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١] هذا إخبار عن الحكام في زمن أصحاب الكهف حينما رجع أولئك الناس بعد أن ذهبوا إلى المدينة فاشتروا الطعام ثم بعد ذلك رجعوا من المدينة وانكشف حالهم فماتوا قال بعض الحكام: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ واتخاذ المساجد - بارك الله فيكم - من سنن اليهود والنصارى قال النبي ﷺ: «**أولئك شرار الخلق عند الله إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور**»(١) أو كما قال ﷺ.



عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَذْوَ القُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فَمَنْ؟» أخرجاه(٢).



وعن أبي سعيد، وهو سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال:

«**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟**» أخرجاه.

(١) البخاري (٤٢٤) ومسلم (٥٢٨).

(٢) البخاري (٦٨٨٩) ومسلم (٢٦٦٩) بنحوه.



لتتبعن سنن: أي طرق، من كان قبلكم: أي اليهود والنصارى، حذو القذة: المراد بالقذة ريشة السهم

وذلك من أجل أن تكون ميلًا واحدًا ففي الحديث إخبار على شدة المتابعة والموافقة لليهود والنصارى قال: «**حتى لو دخلوا جحر ضب**» أي مكانًا ضيقًا تدخلونه وهذا هو الحاصل الآن فوجه مناسبة الثلاث الآيات للباب لا يتبين إلا بورود حديث أبي سعيد: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**» فهؤلاء اليهود والنصارى رغم وجود العلم والعلماء والرسل والأنبياء إلا أنهم وقعوا في الكفر والشرك، عبدوا غير الله، سجدوا لغير الله، ألهوا غير الله، أشركوا بالله، لخبطوا عقيدتهم، عقائد في غاية من القبح مشتتة عندهم من الاختلافات ما الله به عليم مع وجود الكتاب فإن كان هذا قد وجد في أمة اليهود والنصارى رغم كثرة أنبيائهم وعلمائهم والنبي ﷺ أثبت لهذه الأمة متابعة هاتين الأمتين فلا بد أن يكون خبر النبي ﷺ حقًا وصدقًا وأمرًا واقعًا فكما أن هؤلاء عندهم كتاب ومع ذلك يؤمنون بالجبت والطاغوت فكذا لابد أن يحصل في هذه الأمة وقد حصل لقد كان الشرك حاصل قبل مبعث النبي ﷺ وكذلك أيضًا بعد موته ﷺ إلى زمن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كان يوجد القباب والأضرحة والذبح لغير الله وهنا أيضًا موجود هناك من يذبح للجن من يذبح لابن علوان من يذبح للخمسة من يذبح - بارك الله فيكم - ذبائح وعقائر لغير الله ما أنزل الله بها من سلطان فهذا من الشرك بهذا القدر نكتفي وللحديث بقية علنا نكمله في يوم غد وصلى الله على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.



ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سيبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِم عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضيتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَو اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»(١).

ورواه البرقاني في صحيحه وزاد: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِم السيفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالمشركِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سيكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِي بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُورَةً، لَا يَضرهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تبارك وتعالى»(٢).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء.

الثانية: تفسير آية المائدة.

الثالثة: تفسير آية الكهف.

---

(١) مسلم (٢٨٨٩).

(٢) صحيح: أبو داود (٤٢٥٢) وأحمد (٢٢٤٤٨) انظر حديث رقم: ١٧٧٣ في صحيح الجامع.

الرابعة: وهي أهمها: ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت؟ هل هو اعتقاد قلب؟ أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها.

الخامسة: قولهم: أن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلًا من المؤمنين.

السادسة: وهي المقصود بالترجمة: أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة كما تقرر في حديث أبي سعيد.

السابعة: التصريح بوقوعها أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة.

الثامنة: العجب العجاب خروج من يدعي النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين، وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأن الرسول ﷺ حق وأن القرآن حق وفيه أن محمدًا ﷺ خاتم النبيين، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثيرة.

التاسعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى بل لا تزال عليه طائفة.

العاشرة: الآية العظمى أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

الثانية عشرة: ما فيهن من الآيات العظيمة منها:

- إخباره ﷺ بأن الله زوى له المشارق والمغارب وأخبر بمعنى ذلك، فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال.
- وإخباره بأنه أعطي الكنزين.



- وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين.
- وإخباره بأنه منع الثالثة.
- وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يرفع إذا وقع.
- وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة.
- وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة.

وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول.

الثالثة عشرة: حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين.

الرابعة عشرة: التنبيه على معنى عبادة الأوثان.



قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولمسلم عن ثوبان.

وثوبان مولى رسول الله ﷺ وهذا اصطلاح اصطلح عليه العلماء على أصحاب النبي ﷺ أن يقال عنهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إستدلالًا بالآية المباركة ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] وإلا فهو دعاء قد يستخدم لغير أصحاب النبي ﷺ تقول: رضي الله عن زيد وعمرو وعلي وغيره من الناس إلى قيام الساعة.

يروي ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله زوى لي الأرض**» وكسرت همزة إن هنا لأنها جاءت بعد فعل القول «**فرأيت مشارقها ومغاربها**» للعلماء قولان اثنان في تفسير هذه اللفظة:



القول الأول: أن الله ﷻ أمد النبي ﷺ بقوة في بصره حتى نظر إلى الأرض كلها شرقها وغربها.

القول الثاني: أن الله ﷻ جمع الأرض كلها حتى تمكن النبي ﷺ من النظر إلى الأرض كلها والأقرب هو القول الثاني، وجائز أن يكون القول الأول أيضًا والله ﷻ على كل شيء قدير.

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

يقول سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩] هذا أمر، أضف إلى ذلك أن هذا أمر من أمور الغيب لا ندري كيف زوى الله الأرض للنبي ﷺ فوجب علينا الإيمان والاعتقاد والتسليم ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ﴾ [النور:٥١] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ [الأحزاب:٣٦] أمر هنا نكرة في سياق النفي تفيد الإطلاق فهذا من علوم الغيب الواجب على المسلم أن يستسلم لها لأن الذي أخبر هو الله قال ربنا: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ١ - ٣] فهذا من أمور الغيب وأمور الغيب لا ينبغي أن يستشكلها المسلم لا تدخل الإيرادات والإستشكالات على أمور الغيب وأنما وجب عليك التسليم والقبول والرضى، ومن أمور الغيب ما جاء في مسألة الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء:١] فقد جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ أصبح في مكة وهو يحدث القوم أنه قد ذهب إلى بيت المقدس وإلى السماوات العلى ثم عاد إلى مكة وأصبح كواحد بائت نائم في مكة، فلما أخبروا

أبا بكر قال: أصدقه على ذلك، فسمي الصديق والمرجفون استغربوا فقال بعض أذكيائهم وكان قد رحل إلى أرض الشام في مدة شهر قالوا: سلوه ينعت لكم المسجد أي يصف فسألوا النبي ﷺ أن ينعت لهم المسجد فقال النبي ﷺ: «**فوقفت أمام الحجر فجلى لي الله المسجد الأقصى كأني أنظر إليه فأنعته للناس**»(١) فقال القوم: أما النعت فصحيح ولكن المسافة شهر فهذا من أمور الغيب وهكذا ما يتعلق بعذاب القبر، منكر ونكير وما يحصل من السؤالات، يقول أهل العلم: عذاب القبر حق ثابت في الكتاب والسنة من غير تأويل ولا تحريف ولا تعطيل عليك أن تؤمن بعذاب القبر جملة، وهكذا حديث أم سلمة أو صفية أنها زارت النبي ﷺ إلى معتكفه ليلًا في رمضان - صفية - وكان بيتها في بيت أسامة بعيد فقام النبي ﷺ ليقلبها أي يعيدها إلى هناك فوجد رجلين من الأنصار فأسرعا قال النبي ﷺ: «**على رسلكما - توقفا -**» الموضع موضع ريبة رسول الله معتكف **إيش خرجه في الليل؟** ربما حصلت تساؤلات ويقول أحد العلماء: أنا لا ألوم من اتهمني بريبة ولكن ألوم نفسي حينما جعلتها في موطن ريبة وفي حديث عن النبي ﷺ يقول: «**وإياك وما يعتذر منه**»(٢) يعني لا تذهب تجلس بباب سينما وبعدين يقول واحد: رأيتك بباب السينما، تقول: لا والله أنا كنت هناك أنا كنت أنتظر كذا أنا كنت أشتري شيئًا **إيش جلسك هناك؟** ما في داعي فانأ بنفسك وعلى الآخر أن يحسن الظن أيضًا فالنبي ﷺ قال: «**على رسلكما**» قالا: **أمنك يا رسول الله؟ أمنك؟** قال النبي ﷺ: «**إنها صفية وإن الشيطان يجري من**

---

(١) البخاري (٤٤٣٣).

(٢) حسن لغيره: الطبراني في الكبير (٣١٢) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٥٠).



ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف الشيطان في قلوبكما شيئًا أو شرًا»[١] وإذا قذف الشيطان في قلوبهما شيئًا أو شرًا أصيبا بالكفر بعد الإسلام لأنه اتهام للرسول ﷺ قال:

«**لا إنها صفية**» فصار الآن مثال من أراد أن يدفع الشبهات عن نفسه يقول: من باب أنها صفية، من شأن يدفع عن نفسه الشبهة وعلى الذي قيل له أن يستسلم كما استسلم الصحابة، لكن بعض الناس وإن اعتذرت له بصفية وعائشة وخديجة الكبرى ما هو مستعد أن يتنازل ويصر على رأيه على حد قول القائل: عنز ولو طارت نسأل الله السلامة والعافية فهذه من أمور الغيب، قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الشيطان يجري**» إثبات لجريان الشيطان، وهل نحس به؟ لا نحس به، أنظر مثلًا الآن في هذا الجهاز كهرباء لو جئنا الآن بمهندس يجد هنا كهرباء نحن نؤمن بهذا أو لا نؤمن على أننا لا نشاهده وهذه الكهرباء هي عبارة عن طاقة عظيمة، الأمر الغالب أن من مسكته الكهرباء مات صح وإلا لا؟ فهذه عبارة عن طاقة ضخمة تأتي عبر أسلاك من مكان بعيد تمشي هكذا والناس لا يرونها وهي تمشي توزع طاقات إلى جميع المحافظات في جميع العالم، كهرباء ونحن نؤمن بذلك على أننا لا نراها وكذلك نؤمن بحركات الجن ولا نراهم ونؤمن بذلك ونؤمن بالريح ولا نراه فهذا من أمور الغيب فنبينا ﷺ يقول: «**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارق الأرض ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها**» إخبار من النبي ﷺ أن ملك أمته سيبلغ مشارق الأرض ومغاربها وهل حصل هذا؟ نعم حصل، إن الله سبحانه وتعالى كما أخبر نبيه ﷺ أن يبشر هذه الأمة حصل هذا.

---

(١) البخاري (١٩٣٣) ومسلم (٢١٧٥).

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، قوله: «**وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها**» قال القرطبي: هذا الخبر وجد مخبره كما قال وكان ذلك من دلائل نبوته وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة وهذا من جهة الغرب، إلى أقصى المشرق مما وراء خراسان وهذا من جهة الشرق وكثير من بلاد السند والهند، والصعد، ولم يتسع ذلك من جهة الجنوب والشمال وذلك لم يذكره ﷺ لأنه قال:

«**فرأيت مشارقها ومغاربها**» هذا أمر واقع فقد حصلت الفتوحات زمن عمر وعثمان والدولة الأموية والدولة العباسية وانتشر الإسلام في بلاد العالم وهذا كله ما بشر به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيقول: «**وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض**» فيه تعريض إلى ملك كسرى وقيصر فإن هاتين الإمبراطوريتين الدولتين العظيمتين سقطتا في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه وأنفقت أموالهما في سبيل الله وغنم من ذلك المسلمون الغنائم الكبرى.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: قوله: «**وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض**» قال القرطبي: يعني به كنز كسرى وهو ملك الفرس وكنز قيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما وقد قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**»(١) وعبر بالأحمر عن كنز قيصر لأن الغالب عندهم كان الذهب وبالأبيض عن كنز كسرى لأن الغالب عندهم كان جوهر الفضة ووجد ذلك في خلافة عمر فإنه سبق إليه تاج كسرى وحليته وما كان في بيوت أمواله وجميع ما حوته مملكته على سعتها

---

(١) البخاري (٢٩٥٢) ومسلم (٢٩١٨).



وعظمتها، وكذلك فعل الله بقيصر.

والأبيض والأحمر، قال: منصوبان على البدل بدل كل من كل، ثم قال ﷺ:

«**وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة**» والسنة العامة: الجدب والزلازل والإغراق والإحراق التام، أن لا يهلكها بشيء من ذلك وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، البيضة المراد بها الساحة أو البلد «**وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد**» والمراد بالقضاء هاهنا: القضاء الكوني لأن القضاء الشرعي قد يقع وقد لا يقع بخلاف القضاء الكوني فإنه واجب الوقوع كما هو معروف لديكم، «**قال: يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها**» سأل النبي ﷺ ربه أن لا يهلك الأمة بسنة عامة وهذا من شفقته ورحمته بالأمة،«**وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم**» يعني من اليهود والنصارى من الكفار والمراد بذلك أن لا يكون استئصال لهذه الأمة من قبل اليهود والنصارى، من غير ذلك، وقوله:

«**وإني سألت ربي لأمتي**» المراد بالأمة هنا: أمة الإجابة لا أمة الدعوة هنا وقد حصل لهذه الأمة من الويلات والمصائب الكبرى ما يندى له الجبين كدخول المغول مثلًا أو التتار، فقد ذكر ابن الأثير في أحداث ستمائة وسبعة وستين قال فيما ذكره: وإني كنت عازفًا عن ذكر مثل هذه الأخبار حتى لا أكون متذكرًا لها ولكن أبى بعض الأصدقاء من إخواني إلا أن أكتب فكتبت وأنا أقدم رجلًا وأؤخر أخرى وهو ما حصل للمسلمين من قبل التتار المغول،

يقال: أنهم قتلوا في يوم واحد خمسمائة عالم في بغداد ناهيك عن عامة الناس



بالآلاف نسأل الله السلامة والعافية حتى قال: ليتني لم أكتب ليت أمي لم تلدني - الله المستعان -.

فهذا بارك الله فيكم هو الواقع لكن حصل ما يندى له الجبين وهو قوله: «**حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا**» يعني يحصل القتل والقتال فيما بينهم نسأل الله السلامة والعافية.

قال: رواه البرقاني في صحيحه، وباء البرقاني مثلثة وهو الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي الشافعي من العلماء الكبار وله مستخرج على صحيح مسلم، وزاد «**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**» والمراد بالأمة أمة الإجابة والمراد بالأئمة الأئمة تعرفون ينقسمون إلى قسمين: أئمة هدى وأئمة ضلالة قال الله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة:٢٤] ويقول عن الآخرين: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [القصص:٤١] نسأل الله السلامة، إمام خير وإمام شر والمراد بالأئمة المضلين من له أتباع يدخل في ذلك العلماء والأمراء والحكام والعباد أيضًا لأن العابد هو إمام له من يتابعه وسمي الإمام إمامًا لأن له من يأخذ بأقواله وأفعاله، «**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**» ثم قال: «**وإذا وقع السيف عليهم لن يرفع إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي - يعني قبيلة - من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**» هذا دليل على إثبات الشرك نسأل الله السلامة والعافية وهذا الحديث عند أبي داود وغيره وجاء ما هو أصح من هذا في البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس على ذي الخلصة**»(١) والمراد بالإلية العجيزة عجيزة

(١) البخاري (٦٦٩٩) ومسلم (٢٩٠٦).



الرجل أو المرأة فيقول إليات نساء دوس، طوفان على صنم بذي الخلصة، وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدونها في الجاهلية.

هنا كلام للعلامة ابن القيم في قصة هدم اللات قال: لما أسلمت ثقيف فيه أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوما واحدًا وكذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور والتي اتخذوها أوثانًا تعبد من دون الله والأحجار التي تقصد للتبرك والنذر لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة أو أعظم شركًا عندها وبها فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة وغلب الشرك على أكثر النفوس بظهور الجهل وخفاء العلم وصار المعروف منكرًا والمنكر معروفًا والسنة بدعة والبدعة سنة وطمست الأعلام واشتدت غربة الإسلام وقل العلماء وغلب السفهاء وتفاقم الأمر واشتد البأس وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين ولأهل الشرك والبدع مجاهدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين هذا موطن الشاهد ثم واصل حديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي**» والحاصل أنه قد خرج أكثر من ثلاثين كما نقل هذا السيد صديق حسن خان في كتابه: الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة عد فيه أولئك الدجالين إلى زمنه وعد منهم الدجال الإفرنجي الخبيث هذا ميرزا غلام أحمد القدياني الذي كان بأمر من النصارى هي التي أمدته بالمال وهيأت له من أجل أن يخرب عقائد المسلمين، الخبيث غلام أحمد القدياني الهندي قبحه الله وأخزاه ومن اتبعه على كفره فإنه ما قام بفتنة وادعى المهدوية ثم النبوة إلا بإيعاز ومساعدة

دولة نصرانية سياستها التفريق لجماعة المسلمين.

قال القاضي عياض: عد من تنبأ من زمن الرسول ﷺ إلى الآن ممن اشتهر بذلك وعرف واتبعه جماعة على ضلاله فوجد هذا العدد فيهم، ومن طالع كتب الأخبار والتواريخ عرف صحة هذا لكن الواقع أنهم أكثر من ثلاثين قال بعض أهل العلم: أن النبي ﷺ عنى بالثلاثين هم الذين يكون لهم شوكة وأتباع وأنصار وجماعة بخلاف الذي يظهر ثم يسجن أو يقتل سريعًا فتعرفون في زمن النبي ﷺ ظهر الأسود العنسي وقتله أهل صنعاء بتآمر من أخته جزاها الله خيرًا فصاح صيحة مدوية قال لها الحرس: **ما هذا؟** قالت: هو الآن يوحى إليه وهي قد تواطأت مع بعض الناس، قتلوه والحمد لله رب العالمين، ثم في خلافة أبي بكر ظهر مسيلمة الكذاب وقتل في خلافة أبي بكر وقد جهز له أبو بكر جنود بإمارة خالد بن الوليد ويقال: قتله وحشي قاتل حمزة وقيل: رجل من الأنصار وظهر في خلافة أبي بكر أيضًا طليحة الأسدي في بني أسد وظهرت سجاح وقيل: أنها تابت وأسلمت قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقًا فإنهم لا يحصون كثرة لكون غالبهم تنشأ دعوته عن جنون أو سوداء مرض يحصل فيدعي النبوة.

حصل في زمن المأمون أن رجلًا ادعى النبوة ثم سجن بعد الفجر مباشرة يعني بدأت نبوته من الليل وما جاء بعد الفجر إلا وهو في السجن ثم بعد ثلاثة أيام قال له المأمون: ما من نبي إلا بعثه الله إلى قوم **فإلى من بعثت أنت؟** قال: **وهل تركتموني أبعث؟** أول ما بعثت سجنتموني.

وظهر رجل آخر في زمن المأمون كثروا يا إخوان حتى أن بعضهم كان إذا جاء وتأخر في الباب في باب الأمير ادعى النبوة فيقدمونه كما حصل لبعضهم دخلوه قالوا:



أتدعي النبوة؟ قال: لا والله ما ادعيت النبوة وإنما ما كنت سأصل إليك من الزحام فلما فعلت هذا قدموني على الناس كلهم، شيطان.

هذا الرجل ادعى النبوة فقال لهم المأمون: اسجنوه ثلاثة أيام وأطعموه خبز وبيض ودجاج فالرجل تنعم جلس ثلاثة أيام يأكل ويشرب وبعد الثلاثة الأيام قال له الأمير: هل أوحي إليك بشيء جديد؟ قال: الليلة هذه أوحي إلي أنني ألزم هذه الغرفة فعرفوا أنه مجنون عرفوا أنه يريد أن يتنعم فتركوه.

وفي أيام المأمون أيضًا ظهر رجل يدعي النبوة فقال له الأمير: ما من نبي إلا وله معجزة فما معجزتك؟ قال: ما شئت قال معجزة نوح قال: وما هي؟ يعني جاهل ما هو داري كيف الأنبياء، قال: تصنع سفينة وتمشي بها في غير البحر ويرسل الله الأمطار ويخذل أعداءك، قال: لا هذه لا، قالوا له: طيب فمعجزة إبراهيم، قال: فما هي؟ قالوا: نجمع لك حطبًا ونحرقك والنار لا تضرك قال: لا هذه ثقيلة شوية، قالوا: فمعجزة موسى، قال: وما هي؟ قالوا: يكون معك عصا تنقلب ثعبان وتدخل يدك في جيبك فتخرج بيضاء من غير سوء، قال: لا ما يريد هذه كبيرة، شوفوا واحدة غيرها وقد كان في قلبه على الوزير شيء قال: فمعجزة عيسى، قال: وما هي؟ قال له: تحي الموتى وتبرئ الأكمه والأبرص قال: نعم هذه أنا أحيي الموتى، كيف؟ قال: أنا أقطع رأس الوزير الفلاني وأعيده من جديد فانتفض الوزير وقام وقال: لا أنا أشهد أنك نبي، يعني سيضحي بالرجال سيقطع رأسه أعوذ بالله سيمسح رأسه وبعد كيف يستطيع يركبه؟

وفي هذا الزمان أنا سمعت شريطًا للشيخ الألباني مناقشة لمدعي الرسالة هذا يقول: إنه رسول وليس نبي قال: لأن الله يقول: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠] ما

قال: وخاتم المرسلين مع أنه ما من رسالة إلا بنبوة فكان ينحل بالأحاديث والآيات القرآنية وأخبرنا أخونا بشير المصعبي بأنه كان ينفعل فكان الشيخ الألباني يقول له: أنت نبي ولا بد أن يكون قلبك واسع يعني صار العالم ينصح هذا النبي الذي يدعي النبوة أراد واحد أن يصحح له بعض الألفاظ قال الشيخ الألباني: دعه هو يلحن في الآيات.

وادعى رجل النبوة في أمريكا فاتصل به أحد المسلمين يهزؤه فقال: من معنا فقال: أنت الذي تدعي أنك نبي، قال: نعم، قال: معك جبريل على الخط.

فالكذابون والدجالون هم كثر ونحن نؤمن أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وخاتم النبيين والمرسلين بدلالة الآية: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠] والخاتم هو الذي يختم به الشيء فلا كلام بعد الختم رفعت الأقلام وجفت الصحف، خلاص انتهى.

وحديث أنس عند ابن ماجة قال النبي ﷺ: «**إن النبوة والرسالة قد انقطعت فلا نبي بعدي ولا رسول ولم يبق من النبوة إلا المبشرات ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة**»(١) فنحن نؤمن بهذا ونكفر بكل من ادعى نبوة بعد نبوة نبينا محمد ﷺ.

قال: «كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله ﷻ» وقد سبق

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٢٧٢) وأحمد (١٣٨٥١) والحاكم (٨١٧٨) وغيرهم وانظر حديث رقم: ١٦٣١ في صحيح الجامع.



التنبيه على هذا وهو أن المراد بمكوث هذه الأمة على الحق إلى قرب قيام الساعة لأن الساعة الكبرى لا تقوم إلا على شرار الخلق وفي هذا الحديث دلالة على أفضلية هذه الأمة وبعضهم استنبط كما هو قول القرطبي من هذا الحديث قوة مستند الإجماع وأنه حجة لكن كما تقدم بأن الإجماع المنضبط هو ما كان عليه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كما ذكر ذلك ابن تيمية وكثير من أهل العلم رد الإجماع قال: من ادعى الإجماع فقد أخطأ وقد كذب وهو قول أحمد والشافعي.

والإجماع الذي يضلل صاحبه أو يكفر مخالفه هو الذي يكون في أمر معلوم من الدين بالضرورة يعني من قال بعدم فرضية صلاة الظهر يكفر لأنه وقع الإجماع على هذه الصلاة. لكن من رد حديثًا وصل به اجتهاده إلى أنه لا يقوله النبي ﷺ أو مسألة من المسائل الفقهية التي حارت فيها آراء العلماء وعقول العلماء فهذا مما يستسمح فيه ويغتفر فيه ولا يقال عن صاحبه بأنه قد كفر أو أنه خرق إجماع الأمة هذا - بارك الله فيكم - ما أردت أن أبينه أسأل الله تعالى بمنه وكرمه وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا وإياكم حماة للتوحيد وأن يجعلنا مجاهدين للشرك والمشركين إلى أن يأتي أمر الله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب ما جاء في السحر

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب ما جاء في السحر

ما جاء أي ما ورد من الأدلة من أدلة القرآن والسنة في باب السحر.

السحر في اللغة: عبارة عما خفي ولطف سببه هذا من حيث التعريف اللغوي ومنه سمي السحر لآخر الليل يسمى أيضا سحر كما قال تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر:٣٤] لأنه يكون في خفية هذا من حيث التعريف اللغوي فكل شيء خاف فيسمى سحرًا.

أما تعريفه الشرعي فهو على قسمين:

القسم الأول: عبارة عن عقد ورقى وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور بغض النظر عن كونه يضره أو لا يضره فالله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة:١٠٢] هذا هو القسم الأول من السحر.

وأما القسم الثاني: فهو عبارة عن أدوية وعقاقير يتوصل بها الساحر إلى ميل عقل المسحور ولهذا وذاك قسم العلماء السحر إلى قسمين:

عطف وصرف، فالصرف يصرفون به الرجل أو المرأة عن أعز أحبابه، والعطف يجعلونه ينعطف ويعطف على أشد أعدائه - عياذًا بالله - ولكن هذه كلها ليست حاصلة إلا بإذن من الله ﷻ كما قال الله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢] وكما قال الله ﷻ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة:٥١] وكما قال نبينا ﷺ: «**ما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه**»(١)، وقوله ﵇: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»(٢) فالمصير في ذلك كله إلى ربنا ﷻ، إذن عرفنا أيها الأخوة تعريف السحر لغة واصطلاحًا أو شرعا.

بقي علينا ما حكم السحر؟ وبم يحكم على الساحر؟

إن كان في هذا السحر استخدام للشياطين فيكون هذا الساحر كافر **لماذا؟**

لأنه استخدم هؤلاء الشياطين لقضاء أغراضه أما إن كان من النوع الثاني الذي هو عبارة عن أدوية وعقاقير فيكون من العدوان ومن الفسق، يكون فاسقًا وعاصيًا أما حكم الساحر في كلا الحالين القتل كما سوف يأتي إن كان من الصنف الأول فيقتل ردة لأنه كافر وإن كان من القسم الثاني فيقتل حدًا منزلين إياه منزلة الصائل دفعًا لعدوانه وضرره وشره على المسلمين **لماذا؟** لأنه يضر بأولياء الله والنبي ﷺ يقول: «**لا ضرر ولا ضرار**»(٣) هذا أمر من الأهمية بمكان، والسحر تعرفون أنه أحد نواقض

---

(١) صحيح: أحمد (٢٧٥٣٠) والبيهقي في الشعب (٢١٥) انظر حديث رقم: ٢١٥٠ في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (٢٦٦٩) والمعجم الكبير (١١٤١٦) ومسند أبي يعلى (٢٥٥٦) وانظر مشكاة المصابيح (٥٣٠٢).

(٣) صحيح: مالك (١٤٢٩) وأحمد (٢٨٦٧) والدارقطني (٢٨٨) والطبراني في الكبير (١٣٨٧) وانظر =

الإسلام والله ﷻ يقول: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢] ويقول سبحانه: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩] ويقول سبحانه: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ [يونس:٧٧] فالسحر أمر خطير في منتهى الخطورة وهو إنما هو من حيل اليهود وعبدة النيران من الصابئة والمجوس يستخدمونه للإضرار بالآخرين أما المسلمون فهم بعيدون من ذلك كل البعد وهنا سؤال:

ما فائدة إيراد هذا الباب؟ أعني باب السحر في كتاب التوحيد، **ما وجه ذلك وما الفائدة؟**

الجواب على هذا أن السحر قد يكون فيه الاستعانة بالجن كما تقدم والشياطين فيفضي هذا بالساحر إلى الكفر والعياذ بالله والله ﷻ يقول: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦] ويقول سبحانه: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣] ويقول ﷻ في كتابه الكريم:

﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢] فكان لزامًا على كل من تكلم في باب التوحيد أن يذكر باب السحر لأن

=

السلسلة الصحيحة برقم (٢٥٠).



له صلة في أن يكون العبد الموحد بعيدًا كل البعد من هذا الباب من باب السحر وأن يعلق العبد ضره ونفعه بالله ﷻ وأن لا يلجأ إلى الجن استعانة واستعاذة وهكذا على غير الساحر أن يعتصم بحبل الله ﷻ ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١]،

فـالزم يـديك بحبـل الله معتصـمًا فإنـه الـركن إن خانتـك أركـان

فإذا تاب الساحر توبة نصوحًا ورأى الحاكم أنه من المصلحة عدم قتله فلا بأس أما إذا كان يكذب بهذه التوبة فإنه إن كانت قد جربت عليه فلا ينبغي أن يمهل بل لا بد أن يسارع إلى قتله لأن ضرره على المسلمين كثير.



وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة:١٠٢].



ثم بعد ذلك يقول المؤلف رحمه الله: وقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾،

الضمير في قوله: ﴿عَلِمُوا۟﴾ [البقرة:١٠٢] هو ضمير الفاعل يعود على متعلمي السحر وهذه الآية: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ سليمان موحد ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ:١٤] لو كان الجن يعلمون الغيب لأدركوا أن سليمان ميت سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام كان يظل متكئًا أو جالسًا على أريكة على كرسي

يلاحظ العمال من الجن والإنس كما في القرآن ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص:٣٧] يبنون ويشيدون ملك عظيم فقبض الله روحه وبيده العصى وهو هكذا مات الجن يعملون بكل دقة وانتباه وكل نشاط وجدية يظنون سليمان حي هذا دليل على أن الجن لا يعلمون الغيب - نعوذ بالله من الجن والشياطين - جاءت دابة الأرض التي تسمى الأرضة أكلت العصى وتعرفون الأرضة كم تأكل الأرضة ما هي جمل ولا ثعبان جاءت تأكل هذه العصى فلما أكلت العصى ضعفت وخر سليمان: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ﴾ [سبأ:١٤] أي سقط ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ:١٤] شغالين عذاب مهين مهانين بالشغل والكد ليل ونهار يظنون سليمان حي وهو قد مات الجن لا يعلمون الغيب فيقول الله: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾ أي السحرة ﴿مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ هنا ما ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ اختلفت فيها آراء العلماء فبعض العلماء من يقول: ما هاهنا نافية يعني ما هناك شيء أنزل على الملكين بمعنى ما حصل شيء من هذه القصة وبعضهم يقول: وهو الصحيح: أن ما هاهنا موصولية ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ﴾ أي والذي أنزل على الملكين ببابل وهي منطقة في العراق، هاروت وماروت ملكان كانا ابتلاءً واختبارًا للناس

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾ بمعنى إذا كفر علموه وإلا ما علموه حال هذين الملكين الذين أنزلا فتنة للناس حال ذلكم الملك الذي جاء للأقرع والأبرص والأعمى فقال للأقرع: **ماذا تريد؟** قال: شعر حسن، قال: **وماذا**

تريد؟ فقال: إبل، فأعطي ناقة عشراء ثم صار له واد من إبل وجاء إلى الأبرص فقال: ماذا تريد؟ فقال: قذرني الناس أريد من الله أن يرد علي جلدي جلدًا حسنًا ولونًا حسنًا فدعا الله له فاستجاب الله الدعوة فأعطاه جلدا حسن ولونا حسنا ثم أعطاه بقرة فكان عنده واديا من أبقار ثم جاء إلى الأعمى فقال: ماذا تريد؟ قال: أن يرد الله علي بصري فدعا الله له فرد عليه بصره كانوا الثلاثة فقراء في غاية الفقر وأعطى هذا شاة حتى صار له واد من غنم عاد الملك بصورة الأقرع الفقير يقول للأقرع الذي قد صار غنيًا قال له: أريد بعيرًا أتبلغ به في سفري هذا ملك ابتلاء قال: الحقوق كثيرة ولا أستطيع قال: ألم تكن أقرع ألم تكن فقير؟ قال: لا هذا مالي ورثته كابرًا عن كابر قال الملك: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت فعاد أقرعًا فقيرًا وهكذا شأن المدبر، مدبر لأنه كما قلت لكم النعمة إذا شكرت قرت وإذا كفرت فرت فانظروا إلى هذا المدبر يعني بعير واحد بس ما وفقه الله ثم ذهب إلى الأبرص قال له: بقرة أتبلغ بها في سبيل سبيلي قال: الحقوق كثيرة قال: ألم تكن أبرص يقذرك الناس؟ قال: لا ورثته كابرًا عن كابر قال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت فعاد أبرص وسلبت منه الأبقار وأمسى الملك لله أخذت عليه النعمة نسأل الله السلامة ثم ذهب إلى الأعمى بصورة أعمى قال له: أريد شاة أتبلغ بها في سفري أنا ابن سبيل ابتلاء والحديث في الصحيحين قال: خذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم شيئًا أخذته لله ﷻ فقد كنت فقيرًا أغناني الله وأعمى رد الله علي بصري فقال له الملك: أمسك عليك مالك الملك لا يأكل ولا يشرب الملائكة مخلوقات نورانية خلقها الله من نور حديث عائشة «**خلق الله الملائكة من نور والشيطان من مارج من نار وآدم مما وصف لكم**»(١) قال الملك:

---

(١) مسلم (٢٩٩٦).

أمسك عليك مالك فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك[(١)] ابتلاءً واختبارًا ويستفاد من هذا أن الشخص لا يغتر بالنعمة انتبه إياك والغرور إياك إذا أعطاك الله علمًا أو مالًا أن تزدري بالجهال أو بالفقراء انتبه فإنما ابتلاء وأختبار فإذا أنت غررت سلبت منك هذه النعمة والله المستعان، فالقول الصحيح من أقوال أهل العلم أن هذين الملكين فتنة، ابتلاء واختبار وهناك قول ثالث لبعض المفسرين فيجعلون في الآية تقديم وتأخير ولا نحتاج إلى هذا فتبقى الآية على ما ذكرها الله ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ أي السحرة ﴿مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ على أنه لا ينبغي لمن قرأ تفسير الآية أن يعير تلك القصص الإسرائيلية اهتمامًا فهم يذكرون الزهرى وأنها كانت امرأة فائقة الجمال وأنها جاءت إلى هذين الملكين فخيرتهم بين قتل ولد والفجور بها وشرب الخمر فاختارا شرب الخمر فقتلا الولد وزنيا بها ثم بعد ذلك مسخت هذه النجمة الزهرى ثم بعد ذلك قيل لهذين الملكين: **أتوافقان على عذاب الدنيا أم على عذاب الآخرة؟** فقالا: لا على عذاب الدنيا فهما الآن منكسين على رؤوسهما في بئر هناك في بابل وإن دخان الدنيا كله يدخل من مناخرهم ويخرج من أدبارهم، هذا كلام غير صحيح لأن هذا من أمور الغيب ولا ينبغي أن نتحدث عن علم الغيب إلا بأمر من الله أو من رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أما القصص الإسرائيليات فإنها كثيرة في

---

(١) البخاري (٣٢٧٧) ومسلم (٢٩٦٤).

هذا الباب وأغلب أسانيدها مظلمة فقد عرفت هذه القصص باستطالتها على الملائكة وعلى الأنبياء والمرسلين وعلى الصحابة عدول هذه الأمة فلا ينبغي أن يعرج على ما في كتب التاريخ، قال القحطاني الأندلسي رحمه الله:

لا تأخذن من التوارخ كلما ... جمع الرواة وخط كل بنان

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ ومعنى اشتراه أي تعلمه ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ أي أن عمله حابط باطل لا ينتفع بهذا العمل عمله مردود.



وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء:٥١].

قال عمر رضي الله عنه: «الجبت: السحر والطاغوت: الشيطان».

وقال جابر رضي الله عنه: «الطواغيت: كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد».



وقوله أي قول الله تعالى:

﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء:٥١] المراد بقوله ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يعني بذلك اليهود تؤمن بالجبت أي تصدق والجبت كل صنم أو سحر أو وثن أو كهانة كما تقدم لكم في الدرس السابق والمراد بالطاغوت لغةً: ما تجاوز الحد واصطلاحا: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

والعلامة ابن القيم رحمه الله يقول: الطواغيت كثيرة ولكن رؤوسها خمسة:

١- إبليس.



٢- من عبد وهو راض.

٣- من ادعى شيئًا من علم الغيب.

٤- من لم يحكم بما أنزل الله.

٥- من دعا إلى عبادة نفسه.

وقال عمر: الجبت السحر والطاغوت الشيطان، وقال جابر: كان الطواغيت كهانًا كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد، والمراد بذلك - بارك الله فيكم - كما تقدم السحر فإنما الشياطين كانت تتنزل على مثل هؤلاء وكانوا كثيرين قبل الإسلام وحتى لا يضطرب الكلام بعضه في بعض فهذا القدر إن شاء الله كافٍ فيما يتعلق بتعريف السحر لغةً وشرعًا وكذلك أقسامه وحكم الشرع في تعلمه وكذلك أيضًا فيما يتعلق بالحكم على الساحر وحده وبقيت بعض المسائل سوف تأتي إن شاء الله في درس آخر وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمدلله رب العالمين.



وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشركُ بالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ»[١].



(١) البخاري (٢٦١٥) ومسلم (٨٩).



قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

وعن أبي هريرة،

أبو هريرة صحابي جليل من أصحاب نبينا ﷺ أختلف في اسمه على ثلاثين قولًا وهو حافظ الإسلام كان يحفظ من الحديث خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثًا، قال أبو هريرة عن نفسه: يقولون أكثر أبو هريرة أكثر أبو هريرة، ثم رد عن هذا بنفسه فقال: كنت ألزم النبي ﷺ على ملئ بطني(١) وكنت أصرع بين مسجد النبي ﷺ وبيته فيصعد الصبيان على صدري يظنونني مجنون وما بي من جنون وإنما هو الجوع - الله المستعان - ذكر لنا شيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن بعض علماء الحجاز كان يقول: كان الصحابة يصرعون من الجوع ونحن الآن نصرع من الشبع، صحيح الأكل يا إخوان والاستمرار عليه يولد أمراضًا بل أمراضًا فتاكة فلذلك شرع الصيام والجري وكذا حتى لا يسبب للإنسان أدواء هذا الصحابي الجليل أعني أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يروي عن الرسول ﷺ أنه قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»

لفظة اجتنبوا أبلغ من قول اتركوا **لماذا؟**

لأن الاجتناب معناه أن تكون في جانب والمنهي عنه في جانب آخر مثل قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:٩٠] فيلزم من لفظة اجتنبوا البعد التام عنه وعن وسائله كلها ويستفاد من الحديث أيضًا حرص النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على هذه الأمة ففيه معنى قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم

---

(١) البخاري (١٩٤٢) ومسلم (٢٤٩٢).

بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨] ما عنتم أي عنتكم يعني يشق عليه أن تتلطخوا بالذنوب والمعاصي ويعز ويشق عليه أن تدخلوا النار ووقائع كثيرة من ضمنها قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**أمتي أمتي**»[(١)] في الدنيا والآخرة في الدنيا بكى أرسل الله جبريل إلى محمد ﷺ يسأله **ما الذي يبكيه وهو أعلم؟** قال: «**أمتي**» قال: (عد إليه وقل له: إنا سنرضيك في أمتك)[(٢)] ويوم القيامة يقول الله تعالى: (يا محمد إرفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع) يقول: «**رب أمتي أمتي**»[(٣)] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حريص علينا يوم أن نهانا عن اجتناب هذه السبع الموبقات وكل حديث حثك فيه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على فعل فضيلة ففيه حرص أو نهاك عن رذيلة ففيه أيضًا حرص منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذه قاعدة.

قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» ومعنى الموبقات أي المهلكات وليس في هذا حصر، لأهل العلم أجوبة بعضهم يقول: على حسب نوعية السائل وبعضهم يقول: لعله ما كان يعلم إلا هذه السبع وبعض أهل العلم يقول: إن العدد لا مفهوم له على أنه جاء عند الطبراني أن ابن عباس سئل عن الكبائر فقال: هي سبع وهي إلى السبعين أو إلى السبعمائة أقرب، فالكبائر كثيرة جدًا ليست محصورة في عدد معين مثل: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**»[(٤)] وجاءت أحاديث تصرح أن هناك

---

(١) البخاري (٦٢١٢) ومسلم (٢٢٩٥) وأحمد (١١٢٣٦) (٢٢٩٢٤) والمعجم الكبير (٦٦١).

(٢) مسلم (٢٠٢).

(٣) البخاري (٤٤٣٥) ومسلم (١٩٣) (١٩٤) والترمذي (٢٤٣٤) وأحمد (٩٦٢١) وغيرهم.

(٤) البخاري (١٣٥٧) ومسلم (١٠٣١).

آخرين لم يشملهم هذا الحديث وهكذا منه قول النبي ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا**»(١) وردت بعض العلامات تدل على النفاق مثل:

«**إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لأتوهما ولو حبوًا**»(٢) على أية حال ليس في هذا حصر.

قال الصحابة: ماهن يا رسول الله؟

وهذا دليل على حرص الصحابة على العلم والتلقي من النبي ﷺ وعلى خوفهم من الله ﷻ فإنهم سألوا عنها حتى يحذروها.

قال: «الشرك بالله»،

وبدأ به النبي ﷺ لأنه أكبر الكبائر وأعظم المفاسد على الإطلاق بدأ النبي ﷺ بالشرك، والشرك معناه أن تجعل لله ندًا وهو خلقك كما جاء من حديث ابن مسعود في صحيح مسلم: سئل النبي ﷺ: **أي الذنب أعظم؟** قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**» قال: **ثم أي؟** قال:

«**أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**» قلت: **ثم أي؟** قال: «**أن تزاني حليلة جارك**»(٣) فالشرك من أعظم الذنوب قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢] وقال سبحانه في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] وقال سبحانه في محكم كتابه

---

(١) البخاري (٣٤) ومسلم (٥٨).

(٢) البخاري (٦٢٦) ومسلم (٦٥١).

(٣) البخاري (٤٢٠٧) ومسلم (٨٦).

وهو يتحدث عن هذا الأمر الخطير: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣] فبدأ الله ﷻ بهؤلاء وحكم عليهم بالكفر حينما ادعوا لله ﷻ شريكًا معه سواء في الربوبية أو في الألوهية وأحاديث كثيرة بلغت مبلغ التواتر في الزجر عن الشرك وطرقه ووسائله منها قول النبي ﷺ وقد سئل عن الموجبتين قال:

«**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن مات يشرك به شيئًا دخل النار**»(١)

فالشرك كان من أعظم الذنوب لأن فيه انتقاصًا لله ﷻ، هو الذي خلق وهو الذي أعطى كله شيء خلقه ثم هدى وهو الذي أوجدك من العدم إلى الوجود من غير شريك ولا معين ثم بعد ذلك تذهب تعبد غيره يقول ﷻ: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»(٢) ويقول يوم القيامة للمشركين المرائين: «**إذهبوا إلى من كنتم تراؤونهم في الدنيا هل تجدون لكم عندهم من جزاء**»(٣) نسأل الله السلامة والعافية، فحقيقة هو أكبر الكبائر وهو أخطر الذنوب والمعاصي على الإطلاق والعجيب أن الحديث عن التوحيد وما يضاده من الشرك والكفر صار في عالم المنسيات لا سيما الذين يظهرون في القنوات الفضائية أمام المليارات من الناس فإنهم لا يطرقون هذا الباب يعني كعمرو خالد مثلًا لا يطرق هذا الباب على أنه من أهم المواضيع وليس في الضلال كالجفري فالجفري رجل ضال مضل فهو على عقيدة منحرفة صوفية - عياذًا بالله - وهكذا عمر باحفيظ أيضا لا يذكرون هذا الباب وإنما يأتون من باب ما يجعل الناس غير نافرين عنهم يعني

---

(١) مسلم (٩٣).

(٢) مسلم (٢٩٨٥).

(٣) صحيح: أحمد (٢٣٦٨٠) انظر حديث رقم: ١٥٥٥ في صحيح الجامع.

حديث الناس يتقبلونه بكل رغبة بخلاف ما لو تكلموا على الشرك وأمروا بالتوحيد تجد من يرد ومن يعترض حتى أن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هذا الإمام الكبير الداعية المصلح الذي جمع الله عز وجل به الأمة على التوحيد في زمانه يقول: لو دعوت الناس إلى ترك الزنا وإلى مكارم الأخلاق لما عارضني أحد وهكذا النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا الناس إلى أمور متفق عليها كأن يدعوهم إلى ترك الزنا إلى ترك الكذب إلى أن يتركوا وأد البنات إلى أن يقولوا كلمة الحق ما أحد يعترض عليه لكن إن جاء إليهم بالتوحيد وهي رسالة الأنبياء كلهم ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦] هذا ما يكون سببًا في الخصومة بين أولياء الله وأولياء الشيطان ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج:١٩] تكون خصومة في باب التوحيد خلاف ما لو جئت تتكلم عن السرقة تتكلم عن القتل عن الخمر عن النفاق عن الحسد هذا الناس يحتاجونه والداعية الموفق الذي يريد أن يرضي الله سبحانه وتعالى فلا بد أن تكون دعوته شمولية في هذا وذاك يدعو الناس إلى مكارم الأخلاق ويدعوهم إلى التوحيد يحذرهم من الحسد يحذرهم من الشرك يحذرهم من الغيبة والنميمة ومن الخمر ويدعوهم إلى ما دعاهم الله سبحانه وتعالى إليه وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة:٢٠٨] ومن السلم التوحيد وعدم الإشراك وكل الدين أمر الله تبارك وتعالى به سواء كان عقائد وعبادات أو سلوكيات.

قال: أولًا الشرك بالله، ويكون الشرك في الربوبية كأن يعتقد أن غير الله يخلق أو يرزق أو في الألوهية كأن يصرف شيئًا من العبادة لغير الله أو في الأسماء والصفات كأن يسمي الله غير ما سمى به نفسه أو يوصف بما لا يليق بجلاله وكماله فهذا يعتبر من الشرك.

قال: «**والسحر**» وهذا في المرتبة الثانية والسحر والشرك قبله من نواقض الإسلام التي تعرفونها والسحر قد تقدم لغة: ما لطف وخفي سببه،

ومنه سمي آخر الليل سحر لأنه في وقت خفاء ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾ [القمر:٣٤] وأما في الشرع أو في الاصطلاح فهو على قسمين: فإما أن يكون عبارة عن رقى وطلاسم واستخدام الجن للتوصل إلى ذهن المسحور وعقله وتصوره وهذا شرك وكفر باتفاق أهل العلم وإما أن يكون بواسطة عقاقير وأدوية وهذا صاحبه يكون فاسقًا على أن أهل العلم كما سوف يأتي في آخر البحث متفقون على أن الساحر يقتل لكن هناك تفصيل **هل يقتل حدًا هل يقتل ردة؟** فالتفصيل في هذا أنه: إن كان سحره من القسم الأول فيقتل ردة وإن كان سحره من القسم الثاني فيقتل حدًا ثم يكون الأمر إلى السلطان إلى الحاكم فإن رأى قتله دون أن يستتاب مصلحة فعل وبعض أهل العلم يقول: إن استتيب فتاب تاب الله عليه فلا يقتل لكنهم متفقون إن أصر على السحر سواء كان من النوع الأول أو من النوع الثاني فإنه يقتل لأنه وردت أدلة كثيرة كما ستمر بنا إن شاء الله عن حفصة وعمر وهكذا أيضًا جندب الأزدي غير جندب الصحابي الجليل أنهم أفتوا وطبقوا ذلك أيضًا على أن الساحر يقتل ولا كرامة.

قال: «**وقتل النفس التي حرم الله**» الله ﷻ أطلق ذلك في كتابه الكريم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الفرقان:٦٨] والنفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق هي أربعة أنفس:

١- نفس المؤمن: الله ﷻ يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗا﴾ [النساء:٩٢] ومن ذلك أيضًا قول نبينا ﷺ: «**لهوان الدنيا بأسرها أيسر عند الله من قتل**

مسلم بغير حق»[١] وحديث أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ: «**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركًا أو قتل مؤمنًا متعمدًا**»[٢]، وهكذا أيضًا غير هذه الأدلة التي تحرم ذلك:

«**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا**»[٣] وقوله ﷻ: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء:٧٠] هذه أدلة على وجه العموم.

٢- الذمي: وهو الذي أعطاه الحاكم المسلم ذمة وعهدًا وميثاقًا أن يدفع الجزية إلى المسلمين فيعيشوا في أوساطهم هذا أيضًا نفسه محرمة لا يجوز إزهاقها لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«**من من قتل معاهدًا في غير كنهه - أي في مأمنه - حرم الله عليه الجنة**»[٤].

٣- المعاهد: وهو الذي بينه وبين المسلمين عهد أن لا يقتل من المسلمين ولا المسلمون يقتلونه فهذا أيضًا نفسه محرمة ومعصومة ولا يجوز لمسلم انتهاكها.

٤- المستأمن: بكسر الميم وهو الذي يطلب الأمان دخل إلى بلاد المسلمين

---

(١) صحيح: الترمذي (١٣٩٥) والنسائي (٣٩٨٧) وابن ماجة (٢٦١٩) انظر حديث رقم: ٥٠٧٧ في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: أبو داود (٤٢٧٠) وابن حبان (٥٩٨٠) والحاكم (٨٠٣٢) انظر حديث رقم: ٤٥٢٤ في صحيح الجامع.

(٣) البخاري (٦٧) ومسلم (١٦٧٩).

(٤) صحيح: أبو داود (٢٧٦٠) والنسائي (٤٧٤٧) وأحمد (٢٠٤١٩) انظر حديث رقم: ٦٤٥٦ في صحيح الجامع.

بتجارة أو يريد يتعرف على الإسلام أو سياحي فالله ﷻ نهانا عن قتل أمثال هؤلاء قال ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة:٦] فإن قال قائل: هؤلاء الذين يدخلون من المستأمنين أو المعاهدين أو الذميين إنما يدخلون بقصد التجسس ولالتقاط جغرافية البلد وللفساد فيشربون الخمر ونساؤهم تتكشف عندهم التبرج ويشجعون على المنكرات نقول: هذا قد يكون صحيحًا ولكن ليس لك أن تغير المنكر بيدك لأن هذا يعتبر من الفوضى في هذا الباب ليس لك أن تقتل ولا أن تغتصب ولا أن تأسر وإنما يكون الأمر راجع إلى ولاة الأمر فوجب على ولاة الأمر أن يتقوا الله ﷻ في شعوبهم وفي أوطانهم وفي أمتهم وفي دينهم وإنهم لمخاطبون بذلك بين يدي الله ﷻ قال ﷻ:

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج:٤١] ويقول النبي ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»(١) ويقول نبينا ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»(٢) فلا يصلح أن تكون الأمور فوضى،

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا

هذا الاختطاف والأسر والقتل وإن كان في الكفار الذين هم يدخلون بلاد المسلمين ومعلوم أنهم كفار صرحاء لا يجوز لك انتهاكهم لأن هؤلاء يدخلون بأمان من الدولة وعلامة ذلك أنهم يعطونهم تأشيرة الدخول من سفارة البلدة في دولتهم ثم حينما يدخلون البلد من منافذها الثلاثة البحرية أو الجوية أو البرية

---

(١) البخاري (٨٥٣) ومسلم (١٤٥٩).

(٢) مسلم (٤٩).

يعطونهم أيضًا ختم الدخول فهذا هو الأمان الذي بأيديهم فهم دخلوا باستئمان من الدولة فلا يجوز انتهاك حرمات هؤلاء ونحن لا نقول هذا الكلام من أجل أن يسبح الحكام بحمدنا أو أنهم يشكرونا على ما نقول، لا نحن نقول هذا عقيدة لله ﷻ نريد بهذا الكلام إرضاء الله ﷻ أولًا وآخرًا ثانيًا: أنه مبدأ ودين وعقيدة، ثالثًا: أننا نقول هذا نصحًا، رابعًا: نقول هذا لأننا لا نريد الفساد في الأرض لأن الله ﷻ لا يحب الفساد المنافقون هم الذين يحبون الفساد والعياذ بالله فهم يجلبون الويلات وبعد ذلك يلصقونها بأهل الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله وأهل الدين من ذلك براء، وهكذا أيضًا ما هو حاصل الآن في بلاد صعدة من قبل الرزامي والحوثي ووالد الحوثي وليس المقصود هؤلاء الثلاثة فإن هذا فكر موجود في الأرض يعني فكر ظالم غاشم خبيث فله تواجده إن اختفى وخبت فسرعان ما يرتفع ويشتعل ويظهر أمام الناس فهذا أيضًا الفكر فكر التكفير والخروج على الحكام وإراقة الدماء وزعزعة الأمن في البلد هذا يعتبر أيضًا أمر محرم وما تقوم به الدولة من قتل هؤلاء والتشهير بهم فإنهم في الجمعة الماضية قتلوا في صعدة نفسها في المحافظة ما يقارب عشرين شخصًا قبل صلاة الجمعة ثم ربطوا ثلاثة أنفار على طقم للحكومة ومروا به يجوبون بهم في الشوارع عبرة وعظة هذا هو عين الصواب لكن نحن نطالب الدولة أيضًا أن يكون هناك رقابة على المناهج على المحاضرات على خطب الجمعة على الكتب التي تدرس فإن الشيعة والعياذ بالله هم يستخدمون التقيا ويظهرون غير ما يبطنون عياذًا بالله وقد قال قائلهم قديمًا:

قــل لفهــد وللقصــور العــوانس ... إننـــا ســـادة أبـــاة أشـــاوس
ســـنعيد حكـــم الإمـــام إمـــا ... بثـــوب النبـــي أو بـــأثواب مـــاركس

فـــإذا خابـــت الحجـــاز ونجـــد فلنـــــا إخـــــوة كــــرام بفـــارس

فهم يتوجهون حسب توجيهات الخميني وأتباع الخميني وهذه ليس في اليمن فقط بل في جميع بلاد العالم أيضًا في السعودية في المنطقة الشرقية هم يعدون عدة مثل هذه أو أطم منها من أجل أن يخرجوا على الحاكم المسلم هناك لأنهم والعياذ بالله يريدون أن يعلنوا دولتهم الدولة الشيعية الرافضية الإثني عشرية الجعفرية التي تبيح لهم أن يقتلوا المسلم الذي يسمونه العمري أو البكري أو المحمدي ولا يريدون أن يكون في الساحة إلا هم الذين تشيعوا لعبد الله بن سبأ وإن قالوا في إذاعاتهم التباكي على علي بن أبي طالب لا والله علي بن أبي طالب من هذا براء وإنما هم أتباع عبد الله بن سبأ وإن كان بعضهم قد كان يكذب مثل هذا الذي نقوله الآن وقد قلناه من قبل وقاله علماؤنا أيضًا من قبل لكنه الآن كما يقال توضع الأزرة على الثياب والنقاط على الحروف فهذا كله من الظلم ومن الفساد الذي حرمه الله ﷻ فقتل النفس التي حرمها الله ﷻ ليس بالأمر الهين بل يذهب عبد الله بن عباس وأبو هريرة رضي الله تعالى عنهما إلى أنه ليس لقاتل مؤمنًا عمدًا توبة ذهبا هذان الصحابيان هذا المذهب لأنهم يقولون بأن هذه الآية من آخر ما نزل: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣] فيقول: من آخر ما نزل ولم ينسخها شيء لكن جمهور الصحابة ومن بعدهم إلى يومنا هذا يرون أن للقاتل توبة وأن الآية خرجت مخرج الزجر والتهويل فللقاتل توبة على القول الصحيح من أقوال أهل العلم بدليل قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾

إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠] وقوله سبحانه:

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢] نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه وأن يأخذ بنواصينا للبر والتقوى والله أعلم.

قال نبينا وحبيبنا ﷺ: «**وأكل الربا**» معنى ذلك أكل الربا: أي أنه يتناوله المرء المسلم بأي وجه كان وذكر ﷺ الأكل وخصه دون بقية غيره من المنافع لأن الأكل من أعم أوجه الانتفاع وإلا فالربا حرام سواء كان أكلًا أو شربًا أو لشراء أثاث أو بناء دار أو سيارة أو يفعل به شيئًا من المنافع الدينية أو الدنيوية كأن يذهب يحج أو يعتمر أو شيء من هذه العبادات فلا يجوز فليس المقصود بالكبيرة هو الأكل فقط، لا أي انتفاع من هذا الربا فهو محرم

إذا حججت بمال أصله سحت فما حججت ولكن حجت العير

الربا قد تقدم لنا شيء منه في درس الفقه الربا يعرفه العلماء لغة: بمعنى الزيادة كما قال الله ﷻ:

﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥/ وفصلت: ٣٩] ومن هنا سميت الرابية وهو المكان المتجمع من الرمال، وشرعًا: هو زيادة أو تفاضل في أشياء نسيئة أو تفاضلًا ربا الفضل أو ربا النسيئة والربا محرم بالكتاب والسنة وبإجماع المسلمين أما من الكتاب فقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٧٨] وقوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ [البقرة:٢٧٥] وأعلن الله الحرب وما أعلم عقوبة غير هذه ومن آذى أولياء الله في إعلان

حرب الله ورسوله قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩] ويقول سبحانه: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة:٢٧٦] فهو محرم بهذا النص من سورة البقرة وهكذا في نص آخر ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۝١٦٠ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ [النساء: ١٦٠ – ١٦١] هذه مدينة عامرة وحضارة بينما كانت ثم زالت بسبب تعاملها بالربا والظلم والبغي،

ألم تر أن البغي يصرع أهله وأن على الباغي تدور الدوائر

وهكذا من السنة قبل أن نذكر شيئًا من السنة في تحريم الربا بعض الناس ربما قال: يجوز الربا إن كان شيئًا قليلًا ويستدل بالآية من سورة آل عمران وهي قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [آل عمران:١٣٠] فيقولون الربا إن كان أضعافًا مضاعفة فحرام أما إذا كان يسيرًا فجائز والجواب على هذا أن الآية هذه تعالج أمرًا مخصوصًا من أمور ربا الجاهلية فهي تعالج قضية واقعية من أيام الجاهلية كما ذكر ذلك العلامة القرآني محمد الأمين الشنقيطي الجكني صاحب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن فهذه الآية ليس فيها استدلال على تجويز بعض الربا بل الربا محرم كله يقول نبينا ﷺ كما في مسلم من حديث جابر: «**لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه**»(١) ويقول النبي ﷺ: «**درهم ربا أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية**»(٢) ويقول النبي ﷺ: «**الربا اثنان وسبعون حوبًا – أي نوعًا**

(١) البخاري (٢١٢٣) ومسلم (١٥٩٨).

(٢) صحيح: أحمد (٢٢٠٠٧) والدارقطني (٤٨) وابن أبي شيبة (٢٢٠٠٤) وانظر مشكلة المصابيح (٢٨٢٥).

أو إثمًا - أيسرها مثل أن يأتي الرجل أمه»(١) وذكر نبينا ﷺ كما في حديث سمرة بن جندب الحديث طويل في صحيح البخاري قال: «**كان النبي ﷺ إذا صلى بنا صلاة الغداة - أي صلاة الفجر - أقبل علينا بوجهه - وفيه سنية أو شرعية استقبال الإمام الناس بوجهه بعد الصلاة - فيقول: أيكم رأى اليوم رؤيا؟ - وفيه أيضًا اهتمام بأمر الرؤيا وأن الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة ولكن أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا فالرؤيا وصدقها له اتصال بحديث الرجل فإن كان صادقًا كانت رؤياه مثل فلق الصبح - قال: فإن رأى أحدنا شيئًا قصها على النبي ﷺ وأنه قال لنا ذات غداة: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ فلم يجب أحد فقال النبي ﷺ: أما أنا فأتاني آتيان من ربي فأخرجاني إلى أرض مقدسة ثم قالا لي: انطلق وذكر عدة قضايا من هذه القضايا أنه أتى على رجل يسبح في نهر من دم أنظر إلى الهول هذا الذي يسبح قد وقف له شخص على الشاطئ بجانبه حجارة فإذا جاء هذا السابح في ذلك الشاطئ الدموي يفتح فاه فيأخذ حجرًا ويرميه في فمه فيشدخ رأسه ثم يعيده إلى طرف الشاطئ الدموي»**(٢) وهكذا هذه صورة من صور عذاب القبر لهذا المرابي يعذب بذلك إلى أن تقوم الساعة نسأل الله السلامة والعافية ومن الأدلة على التحريم وقف النبي ﷺ يوم عرفة فقال:

«**وكل ربا الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين وأول ربا أضعه ربانا ربا العباس**

---

(١) صحيح: عبد الرزاق (١٩٧٠٦) والطبراني في الأوسط (٧١٥١) وانظر حديث رقم ١٥٣١ في صحيح الجامع.

(٢) البخاري (١٣٢٠).

عم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم»[١] فقد عرفتم التحريم من القرآن ومن السنة ومفاسد الربا كثيرة ذكرت شيئًا منها في رسالة صغيرة بعنوان الربا موجودة في المكتبة، قد يقول قائل: إذن **ما هو الربا؟** للربا أوجه كثيرة أعظمها جرمًا ومفسدة ربا الفضل وربا النسيئة أما ربا الفضل فهو أن يبيع الصاع بصاعين دليله حديث بلال في الصحيحين قال: أتيت النبي ﷺ بتمر برني والتمر البرني هو التمر الجيد فقال النبي ﷺ: «**أتمر خيبر هكذا كله؟**» قال: لا إنا نبيع الصاعين بالصاع لنطعم النبي ﷺ قال: «**أوة عين الربا لا تفعل هكذا بع تمرك ثم اشتر تمرًا آخر به**»[٢] هذا ربا الفضل فإن أعطاه صاعًا من التمر في الصباح ولم يتقاضاه أو يقبض التمر البديل له المساوي له إلا في الليل كان هذا ربا النسيئة لأن النسيئة بمعنى التأخير كما قال الله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ [التوبة:٣٧] والمراد بالنسيء هنا التأخير وذلك أن بعض الجاهليين كان يقوم في مجمع الحجيج في مواسم الحج في الجاهلية فيقول: أنا الذي لا أهاب فيقول: قد نسأت لكم هذا الشهر وقدمت عليه كذا فإذا جاءت الأشهر الحرم أخرها والأشهر الحرم هي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان فإذا جاء الشهر الحرام أخره وقدم غيره فكان هذا فيه اعتداء على أمر الله ﷻ لأن الله ﷻ يقول:

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ﴾ [البقرة:٢١٧] ويقول ﷻ في كتابه الكريم:

---

(١) صحيح: ابن خزيمة (٢٨٠٩) وابن جارود (٤٦٩) وانظر حديث رقم ٢٠٦٨ في صحيح الجامع.

(٢) البخاري (٢١٨٨) ومسلم (١٥٩٤).

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة:٣٦] فحرم الله القتال والظلم وسفك الدماء في هذه الأشهر هذا باختصار في بيان ربا الفضل وربا النسيئة وبقي بيع العينة وهي صورة من صور الربا الدقيقة بالمرة وهي التي يعنيها قول النبي ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة واشتغلتم بالزرع وتركتم الجهاد في سبيل الله إلا سلط الله عليكم ذلًا لا يرفعه عنكم حتى تراجعوا دينكم وفي رواية حتى ترجعوا إلى دينكم**»(١) هذا حديث ابن عمر رواه أبو داود والترمذي وغيرهما فصورة بيع العينة أن يكون الرجل بحاجة إلى نقد فيأتي إلى صاحب الدكان ويقول له: أعطني مائة ألف مثلًا فيقول: لا ما عندي يقول: **هذه السلعة بكم؟** يقول هذه السلعة بمائة ألف فيقول الرجل: أشتريها منك دينًا يقول صاحب المحل: أبيعها لك بمائة ألف يسجل على فلان بن فلان مائة ألف ريال ثم يبيعها وهي في المستودع في المخزن يقول صاحب المحل: أنا أشتريها منك بخمسة وتسعين ألفًا يقول الرجل: أبيع لك، هذا فيه تحايل على الربا وهناك صور كثيرة جدًا يحتال بها الناس اليوم على الربا **وعلى من يحتالون؟**

يــا نــاطح الجبــل العــالي ليركمــه ... أشـفق علـى الـرأس لا تشـفق علـى

وقد بوب الإمام البخاري في كتاب الحيل «**باب تحريم الحيل**» واستدل بحديث:

«**لا يفرق بين مجتمعين ولا يجمع بين مفترقين**»(٢) وكذلك قول النبي ﷺ:

---

(١) صحيح: أبو داود (٣٤٦٢) وأحمد (٥٥٦٢) وسنن البيهقي الكبرى (١٠٤٨٤) وانظر السلسلة الصحيحة برقم (١١).

(٢) البخاري (١٣٨٢).

«لعن الله اليهود حرم الله عليهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا ثمنها»[(١)] ولله در القائل حيث قال:

واتـــــرك الحيلـــــة في تحويلهـــــا إنمـــــا الحيلـــــة في تـــــرك الحيـــــل

وأما الأصول الربوية المتفق عليها فهي ست صور ذكرها النبي ﷺ في حديث عبادة وأبي سعيد وغيرهما قال النبي ﷺ: **«الذهب بالذهب ربا والفضة بالفضة ربا والبر بالبر ربا والتمر بالتمر ربا والشعير بالشعير ربا والملح بالملح ربا إلا هاءً وهاء - أي خذ واعط - فمن زاد أو استزاد فقد أربى»**[(٢)]، وجاء من حديث طلحة بن عبيد الله روى عنه أوس بن الحدثان أنه قال: أقبلت أقول **من يصطرف؟** أقبل أوس بن الحدثان يقول: **من يصطرف؟** قال طلحة بن عبيد الله وهو من العشرة المبشرين بالجنة: أنا فأخذ الذهب قال: حتى يأتي خادمنا من الوادي قال له عمر: لتصرفن أو لتعيدن إليه ذهبه سمعت النبي ﷺ يقول: **«الذهب بالذهب ربا والفضة بالفضة ربا والبر بالبر ربا والتمر بالتمر ربا والشعير بالشعير ربا والملح بالملح ربا إلا هاءً وهاء فمن زاد أو استزاد فقد تعدى وظلم»**[(٣)]،

هذه الأصول أصول الربويات الست بعض أهل العلم باستثناء الذهب والفضة الحق فيها فيما يجامعها بالعلة من باب القياس لأن القياس هو مساواة فرع بأصل بعلة جامعة بين الأصل والفرع لأن أركان القياس هي هذه: الأصل والفرع والحكم والعلة فما كان فيه علة هذه المطعومات من الطعم والكيل والإدخار أضافوها وقالوا: ما

---

(١) البخاري (٢١١٠) ومسلم (١٥٨٢).

(٢) البخاري (٢٠٢٧) ومسلم (١٥٨٤).

(٣) مسلم (١٥٨٦).

كان بعلتها فإنه يلحق بها، لكن أبو الوفاء بن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يقول: لا يمكن هذا فقد وجد في زمن النبي ﷺ من هذه المطعومات ولم يذكرها النبي ﷺ وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، وهكذا هناك رسالة لابن الأمير الصنعاني في هذا الباب لكن جمهور أهل العلم يقولون بهذا وكذلك أيضًا من المتأخرين الشيخ العثيمين يقول بهذا لكن هؤلاء العلماء ربونا على غير تقليد أننا لا نقلدهم بل نتبع القول الراجح المؤيد بالدليل فالقول الذي تطمئن إليه النفس أن الأصول الربوية الستة تبقى على ما هي عليه أما بالنسبة للذهب والفضة فالعلة في ذلك الثمنية وكل هذه الأموال الموجودة الدولار الدينار الريال وما شاكلها فعلتها الثمنية وتبقى هذه الأصول الأربعة التي هي البر والشعير والملح والتمر هي الأصول الربوية المتفق عليها وغيرها لا يجامعها بحكم العلة الجامعة بينها وهذا قول صحيح من أقوال أهل العلم ومن رأى غير هذا وقال به فلا إنكار لأن المسألة فيها خلاف قديم بين أهل العلم وكما قالوا: فما ترك السابق للاحق والله المستعان.

ثم قال ﷺ: «**وأكل مال اليتيم**» خص الأكل بالذكر لأنه أعم أوجه الانتفاع وإلا فأخذ مال اليتيم سواء كان أكلا أو إحراقًا أو شربًا أو شراء سيارة أو شراء عمارة أو أي شيء فهو حرام وخص اليتيم لأن اليتيم ليس له من يدافع عنه واليتيم لغة: مأخوذ من اليتم بمعنى الانفراد إذا قالوا: هذه ليلة يتيمة أو هذا يوم يتيم معناه الانفراد.

واليتيم في الشرع هو: من مات أبوه قبل بلوغه يقال عنه يتيم أما إذا بلغ فلا يقال عنه يتيم لأن النبي ﷺ يقول: «**لا يتم بعد احتلام**»(١) ويقول ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء:٦] فإذا بلغ

---

(١) صحيح: الطيالسي (١٧٦٧) والطبراني في الكبير (٣٥٠٢) وانظر حديث رقم ٧٦٠٩ في صحيح الجامع.

اليتيم فلا يقال عنه يتيم وهكذا من ماتت أمه لا يقال عنه يتيم لأن اليتيم إنما هو يتيم الأب فإن قالوا في يتيم ماتت أمه يتيم فقط من باب التجوز والتوسع هذا من حيث التعريف الشرعي وإلا ففاقد الأخلاق والآداب والاهتمام أيضًا يقال عنه يتيم

لـيس اليتـيم الـذي قـد مـات والـده قـد كـان ذلـك في القـرون الأولـى
إن اليتـــيم الـــذي تلقـــى لـــه أمًـــا تخلـــت أو أبًـــا مشـــغولًا

«**اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال ﷺ: الشرك والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف**»

التولي: هو الانصراف والإعراض وكان من كبائر الذنوب والمعاصي ومن الموبقات السبع لأن فيه إعراضًا عن الجهاد، ثانيا: في التولي يوم الزحف يوم أن يلتقي أولياء الله وأولياء الشيطان فيتولى بعض المؤمنين يكون في هذا تقوية للكفار وإظهار الشماتة بالمسلمين أمامهم وفيه أيضًا كسر لقلوب أهل الإيمان لما يجتمع الكفار والمسلمون وبعدين يتولى فريق من هؤلاء تاركين مواقعهم وأماكنهم - أعوذ بالله - هذا خذلان ولا تنسوا ما حصل من التولي من قبل المنافقين في غزوة أحد لما قال عبد الله بن أبي: يعصيني ويطيعهم فانخس بثلثي الجيش قبح الله ابن أبي ومن كان على شاكلته فرجع هؤلاء قالوا: ما ندري على ما يقاتل - أعوذ بالله - فكان في هذا وصمة عار على هؤلاء ولما ترك بعض المسلمين الخروج مع النبي ﷺ في تبوك تدرون ماذا كان من قصة هلال ومرارة وكعب بن مالك وماذا كان من شأن المنافقين ونزلت الآيات على أنه ما حصل تولي وإنما حصل فقط تخاذل تثاقل قالوا: ﴿لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ﴾ [التوبة:٨١] ومنهم من يقول:

﴿ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ﴾ [التوبة:٤٩] يقول يخاف أن يفتن حينما يرى بنات بني الأصفر

تعليلات فكيف إذا كان تولي فكان هذا من أكبر الذنب والمعصية لكن العلماء يقولون: إن التولي يوم الزحف إن كان لمصلحة المسلمين فجائز لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠] فإذا كان من أجل الإصلاح فلا بأس به: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ﴾ [الأنفال: ١٥ – ١٦] ومعنى متحرف أي عنده ذكاء تكتيك احتراف شيء من الذكاء والفطنة عنده خبرة تجربة في الحرب فإذا كان من أجل مصلحة الإسلام والمسلمين فجائز ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ﴾ [الأنفال:١٦] تواطأ مع بعض المسلمين إن حصل كذا فأنا أخرج من الصف وأنت تلتقي بي في المكان الفلاني ونكون في كذا من أجل يبغتون الكفار مثلًا هذا جائز وللفائدة أن السنة تخصص القرآن السنة المطهرة الشريفة تخصص كتاب الله وهذا هو الأغلب أن القرآن عام والسنة تخصص القرآن يجمل والسنة تفصل ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣، ٨٣، ١١٠/ والنساء: ٧٧/ ويونس: ٨٧/ والنور: ٥٦/ والروم: ٣١/ والمزمل: ٢٠] أفعال النبي ﷺ بينت لنا كيف الصلاة وأوقاتها وركعاتها

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣، ٨٣، ١١٠/ والنساء: ٧٧/ والحج: ٧٨/ والنور: ٥٦/ والمجادلة: ١٣/ والمزمل: ٢٠] ما فيه تعريف الأنصبة هذا في السنة لكنه ورد في آيتين من القرآن عكس ذلك وهو تخصيص القرآن لعموم السنة عممت السنة وخصص القرآن هذه من ضمنها النبي ﷺ قال:

«**والتولي يوم الزحف**» مطلق جاء القرآن وخصص هذا التولي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ﴾ [الأنفال: ١٥ – ١٦].

الموضع الثاني: الذي جاء فيه القرآن بالتخصيص قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة:١٠] أي أنهن لا يعدن إلى مكة في هذين الموضعين وقد ذكر هذا العثيمين في كتابه الأصول من علم الأصول في باب العام والخاص.

قال: «**والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**» قذف المحصنات بمعنى المؤمنة العفيفة الطاهرة أنت تقذفها بالزنا فمن قذف مؤمنة عفيفة بريئة ترتب عليه أمور:

١- يجلد ثمانين جلدة إذا كان قذفه باطل.

٢- لا تقبل شهادته.

٣- يوصم بالفسق ويرفع عنه الأمران الآخران بالتوبة إن تاب توبة نصوحًا خلاص تقبل شهادته ولا يقال عنه فاسق لأنه قد تاب إلى الله سبحانه وتعالى.



وعن جندب مرفوعًا: «حَدُّ السَّاحِرِ ضربَةٌ بِالسيفِ» رواه الترمذي وقال: الصحيح أنه موقوف[1].

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة قال: فقتلنا ثلاث سواحر[2].

---

(١) ضعيف: الترمذي (١٤٦٠) والحاكم (٨٠٧٣) والدارقطني (١١٢) وانظر ٢٦٩٩ في ضعيف الجامع.

(٢) البخاري (٣١٥٦).

وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت[١]، وكذلك صح عن جندب، قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية النساء.

الثالثة: تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما.

الرابعة: أن الطاغوت قد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس.

الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي.

السادسة: أن الساحر يكفر.

السابعة: أنه يقتل ولا يستتاب.

الثامنة: وجود هذا في المسلمين على عهد عمر، فكيف بعده!



قال: وعن جندب مرفوعًا

هذه العبارة يستخدمها المحدثون اختصارًا بدلًا من أن يقول: رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يقولون: مرفوعًا: «**حد الساحر ضربه بالسيف**» رواه الترمذي وقال: الصحيح أنه موقوف يعني ليس بمرفوع ولكن موقوف أي من قول الصحابي

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٤٦) بلاغًا ووصله عبد الرزاق (١٠/ ١٨٠).



فالموقوف: ما كان موقوفًا من قول الصحابي أو من فعله وأثر جندب هذا ضعفه الشيخ الألباني كما في ضعيف الجامع وفي سنده إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف لكن وإن كان الأثر ضعيفًا فقد صح عن غير جندب وهو جندب الأزدي، الأمر الثاني: أنه حصل إجماع من أصحاب النبي ﷺ في قتل الساحر سواء كان سحره فيه استخدام للجن أو كان عن طريق استخدام الأدوية والتباخير والعقاقير تدخينات وأشياء فيقتل ويعامل معاملة الصائل دفعًا لشره وباطله فإن كان من النوع الأول: قتل ردة وإن كان من النوع الثاني: قتل حدًا حتى يرتاح المسلمون من شر هذا الساحر قال: وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب: «**أن اقتلوا كل ساحر وساحرة**»(١) بعض أهل العلم يقول: يستتاب فإذا تاب عفى الله عما سلف وإن كان يظهر التوبة لكنه ينقض فيقتل.

كتب عمر «**أن اقتلوا كل ساحر وساحرة قال: فقتلنا ثلاث سواحر**»، وتعرفون عمر رضي الله عنه من الذين أمرنا بأخذ أقوالهم: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ**»(٢) وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية سحرتها فقتلت وكذلك صح عن جندب،

قال أحمد بن حنبل رحمه الله: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ يعني عمر وحفصة وجندب الأزدي هذا ذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن قال: وقوله صح عن جندب أشار المصنف بهذا إلى قتله الساحر كما رواه البخاري في تاريخه عن أبي

---

(١) البخاري (٣١٥٦).

(٢) صحيح: أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجة (٤٢) وأحمد (١٧١٨٤) وانظر حديث رقم ٢٥٤٩ في صحيح الجامع.



عثمان النهدي وأبو عثمان النهدي عبد الرحمن بن مل القضاعي ومُِل بتثليث الميم قال: كان عند الوليد رجل يلعب فذبح إنسانًا وأبان رأسه فعجبنا أنظر على تخمين فأعاد رأسه فجاء جندب الأزدي فقتله ورواه البيهقي في الدلائل مطولًا وفيه فأمر به الوليد فسجن فذكر القصة بتمامها ولها طرق هذا يعتبر تحصيل حاصل وتكرار لشيء قد ذكر فتقدم لنا معرفة الساحر وأنواع السحر أقسامه وما يترتب عليه وحكمه من حيث القتل وعدمه فهذا بارك الله فيكم يعتبر إجماع من أصحاب النبي ﷺ فيما يتعلق بأمر الساحر وقد قال بعض العلماء: ما ظهر السحر في دولة أو منطقة إلا كثر فيها الأحقاد والحسد والتشاحن والبغضاء بل ربما احتكم بعض الناس إلى السحرة إن حصل بينه وبين صاحبه شيء ذهب إلى الساحر يعمل له أشياء وكذا من أجل أن ينزل به الضرر نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من شر السحرة وكيدهم وتصرفاتهم إنه على كل شيء قدير.

يقول: «قذف المحصنات الغافلات المؤمنات» هل يدخل في ذلك الرجال والنساء أم النساء فقط؟

الأصل كله يعتبر من الكبائر سواء قذفت رجلًا أو امرأة، لكن قل من قذف كافرة فإن كان قد علم منها شيء فلا بأس يقذف الكافرة لأن الكافر لا حرمة له في هذا الباب وليس عندهم ما يمنع إلا النادر والنادر لا حكم له، بهذا القدر نكتفي وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



باب بيان شيء من أنواع السحر

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

باب بيان شيء من أنواع السحر

هنا شرح طيب لهذه الترجمة شرحها الشيخ الفاضل محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ فأحببت أن أنقلها من كتابه تمامًا للفائدة قال العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قوله باب بيان شيء من أنواع السحر أي بيان حقائق هذه الأشياء مع حكمها قال: وقد سبق أن السحر ينقسم إلى قسمين أي في الدرس الذي قبله كفر وفسق ثم بين قال فإن كان باستخدام الشياطين وما أشبه ذلك فهو كفر وهذا قد تقدم لنا وكذلك ما ذكره هنا من أنواع السحر منها ما هو كفر ومنها ما هو فسق حسب ما تقتضيه الأدلة الشرعية ثم بين رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: والأنواع جمع نوع لكن تجمع جمع تكسير قال: والنوع أخص من الجنس لأن الجنس أعم فالنوع يقول أخص لأن الجنس اسم يدخل تحته أنواع والنوع يدخل تحته أفراد وقد يكون الجنس نوعًا باعتبار ما فوقه والنوع جنسًا باعتبار ما تحته قال: فالإنسان نوع باعتبار الحيوان والحيوان باعتبار الإنسان جنس لأنه يدخل فيه الإنسان والإبل والبقر والغنم والحيوان باعتبار الجسم نوع لأن الجسم يشمل الحيوان والجماد قال: وأنواع هنا باعتبار الجنس العام وسبق أن السحر في اللغة: كل ما كان خفي السبب دقيقًا في إدراكه قال: حتى عد الفخر الرازي من جملة



أنواع السحر الساعات وهي في القديم عبارة عن آلات مركبة فكيف بالساعات الإلكترونية اليوم» هذا شرح فيما يتعلق للترجمة ترجمة الدرس.



قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة، عن أبيه، أنه سمع النبي ﷺ قال: «إِنَّ العِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ»(١).

قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض، والجبت: قال الحسن: رنة الشيطان، إسناده جيد، ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه.



قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال أحمد،

يعني بذلك أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني إمام أهل السنة.

قال: حدثنا محمد بن جعفر،

ومحمد بن جعفر المعروف بغندر وكان ربيب الإمام شعبة ولقبه بذلك شيخه ابن جريج كان يكثر من الكلام أو السؤال فقال له يومًا: اسكت يا غندر.

قال: حدثنا عوف،

---

(١) ضعيف: أحمد (٢٠٦٢٢) والمعجم الكبير (٩٤١) وأبو داود (٣٩٠٧) وابن حبان (٦١٣١) وسنن النسائي الكبرى (١١١٠٨) انظر حديث رقم: ٣٩٠٠ في ضعيف الجامع.



وهو ابن أبي جميلة ثقة المعروف بعوف الأعرابي.

قال: عن حيان بن العلاء،

وحيان بن العلاء يقال: حيان بن مخارق ويكنى بأبي العلاء وهو آفة هذا الحديث إذ أن الحافظ بن حجر في تقريب التهذيب يقول: مجهول فيكون الحديث ضعيفًا بهذا وقد ضعفه الشيخ الألباني في تحقيقه على رياض الصالحين. قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وحدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع،

وقبيصة هو صحابي جليل جاء له حديث في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**يا قبيصة لا تحل المسألة إلا لثلاثة نفر رجل أصابت ماله جائحة ورجل تحمل حمولة ورجل فقير حتى يشهد له ثلاثة من ذوي الحجى**»[(١)] أي من العقول البالغين.

أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت**» والجبت قد تقدم بأنه بمعنى السحر وبمعنى الكهانة.

قال: عوف،

طبعًا الحديث ضعيف والضعيف لا يحتج به والضعيف من الحديث هو الذي لم تتوفر فيه شروط الصحة ولا شروط الحسن.

قال عوف: العيافة زجر الطير والطرق الخط يخط بالأرض والمراد بالخط - بارك الله فيكم - يكتب في الرمال استنادًا إلى علم التنجيم أما إذا كان يخط لقصد تخطيط أ ولرسم خريطة فلا بأس فقد خط النبي ﷺ خطًا وقال: «**هذا صراط الله**

(١) مسلم (١٠٤٤).

المستقيم» ورسم خطوطًا عريضة على جنبتيه وقال: «**هذه سبل الشيطان**»[(١)] عندي هاهنا تعليق على قوله يخط بالأرض قال: هو ما يسمونه خط الرمل وعلمه وهو ذائع بين أهل العصر ولبعضهم فيه تأليف وقد يتعيش به كثير من المتكهنين يغرون به البله والجهلة زاعمين أنهم يطلعون على المغيبات وهم كاذبون فإن هذا العلم بل الجهل لا يقصد به إلا خداع الناس وأكل أموالهم بالباطل قال: وقد بحثت في قواعده فوجدته كما ذكرت لك رجمًا بالغيب وهو من الجبت كما في الحديث فيجب على المؤمنين بالله الكفر به ومثله علم ما يسمونه: قراءة الكف وقراءة الفنجان ومناجاة حب البن ونحوه كل ذلك دجل وسحر واستمتاع كل من شياطين الجن والإنس بعضهم ببعض نسأل الله العافية للمسلمين من هذه الأمراض الفتاكة تجد في بعض القرى إذا شرب أحدهم قهوة - ليس شاي - قهوة بعد أن ينتهي من الكأس يكون هذا الكأس يعني فيه من الداخل بقايا القهوة فيقول بعضهم لبعض أنظر لي طبعًا تكون امرأة كاهنة أو رجل كاهن فإذا به يقول له: يعني كله كذب وخرط كما يقال يقولون له: سوف تفرح وسيأتيك مال ومعك الآن في الطريق صدارة يعني فلوس جائي في الطريق وذاك يذعن وكأن وحي يوحى - الله المستعان - هذا بارك الله فيكم - من الشرك من الشرك هؤلاء لا يعلمون الغيب وإنما يتخرصون وهذه البضاعة المزجاة لا تنفق إلا على الجهال أما أهل العلم وطلاب العلم فهم بمنأى ولله الحمد.

قال: ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه.



---

(١) صحيح: سنن النسائي الكبرى (١١١٧٥) وعبد بن حميد (١١٤١) وانظر ظلال الجنة (١٦).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ» رواه أبو داود وإسناده صحيح[1].



وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**» الاقتباس هو الأخذ واقتبست من فلان كذا أي أخذت منه شيء وهو مأخوذ من قوله سبحانه: ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ [طه:١٠] هو القليل من النار يأخذه الشخص ليستدفئ به.

الحديث رواه أبو داود وإسناده صحيح.

فيقول عليه الصلاة والسلام: «**من اقتبس شعبة**» والشعبة القطعة من الشيء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**والحياء شعبة من الإيمان**»[2] وقال بعض أهل العلم: - من باب الفائدة - ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أرفع شعب الإيمان وأدناها ووسط بالحياء ليعلم أن من جاء بهذه الخصلة سهل عليه أن يأتي ببقية شعب الإيمان على أية حال الشعبة القطعة من الشيء فيقول صلى الله عليه وسلم: «**من اقتبس شعبة من النجوم**» النجوم المعروفة التي جعلها الله جل وعلا زينة للسماوات من اقتبس علمًا منها اقتبس شعبة من السحر واقتباس العلم من النجوم على نوعين:

علم التسيير: وحكم هذا أنه جائز وهو معرفة هذه النجوم للاستدلال بها على معرفة الطرق، النجم القطبي، الطرق في الفلاة، القبلة.

---

(١) صحيح: أبو داود (٣٩٠٥) وابن ماجة (٣٧٢٦) وأحمد (٢٠٠٠) وانظر حديث رقم: ٦٠٧٤ في صحيح الجامع.

(٢) البخاري (٩) ومسلم (٣٥).

علم التأثير: الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية وهذا محرم قالت عائشة: يا رسول الله **ما بال الكهان؟** قال لها النبي ﷺ: «**ليسوا بشيء**» قالت: قد يصدقون قال لها النبي ﷺ:

«**تلك الكلمة يأخذها الجني من الحق أو من الملك فيقرقرها في أذن سيده كقرقرة الدجاجة فيضيف معها تسعة وتسعين كذبة**»(١) ومعنى قوله: «**زاد ما زاد**» أي زاد ما زاد في الضلالة زاد ما زاد من تعلم علم النجوم زاد في الإثم الحاصل بزيادة الاقتباس من شعبه.



وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشرك، وَمَنْ تَعَلَّقَ شيئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»(٢).



قال: وللنسائي من حديث أبي هريرة: «**من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئًا وكل به**» هذا الحديث أيضًا ضعيف لأن في سنده عباد بن ميسرة المنقري وهو لين وقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع وهذا الذهبي من قبله ضعفه في الميزان والحديث الضعيف لا داعي لشرحه.



(١) البخاري (٧١٢٢).

(٢) ضعيف: النسائي (٤٠٧٩) والطبراني في الأوسط (١٤٦٩) ومصنف عبد الرزاق (١٩٧٧٢) وانظر حديث رقم: ٥٧٠٢ في ضعيف الجامع.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ، القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ» رواه مسلم(١).



وعن ابن مسعود،

وهو عبد الله أبو عبد الرحمن ويلقب بابن أم عبد.

قال: وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا هل أنبئكم ما العضة؟**»

هي بفتح العين وسكون الضاد العضة، قال أبو السعادات: هكذا روي في كتب الحديث والذي في كتب الغريب **ألا أنبئكم ما العضة؟** بكسرالعين وفتح الضاد قال الزمخشري: أصلها العضهة فعلة من العضه وهو البهت فحذفت لامه كما حذفت من السنة والشفة وتجمع على عضين ثم فسرها بقوله: «**هي النميمة القالة بين الناس**» فأطلق عليها العضة لأنها لا تنفك من الكذب والبهتان غالبًا ذكره القرطبي قال ﷺ: «**ألا أنبئكم ما العضة؟ وهي النميمة القالة بين الناس**» رواه مسلم، عجيب ما هو الاتصال بين النميمة حديث في باب النميمة يدرجه المؤلف في باب السحر اسمع بارك الله فيك قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: ذكر ابن عبد البر عن يحي بن أبي كثير قال: يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسده الساحر في سنة، وقال أبو الخطاب في عيون المسائل: ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس قال في الفروع: ووجهه أنه يقصد الأذى بكلامه وعمله على وجه المنكر والحيلة أشبه بالسحر، وهذا يعرف بالعادة والعرف أنه يؤثر وينتج ما يعمله السحر أو

---

(١) مسلم (٢٦٠٦).

أكثر فيعطى حكمه تسوية بين المتماثلين أو المتقاربين لكن يقال: الساحر إنما يكفر لوصف السحر وهو أمر خاص ودليله خاص وهذا ليس بساحر وإنما يؤثر عمله ما يؤثره فيعطى حكمه إلا فيما اختص به من الكفر وعدم قبول التوبة قال: وبه يظهر مطابقة الحديث للترجمة وهو يدل على تحريم النميمة وهو مجمع عليه أنه من كبائر الذنوب قال ابن حزم رحمه الله: اتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة وفيه دليل على أنها من الكبائر وتعرفون - بارك الله فيكم - حديث ابن عباس قال: مر النبي ﷺ بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي في النميمة وأما الآخر فكان لا يستنزه من البول**»[1] نسأل الله السلامة والعافية فكان الجزاء من جنس العمل يعذبان في قبريهما والنميمة بارك الله فيكم نقل الكلام بين الناس بقصد الإفساد.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠ - ١١] نعوذ بالله من ذلك هذه من أعمال المنافقين ليس من أعمال المؤمنين فلخطورة النميمة دخلت في باب السحر لأن هذا بارك الله فيكم يسعى لقصد الإفساد وإيغار الصدور وكان الواجب عليه التجميع والتأليف لا التفريق.



(١) البخاري (٢١٥) ومسلم (٢٩٢).

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»(١).

فيه مسائل:

الأولى: أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت.

الثانية: تفسير العيافة والطرق.

الثالثة: أن علم النجوم نوع من السحر.

الرابعة: العقد مع النفث من ذلك.

الخامسة: أن النميمة من ذلك.

السادسة: أن من ذلك بعض الفصاحة.



ثم قال: ولهما أي للبخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن من البيان لسحرًا**» المراد بالبيان البلاغة والفصاحة **ولماذا قال فيه صلى الله عليه وسلم سحرًا؟**

اختلف أهل العلم في ذلك فبعضهم حمل الحديث على الذم وبعضهم حمله على المدح والصحيح أنه على حسب القائل فإن كان القائل ينصر حقًا ويدفع باطلًا ببيانه وفصاحته وبلاغته فلله دره من بيان ! وإن كانت فصاحته وبلاغته لإحقاق الباطل وإبطال الحق فيكون الحديث خرج مخرج الذم لأن بعض الناس قد يصور الباطل بصورة حق والحق بصورة باطل يقلب لك الأمر تمامًا يجعل الأبيض أسود والأسود أبيض يكون عنده قوة تعبير وبيان حتى أن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يقول:

---

(١) البخاري (٤٨٥١).

لا تغتر بقول القائل وإن طار في الهواء أو مشى على سطح الماء حتى تعلم متابعته لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وكان شيخنا مقبل رحمه الله يقول: إن رأيت رجلًا ذا بيان فكن منه على حذر بعضهم يقلب كما قلت لك ويزوق لك المعاني على حد قول القائل:

تقـول هـذا مجـاج النحـل تمدحـه وأن تشـأ قلـت ذا قـيء الزنـابير
مـدحًا وذمًّـا مـا جـاوزت وصـفهما والحـق قـد يعتريـه سـوء تعبيـر

يستطيع أن يذم العسل باعتبار أنه قيء النحل ويستطيع أن يمدحه إذ أن هذا هو مجاج يستطيع أن يصل إلى هذا الحد وأن يبين هذا البيان وأن يأتي بالحجة المقنعة.

ذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن قال: قال صعصعة بن صحوان أو صوحان: صدق نبي الله فإن الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق كما قال ﷺ:

«**إنكم تختصمون لدي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له فمن قضيت له بشيء فإنما هي جمرة فليأخذها أو ليدعها**»(١) قال ابن عبد البر: تأولته طائفة على الذم لأن السحر مذموم وذهب أكثر أهل العلم وجماعة أهل الأدب إلى أنه على المدح لأن الله تعالى مدح البيان.

قال وقد قال عمر بن عبد العزيز لرجل سأله عن حادث فأحسن المسألة فأعجبه قال: هذا والله السحر الحلال انتهى

---

(١) البخاري (٢٥٣٤) ومسلم (١٧١٣).



والأول أصح والمراد به البيان الذي فيه تمويه على السامع وتلبيس كما قال بعضهم:

في زخــرف القــول تــزيين لباطلــه   والحــق قــد يعتريــه ســوء تعبيــر

مأخوذ من قول الشاعر:

تقــول هــذا مجــاج النحــل تمدحــه   وإن تشــأ قلــت ذا قــيء الزنــابير

مــدحا وذمــا مــا جــاوزت وصــفهما   والحــق قــد يعتريــه ســوء تعبيــر

وقوله: «**إن من البيان لسحرًا**» هذا من التشبيه البليغ لكون ذلك يعمل عمل السحر فيجعل الحق في قالب الباطل والباطل في قالب الحق فيستميل به قلوب الجهال حتى يقبلوا الباطل وينكروا الحق نسأل الله الثبات والاستقامة على الهدى.

قال: أما البيان الذي يوضح الحق ويقرره ويبطل الباطل ويبينه فهذا هو الممدوح وهكذا حال الرسل وأتباع الرسل ولهذا علت مراتبهم في الفضائل وعظمت حسناتهم وبالجملة فالبيان لا يحمد إلا إذا لم يخرج إلى حد الإسهاب والإطناب وتغطية الحق وتحسين الباطل فإذا خرج إلى هذا فهو مذموم وعلى هذا تدل أحاديث كحديث الباب وحديث: «**إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها**»[(١)] رواه أحمد وأبو داود وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم (٨٨٠) انتهى وبالله التوفيق.

---

(١) صحيح: أبو داود (٥٠٠٥) والترمذي (٢٨٥٣) وأحمد (٦٥٤٣) وانظر حديث رقم: ١٨٧٥ في صحيح الجامع.



يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والحق أن الكلام يختلف بحسب المقاصد لأن مورد المثل على ما رواه الشيخ الترابشتي وكان هذا القول منه ﷺ عند قدوم وفد بني تميم وكان فيهم الزبرقان وعمرو تفخر الزبرقان فقال: يا رسول الله أنا سيد تيم والمطاع فيهم والمجاب أمنعهم من الظلم وآخذ لهم بحقوقهم وهذا يعلم ذلك فقال عمرو: إنه لشديد المعارضة مانع لجانبه مطاع في أذنيه فقال الزبرقان: والله يا رسول الله لقد علم مني غيرها وما منعه أن يتكلم إلا الحسد فقال عمرو: وأنا أحسدك؟ فوالله إنك للئيم الخال حديث المال ضيق العطن أحمق الولد مضيع في العشيرة والله يا رسول الله لقد صدقت فيما قلته أولًا وما كذبت فيما قلت آخرًا ولكني رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت وإذا غضبت قلت أقبح ما وجدت ولقد صدقت في الأولى والأخرى جميعًا فقال النبي ﷺ: «**إن من البيان لسحرًا**» الله المستعان قال الميداني: يضرب هذا المثل في استحسان المنطق وإيراد الحجة البالغة فالكلام يختلف باختلاف المقاصد فبعض الناس من البيان كالسحر في الباطل إذا جعل الباطل حقًا والحق باطلًا وبعضه ممدوح إذا خلا من ذلك وكذلك الشعر منه مذموم إذا كان هجو مسلم وتزيين باطل وإن اشتمل على الحكم فهو ممدوح كما قال ﷺ: «**إن من الشعر لحكمة**»(١) قال الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧] كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ومن سلك مسلكهم والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

---

(١) الحاكم (٦٥٦٨) والطبراني في الأوسط (٧٦٧١) وانظر حديث رقم: ٢٨٥١ في السلسلة الصحيحة.

الفهرس



فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة